



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م٢٧ ع ٣ ، ٢٩٤ صفحة (٢٠١٨م)

ردم ٠٩٨٩ - ١٣١٩

رقم الإيداع : ٠٢٩٤ / ١٤



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢٧ العدد ٣

٢٠١٨م

مركز النشر العالمي
جامعة الملك عبدالعزيز
ص ب : ٨٠٩٠٠ - جدة : ٢١٥٨٩
الهيئة العامة للغذاء والدواء
<http://spc.kau.edu.sa>

■ هيئة التحرير ■

رئيساً

أ.د/ احمد بن محمد صالح عزب

aazab@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ محمد بن جعفر عارف

Marif@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ عبد الرحمن بن رجا الله السلمي

aralsulami@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ محمد بن صالح ناهي الغامدي

Msalghamdi1@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ آمال بنت يحيى الشيخ

Ayalshaikh@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ سامية بنت عبد الله بخاري

Sbukare@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ زكريا بن أحمد الشربيني

zalsherpeny@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ نهى بنت سليمان الشرفاً

Nalshurafa@kau.edu.sa

عضواً

د. زيني بن طلال الحازمي

Zalhazmi@kau.edu.sa

عضواً

د. سليمان مصطفى آيدن

slaydinn@hotmail.com

المحتويات القسم العربي

الصفحة

- الدين والعقل
الدكتور سعيد بن أحمد الأفندي ١
- آياتُ البُشْرَى في سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَأَهْمِيَّتُهَا لِلدُّعَاةِ
أحمد محمد عبيد ٢٧
- (الإعلام الجديد وأثره في خدمة القرآن وعلومه: "التطبيقات الإلكترونية للقرآن الكريم انموذجاً – الواقع والآفاق -" ومدى الاستفادة منها والتميز بين المعتبر وغير المعتبر منها لدى بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة وموقفهن من التطبيقات المحرفة)
خيرية بنت علي بن عبدالله الشهري ٦٣
- الدروس العقدية من صلح الحديبية
مريم بنت علي الحوشاني ٨١
- ازدواجية القيم الثقافية عينة من طلبة جامعة الكويت
زهراء الصويلان ١٠٩
- سيمياء الجسد في ديوان "أول الجسد آخر البحر" لأدونيس
منى الغامدي ١٣٥
- التكرار في شعر ابن عبد ربه دراسة فنية
سليم ساعد السلمي ١٥٩

- علاقة السياسة اللغوية في التعليم بحقوق الإنسان مشروع " أوروبا الغنية بلغاتها توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوروبا " - (أنموذجاً)
ظافر بن علي عبدالله الشهري ١٨٣
- علائقية أمل النصّ وألم النَّاص في شعر محمد الثبّيتي
عبدالرحمن بن محمد الوهابي ٢٠٣
- أثر استخدام العروض التقديمية (بوربوينت Power Point) في مقررات اللغة العربية على التحصيل الدراسي وتنمية اتجاهاتهم نحوها لدى طلبة جامعة الملك عبد العزيز
محمد علي الصويركي ٢٢١
- التوافق الدراسي في علاقته بالتدفق النفسي والرضا عن الحياة لدى طالبات (الدبلوم التربوي بالتخصصات العلمية والأدبية بجامعة جدة)
نبيلة أكرم بخاري ٢٤١
- الأريسيئون الواردة في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل إمبراطور الروم دراسة تاريخية تحليلية
عماد عابد عبدالله طاهر ٢٧٣

الدين والعقل

الدكتور سعيد بن أحمد الأفندي

أستاذ الفلسفة والمذاهب الفكرية المشارك بقسم الدراسات الإسلامية ،
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عميد كلية الدراسات العليا التربوية المشرف
على كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز للقيم الأخلاقية
جامعة الملك عبدالعزيز

مستخلص. الدين والعقل هل يلتقي الدين مع العقل أم أنهما ضدان لا يمكن أن يلتقيان؟ وكيف كانت العلاقة بينهما عبر العصور؟ يحاول البحث الذي بين أيدينا الإجابة عن تلك التساؤلات، ورصد تاريخ العلاقة التي مرت بحالات من الاشتباك والتجاذب والصراعات والهدن وفترات من التقارب والانسجام. ولابد لنا قبل استعراض تاريخ العلاقة بين الإيمان والعقل من تحديد مفهوم العقل. فالعقل هو ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي. فعقل، تعني أمسك نفسه وردها عن هواها.. أما أشمل تعريف للعقل عند الفلاسفة فهو مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة، كالإدراك والتداعي، والذاكرة، والتخيل، والحكم، والاستدلال. أما عن علاقة العقل بالدين تاريخياً فقد مرت بحالات من المد والجزر والاشتباك والتقارب. ففي الحضارة اليونانية وجدنا تحرر العقل من ضغط العقيدة الدينية ونفوذ رجالها. أما في العصر الوسيط (عصر القديسين) فلم يكن هناك نزاع بين العقل والإيمان، بل ساد اتفاق تام بينهما. وبدأ الاضطهاد الديني في أوروبا حين خرجت السياسة الرومانية على شريعتها. وساد خلال القرنين الأولين اضطهاد لأتباع الدين الجديد. ولم تتوقف حملات التنكيل إلا بعد تبني القياصرة لذلك الدين. وغيّرت الكنيسة سلوكها بعد أن ظفرت بالسلطان. وأحكمت قبضتها على المشككين والمارقين والملحدن (مبادئ أوغسطين). ومالبثت أن دبت اليقظة في التيار العقلي فانقض على خصومه الكهنوت. وشهدنا صراعات دامية أعدم فيها الكثيرون من رواد الفكر الحديث. وفي القرن الثالث عشر بدأت الهوة تتسع بين العقل واللاهوت واستمرت الصراعات وبدأ الانفصال التام بينهما برفض كل ماجاء به الوحي لعدم قابليته للبرهان العقلي. واستمر النزاع بين الإيمان والعقل في القرون اللاحقة إلى أن ظهرت النظريات العلمية التي برهنت خطأ المفاهيم الدينية القديمة عن العالم كنظرية غاليله ونيوتن ودارون وكبلر ولابلاش وغيرها. وتم نزع سلطة الكهنوت سياسياً، وإبعاد الدين عن شئون الحياة العامة.

مقدمة

فإن استقراء تاريخ الصراع بين العقل والإيمان يقول:

إنه لا يعرف صراعاً قام بينهما، وأدى إلى استعباد العقل، إلا إذا اجتمع شرطان: يدور اجتماعهما مع الاضطهاد وجوداً وعدماً...

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المسلمين، سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ...

جاء في " لسان العرب " أن العقل مصدر عقل هو الحجر، الربط، والملجأ، والحصن. قال ابن الأنباري: رجل عاقل أي جامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه. وقيل: العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وقيل: العقل هو التثبت في الأمور، وهو الذي يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، والمعقول هو ما تفعله بقلبك، فالعقل بهذه المثابة هو القلب، والقلب هو العقل.

كما قيل: إن العقل هو التمييز، وبه يفترق الإنسان عن سائر الأحياء، وبه يفهم الإنسان ما لا يفهمه الحيوان.

وقيل: المرأة تعقل الرجل، أي تساويه في الدية، والعقيلة: هي المرأة الكريمة، وعقيلة البحر: هي الدرة. ولذلك قيل: عقيلة القوم: سيدهم^(١).

وجاء في " القاموس المحيط ": أن العقل هو الفهم، يقال: عقل الشيء فهمه، فهو معقول، أي مفهوم. والعقل نور روحاني تدرك به النفس الأمور الضرورية والفطرية، وابتداء وجوده عند اجتتان الولد في الرحم، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ^(٢).

أولهما: وجود عقل قوي جريء يقوى على اقتحام "المنطقة الحرام"، وارتداد آفاقها، والانتحاء إلى كشف مجهول أو إنكار مألوف، غير مبالٍ بالسلطات التي تهدده. وثانيهما: أن تنهياً للمتزمين من رجال الدين سلطة دنيوية تمكنهم من اضطهاد من يخالفهم الرأي، فإن أغوتهم السلطة، قنعوا بالغيبة، وانتقموا بالنميمة، أو لاذوا بالعقل، وجاروا خصومهم في الاعتصام بشريعته، فلا يلبث منطقة حتى يثير الشقاق في معسكرهم، ويفت في عضد دعوتهم... وبغير اجتماع هذين العاملين لا يقوم بين العقل والإيمان صراع، تلك سنة يشهد بها تاريخ الفكر منذ أقدم العصور.

وفي هذا البحث سأحدث عن هذا الموضوع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى العقل أولاً: عند علماء اللغة.

ثانياً: العقل في القرآن الكريم والسنة النبوية ثالثاً: العقل في الاصطلاح.

والمبحث الثاني: علاقة الدين بالعقل تاريخياً أولاً: علاقة الدين بالعقل عند اليونان.

ثانياً: علاقة الدين بالعقل في العصر الوسيط ثالثاً: علاقة الدين بالعقل في الفلسفة الحديثة.

والمبحث الثالث: الإسلام والعقل.

المبحث الأول: معنى العقل

أولاً: عند علماء اللغة:

ورد لفظ العقل عند علماء اللغة بعدة معانٍ، منها:

(١) انظر: ابن منظور: لسان العرب. ج ٢. ص (٨٤٥). طه خياط.

(٢) الفيروز أبادي: القاموس المحيط.

١- " اعقلوا والعقل نعمة..." والأمر بالعقل هنا يفيد الفهم، فهو نعمة؛ لأن من فهم فقد عقل، والفهم مهدي لا محالة لأن عقله أوصله إلى الحقيقة.

٢- وروى البخاري عن علي رضوان الله عليه ساعة سأله "أبو جحيفة": هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل. وهو يقصد به الفهم المتعلق بأمر الشرع والدين.

٣- "العقل: فهم العقل، ونور الحكمة..." النور من متعلقات الفهم والعقل، أما الحكمة فهي تمام العقل، وأصلها من الحكمة بفتح حروفها الثلاث، وهي الحديد التي تعترض لجام الفرس كيلا تجمح، فنقلت إلى العقل الذي يمنع السالك من الضلال.

٤- "الحجامة على الريق تزيد في العقل، وفي الحفظ." تفيد كلمة العقل هنا ما اتصل ببناء الجسد فسيولوجياً، من حيث إفادة الجسم نشاطاً في المخ، والأعصاب، وسائر أجهزة الكيان البشري.

٥- "من الناس من لا عقول لهم..." محمول اللفظ هنا على ضلال العقول، فهؤلاء لديهم كل وسائل الفهم والعقل، ولكنهم ضلوا ضلال من لا عقل له، وذلك بتعطيل الفهم، والهداية.

وجاء في " تاج العروس ": أن العقل هو العلم، الحجر، النهمية، وهو قوة، وغريزة. والعقل هو القوة المهيأة لقبول العلم، وبه يستنبط العاقل الأمور^(١).

وجاء في: الصحاح ": أن العقل هو: الحجر والنهي. ورجل عاقل، وعقول، وقد عقل يعقل عقلاً ومعتقلاً، وهو مصدر. وقال سيبويه: هو صفة، لأن المصدر لا يأتي على وزن مفعول البتة. ثم قال: والعقل: الدية، لأن إبل الدية كانت تعقل بفناء ولي المقتول^(٢).

والخلاصة: أن العقل ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي، أو المنع عما هو محظور ومنكور. ومن هنا كان اشتقاقه من مادة عقل التي يؤخذ منها العقل^(٣)

ثانياً: العقل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

لم يرد لفظ العقل في القرآن الكريم، وإنما الذي ورد مادة العقل ومشتقاته كلفظ يعقلون، تعقلون، أفلا تعقلون، ما عقلوه، لو كنا نسمع أو نعقل، وما يعقلها إلا العالمون... وفي الحديث النبوي الشريف وردت ألفاظ: العقل، عقل، عقله.. وكذلك وردت ألفاظ مشتقات العقل في صيغ: عقل، يعقل، عقلت، عقلناها، وليعقل قلبك، لتعقل، فاعقل، فاعقلوا... ومن تلك الأقوال المأثورة:

(١) الزبيدي: تاج العروس ج ص (٢٥/٨).

(٢) الجوهرى: الصحاح ج ص (١٧٦٩/٥).

(٣) انظر: عباس العقاد: التفكير فريضة إسلامية. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٦٩ ص (٨).

ثالثاً: العقل في الاصطلاح :

١- العقل عند المتكلمين:

يقول الرازي: "العقل غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات، والنائم لم يزل عقله وإن لم يكن عالماً" (١).

وقال "أبو المعالي" في الإرشاد: "العقل هو علوم ضرورية بها يتميز العاقل عن غيره، وهو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات، وهو المعني بقولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريات، عند سلامة الآلات".

وقال " الجاحظ " : "سمي العقل عقلاً لأنه يزُمُّ اللسان ويخطمه عن أن يمضي فرطاً في سبيل الجهل والخطأ أو المضرة كما يعقل البعير". (٢)

وقال بعض المتكلمين: "العقل هو بعض العلوم الضرورية، كالعلم بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من واحد، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد" (٣).

٢- العقل عند الفلاسفة:

العقل عند الفلاسفة يطلق على عدة معان، أهمها:

١- أن العقل "جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها".

٢- أن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا والأقيسة. والفرق بينه وبين الحس، أن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة، وعن لواحق المادة، أما الحس فإنه لا يستطيع ذلك. فالعقل إذن قوة تجريد، تنتزع الصور من المادة، وتدرك المعاني الكلية.

٣- العقل هو "قوة الإصابة في الحكم"، أي تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر، والحسن من القبيح.

٤- العقل هو قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية.

٥- العقل هو مجموع المبادئ القبلية "Apriori" المنظمة للمعرفة كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية ومبدأ الغائية. وتتميز هذه المبادئ بضرورتها، وكليتها، واستقلالها عن التجربة.

٦- العقل هو الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة.

٧- العقل هو مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة، كالإدراك، والتداعي، والذاكرة، والتخيل، والحكم، والاستدلال إلخ... ويقابله في الفرنسية لفظ "Intelligence"، ويرادفه الذهن، والفهم، وهو مضاد للحدس والغريزة. أما ملكة الفهم السريع فتسمى ذكاء (٤).

(١) المواقف في علم الكلام (١٤٦) - بيروت.

(٢) عباس العقاد. التفكير ضرورة إسلامية ص (٨).

(٣) الحارث بن أسد المحاسبي وأبي حامد محمد بن محمد الغزالي.

شرف العقل وماهيته. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ص (٥٩). دار

الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

(١) انظر: المعجم الفلسفي: د/جميل صليبا ج. ص (٨٤/٢-٨٩)

٣- العقل عند الصوفية:

يقول "الحارث المحاسبي": العقل هو غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب، به يستعد لإدراك الأشياء^(١).

- والعقل عند "الإمام الغزالي": " أنموذج من نور الله " (٢).

4- والعقل عند الجمهور يطلق على ثلاثة أوجه:

الأول: أنه هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره، وحركاته وسكناته.

والثاني: أنه معانٍ مجتمعة في الذهن، تكون مقدمات، تستنبط بها الأغراض والمصالح.

والثالث: أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسناتها وقبحها، وكمالها، ونقصانها^(٣).

والعقل إذا كان بقوة الغريزة والعلوم الضرورية فهو مطبوع، وبهما تستفاد التجارب، وتعرف عواقب الأمور، وتمنع الشهوة الداعية إلى اللذة، فهو مكتسب. ولذلك قال الإمام " علي " رضي الله عنه :

رأيت العقل عقليين *** فمطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفع مسموعٌ *** إذا لم يك مطبوعٌ

كما لا تنفع الشمس *** وضوء العين ممنوعٌ^(٤).

المبحث الثاني :علاقة الدين بالعقل تاريخياً

أولاً : علاقة الدين بالعقل عند اليونان:

لقد تعرض العقل البشري في حضارة الشرق القديم لضغط العقائد الدينية، واستعباد الأغراض العملية. ثم تحرر من جميع هذه القيود على يد اليونان، وعاش في ظلهم طليقاً لخدمة "الحقيقة"، منساقاً ببواعث اللذة العقلية وحدها. فكان اليونان بهذا أول من "أبدع" حرية التفكير والبحث في تاريخ الإنسانية كلها.

ويرى "سانت هيلير" أن السبب في تحرر العقل من ضغط العقيدة الدينية ونفوذ رجالها، أن فلسفتهم كانت موضوعية في وضع استثنائي، ولم يكن أمامها ديانة مبنية على كتب مقدسة. وقد كان المرتل " أرفي ولينوس "، وسائر المرتلين الأقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الأسرار الأولى، كلهم، ما كان يتكلم إلا باسمه هو، دون أن يسند ما يقوله إلى الإله، ولما كان الإشراك بالله متغير الصور، منثوراً في البلاد، لا ينتظمها على حال واحد، لم يستطع الوصول إلى تأليف جسم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص. فلم يكن للكهنة نقابة قوية ذات سلطان، وكان الناس يحترمونهم، ولكن لا يطيعونهم، ولم تكن الروابط بين الهيأتين إلا مفككة القوى؛ لأنهما إنما تبحث عن معتقدات عامة، يغير من عرفها في كل جهة أساطير محلية لا نهاية لها، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن إلزامية، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون، وألعاب عمومية. والكتاب

(٢) الحارث المحاسبي: المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل. تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا ص (٢٣٧). عالم الكتب.

(٣) مشكاة الأنوار. الإمام الغزالي. ص (٤٤). القاهرة ١٩٦٤م.

(٤) انظر: د/ جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج. ص (٨٤/٢).

(١) انظر: الحارث المحاسبي: شرف العقل وماهيته. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ص (٦٠). دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط ١ - ١٩٨٦م.

شخصيته أبدأ؛ بل احتفظ بفرديته وصانها من التضحية لمصلحة المجموع...

والحرية المطلقة عند اليونان لم تمنع من اضطهاد "سقراط" و "انكساجوراس" و "برتاجوراس"... وغيرهم، ولكن مرد هذا الاضطهاد إلى أسباب شخصية أو سياسية^(٣).

- ويرى "لفنجستون" أن أسباب حرية الفكر عند اليونان كثيرة، أهمها:

١- أن ديانة الإغريق تدعن لنقد النقاد، ويشهد بهذا موقف هؤلاء من الآلهة، حيث روى "أكسانوفان" عن "هوميروس" و "هزيود" أنهما كانا يعزوان رذائل الإنسان وسوءاته إلى الآلهة، وقد صوروا هؤلاء في صورة الإنسان، وأضافا إليهم نقصه؛ بل ألّهُوا كل ما يثير الروح من ضروب الأهواء والدوافع والفضائل والمطالب والأوهام... ألّهُ اليوناني كل "مجالات نشاطه" التي تكشفت عن إعجاز: فالموقد الذي أدفأه وأنضج طعامه، والشارع الذي أقيم فيه بيته، والحصان الذي سخره لخدمته، والزوجة التي بنى بها، والطفل الذي أنجبه، والطاعون الذي اغتاله أو برئ من شره... كل هذا قد أوحى إليه بإله. ومثل هذا يقال في "القوى المجردة"، من خوف وثورة وسكر ورياضة وديمقراطية وحسد وجنون واضطهاد ونوم وجوع ونحوه. تجسدت هذه القوى، وكانت في بعض الحالات موضع عبادة، فلم يكن عند اليونان

الوحيد الذي أخذ بمجامع قلوب الإغريق إنما هو قصيدة حماسية.

فالواقع أن الفلسفة كانت هي وحدها دين الهليين "اليونان"^(١).

وهذا الرأي أيده "لفنجستون" في حديثه عن الحرية، حيث يردُّ عبقرية الإغريق إلى الحريتين، الحرية الدينية، والحرية السياسية معاً، ويسوق المثال بأفلاطون الذي يناقش في جمهوريته أعمق المشاكل السياسية في حرية وحذق وعمق لم يبرزه فيها عصر تلاه، ومثل هذا يقال في غيره من المفكرين. ومردُّ هذه الظاهرة عند اليونان إلى ما يسميه "جوته Goethe" بصدق، النظرة التي ترجع إلى التحرر المطلق من القيود اللاهوتية والأخلاقية والسياسية^(٢). إن اليوناني يلجأ إلى منطق عقله، ودقة حسه في التمييز بين الصواب والخطأ، والخير والشر، والحق والباطل، والجمال والقبح، والكمال والنقص، وكان عقله المصنع الذي صيغت فيه عقائده، فكان ينكر من تقاليده كل ما لا يتماشى مع منطق عقله.

يقول "لفنجستون": إن اليونان إذا كانوا قد تحرروا من ضغط الدين، وقيود تقاليده، فقد كان هذا شأنهم في أمور السياسة كذلك، ومع أن الحكومة قد أثقلت عاتق مواطنيها بالواجبات، فإن الفرد لم تتلاش

(٢) انظر: برتلمي سانت هيلير: مقدمة كتاب الكون والفساد لأرسطو. ترجمة: أحمد لطفي السيد. ص (٨٨).

(٢) انظر: د/ توفيق الطويل: قصة الصراع بين الدين والفلسفة. ص (٦٤)، (٦٥).

(٣) انظر: المرجع السابق. ص (٦٧).

إن الاضطهاد الديني في أوروبا قد بدأ يوم خرجت السياسة الرومانية على شريعتها، في إطلاق الحرية الدينية لرعاياها، وضنت بالتسامح على الدين المسيحي الجديد منذ ظهوره، فكتب المشتغلون بالفلسفة من آباء الكنيسة في القرن الثاني دفاعات ذادوا بها عن دينهم، وردوا فيها على حملات الوثنيين من خصومهم، واستغلوا فيها أساليب الجدل الفلسفي الذي أخذوه عن اليونان، وكانوا ينطوون على كراهية عميقة للمدنية الرومانية التي كانوا يعيشون في ظلها، كما يشهد بهذا معاصروهم Tatian (٤).

وكان المسيحيون في إبان القرنين الأولين طائفة منبوذة، أعوزتها فيهما السلطة، وأحاطها مقت المجتمع، فأعلنوا مبدأ التسامح، وصرخوا بأن المعتقد الديني أمر اختياري لا سبيل إلى إكراه الناس عليه. فلما تمكن المسيحيون من دينهم، واستبد بقلوب الناس، وأيدته الدولة بقوتها، تنكروا لمبدأ التسامح، وفرضوا رقابتهم على آراء الناس في الكون وظواهره وأسراره، ثم شرعوا في وضع سياسة محددة لقهر الفكر، وكبح العقل، وسلّم الأباطرة والحكومات بهذه النزعة، لأسباب بعضها سياسية.

إن تاريخ المسيحية في قرونها الثلاثة الأولى خلا من كل أثر لاضطهاد رسمي تنزله بخصومها؛ لأن السلطة تعوز رجالها، بل بشر آباؤها الأول بمبدأ التسامح. وصرّح أمثال "أوريجان Origen ٢٥٤" و

إله واحد يتحكم في الناس ويستبد بهم؛ بل كانت آلهتهم من صنع أيديهم، من وحي خيالهم. ومن الطبيعي أن يكون الناس أحراراً مع مخلوقاتهم، إنهم هم الذين خلقوا الآلهة، وليست الآلهة هي التي خلقتهم! لقد كان الإله يشبه الحاكم الدستوري الذي يؤكد رعاياه على الدوام أنهم هم الذين رفعوه إلى عرشه (١).

ب - أن اليونان ليس لهم كتاب مقدس أوحى به سلطة إلهية.

والخلاصة:

أن العقل في الفلسفة اليونانية كان جريئاً حراً طليقاً من كل قيد، فلم يكن تحت وصاية دين منزل، ولم يواجه نظاماً كهنوياً يمكن قساوسته من قمع الفكر الحر. وبذلك كان اليوناني خالياً من نزاع يقع بين العقل والإيمان (٢).

ثانياً: علاقة الدين بالعقل في العصر الوسيط:

١- عصر آباء الكنيسة (القديسين):

في هذا العصر لا يوجد نزاع بين العقل والإيمان، بل يوجد اتفاق تام بينهما؛ لأن الحق لا يتعدد، والفلسفة ما هي إلا البحث عن الحق، والحق هو الدين، لهذا نجد عند الآباء الأولين أن كلمة "لاهوت" وكلمة "فلسفة" أو "حكمة" تدلان على أمر واحد، كما هو مشاهد عند "يوسطينوس St-Jusrin" (٣).

(١) انظر: المرجع السابق. ص (٦٧، ٦٨).

(٢) انظر: المرجع السابق. ص (٢١).

(٣) انظر: عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى. ص (١٩١).

ط ٣. وكالة المطبوعات الكويت. دار القلم - بيروت - لبنان. ١٩٧٩م.
(٣) انظر: في كتابه A Discourse Of the Greeks.

"لاكتانتوس Lactantius ٣٤٠ " برفضهم لفكرة الاضطهاد.

ومنذ نشأت الحركة الغنوصية تصدى لها بعض آباء الكنيسة، فمنهم من كانوا دارسين للفلسفة الأفلاطونية، ومتعلقين بها، مثل القديس "جوستين السامري ١٦٧" الذي ذهب إلى أنه لا يوجد تعارض بين المسيحية وبين الفلسفة في أكمل صورها، أي عند "أفلاطون"، فكلاهما ينشد خلاص الإنسان وسعادته، ولكن بينما تقف الفلسفة عند المعرفة العقلية النظرية المجردة في اهتدائها إلى وجود الله، وكونه علة لكل شيء، فإن المسيحية تتخطى ذلك وتصل بالإيمان إلى معاينة الله، والاتصال به، وإذن تكون المسيحية هي الفلسفة الكاملة.

ومنهم من دعا إلى الفصل بين العقل والإيمان، ونهى عن التفلسف؛ باعتباره معوقاً عن الاعتقاد، كما فعل "ترتليان سنة ٢٢٠م"، وقد بلغ في تحديه للغنوصية والفلاسفة أن قال: "إن موت ابن الله معقول؛ لأنه أمر لا يقبله العقل، وقيامه من بين الموتى ثابت؛ لأنه مستحيل في نظر العقل".

وقد عارض هذا الاتجاه "كلمنت" الإسكندري، الذي ذهب إلى أن الفلسفة هي الوسيلة اللازمة لتدعيم الدين، بجعل عقائده مؤسسة على الدليل، فالاعتقاد بوجود الله مثلاً ينبغي أن يقوم على الاستدلال، ودليله أن النظام الموجود في العالم يشير بالضرورة إلى وجود منظم هو الله. أما معرفة ماهية الله، وطبيعته، فمما لا يحتاجه العقل، ولا يقدر عليه.

ودعا إلى أخلاق شبيهة بأخلاق الصوفية المعاصرة له في الإسكندرية، وهي حب الله، واتباع أوامره، لا عن طمع في ثواب، أو رهبة من عقاب؛ بل حباً في السلوك الجميل لذاته لا لغيره^(١).

ومنذ انقلب الوضع في الرومان، بعد أن كان آباء الكنيسة المسيحية يتقدمون بالعرائض المتوالية للدفاع عن حق المسيحية في البقاء، والمطالبة بحرية الأديان، أصبحوا في هذا القرن، بعد أن دخل الأباطرة أنفسهم في المسيحية، يحرضون الجماهير ضد كهنة المعابد الوثنية، فيذبجونهم، ويحرقون معابدهم، ومازالت آثار الحرائق ظاهرة في معبد الأقصر وغيره من المعابد.

ثم حرصوا الجماهير ضد بعض الفلاسفة، فأحرقوا "هيباشيا" فيلسوفة الإسكندرية سنة ٤١٥م، ونتج عن هذا الإرهاب ضمور الفلسفة باستمرار، إلى أن أصدر الإمبراطور "جستنيان" سنة ٥٢٩م أمراً بإغلاق المدارس الفلسفية في أثينا، فرحل الفلاسفة بكتبهم إلى الشرق، إلى الرها وحران ونصيبين، وخصوصاً إلى جنديسابور في فارس، حيث وجدوا المسيحيين النساطرة الذين كانوا قد لجأوا إليها منذ سنة ٤٨٩م، فراراً من اضطهاد الملكانيين^(٢).

- وبهذا نجد أن الكنيسة قد غيرت شريعتها بعد أن ظفرت بالسلطان، ففي مطلع القرن الرابع صدر

(١) انظر: د/عبد فراج: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى - فلسفة إسلامية ومسيحية. ط١. ص (٢٠، ٢١). مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
(٢) انظر: المرجع نفسه. ص (١٨).

وفي مطلع القرن الخامس تمكّن نظام الاضطهاد على يد القديس " أوغسطين ٤٣٠ "، أوسع آباء الكنيسة نفوذاً، وأعلاهم صوتاً، إذ كادت تجتمع عند شروحه للنصوص المقدسة كلمة الذين عرضوا لتفسيرها بعد، والاستشهاد به كثيراً ما يكون فصل الخطاب، ومحك الصواب، ولأن أقواله قد ارتفعت بعده إلى مرتبة القداسة. بهذه الصولة صاغ "أوغسطين" مبدأ الاضطهاد لهداية الأجيال التالية، وأقامه على أساس من الكتاب المقدس، فاستند إلى كلمات قيل: إن يسوع المسيح قالها في مثل من أمثاله التي كان يسوقها لحوارييه إذ قال: "أجبروهم على اعتناق دينكم"، ومضت الكنيسة بعد هذا لمحاربة خصومها.

وتمشياً مع هذا المنطق سلم "أوغسطين" بمعاينة الملحد بالنفي والجلد، وفرض الغرامات، ووضع للكنيسة دستوراً تلزمه إزاء كل حركة عقلية، فصرح في كتابه "تعليقات على سفر التكوين" بأن ليس في الوسع التسليم برأي لا تؤيده الكتب المقدسة؛ لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أمر به العقل البشري، فمضت الكنيسة بعده تعمل جاهدة لقمع الهرطقة وجندلة دعائها، وكان لموقف هذا القديس أبلغ الآثار في عرقلة النظر العقلي، ووقف التقدم العلمي، ومنذ هذا الوقت أصبح الكتاب المقدس أساس العلم ومصدره^(٢).

مرسوم عام ٣١١م يقضي بالتسامح، ثم أصدر "قسطنطين فرمان ميلان"، الذي أعلن فيه نفس المبدأ الذي يقضي بالتسامح، واعتنق المسيحية بعد عشر سنوات من صدور هذا فرمان - عام ٣٢٣م - فبدأت بهذا القرار الخطير عشرة قرون شداد، استُعبد فيها العقل الأوروبي، ووقف تقدم المعرفة، فسنت القوانين لمحاربة الهرطقة، والتكيل بدعاتها، في عهد "فالنتينيان الأول Valentinian" في النصف الثاني من القرن الرابع، و"تيودوسيوس الأول Theodosius I." (٣٩٥م) فاستهدف الملحدون للنفي، وسلبوا حقهم في الوراثة، وتعرضت أملاكهم للمصادرة، وأضحوا عرضة للإعدام في بعض الحالات، وبدأ الإعدام في نهاية هذا القرن (عام ٣٨٥م)، عندما أدين الملحد الأسباني "بريسيليان Priscillian"، وأعدم بأمر الإمبراطور "ماكسيموس Maximus"، فأثار إعدامه جدلاً عنيفاً، وغضب لهذا بعض القديسين من أمثال القديس "مارتن" من أهل تور، والقديس "امبروز" رغم نشاطه في قمع عبادة الوثنيين واليهود، واحتج هؤلاء على القساوسة الذين تسببوا في إعدامه، وطالب القديس "Chrysostom" بإباحة حرية الكلام، والإذن للهرطقة بتنظيم مجالسهم، وصرح بأن إعدام الملحد إقرار بارتكاب جريمة لا سبيل إلى غفرانها أو التكفير عنها^(١).

(١) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة: د/توفيق الطويل. ص (٩١). ٩٢.

(٢) انظر: المرجع نفسه. ص (٩٢. ٩٣).

ففي هذا العصر وجد العقل نفسه مغلقاً داخل أسوار العقيدة الدينية "الإيمان"، فكان عليه أن يقتصر على التجوال بين هذه الجدران، ولما بدأ يشعر بشيء من الحرية، كان عليه مع ذلك أن يحدد موقفه من مسألة حق العقل بإزاء النقل، أعني الصلة بين نفسه وبين مضمون الإيمان المفروض عليه.

فحاول العقل أن يؤكد كيانه إزاء هذا المضمون، فبدأ أولاً بالخضوع في شيء من الدهاء، بأن قال: إن الحقيقة هي الحقيقة الإيمانية، غير أن هذه الحقيقة مجملة، فهي في حاجة إلى التفصيل والشرح، وكلاهما يتم عن طريق العقل.

وهذا الموقف نراه واضحاً في القرنين العاشر والحادي عشر عند القديس "أنسلم" Anselme، الذي ينشد من وراء استقلال التفكير أن يتعلّق الإيمان، أعني أن يفسره حتى يتعقله، ولهذا كان شعاره: أومنُ لأتعقل Credo ut iutelligam.

و"أبيلارد" في القرن الثاني عشر وقف مثل هذا الموقف، وإن تقدم في سبيل تقرير نصيب العقل، فهو لا يزال يؤمن بأن عقيدة التثليث قابلة لأن يبرهن عليها عقلياً، ولهذا كان يقول: إن الحقيقة الدينية تتفق في كل أجزائها مع ما يقضي به العقل، بيد أننا نجد عنده تقدماً أكثر مما كانت الحال عليه عند "أنسلم"؛ لأن "أبيلارد" قال أيضاً بوجود تعارض بين أقوال اللاهوت بعضها وبعض، وبين أقوال اللاهوت

وفي إبان هذه الفترة (٤٧٦م) قوض البرابرة الدولة الرومانية الغربية فزادوا الحياة العقلية اضمحلالاً، ومكّنوا للجهالة، وكادوا يقضون على ما كان معروفاً من تراث اليونان.

وعندما أقبل القرن السادس، كانت الجامعات تشرف على الاحتضار، وكان "جستنيان" يضطهد الوثنية، ويطارد أتباعها، فأصدر أمره عام ٥٢٩م بإغلاق مدارس الفلسفة جميعاً، وتوارت من الوجود جامعة أثينا، وإن بقي تراثها في ذمة التاريخ. وإغلاق هذه المدارس - مع اضمحلالها - دون العمل على إحيائها وإنعاش الدراسات العلمية بها، شاهد ينهض للتدليل على عداء الروح المسيحية للعلم والفلسفة منذ قيام الدين الجديد. ولذا يقول "ولف": إن موقف المسيحية إزاء العلم والفلسفة كان موقف احتقار صريح^(١).

٢- العصر المدرسي:

بعد أن عاش العقل حياة الأمن والهدوء، واستطاب السلامة، واتفق أسباب النزاع قروناً طوالاً، ولما دبّت إليه اليقظة، وعادته النشاط، تاهب في العصر المدرسي لإعلان تمرده، والجهر باستعداده للنزول، فكان هذا بدء عهد جديد، شهد صراعاً دامياً أثماً استشهد فيه الكثيرون من رواد الفكر الحديث، على يد أصحاب السلطة من رجال الكهنوت^(٢).

(١) انظر: المرجع السابق. ص (٩٣، ٩٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (٨٨).

التوفيق بين العقل والنقل؛ بل تدع هذه المشكلة خارج نطاق البحث الفلسفي^(٢).

ثالثاً: علاقة الدين بالعقل في عصر النهضة الأوروبية

في عصر النهضة الأوروبية كان الصراع عنيفاً بين الدين والعقل؛ لأن روح النهضة كانت على تنافر ملحوظ مع روح العصر الوسيط، وعلا صوت العقل على الوحي بسبب اكتمال أسباب اليقظة للعقل، والثقة به، حيث استغرقه حب الاستطلاع الحر، وتعطشه للعلم، وحبه للجمال، وسائر ملذات الحياة، وقوى نزوعه إلى تبرير الشهوات، ونبذ العقائد المتعسفة، والخروج على التقاليد المألوفة، والمبادئ المرعية، فأطلق الشهوات من عقالها، وتمرد على تقييد الحرية في مجال الأخلاق والآداب، وفي ميادين العلم والفن والفلسفة جميعاً، وعلا صوت العقل على صوت الوحي، وبهذا كله اتسعت هوة الخلاف بين رجال الدين في العصر الوسيط وإباحية عصر النهضة؛ لأن حركة التحرر من الدين كانت عنيفة. فاضطهد رجال الدين العقل، وناصروا أهله العداء، فلما عاند العقل وكابر، وطُنت عزمها على أن تصليه نارها، وانقضت عليه بقوات حشدتها لجندلته وافتراس أتباعه، فكانت محاكم التفتيش - التي نشأت قبل ذلك - عنوان هذه الوحشية الآثمة، وطارت أحرار الفكر في العالم الكاثوليكي طويلاً وعرضاً، وأشاعت

وأقوال الفلاسفة، وذلك في منهجه المعروف بمنهج "نعم ولا". Sic et non^(١).

وفي القرن الثالث عشر بدأ التمييز بين العقل والإيمان تمييزاً يمضي قدماً لدى كبار الفلاسفة اللاهوتيين، نحو التمييز الواضح البين بين ما للعقل وما للنقل، وهذا التيار يستمر قوياً عند "بونافنتورا"، ثم "توما الأكويني"، ثم "دنس سكوت". فنرى ميدان النقل الذي يمكن إثباته بالعقل قد انحسر شيئاً فشيئاً وضاق مداه، فتوما أبعد من ميدان البرهان العقلي عدداً وافرأ من العقائد الدينية التي ظن أسلافه أن من الممكن إثباتها بطريق العقل، مثل: التثليث، والتجسد، والخلاص. فقال: إنه ليس من الممكن أن يبرهن عليها عقلياً؛ وجاء من بعده "دنس سكوت"، فأفكر إمكان إثبات خلود النفس إثباتاً عقلياً؛ بل إن براهين وجود الله وبيان صفاته لا تقبل كلها أن تكون عقلية، وكل ما يمكن أن يقال عن هذه البراهين هو أنها محتملة وليست قطعية.

وفي القرن الرابع عشر انفصل ميدان العقل عن ميدان الدين انفصلاً يكاد يكون تاماً، بمعنى أن ما يأتي به الوحي قد لا يكون قابلاً للبرهان العقلي، ولا يقضي به العقل ليس من الضروري أن يكون الوحي قد جاء به، وكانت نتيجة هذا كله أن أصبحت مشكلة العقل والنقل مشكلة غير ذات موضوع، وهذا مما كان إيذاناً بقيام الفلسفة الحديثة التي لا تحاول

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى. ص (١٩١).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (١٩١، ١٩٢).

وحرمة تعاليمه، وكانت فرنسا في قرنها السابع عشر أصدق مثال للتعبير عن هذه الظاهرة.

فجذت الفلسفة الفرنسية في القرن السابع عشر في إزالة هذا التناظر، وحاولت أن تقيم التوازن بين مقتضيات الطبيعة وأوضاع الإيمان الديني، وجمعت بين التسليم الملحوظ بسلطان العقل، والإيمان العميق بوحى المسيحية، وكان هذا هو معقد الطرافة في فلسفة هذا القرن، حيث وضح فيها التزاوج بين الفلسفة والدين، وهذا واضح في فلسفة "ديكارت"، الذي أعلن باستبعاد كل سلطة غير سلطة العقل، وجعل الحدس المعيار الوحيد لكل حقيقة، ولكنه مع إيمانه بالعقل قد غلب صوت الوحي على صوته، وجعل العقيدة الدينية فوق متناوله؛ لأن حقائقها نزلت من السماء بمدد خارق للعادة، وشاع المذهب العقلي في فرنسا طويلاً وعرضاً^(٤).

وكذلك نجد التزاوج بين الدين والفلسفة في مذهب "البرانش" في فرنسا، و"اسينوزا" في هولندا، و "جون لوك" في إنجلترا.

ولم يكن تلاقي العقل الفلسفي والإيمان الديني في هذا القرن عقيماً مجدياً؛ بل تكشف عن إبداع فلسفي خليق بكل إعجاب.

ففي الإمكان الجمع بين الإذعان لمنطق العقل، والإيمان بشريعة العقل، مع الإبقاء على قدسية الدين،

الفرع في رؤوسهم يميناً ويساراً، وتولتهم بعذاب أهونه السجن، وآخره الإعدام صنوفاً وألواناً^(١).

ففي هذا العصر ظل الصراع بين الدين والفلسفة قائماً؛ لأن رجال الكهنوت مازالوا أصحاب سلطة في وقت اشتد فيه بأس العقل، ولم يستطع مفكرو ذلك العصر أن يبدعوا فلسفة جديدة مبتكرة، وظل التفكير الفلسفي عندهم نزاعاً إلى إنشاء العلم الطبيعي، ميلاً إلى ابتعاث المذاهب الفلسفية القديمة^(٢).

ومن هنا كان "بيوري J.B. Bury" على حق حين رد في كتابه "تاريخ حرية الفكر" أكبر نصيب في تبعة هذا الاضطهاد الآثم إلى "السلطة الزمنية" التي تهيات لرجال الأكليروس، ومكنتهم من اجتياح خصومهم، ومحاولة القضاء على آرائهم، وصدق "أندروديكسون هوايت A.D. White" حين عرض في كتابه "تاريخ النزاع بين اللاهوت والعلم" إلى رد النزاع بين الإيمان والعقل إلى اللاهوت المتعسف Dogmatic Theology، وليس إلى الدين السمع، فبرئت بهذا ساحة الدين من آثام غلاة المتعصبين من رجاله^(٣).

رابعاً: علاقة الدين بالعقل في الفلسفة الحديثة:

١ - القرن السابع عشر:

إن أكثر فلاسفة القرن السابع عشر قد جمعوا بين الإيمان بشريعة العقل، مع الإبقاء على قدسية الدين،

(١) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة: د/ توفيق الطويل. ص (٢٢).
(٢٣).

(٢) انظر: المرجع نفسه. ص (١٨).

(٣) انظر: المرجع نفسه. ص (٢٠).

(١) انظر: د/توفيق الطويل: قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص (١٨)،
(٢٣). ط ٣.

يضعون فيه آراء لا تجري على وفاقٍ مع تعاليمه، وقد آمن أكثرهم بالدين الطبيعي الذي يميزه قيام إله اهتدى إليه العقل بفطرته، من غير حاجة تدعو إلى الإيمان بالوحي المنزل، والرسل والكتب المقدسة (٢). كانت هذه الدعوة الجارفة خليقة بأن تلقى من السلطات الدينية كل عَنَتٍ، ولكن نفوذها في ظل البروتستانتية كان ضئيلاً، فلجأت إلى الحيلة، واعتصمت بشريعة العقل، وراحت تحارب خصومها بسلاحهم، ولم يجرؤ رجال الدين على أن يقولوا: إن العقيدة الدينية فوق متناول البحث العقلي. فلما اشتد بهم ضغط خصومهم، لجأوا إلى التوفيق بين النظر عند المعسكرين - وإلى مثل هذا التوفيق في مثل هذه الظروف، كان اتجاه رجال الدين في كل زمان ومكان، وأعلنوا أن مكتشفات العقل تؤيد الدين وتوطد دعائمه، وبدأت حركة تأويل النصوص المقدسة، حُمِلَت فيها الألفاظ مالا تطبيق، كي تنسجم معاني النقل مع حقائق العقل الجديد، ولكن العقل حين انتقل إلى معسكر خصومه - من رجال الكهنوت - قد انقلب عليهم في عضد دعوتهم، إذ أثار الشقاق في معسكرهم، وشتت جموعهم، وجر الكثيرين منهم إلى مهاوى الهرطقة (٣).

أن يكون فيلسوفاً مبدعاً، مع وفائه لعقيدته الدينية، وإيمانه بوحياها.

٢- القرن الثامن عشر:

في القرن الثامن عشر شغل المذهب العقلي هوى المفكرين، فأوغلوا فيه إيغالاً انتهى بإخضاع الوحي الديني لمنطقه، وسرعان ما انتهى بهم هذا الغلو إلى الجهر بمعاداة الدين المنزل، والميل إلى تقويض الوحي، والسخرية من نفوذ رجال الأكليروس، وكان "فولتير" وغيره من رجال دائرة المعارف، "وهو لباخ" وغيره من غلاة الماديين في طليعة هذه الحركة، وكان طبيعياً أن تضيق السلطات الدينية بهذا الجموح، وتتصدى لمقاومته، ولكن نفوذها قد تضاعف، حتى عز عليها أن تتكل بهؤلاء الخصوم، وتلوث تاريخها بدمائهم (١).

وكانت إنجلترا تدين بالمذهب البروتستانتي، وقد واصل الفلاسفة فيها حملاتهم على السلطة - مع استثناء "هوبز"، الذي أراد أن ينقلها من رجال الدين إلى رجال السياسة - وكانوا طوال القرن السابع عشر والثامن عشر ينزعون إلى التسامي بالعقل وتمجيده على حساب السلطة الدينية، ولكنهم كانوا في حملاتهم على اللاهوت يتظاهرون بالاعتقاد في صدق الأفكار التي يتحرّون هدمها، ويزعمون أن تأملاتهم العقلية لا تسيء إلى العقيدة الدينية، فكانوا ينظمون عقود المديح للدين، في نفس الوقت الذي

(٣) انظر: د / توفيق الطويل: قصة الصراع بين الدين والفلسفة. ص (٢٤).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (٢٣، ٢٤).

(٢) انظر: د/أحمد رمضان: الفلسفة الحديثة عرض ونقد - القرن الثامن عشر. مكتبة الإيمان بالمنصورة - ط ١ - ٢٠٠٠ م.

٣- القرن التاسع عشر:

في القرن التاسع عشر نجد نفوذ السلطات الدينية قد تضاعف كثيراً، وأن الفلسفة من ناحية أخرى قد لانته من ناحية الدين، وانصرفت عن مقاومة تعاليم الكنيسة، فعاشا إلى يومنا الراهن في صفاء قلما يبدو فيه غمام، وكانت فلسفة الإنجليز حسية تجريبية منذ نشأت، نفر أئمتها من التفكير الميتافيزيقي، حتى غزتها مثالية الألمان في القرن التاسع عشر، ورحبت الأوساط الدينية بهذه الفلسفة الجديدة؛ لأن النزاع بين الدين والفلسفة كان قد اشتد في انجلترا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد أن ظهرت نظرية التطور، ونشطت الروح المادية، فاستعان رجال اللاهوت بالمثالية الجديدة في محاربة اللادينية Agnosticism، ومقاومة النزعة الطبيعية Naturalism، ومهاجمة اللامبالاة بالدين؛ لأن فلسفة المثاليين الجدد من الإنجليز مالت إلى تأييد الدين والذود عن حماه^(١). ولكن موجة من النقد العقلي التاريخي للكتاب المقدس قد بدأت تظهر، ونضج البحث البيولوجي، وتقدم البحث البيولوجي، فركب العلم رأسه في ذلك القرن، وأعلن تمرده على الكنيسة وتعاليمها، فناصرته العدا، وحشدت لمقاومة صلفه قواها، ولكن تياره كان غلاباً، فأصدر البابا "جريجوري السادس عشر"، منشوره الذي دعا فيه إلى مقاومة الحرية في مجال النظر العقلي. وعقّب البابا "بيوس التاسع" بمنشوره

عن خطايا العصر الحديث، في نزوعه إلى تحكيم العقل، ومنع الكنيسة من استئصال الآراء الهدامة، وأصدر مجلس الفاتيكان في عام ١٨٧٠م قراره بأن البابا معصوم من الخطأ، ولكن على غير جدوى ما كان من أمر هذه الجهود العابثة؛ لأن القافلة أخذت تسير، وقد وطّنت عزمها على بلوغ غايتها، وظلّت مواكب الأحرار تمضي في طريقها قدماً، يتتابع بعضها وراء بعض، وتخلّف الرجعيون، وفاتهم الركب، فعسكروا حيث كانوا، وقد قل عددهم، واضمحل نفوذهم، وتضاءلت آمالهم، وباتوا يسرحون الطرف في مواكب العقل الظافر، فيرتد بصرهم خاسئاً وهو حسير^(٢).

٤- القرن العشرون:

في القرن العشرين هادنت الفلسفة الدين، وانتقل ميدان النزاع إلى مجال العلم، حيث هادن العلم الدين إجمالاً، رغم استمرار الخلاف بين منهج كل منهما، وساد الصفاء جو العلاقات بينهما وبين الفلسفة. لقد عرف القرن العشرون فلاسفة بدأوا حياتهم في حظيرة الكهنوت، وظلوا على ولاء للدين وتعاليمه، وقد وجدت - في بريطانيا خاصة - مؤسسات خيرية تشجع البحث الفلسفي الذي يتماشى مع حقائق الوحي، وتعاليم الدين.

وكانت المثالية الألمانية التي عرفت في القرن الماضي قد باعدت بين الفلسفة والواقع، وصرفتها

(١) انظر: د/أحمد رمضان: الإسلام ونظرية التطور ص (٢٣، ٢٤).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (٢٥، ٢٦).

Pragmatism، وفي النمسا - وإنجلترا وأمريكا - اتجاه الوضعية المنطقية Logical Postivism. وكلها مذاهب حسية مادية، تنكر ما وراء العالم المحسوس، وتستخف بالأديان، وتهاجم اللاهوت ورجاله، أو تسقطهم من حسابها (٣).

فهذه الفلسفات انصرفت عن عالم الغيب إلى عالم الشهادة، واستخفت بدنيا الروح، وحصرت اهتمامها بدنيا المادة، وهاجمت الفلسفات الروحية والعقلية في كل صورها، كما فعلت الوضعية المنطقية المعاصرة في النمسا وأمريكا وإنجلترا بوجه خاص، وقريب من هذا يقال بشيء من التجاوز في فلسفة البرجماتية. وإذا كانت الفلسفة العملية قد سلمت بالأديان، فإن مبررات التسليم بها عملية لا ترضي أحداً من رجال الأديان (٤).

المبحث الثالث : الإسلام والعقل

نجد بأن الإسلام قدر العقل واحترمه، ولم يلغهِ أو يحصره، حيث أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمتي: العقل والوحي، فمجرد نزول الوحي فيه تكريم للعقل؛ لأن أول ما نزل منه " اقرأ " .

وكلمة " اقرأ " خطاب للعقل، وهذا شرف للإنسان؛ بل هو إبراز لمدى تكريم الله لهذا العقل، ويزداد هذا التكريم فيضاً إيمانياً ووحياً إلهياً عندما يقول الملك

عن المادة، وحصرت همها في عالم المعقول، وهاجرت هذه المثالية إلى البلاد - وفي مقدمتها إنجلترا - الأخرى، ووجدت بينها أنصاراً ودعاة لمبادئها، ونفرت هذه الفلسفة من اتجاهات الحسيين الماديين الذين يتعذر قيام وفاق بينهم وبين رجال الدين (١).

وكان مرد هذا فيما يبدو إلى أن العلم نفسه قد انتقل من المادية المتطرفة التي عرفت عنه في القرن الماضي إلى نوع من الروحية المسرفة في القرن العشرين، حيث أخذ العلماء يفسرون المادة تفسيراً جديداً قارب بينهم وبين الروحيين، فاعتبروا المادة شحنات كهربائية، أو إشعاعات موجبة.. واعتبروا العلوم رموزاً فسروا بها الوجود، وكان هذا كله كفيلاً بأن يفضى بأصحابه إلى تفسير العالم تفسيراً مثالياً عقلياً، ومن هنا وصف بعضهم العالم بأنه نور، ووصفه غيرهم بأنه فكر... إلى آخر ما ذهبوا إليه في هذا الصدد (٢).

وإلى جانب هذا الاتجاه في الفلسفة وجد في القرنين الماضي والحاضر اتجاهات فلسفية خاضت الدين، واستخفت باللاهوت، وحطت من شأن رجاله. كان أظهرها في فرنسا مذهب الوضعية Positivism، وفي إنجلترا مذهب الحسيين والتجريبيين Sensualism and Empericism، وفي أمريكا الفلسفة العملية

(١) انظر: د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. ص (٢٨٨).

(٢) انظر: د / توفيق الطويل: قصة الصراع بين الدين والفلسفة. ص (٢٩٣).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه . ص (٢٥٣، ٢٩٤).

(٤) راجع : د/أحمد رمضان : في : البراجماتية وموقف الإسلام منها، والإسلام والتحليل النفسي عند فرويد، وأثر الماركسية على العلوم والفنون وموقف الإسلام منها ص () .

جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) وجاء الكرم واضحاً في قوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) ، فهو الأكرم ، لأنه منح الإنسان عقلاً وأنزل عليه وحياً.

- وللعقل منزلة كبيرة في الإسلام، حيث جعله الله تعالى نوراً يهدي به الناس، وطالبهم باستعماله والتحاكم إليه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]

ويسمى العلم المستفاد منه روحاً ووحياً فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢) وقوله تعالى : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢)

والعقل نور، جعله الله للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، به يميز الحق من الباطل، وعليه يقوم النجاح ويكون الفلاح.

فالرسول ﷺ نظر إلى العقل نظرة كلها تعظيم وإجلال، فقد رأى فيه أنه أصل الدين وأساسه، وأن لا دين لمن لا عقل له. وأمر بالتواصي بالعقل والرجوع إليه، ففيه النجاة وفيه الأمان.

ما تم دين أحد إلا بالعقل. وما عُبدَ الله بشيء أحب إليه من العقل، وبمثل العقل، فهو دعامة الإنسان، وعلى قدر عقله تحسن سيرته، وتكون عبادته، ويكون الاقتراب من الكمال ويكون الجزاء.

روى لقمان بن أبي عامر عن أبي الدرداء أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: "يا عويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً..." (١).

وروى أنس بن مالك قال: أثنى على رجل عند رسول الله بخير فقال: كيف عقله؟.. قالوا: يا رسول الله، إن من عبادته... إن من خلقه... إن من فضله... إن من أدبه... فقال: كيف عقله؟ قالوا: يا رسول الله نشني عليه بالعبادة وتساءلنا عن عقله؟ فقال رسول الله: إن الأحقق العابد يصيب بجعله أعظم من فجور الفاجر، وإنما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم (٢).

(١) أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. باب ما جاء في العقل. ج ٢. ص (٨٠٨). مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة. ط ١ - ١٩٩٢ م.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: أدب الدنيا والدين. باب فضل العقل. ج. ص (٢٤/١). دار مكتبة الحياة. (د. ت).

الله عز وجل من العقل؟ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون^(٥).

وحسب العقل أن يجعل الإنسان مُقبلاً على شأنه، عارفاً بزمانه، وحافظاً للسانه، فهو أشرف الأحساب، لا يتم حسن الخلق إلا به، ولا يكون السؤدد إلا عليه. قال عليه السلام: "إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله"^(٦).

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري: "ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل. قال صدقت. سألت رسول الله ﷺ كما سألتكم، فقال كما قلت، ثم قال: سألت جبريل: ما السؤدد؟ فقال: العقل"^(٧).

والعقل آلة المؤمن ومطيته، وغاية العباد، وداعي العابدين، وبضاعة المجتهدين.

كثرت المسائل يوماً على رسول الله ﷺ فقال: (يا أيها الناس؛ إن لكل شيء مطية، ومطية المرء العقل، وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحق أفضلكم عقلاً).

وعن أبي عباس رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: " لكل شيء آلة ودعامة، وإن آلة المؤمن العقل، ولكل شيء مطية، ومطية المرء العقل، ولكل شيء دعامة، ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية، وغاية العباد العقل، ولكل قوم داع، وداعي العابدين العقل،

وقال عليه السلام: "لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته " ^(١).

ويرى الرسول ﷺ أن الحياء والدين من مستلزمات العقل، فلا يكونان إلا مع العقل، ولا يسيران إلا في كنفه، وفي الأثر: "إن جبريل أتى آدم - عليه السلام - فقال له: إني أتيتك بثلاث، فاختر واحدة منها. قال: وما هي يا جبريل؟ قال: العقل والدين والحياء. قال قد اخترت العقل. فخرج جبريل إلى الحياء والدين فقال: ارجعاً، فقد اختار عليكما العقل. فقالا: أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان" ^(٢).

- وبالعقل يتفاضل الناس ويتقربون به إلى الله تعالى، وعلى كماله يتم الدين ويستقيم. قال الرسول ﷺ: " أفضل الناس أعدل الناس " ^(٣).

وقال أيضاً: " ما اكتسب رجل مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى، ويرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله " ^(٤).

وقال ﷺ: " أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه".

وعن عائشة قالت: "قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال بالعقل. قلت وفي الآخرة. قال: بالعقل. قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟ فقال رسول الله: يا عائشة: وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم

(١) انظر: المرجع نفسه. ج. ص (٨١٣/٢).

(٢) محمد بن حبان البستي: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. باب ما جاء في العقل ج. ص (٨٠١/٢).

(٤) انظر: المرجع السابق. ج. ص (٨٠١/٢).

(٥) الإمام العجلوني. كشف الخفاء ومزيل الإلباس. باب الهمة مع النون. ج. ص (٢٧٠/١). المكتبة العصرية.

(٦) أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. باب ما جاء في العقل. ج. ص (٨١١/٢).

(٧) انظر: المرجع السابق باب ما جاء في العقل. ج. ص (٨١٢/٢).

وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٦٤﴾ .

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران : ١٩٠-١٩١)

وقوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)

وكذلك نجد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين دعوا إلى إعمال العقل والفهم فيما لم يرد فيه نص، ورجحوا القياس عند ذلك. فقد ورد في كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري ما يلي: " .. ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل. الفهم فيما تلجج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند

ولكل تاجر بضاعة، وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم، وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة، وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به، وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط، وفسطاط المؤمنين العقل (١).

والقرآن الكريم دعانا إلى التعقل والتدبر والتفكر والتأمل والنظر.. ووجه المسلمين إلى هذا في مواطن عديدة، منها قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ .

سورة محمد الآية ٢٤. وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢) وكذلك يحصر القرآن فهم الأمثال المضروبة على من كان له عقل يعي، فيقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾. (العنكبوت: ٤٣). كما يحصر تفصيل الآيات الكونية ويقصر فهمها على ذوي العقول فيقول تعالى:

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢٨)

واستعمال النظر في الكون، والتدبر في نظامه المحكم، وتصريف الأمور فيه إنما هو وقف على العقول. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ

(١) انظر: المرجع السابق باب ما جاء في العقل. ج. ص (٨٠٦/٢).

وقال بعض العلماء: ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم.

وبعد بيان منزلة العقل في الإسلام، وتقديره له، واحترامه، وإعلاء شأنه.. نجد الإسلام يقوم على العلم والعقل، فالله تعالى ما أرسل نبياً إلى عباده وآتاه كتابه وشريعته، إلا وآتاه معها شيئاً سماه (الحكمة)؛ ليعلم عباده الكتاب ويجعلهم يتبعونه على بصيرة من الأمر. قال تعالى:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۚ مَا﴾ (النساء: ٥٤) وقال تعالى:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩). وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الزخرف: ٦٣).
فما هذه الحكمة يا ترى؟ إنها نور العلم والبصيرة، وملكة التدبر والتأمل في الكتاب، والفقه في الدين، ومعرفة أصوله وأسراره، فكلما جاء من الله نبي، علم أتباعه هذه الحكمة مع تعليمهم الكتاب، وبها ظلوا قائمين على الصراط المستقيم^(١).

ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق...".^(١)

وكان عمر رضي الله عنه أكثر الصحابة استعمالاً للرأي، وكان يجتهد في معرفة المصلحة التي لأجلها كانت الآية أو الحديث.

ولم يقف الصحابة عند ما وردت به النصوص؛ بل أخذوا بالقياس، وكذلك سار على غرارهم التابعون والأئمة من بعدهم.

وكذلك نادت مدرسة الإمام أحمد بن حنبل بمبدأ اعتبار المصلحة عند عدم النصوص الدينية. وقول الإمام الشاطبي في الموافقات: "وما القياس والاجتهاد إلا إعمال العقل، وإعطاؤه الحرية، والرجوع إليه، والتوصل إلى المعقول بالنظر والاستدلال"^(٢).

وجاء في "المقابسات" لأبي حيان التوحيدي في فضيلة العقل: "إن العقل متاع، كما أن الحياة وعاء، والعافية استعمال، فإن الإنسان بعقله يصبر على الفقر، وبعقله يجتلب الغنى، وبعافيته يبلغ الغاية، ويكتسب السعادة، والعقل في جميع أحواله فيتصرف بثمرة الراحة مرة، وبالصبر مرة، ويريه الحكمة فيما فشا وسر، ويؤديه إلى السعادة في كل ما أقبل وأدبر؛ لأن العقل متى حل شخصاً أضاءه وأناره، ومتى فارق شخصاً كدره وأباره...".

(١) الإمام ابن عبد البر: الاستذكار باب ما جاء في الشهادات. ج. ص (١٠٣/٧). دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٠ م.

(٢) انظر: قدرى حافظ طوقان: مقام العقل عند العرب. دار المعارف بمصر. ص (٣٦، ٣٩).

خيراً يفقه في الدين"، وفي حديث ثالث قال ﷺ: "أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم" (١). هذا الدين يتوقف أمره كله على الفهم الصحيح، والعلم السديد لكتابه، فإذا ما بقيت في الناس (الحكمة) ظلوا يتدبرون في الآيات الإلهية، ويسلكون على وجه من البصيرة ذلك الصراط المستقيم الذي أرشدهم إليه الأنبياء، وما استطاع أحد أن يضلهم عنه (٢).

هذا الدين يقوم على العلم والعقل، فهو يخاطب العقل في صميمه، ويهدف إلى إخراج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم؛ ليعرف مكانته الحقيقية في الكون، ويدرك الجانب الحقيقي لعلاقته بالموجودات، ويستعين - على هدى من العلم والبصيرة - بكل ما له من الطاقات الظاهرة والكامنة، والوسائل المادية والروحية لبلوغ الغاية الحقيقية لحياته، وهي القيام بالخدمة التي أوجبها الله عليه حينما جعله خليفة في الدنيا، وابتغاء مرضاة الله في الآخرة كنتيجة محتومة للقيام بهذه الخدمة على أتم وجه.

هذا الدين لا يعطل أي قوة من قوى الإنسان؛ بل يرشده لصرفها إلى طريق مستقيم، ولا يكبت شهوة من شهواته بل يضع لها حداً مشروعاً معقولاً، ولا يحول دون تحقيق أفكاره في الفضاء الأعلى، ولا يعوق قواه العلمية عن اكتشاف الوسائل المادية، والاستمتاع به، بل يوجه هذا الاكتشاف والاستمتاع

ولأجل ذلك أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله المسلمين بالتفقه في الدين، وفهم هدايته وأحكامه بتأكيد بالغ فقال

تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢). وقال تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَذَّبَ رُوسًا وَلِيُنذِرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (ص: ٢٩)

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. (الأنعام: ٩٨)

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. (آل عمران: ١٦٤)

وقال تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (البقرة: ٢٦٩)

وقد وردت في هذا الباب أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا علم ليس فيه تفهم، ولا قراءة ليس فيها تدبر"، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من يرد الله به

(١) انظر: المرجع نفسه. ص (١٦).

(٢) انظر: المرجع نفسه. ص (١٣).

وفي مجال الغيبيات، وكل ثوابت الدين، نجد الدين هادياً للعقل في كل مسائل العقيدة؛ كالإيمان بالله والرسول والملائكة والجنة والنار، وما في السماوات وما تحت الأرض.. وكل ما وراء الطبيعة.

إن العقل هو الذي يفكر، والدين القائد الذي يوجه الشرع كافٍ بتحديد معاني الخير والشر، والفضيلة والرذيلة؛ بل إنه يهذب العقل، وذلك بأمره له بالالتزام بالأخلاق الحسنة. من هنا تتضح قيمة الدين بالنسبة للعقل^(٢)، ولو ترك الأمر في العقائد والغيبيات والأخلاقيات للعقل لاختلف الناس، ولتفاوتت الآراء، ولكثرت المذاهب التي تؤدي إلى الهلاك والعياذ بالله. يقول تعالى ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١)^(٣).

يقول الدكتور عبد الحليم محمود . رحمه الله . في مجال قيادة الدين للعقل " إن الإنسان إنما سبيله: أن تفيده الملل بالوحي ما شأنه ألا يدركه بعقله، وما يخور عقله عنه، وإلا فلا معنى للوحي، ولا فائدة إذا كان إنما يفيد الإنسان ما كان يعلمه، وما يمكن إذا تأمله أن يدركه بعقله، ولو كان كذلك لُوَكِّلَ الناس إلى عقولهم، ولما كانت بهم حاجة إلى نبوة ولا إلى وحي، لكن لم يفعل بهم ذلك، فلذلك ينبغي أن يكون ما تفيده الملل من العلوم، ما ليس في طاقة عقولنا إدراكه"^(٤).

إلى الأغراض الصحيحة النزيهة، فكأنه بكل هذا يشغل كل إنسان فيما فطر عليه من الكفاءة، سواء أكان بطبعه ميالاً إلى المادية أم إلى الروحية، ويريد أن يحليه من العلم والتعقل بما يعينه على أن يتجنب طريق الإفراط والتفريط، ويسلك طريق الاعتدال والقصد، ويعرف واجباته في الدنيا كإنسان، ويقوم بها على أحسن الوجوه، ويشعر بما عليه من الحقوق لله وللخلق ولنفسه، ويؤديها خير الأداء، ولا يغرق في الجوانب الروحية لحد أن يتخذ المكاشفات الروحية، واللذات الباطنة هي المحور لمساعيه وجهوده، ولا ينصرف إلى المادية، حيث يجعل كل همه وجهده وكفاحه مقصوراً على اللذات الحسية، والشهوات النفسية، والسعادات المادية.

وإذا كان الدين يقوم على العلم والعقل، فلا يمكن أن يُتَّبَعَ اتباعاً صحيحاً إلا بالعلم والعقل، فمن كان لا يعرف روح هذا الدين، ولا يدرك حكمه وأسراره، ولا يفهم مبادئه، ولا يتأمل في توجيهاته، فمن المستحيل له قطعاً أن يسلك بالاستقامة ذلك الطريق الذي يرشد إليه هذا الدين، ويدعو إليه الناس. ولا قيمة لعقيدته فيه ما لم تتجاوز إقراره باللسان إلى سويداء قلبه، وتستولي على فكره وشعوره، ولا وزن لعمله بأحكامه ما لم يتشبع بروح المعرفة والبصيرة، ولا عبرة باتباعه لقانونه ما لم تسيطر روحه على ذهنه، مع سيطرته على جوارحه^(١).

(٢) من هنا يبين خطأ "البراهمة" في الاكتفاء بالعقل عن الشرع.

(٣) انظر: محمد الصايم: قيمة العقل في الإسلام ص (٣٩ . ٤٠).

(١) انظر: د/ عبد الحليم محمود: الإسلام والعقل. دار المعارف. ص (٢٧).

(١) انظر: المرجع السابق ص (١٠ . ١١).

من هذا كله يتضح أن الدين قائد للعقل، ولو كان العقل يُكتفى به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء، والإسلام دين العقل والملكات والمواهب العقلية والفكرية والنفسية، وهو أحياناً يتدخل في صميم "العملية التفكيرية"، فيرسم طريقته ومنهجها. إن الإسلام يحتضن العقل، ويجعله مناط التكليف والمسؤولية، فبين الدين والعقل والتفكير ألفة وانسجام. والعقل في الإسلام مصدر من مصادر المعرفة، وليس هو مصدر المعرفة الوحيد، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه العقليون باعتمادهم على العقل المجرد، بعيداً عن وحي السماء، عند اليونان، وفي عصر التنوير، حيث جعلوا العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، ولكن التنويريين معذرون؛ لأنهم لم يجدوا في الكنيسة ديناً صحيحاً يعترف بدور العقل، فقابلوا غلواً بغلواً، وكلاهما: رجال الكنيسة والعقلون كانوا بعيدين عن الصواب^(١).

وبناءً على ما سبق نجد الإسلام قدر العقل واحترمه، ورفع من شأنه، وجعله مناط التكليف والمسؤولية، وأداة الفهم والإدراك والتأمل، وأشارت إليه آيات عديدة بصيغ متعددة، ليعبر عن الوظائف العقلية التي أراد الله للعقل الإنساني أن يمارسها في هذا الوجود.

وبهذا نجد أن الإسلام احتضن العقل، ولم يلغه أو يحصره، فبينه وبين العقل والتفكير الألفة والانسجام. ونظراً لأن للعقل طموحات وشطحات تؤدي إلى

المهالك، فلذلك جعله يعتصم بالوحي، ويسترشد به، وعلى هذا فلا يوجد بينهما صراع، ولم يأت الإسلام بشيء يصدّم العقل فيما للعقل فيه مجال. أما الصراع الذي حدث في القرون الوسطى، وعصر النهضة الأوروبية، فسببه ضياع الإنجيل الحقيقي، وبإضاعة الإنجيل الحقيقي ضاعت من يد القوم "أمانة الوحي"، ففقدوا العاصم من الخطأ، والمنقذ من الضلال، ولو قدّر أن إنجيل السيد المسيح كان موجوداً بيد القوم، مصوناً من التحريف، لتغير وجه التاريخ، ولما وقعت الكنيسة في تلك الأخطاء الجسيمة المتوارثة التي حملتها الأجيال إلى القرن السابع عشر وما تلاه من عصور الفتن والاضطرابات، ولما وقع الشقاق بينهما وبين العقلين والوضعيين، ولكن لما أضاع القوم أمانة الوحي وصنعوا عقائدهم بأهوائهم، أتى الدين المسيحي بما ينكره العقل والعلم معاً، وكان النزاع بينه وبين عدويه اللاديين: العقل والعلم على أشده. وهذه حقيقة لها أسبابها وأصولها التي لا تتكر، فلما كان الأمر كذلك حق للعقل أن يتمرد، وحق للعلم أن يثور؛ لأن كلاً من العقل والعلم لم يواجهها ديناً، وإنما واجها تصورات بشرية، سميت ظلماً وعدواناً باسم الدين، ولو كان الدين الذي ساد أوروبا في تلك العصور غير دين الكنيسة، لما وقع صدام بينه وبين العقل والعلم؛ لأن بين الدين الصحيح وبين العقل والعلم ألفة وتآخياً وانسجاماً لا تتأفر وتعاد وافتراق. ولو فرضنا أن الإسلام هو الذي كان يسود

(٢) انظر: د/عبدالعظيم المطعني: الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة. ص (٩١، ٩٢).

محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي. دار مكتبة الحياة. (د.ت).

(٤) الاستذكار، الإمام ابن عبد البر. دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٠م

(٥) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة. أبو الأعلى المودودي. تعريب: خليل أحمد الحامدي. (د.ت)

(٦) الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة. د / عبدالعظيم المطعني. مكتبة وهبة. ط ١. ١٩٨٧م.

(٧) الإسلام والعقل. د/ عبد الحليم محمود. دار المعارف.

(٨) الإسلام ونظرية التطور. د/ أحمد رمضان. الدار الإسلامية. ٢٠١٦م

(٩) البراجماتية وموقف الإسلام منها. د/ أحمد رمضان. ط ١ - ٢٠١٦م.

(١٠) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي. مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة. ط ١ - ١٩٩٢م.

(١١) تاج العروس. الزبيدي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

(١٢) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. د/ عبد المنعم ماجد. مكتبة الأنجلو المصرية. ط ٥. ١٩٨٦م.

(١٣) التفكير فريضة إسلامية. عباس العقاد. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٦٩.

أوروبا في تلك العصور لما حدث ذلك الانشطار الخطير في الفكر والعقيدة معاً^(١).

الخلاصة بإجمال

نخلص مما سبق إلى مايلي :

أولاً: إن الإسلام لا يعادي العقل، وإنما يقدر شأنه، ويدعو إلى إعماله ويجعله مناط المسؤولية والتكليف. ثانياً: ليس للعقل القدرة المطلقة على المعرفة، وعليه، ليأمن الخطأ ، أن يعتصم بالوحي، فهو مصدر من مصادر المعرفة عند المسلمين، وليس هو المصدر الوحيد للمعرفة.

ثالثاً: إن الكنيسة أخطأت حين اعتدت على حرمة العقل، وصادرت سلطانه، وحرمته من أداء رسالته، وإن عقلاء عصر التنوير أخطؤوا عندما غالوا في قيمة العقل.

ولو كانت الكنيسة، في إبان محنتها، انتهجت منهج الإسلام إزاء العقل، لأصلحت نفسها من داخلها، ولاستأثرت بولاء الناس لها ولواء يقوم على الوعي وحسن الإدراك. ولما تمرد عليها العقليون ولا غير العقلين، ولكنها جمدت على فكرها وعقائدها، فتحركت كل القوى ضدها.

المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) كتب السنة النبوية المطهرة.
- (٣) أدب الدنيا والدين. أبو الحسن علي بن محمد بن

(١) انظر: د/أحمد رمضان : العلم والدين بين الإسلام والفكر الغربي - دراسة مقارنة. والمرجع السابق. ص (٨٥ - ٨٩).

- ١٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. محمد بن حبان البُستي. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٥) شرف العقل وماهيته. الحارث بن أسد المحاسبي وأبي حامد محمد بن محمد الغزالي. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت -
- ١٦) الصحاح. الجوهري. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٨٤م.
- ١٧) عالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى - فلسفة إسلامية ومسيحية. د/عبد فراج. مط ١. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ١٨) العلم والدين بين الإسلام والفكر الغربي - دراسة مقارنة. د/أحمد رمضان.
- ١٩) فلسفة العصور الوسطى. عبد الرحمن بدوي. ط ٣. وكالة المطبوعات الكويت. دار القلم - بيروت - لبنان. ١٩٧٩م.
- ٢٠) الفلسفة الحديثة عرض ونقد. د/ أحمد رمضان. مكتبة الإيمان بالمنصورة - ط ١ - ٢٠٠٠ م.
- ٢١) القاموس المحيط. الفيروزآبادي. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع . القاهرة . (د.ت) .
- ٢٢) قصة الصراع بين الدين والفلسفة. د/توفيق الطويل. دار النهضة العربية . ط ٣. القاهرة ١٩٧٩م.
- ٢٣) قيمة العقل في الإسلام. محمد الصايم. مكتبة الزهراء .
- ٢٤) كشف الخفاء ومزيل الإلباس. الإمام العجلوني. ج ١. المكتبة العصرية.
- ٢٥) لسان العرب ، ابن منظور . ط . خياط
- ٢٦) المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل. الحارث المحاسبي. تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا. عالم الكتب. لبنان.
- ٢٧) مشكاة الأنوار. الإمام الغزالي. القاهرة ١٩٦٤م.
- ٢٨) المعجم الفلسفي. د/ جميل صليبا. دار الكتاب اللبناني . بيروت . ١٩٨٢م. ٣١
- ٢٩) مقام العقل عند العرب. قدري حافظ طوقان. دار المعارف بمصر. ١٩٦٠م.ض
- ٣٠) مقدمة كتاب الكون والفساد لأرسطو. برتلمي سانت هيلير. ترجمة: أحمد لطفي السيد.
- ٣١) المواقف في علم الكلام . الإيجي . بيروت

Religion Mind

Saeed Ahmed Alafandi

Religion and Mind Does religion meets with mind or they are opposites that cannot be met? How was the relationship between them throughout the ages? The research in our hands attempts to answer these questions and to track the history of the relationship that has been experienced in situations of conflict, strife, conflict, truce and periods of convergence and harmony. Before reviewing the history of the relationship between faith and mind, we must define the concept of mind. The mind is a trait entrusted with moral reasoning. to be mind , means control himself out of vagary .. while the most comprehensive definition of the mind at philosophers: "it is the sum of psychological functions related to acquiring knowledge, such as perception, retrieving, remembering, imagining, governance and reasoning.

As for the relationship of the mind to religion historically has experienced cases of tides and engagement and convergence. In Greek civilization we found freedom of mind from the pressure of religious belief and the influence of its men, while in the Middle Ages (the era of saints) there was no conflict between mind and faith, but there was a complete harmony between them.

Religious persecution began in Europe when Romanian politics came out of its law. During the first two centuries there was persecution of followers of the new religion. The campaigns of abuse did not end until Caesars adopted the new religion. The Church changed its behavior after the conquest of power, as it tightened its grip on skeptics, racists and atheists (the Augustine Principles). It was reported that the vigilance in the mental stream was reversed by his opponents of the priesthood. We witnessed bloody conflicts in which many of the pioneers of modern thought were executed. In the thirteenth century, the gap between mind and theology began to widen and conflicts continued and the complete separation between them began by rejecting all revelations because of their lack of mental proof. The conflict between faith and reason continued in later centuries until scientific theories emerged that proved the faults of ancient religious concepts about the world, such as the theory of Galle, Newton, Darwin, Kepler, Laplace and others. The power of the priesthood was removed politically, and religion was excluded from public affairs.

آيَاتُ الْبُشْرَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَأَهَمِّيَّتُهَا لِلدُّعَاةِ (دراسة دعوية)

د. أحمد محمد عبيد

أستاذ مشارك - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الملك عبد العزيز

مستخلص. الحمد لله، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. فهذا بحث بعنوان: آيات البشرى في سورة البقرة وأهميتها للدعاة (دراسة دعوية). وقد تناول بالدراسة والتحليل الآيات التي ورد فيها كلمة "البشرى"، وعددها أربع، وقسمتها إلى أربعة فصول: - الفصل الأول قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوءُ بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] - الفصل الثاني قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] - الفصل الثالث قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] - الفصل الرابع قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيٌ لَّكُمْ فَأَثُوا خِزْيَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وسبق التعريف بالسورة، وسبب التسمية، وفضلها، ومحور مواضيعها. كما بين البحث سبب نزول كل آية، وأهم أقوال علماء التفسير فيها، والمعنى المجمل للآية، والدروس والعبر المستفادة للدعاة. وقد تبين من خلال البحث: أن التبشير من القول الحسن، الذي أمرنا الله به ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] والتبشير وصية النبي ﷺ لأتباعه وأُمَّته؛ فكان إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره، يوصيه بقوله: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا". والتبشير بالخير من أحب الأعمال إلى الله، سرور تدخله على مسلم تزرع به الأمل وتزيل عنه غبار اليأس، وهذا مما يجب أن يوصى به كل داعية أراد النجاح لدعوته، بل كل مسلم أراد أن يكون على هدي الحبيب ﷺ.

المقدمة

خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.
نسأل الله التوفيق لما يرضاه، من العمل والقول. أما
بعد:

الحمد لله حمدا طيبا مباركا يوافي نعمه ويكافئ
مزيده، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه، وصفوة

أهمية البحث وسبب اختياره

بفضل الله تعالى عايشة كثيرا من الدعاة والوعاظ، وسمعت كثيرا من الخطباء؛ فوجدت أن خطاب الإنذار والتخويف، والويل والثبور وعظائم الأمور، هو الخطاب الطاعي على الخطاب الديني، أما البشرية للأمة بالنصر والتمكين في الأرض وقيادة البشرية من جديد فأصبح عملة نادرة قلما تجد من يتعامل معها إلا من رحم الله. فرأيت أن هذا المعنى العظيم (البشرى) الذي بشر الله عباده بالنصر والفلاح والخير والنماء والأمن والأمان، يجب أن يعود على الطرح حتى لا ييأس الناس من رحمة الله مهما أظلمت الدنيا واشتدت المآسي؛ فرحمة الله واسعة. وكأن هؤلاء لم يقرؤوا من الآيات إلا أن الله شديد العقاب، ونسوا أن الله غفور رحيم حتى أصابوا البعض بالكآبة والبعض الآخر بالقنوط واليأس، والله أرحم الراحمين، بشر العصاة بالمغفرة والرحمة لمن تاب منهم، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]

فعلى الدعاة والوعاظ والخطباء أن يشيعوا البشرية وينشروا التفاؤل ويستنهضوا الهمم لإحياء الأمل في النفوس، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ

يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

إن التبشير وعدم التنفير من المسائل الدعوية التي يجب أن يفقهها الدعاة إلى الله، فرسلنا وقودتنا محمد ﷺ علم أصحابه كما علم من جاء بعدهم من

تمر على أهل الإيمان أزمان متعددة ومختلفة، فيها العلو وفيها دون ذلك. وفي زمن الغربة الذي يعيشه الصادقون حيث علت صولة أهل الظلم وأصبحت لهم القوة والمنعة، وضعف أهل الحق، تأتي البشارات من الله تعالى للمؤمنين بقرب الفرج وزوال الكرب، عن الإسلام وأهله، وأن الله تعالى بشر المؤمنين بأن لهم في الجنة من النعيم المقيم ما يسعدون به، ولا يشقون أبداً، وأمرهم بالصبر، فإن وعد الله آت والعاقبة للمتقين. وبشّرهم بالنصر؛ فإن التبشير من مقاصد إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]

وفي خضم أجواء القلق والاضطراب نحتاج إلى رفع رايات التبشير؛ لذلك اخترت آيات البشرية في سورة البقرة؛ فخلق التبشير يدعو إلى الاستئناس والارتياح، وبث الأمل، والتبشير بالخير يمد السامعين بعلو الهمة، ويدفعهم إلى العلم والعمل. والتبشير بالخير يثبت الإنسان في المواقف العصبية، ويطمئن القلوب المضطربة، ويشرح الصدور. والبشرى فيها إقبال قلوب العصاة إلى الله، وفتح باب التوبة.

وكان نبي الله ﷺ يُعرف البشر في وجهه، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧] فالبشرى بأن الله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات. ومن البشرية أن تخبر الناس بأن الإسلام يجب ما قبله؛ ليقبلوا على التوبة، والبشرى تبعث الأمل، وتبث الثقة، وتمسح عن الناس غبار اليأس والقنوط.

جعلنا الله من المبشرين لا المنفرين، ومن الميسرين لا المعسرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سائلين الله التوفيق والسداد.

منهج البحث وأسلوبه

استخدمت في تناولي لموضوعات هذا البحث ثلاثة مناهج:

- ١- الاستقراء، من خلال أقوال أشهر علماء التفسير؛ كالطبري والثعلبي، والقرطبي، وابن كثير وغيرهم.
- ٢- التحليل، من خلال بذل الوسع فيما تدعو إليه الآية وما ترمي إليه.
- ٣- الاستنباطات الدعوية التي يحتاجها الدعاة، والدروس والعبر المستفادة.

وقد راعيت في أسلوب البحث: تيسير العبارة وتقريبها للقارئ، وشرح غريب الألفاظ إن وجدت. وأذكر ما قاله مفسرون إذا وافق قولهم قول المفسر الذي أستعرض تفسيره للآية، أو لاحتواء قول الآخر فائدة ليست في الأول؛ فرتبت أقوال المفسرين على حسب ما تقتضيه الفائدة. وكذلك ترتيب الأحاديث والآثار.

وَعَلَّقْتُ الأحاديث والآثار الواردة في صلب البحث؛ فما كان في أحد الصحيحين أحلت إليه في الهامش بالرقم دون ذكر إسناده، وما كان ليس منهما ذكرت إسناده أو مَدَّارَ إسناده الذي صح فيه. ولم أحتج إلا بالصحيح أو ما يشبه الصحيح. وما يورده المفسرون معًا في تفاسيرهم غير مسند فليس هو بحجة، وقد أحيل إلى بعض المصادر التي تناقلتها.

واعتمدت في تخريج الأحاديث والآثار على ذكر مصدر الحديث مع رقمه حسب التسلسل المعتمد في

أَمَّتْهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ بقوله: «إِنَّمَا بَعَثْتُ مِيسِرِينَ، وَلَمْ تَبْعَثُوا مِيسِرِينَ»^(١) وأحاديث رسول الله ﷺ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ هِيَ رِسَالَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى فِقْهِ فِي إِصَالِهَا، وَخُلِقَ عَظِيمٌ فِي مِمَارِسَتِهَا، وَهِيَ رِسَالَةُ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ الَّتِي وَرَّثَهَا لِلدَّعَاةِ إِلَى دِينِهِ. مِنْ هُنَا كَانَ سَبَبُ اخْتِيَارِي لِهَذَا الْبَحْثِ وَالْكِتَابَةِ فِيهِ.

الدراسات السابقة

بعد البحث وجدت ثلاثة بحوث كُتِبَتْ فِي الْبَشَارَةِ، وَهِيَ:

- ١- أسلوب البشارة في القرآن وتطبيقاته التربوية - رسالة ماجستير، عبد الرقيب الهندي - كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.
- ٢- البشارة في القرآن، دراسة موضوعية - رسالة ماجستير، قاسم عبد الله حسين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٣- البشـرى في القرآن الكريم - رسالة ماجستير، محمد السيد الهاشم - جامعة الملك سعود - قسم التربية.

فَمَا كَتَبَ مِنْ بَحْثٍ تَعَرَّضْتُ لِكَلِمَةِ "الْبُشْرَى" وَ"البشارة" مِنَ النَاحِيَةِ التَّربَوِيَّةِ، وَلَمْ تَسْلُطِ الضَّوْءَ عَلَى النَاحِيَةِ الدَّعَوِيَّةِ، كَمَا أَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ خَصِّ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَحْدَهَا كَمَا فَعَلْتُ فِي بَحْثِي الَّذِي كَتَبْتُهُ، وَذَكَرْتُ فِيهِ أَسْبَابَ النُّزُولِ، وَأَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ، وَالْمَعْنَى الْمَجْمَلُ لِلآيَاتِ، ثُمَّ اسْتَنْبَاطُ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الدَّعَوِيَّةِ مِنَ الْآيَاتِ.

(١) صحيح البخاري. ح ٢٢٠.

الكتب الالكترونية الموافقة للمطبوع، مع بيان درجة صحتها، والاقتصار في تخرجها على ما تتم به الفائدة.

وفي تخرج الأحاديث المرفوعة أشير بحرف "ح" قبل رقم الحديث.

وفي تخرج ما سواها من الأخبار فإني أجعل رقم الخبر بين معكوفتين.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول. ويشمل التمهيد: أ- التعريف بالسورة. ب- سبب التسمية. ج- فضلها. د- محور مواضيعها. هـ- التعريف اللغوي لكلمة "البشرى".

-الفصل الأول قوله تعالى: ﴿وَيَبِّشِرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [البقرة: ٢٥]

المبحث الأول: سبب النزول. المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير. المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية. المبحث الرابع: الدروس والعبر المستفادة.

-الفصل الثاني قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ...﴾ [البقرة: ٩٧]

المبحث الأول: سبب النزول. المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير. المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية. المبحث الرابع: الدروس والعبر المستفادة.

-الفصل الثالث قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ [البقرة: ١٥٥]

المبحث الأول: سبب النزول. المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير. المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية. المبحث الرابع: الدروس والعبر المستفادة.

-الفصل الرابع قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...﴾ [البقرة: ٢٢٣]

المبحث الأول: سبب النزول. المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير. المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية. المبحث الرابع: الدروس والعبر المستفادة.

ثم الخاتمة ثم المصادر والمراجع والفهرس.

التمهيد

أ- التعريف بالسورة:

سورة البقرة عدد حروفها ٢٥٥٠٠، وعدد كلماتها ٦١٢١، وعدد آياتها ٢٨٦.^(١)

وهي من أوائل ما نزل بعد الهجرة؛ فهي مدنية، وهي أطول سور القرآن الكريم، وفيها أطول آية، وهي آية الدين. كذلك اشتملت على آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن.^(٢)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده".^(٣) ب- سبب التسمية:

(١) انظر ((البيان في عد آي القرآن)) للداني، ص ١٤٠. وابن كثير في ((التفسير)) (١٥٥/١) والسيوطي في ((الإتقان)) (٤٣٦/٢).
(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي (٧٨/١). وانظر ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) - أبو إسحاق الثعلبي (٩/٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٩٣). وقولها: "وأنا عنده" تعني حين بنى بها رسول الله ﷺ. وإنما بنى بها بالمدينة، وخبر ذلك في البخاري (٣٨٩٤)، وفي صحيح مسلم (١٤٢٢).

رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(٥)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فقص الحديث، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»^(٦)

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر»^(٧)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "أعظم آية في كتاب الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾"^(٨)

سُميت سورة البقرة بهذا الاسم لاشتغالها على قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لينكشف قاتل أحدهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] ولم ترد هذه القصة إلا في سورة البقرة.^(١)

ج- فضلها:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»^(٢)^(٣)

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»^(٤)

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع

(١) التفسير المنير - وهبة الزحيلي (١/٧٠).

(٢) صحيح البخاري ٥٠٠٩.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) (٥٦/٩): "قوله كفتاه: أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن وقيل أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقاً سواء كان داخل الصلاة أم خارجها وقيل معناه أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً وقيل معناه كفتاه كل سوء وقيل كفتاه شر الشيطان وقيل دفعنا عنه شر الإنس والجن وقيل معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتا من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتغالهم ورجوعهم إليه وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم".

(٤) صحيح مسلم ج ٨٠٤. وصحيح ابن حبان ج ١١٦.

(٥) صحيح مسلم ج ٨٠٦.

(٦) صحيح البخاري ج ٥٠١٠.

(٧) صحيح مسلم ج ٨١٠.

(٨) سنن سعيد بن منصور (٤٢٦، ٤٢٧) إسناده صحيح، وأخرجه غير واحد، ومداره على شئير بن شكل ومسروق بن الأجدع عن ابن مسعود. وصححه محقق الكتاب سعد بن عبد الله آل حميد.

تقرأ فيه سورة البقرة، وأصْفَرُ البيوت: الجوف الذي ليس فيه من كتاب الله شيء^(٦)
 د- محور مواضيع السورة:

تناولت التشريع الإسلامي المنظم لحياة المسلمين في نظامي العبادات والمعاملات، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأحكام الحج والجهاد، وغيرها الكثير مما ينظم حياة الفرد والمسلم والجماعة. وبيّنت أحوال المنافقين وصفاتهم، وكذلك صفات الكافرين وأحوالهم.

وتبين السورة موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، ومواجهتهم لرسول الله ﷺ، والفئة المؤمنة التي معه، وعلاقة المنافقين باليهود من جهة، وبالمشركين من جهة أخرى. كما اهتمت الآيات بإعداد الجماعة المسلمة لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض.

هـ التعريف اللغوي لكلمة البشري:

قال ابن سيده: "والبشر الطَّلَاقُ، وقد بَشَرَهُ بالأمر يَبْشُرُهُ بَشْرًا وَبُشُورًا وَبُشْرًا وَبَشَرَهُ بِهِ، كُلُّهُ عَنِ اللَّحْيَانِي. وَبَشَرَهُ وَأَبَشَرَهُ فَبَشَرَ بِهِ وَبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْرًا وَبُشُورًا وَبَشَرَ وَتَبَشَّرَ وَاسْتَبَشَرَ وَأَبَشَرَ: فَرِحَ".^(٧)

وقال الجوهري: "بَشَرْتُ الرَّجُلَ أَبَشَرُهُ، بِالضَّمِّ، بَشْرًا وَبُشُورًا مِنَ الْبُشْرِ، وَكَذَلِكَ الْإِبْشَارُ وَالتَّبَشِيرُ ثَلَاثُ لُغَاتٍ، وَالْإِسْمُ الْبِشَارَةُ وَالتَّبَشِيرَةُ، بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ. يُقَالُ:

وفي لفظ: "ما خلق الله من سماء ولا أرض، ولا جنة ولا نار، أعظم من آية في سورة البقرة ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾" (١)(٢)

وعنه، قال: "إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة".^(٣)

وعنه، قال: "الآيات الأواخر من سورة البقرة إنهن لمن كنز تحت العرش".^(٤)

وعنه، قال: "لما أسري برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سدره المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: فراش من ذهب قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً، المقحّمات".^(٥)

وروي عنه أنه قال: "إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي

(١) صحيح كسابقه، رواه الأكثرون بهذا اللفظ، وهو في ((خلق أفعال العباد)) للخباري ص ٣٣، من طريق الحميدي. وأبو عبيد القاسم بن سلام في ((فضائل القرآن)) (٤٢١) وغيرهما.

(٢) قال سفيان بن عيينة في تفسيره: "إن كل شيء مخلوق، والقرآن ليس بمخلوق، وكلامه أعظم من خلقه، لأنه يقول للشيء: كن، فيكون، فلا يكون شيء أعظم مما يكون به الخلق، والقرآن كلام الله". (خلق أفعال العباد - ص ٣٣).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد، (٤١٧) قال: حدثني محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن عبد الله، فذكره. وإسناده صحيح.

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد، (٤٢٧) قال: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان عن زبيد اليامي، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، فذكره. وإسناده صحيح.

(٥) صحيح مسلم ح ١٧٣. والتقمح: الوقوع في المهالك.

(٦) أخرجه ابن الضريس في ((فضائل القرآن)) (١٧٧) قال: "أخبرنا أبو الربيع الزهراني، أخبرنا حماد، حدثنا عاصم، عن أبي الأحوص، عن عبد الله... فذكره. وإسناده مقبول.

وقوله "أصفر" لعلها من الصَّفَر، يعني الخاوي.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٧-٨٩/٥٩).

قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما أعدّه لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال، عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، وهذا معنى تسمية القرآن "مثاني" على أصح أقوال العلماء، وهو أن يذكر الإيمان ويتبعه بذكر الكفر، أو عكسه، أو حال السعداء ثم الأشقياء، أو عكسه. وحاصله ذكر الشيء ومقابله.^(٤)

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير في الآية
قال الثعلبي: "﴿وَبَشِّرِ﴾ أي وأخبر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والتبشير: إيراد الخبر السار على سامع يسر ويستبشر به، وأصله من التبشرة لأن الإنسان إذا فرح بان ذلك في وجهه وبشرفته، ثم كثر حتى وضع موضع الخبر فيما ساء وسر قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

قوله: ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الخصال والفعلات الصالحات، نعت لاسم مؤنث محذوف. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: في قوله تعالى: ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: أخلصوا الأعمال.^(٥)

يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: خالصا؛ لأن المنافق والمرائي لا يكون عمله صالحا. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أقاموا الصلوات المفروضات.^(٦)

بَشْرَتُهُ بِمَوْلُودٍ فَأَبَشَرَ إِبْشَارًا أَيْ سَرًّا. وَتَقُولُ: أَبَشَرْتُ بِخَيْرٍ، بِقَطْعِ الْأَلْفِ. وَبَشَرْتُ بِكَذَا، بِالْكَسْرِ، أَبَشَرْتُ أَيْ اسْتَبَشَرْتُ بِهِ.^(١)

وَقَالَ اللَّيْثُ: "الْبَشَارَةُ: مَا بُشِّرَتْ بِهِ، وَالْبَشِيرُ: الَّذِي يُبَشِّرُ الْقَوْمَ بِأَمْرٍ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَالْبَشَارَةُ: حَقٌّ مَا يُعْطَى مِنْ ذَلِكَ. وَالْبُشْرَى: الْإِسْمُ، وَيُقَالُ: بَشَرْتُهُ فَأَبَشَرَ، وَاسْتَبَشَرَ، وَتَبَشَّرَ. وَتَبَاشِيرُ الصُّبْحِ: أَوَائِلُهُ."^(٢)

وقال القرطبي: "وَالْتَبَشِيرُ الْإِخْبَارُ بِمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى الْبَشَرَةِ - وَهِيَ ظَاهِرُ الْجِلْدِ - لِتَغْيِيرِهَا بِأَوَّلِ خَبَرٍ يَرِدُ عَلَيْكَ، ثُمَّ الْغَالِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي السُّرُورِ مُقَيَّدًا بِالْخَيْرِ الْمُبَشِّرِ بِهِ، وَغَيْرِ مُقَيَّدٍ أَيْضًا. وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي النِّعَمِ وَالشَّرِّ إِلَّا مُقَيَّدًا مَنْصُوصًا عَلَى الشَّرِّ الْمُبَشِّرِ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وَيُقَالُ: بَشَرْتُهُ وَبَشَرْتُهُ - مُحَقَّفٌ وَمُسَدَّدٌ - بَشَارَةً (بِكَسْرِ الْبَاءِ) فَأَبَشَرَ وَاسْتَبَشَرَ. وَبَشَرَ يَبْشُرُ إِذَا فَرِحَ. وَوَجْهٌ بَشِيرٌ إِذَا كَانَ حَسَنًا بَيْنَ الْبَشَارَةِ (بِفَتْحِ الْبَاءِ). وَالْبُشْرَى: مَا يُعْطَاهُ الْمُبَشِّرُ. وَتَبَاشِيرُ الشَّيْءِ: أَوَّلُهُ."^(٣)

الفصل الأول: قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

المبحث الأول: أسباب النزول

^(٤) تفسير ابن كثير (٢٠٣/١).

^(٥) ذكره البغوي في ((معالم التنزيل)) (٧١/١)، وابن الجوزي في ((زاد المسير)) (٥٢/١)، وأبو حيان في ((البحر المحيط)) (٢٥٤/١) والخازن في ((اللباب التأويل)) (٤٠/١).

^(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٥٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٤/١).

^(١) لسان العرب (٦١/٤).

^(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٢٤٦/١١).

^(٣) تفسير القرطبي (٢٣٨/١).

وقال ابن عباس: عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فيما بينهم وبين ربهم^(١).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: العمل الصالح يكون فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والإخلاص^(٢).

وقال سهل بن عبد الله: لزموا السنّة لأنّ عمل المبتدع لا يكون صالحاً^(٣).

﴿جَنَاتٍ﴾ جمع الجنة، وهي البستان، سميت جنة لاجتماعها بالأشجار^(٤).

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت شجرها ومساكنها.

والأنهار جمع نَهْر، سُمِّي نهرًا لسعته وضياؤه، ومنه النهار.

وأراد بالأنهار: المياه على قرب الجوار؛ لأن النهر لا يجري. وقد جاء في الحديث: أنهار الجنة تجري في غير أخذود^(٥).

﴿كُلَّمَا﴾ متى ما ﴿رُزِقُوا﴾ أطعموا ﴿مِنْهَا﴾ من الجنّة ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: أي ثمره، و (من) صلة. ﴿رُزْقًا﴾ طعاماً.

﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا﴾ أطعمنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: لتشابهها. و ﴿قَبْلُ﴾ رفع على الغاية، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

﴿وَأُتُوا﴾ وحيئوا ﴿بِهِ﴾ أي: بالرزق. وقرأها هارون بن موسى: (وَأُتُوا) بفتح الألف، أراد أتاهاهم الخدم به.

﴿مُتَشَابِهًا﴾ اختلفوا في معناه، فقال ابن عباس ومجاهد والسدي والربيع: مُتَشَابِهًا في الألوان، مختلفا في الطعوم^(٦).

وقال الحسن وقتادة: مُتَشَابِهًا في الفضل، خيارا كلّهُ لأنّ ثمار الجنة لا ينفي منها شيء، وثمار الدنيا يتقى ويستزذل منها.

وقال محمد بن كعب وعلي بن زيد: يعني يشبه ثمار الدنيا غير أنها أطيب^(٨).

وقال بعضهم: مُتَشَابِهًا في الاسم مختلفا في الطعوم. وقال ابن عباس: ليس في الجنة شيء ممّا في الدنيا غير الأسماء^(٩).

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنّات. ﴿أَزْوَاجٌ﴾ نساءً وجوارٍ، يعني الحور العين.

قال ثعلب: الزوج في اللغة: الرجل والمرأة، والشفع والفرد والنوع واللون، وجمعها أزواج^(١٠).

^(١) أخرجه الطبري من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ. ولا يصح.

وأخرجه من طريق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، بمثله. انظر جامع البيان (تفسير الطبري) (٤٠٧/١).

^(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٤١/١) عن معمر عن قتادة قال: يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أطيب.

^(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٠) وهناد بن السري في ((الزهد)) (٤٩/١) من طريق أبي معاوية الضرير، ومحمد بن عبيد، ووكيع، ثلاثتهم عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس به. وإسناده صحيح.

^(١) ذكره الواحدي في ((البيسط)) (٦٣٣/٢).

^(٢) ذكره البغوي في ((معالم التنزيل)) (٧٣/١)، والخازن في ((لباب التأويل)) (٤٠/١)، وأبو حيان في ((البحر المحيط)) (٢٥٤/١).

^(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٢٥٤/١).

^(٤) معالم التنزيل للبغوي (٧٣/١).

^(٥) الأخدود: الشق في الأرض، وجمعه: الأخاديد. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٣/٢).

^(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٦٦٦٣)، قال: حدثنا وكيع، عن مسعر، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، قال: "أنهار الجنة تجري في غير أخذود، وثمرها كالقلال، كلما نزلت ثمرة عادت أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعاً". إسناده صحيح، والخبر موقوف على مسروق بن الأجدع رحمه الله.

رسولي وأن ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي، وحقق تصديقه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه وأوجبها في كتابي على لسانك عليه، أن له جنات تجري من تحتها الأنهار خاصة، دون من كذب بك وأنكر ما جئت به من الهدى من عندي وعاندك، ودون من أظهر تصديقك وأقر بأن ما جئته به فمن عندي قولاً، وجدده اعتقاداً ولم يحققه عملاً. فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة معدة عندي. والجنات جمع جنة، والجنة: البستان. وإنما عني جل ذكره بذكر الجنة ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها دون أرضها، فلذلك قال عز ذكره: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ لأنه معلوم أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنه جار تحت أشجارها وغروسها وثمارها، لا أنه جار تحت أرضها؛ لأن الماء إذا كان جارياً تحت الأرض، فلا حظ فيها لعيون من فوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه. على أن الذي توصف به أنهار الجنة أنها جارية في غير أخاديد.

﴿كلما رزقوا منها﴾ من الجنات، والهاء راجعة على الجنات، وإنما المعني أشجارها، فكأنه قال: كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في جناته من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل.

﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة في

﴿مُطَهَّرَةً﴾ من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقيء والمني والولد وكل قدر وكل دنس.

وقال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد.^(٢)

وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق.

وقال يمان: مطهرة من الإثم والأذى.^(٣)

قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس»^(٤)

﴿وهم فيها خالدون﴾ أي: دائمون مقيمون، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها.^(٥)

قال الإمام الطبري: "﴿وبشر﴾ فإنه يعني: أخبرهم. والبطارة أصلها الخبر بما يسر المخبر به إذا كان سابقاً به كل مخبر سواه.

وهذا أمر من الله نبيه محمداً ﷺ بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند ربه، وصدقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة، فقال له: يا محمد بشر من صدقتك أنك

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١٠٧/٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٢٦٧١٨) قال: حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن أبي بلج سمعت إبراهيم يقول... فذكر نحوه. وفي صحته نظر.

(٣) ذكره أبو حيان في ((البحر المحيط)) (٢٦١/١) وقال: وكل هذه الأقوال لا يدل على تعيينها قوله تعالى ﴿مطهرة﴾، لكن ظاهر اللفظ يقتضي أنهن مطهرات من كل ما يشين؛ لأن من طهره الله تعالى ووصفه بالتطهير كان في غاية النظافة والوضاءة.

(٤) صحيح مسلم، ح ٢٨٣٥. وصحيح ابن حبان، ح ٧٤٣٥.

(٥) الكشف والبيان للعلبي (١٧٤-١٦٦/٣).

الجنة رزقا، قالوا: هذا الذي رزقنا من قَبْلِ هذا في الدنيا.

﴿وَأَتُوا بِهِ مِثْلَهَا﴾ في اللون والمنظر، والطعم مختلف. يعني بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون، مختلفا في الطعم والذوق.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ الهاء والميم اللتان في ((لهم)) عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والهاء والألف اللتان في فيها عائدتان على الجنات. وتؤويل ذلك: وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات فيها أزواج مطهرة. والأزواج جمع زوج، وهي امرأة الرجل يقال: فلانة زوج فلان وزوجته.

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ فإن تأويله أنهن طهرن من كل أذى وقذى وريبة، مما يكون في نساء أهل الدنيا من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمني، وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره.

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني تعالى ذكره بذلك: والذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنات خالدون، فالهاء والميم من قوله ﴿وَهُمْ﴾ عائدة على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والهاء والألف في فيها على الجنات، وخلودهم فيها: دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحبرة والنعيم المقيم".^(١)

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]: "إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشْرَى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها

المسلم أو ترى له؛ منها بشْرَى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، ومنها: بشْرَى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية. وكل هذه المعاني من بشْرَى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه أن لهم البشْرَى في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فالجنة".^(٢)

قال الإمام البغوي: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أخبر. والبشارة: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات.

﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمع الجنة، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سميت بها لاجتماعها وتسترها بالأشجار. وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت أشجارها ومساكنها.

﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي المياه في الأنهار لأن النهر لا يجري وقيل ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ أي بأمرى والأنهار جمع نهر سمي به لسعته وضيائه، ومنه النهار.

^(٢) تفسير الطبري (١٤٠/١٥) - بتصرف يسير.

^(١) تفسير الطبري (٤٠٥/١-٤٢٢) - بتصرف يسير.

والترهيب، ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا فقال: ﴿وَبَشِّرِ﴾ أي: يا أيها الرسول ومن قام مقامه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة.

ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه، وحياته الدنيوية والأخروية، ويزول بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين، الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته.

فبشرهم ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيفة، والظل المديد، والأغصان والأفنان وبذلك صارت جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب منها تلك الأشجار فتبت أصناف الثمار.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذا من جنسه، وعلى وصفه، كلها متشابهة في الحسن واللذة، ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة، فهم دائما متلذذون بأكلها.

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ قيل: متشابهة في الاسم، مختلف الطعوم وقيل: متشابهة في اللون، مختلفا في الاسم، وقيل: يشبه بعضه بعضا، في الحسن، واللذة، والفكاهة، ولعل هذا الصحيح.

﴿كُلَّمَا﴾ متى ما ﴿رُزِقُوا﴾ أطعموا ﴿مِنْهَا﴾ أي من الجنة ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ أي ثمرة و "من" صلة.

﴿رِزْقًا﴾ طعاما ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ و ((قبل)) رفع على الغاية. قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَعْزِزْ﴾ قيل: من قبل في الدنيا. وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون، مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى.

﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهة في الألوان، مختلفا في الطعوم. وقال الحسن وقتادة: متشابهة. أي يشبه بعضها بعضا في الجودة، أي كلها خيار لا رذالة فيها. وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب. وقيل متشابهة في الاسم مختلفا في الطعم. قال: ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنان ﴿أَزْوَاجٌ﴾ نساء وجواري يعني من الحور العين ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والبصاق، والمخاط والمني، والولد، وكل قذر. وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق.

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها^(١).

قال الشيخ السعدي: "لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين، أهل الأعمال الصالحات، على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب

(١) معالم التنزيل (تفسير البيهقي) (٧٣/١-٧٤) - بتصرف يسير.

ومن بعده البشري عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهم".^(١)

قال صاحب اللباب: "اعلم: أنه - سبحانه وتعالى - لما تكلم في التوحيد والنبوة، تكلم بعدهما في ذكر المعاد، وبين عقاب الكافر، وثواب المطيع، ومن عادة الله - تعالى - أنه إذا ذكر الوعيد، أن يعقبه بذكر الوعد".^(٢)

قال السمعاني: "﴿ولهم فيها أزواج﴾ قيل: من الحور العين، ويحتمل من أزواج الدنيا.

﴿مطهرة﴾ من الأدناس، لا يتمخطن، ولا يتغوطن، ولا يحضن. وقيل: مطهرة الأخلاق، فيكن مطهرات خلقا وخلقا. ﴿وهم فيها خالدون﴾ أي: مقيمون لا يظعنون".^(٣)

قال صاحب روح البيان: "و﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون منها. قال عكرمة: أهل الجنة وَلَدٌ ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، رجالهم ونسأؤهم، وقامتهم ستون ذراعا على قامة أبيهم آدم، شباب جرد مرد مكحلون، عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة في كل ساعة سبعين لونا، لا يبيزقون ولا يتمخطون، وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد يزدادون كل يوم جمالا وحسنا، كما يزداد أهل الدنيا هرما وضعفا، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم".^(٤)

ثم لما ذكر مسكنهم، وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم، ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه، وأوضحه فقال: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ فلم يقل مطهرة من العيب الفلاني؛ ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار، فأخلاقهن، أنهن عُرِبَ متحبات إلى أزواجهن بالخلق الحسن، وحسن التبعل، والأدب القولي والفعل، ومُطَهَّرَ خَلْقُهُنَّ من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، والرائحة الكريهة، ومطهرات الخلق أيضا، بكمال الجمال، فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق، بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان والطرف، قاصرات طرفهن على أزواجهن، وقاصرات ألسنتهن عن كل كلام قبيح.

ففي هذه الآية الكريمة، ذكر المبشِّر والمبشَّر، والمبشَّر به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشَّر: هو الرسول ﷺ ومن قام مقامه من أمته، والمبشَّر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشَّر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك، هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل الأسباب.

وفيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها،

(١) تيسير الكريم الرحمن (تفسير السعدي) ص ٤٦.

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٤٤٥/١).

(٣) تفسير السمعاني (٥٠/١).

(٤) روح البيان، لإسماعيل حقي (٨٤/١).

الأذهان، فإن كان المضروب له المثل عظيماً كالإسلام: ضرب مثله بالنور والضياء، وإن كان حقيراً كالأصنام: ضرب مثله بما يشبهه كالذباب والبعوض. فيكون المثل لكشف المعنى وتوضيحه بما هو مشاهد. فأما المؤمنون فيهديهم الله إلى التصديق، ويكون جزاؤهم جنات الخلد، والاستمتاع بنعيمها، ففيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وفيها الأنهار الجارية، والثمار اليانعة، كما أن فيها الحور العين مقصورات في الخيام، مطهرات من كل دنس، وهم فيها خالدون.

وللخلود هنا معنى عظيم يترتب عليه دوام اللذة، وحُسن العشرة؛ فهي متعة دائمة متتابعة، لا مقطوعة ولا ممنوعة.

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

- جعل الله التبشير من مقاصد إرسال الرسل، فقال تعالى: ﴿وَمَا نَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨] ورسول الله ﷺ حين بعث معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «بَشِّرَا وَلَا تُعْزِرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْقِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»^(١)

- التبشير بالخير من أحب الأعمال إلى الله، وهي سنة رسول الله ﷺ والصالحين من بعده؛ فعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجَعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلَالٌ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلَا تُنْجِرُ لِي مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «أُبَشِّرُ» فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أُبْشِرَ، فَأَقْبَلَ

قال فخر الدين الرازي: "اعلم أن مجامع اللذات إما المسكن أو المطعم أو المنكح فوصف الله تعالى المسكن بقوله: ﴿جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ والمطعم بقوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهَا إِذَا كَانَ مِنْ رِزْقِهَا﴾ وهذا الذي رزقنا من قبل ﴿وَالْمَنَكْحُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ ثم إن هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوف الزوال كان التمتع منغصاً فبين تعالى أن هذا الخوف زائل عنهم فقال: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فصارت الآية دالة على كمال التمتع والسرور".^(١)

قال القاسمي: "من عادة التنزيل العزيز أنه لا يذكر فيه آية في الوعيد إلا ويتلوها آية في الوعد. وذلك لفوائد، منها: ليظهر بذلك عدله سبحانه؛ لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصيرين على الكفر، وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصيرين على الإيمان. ومنها: أن المؤمن لا بد وأن يعتدل خوفه ورجاؤه، وذلك الاعتدال لا يحصل إلا بهذا الطريق. ومنها: أنه يظهر بوعده كمال رحمته، وبوعيده كمال حكمته، فيصير ذلك سبباً للعرفان".^(٢)

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية

ذكر الله تعالى ثواب المؤمنين؛ لتسكن قلوبهم إلى ذلك، وتزول عنهم الوحشة، كي يثبتوا على الحق، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: فرح قلوبهم لأنهم صدّقوا بكتابك، وعملوا برسالة نبيك. والقرآن الكريم يوضح المعاني بإيراد الأمثال والتشبيهات بالأمور المادية المحسوسة؛ لترسيخ المعاني في

(١) التفسير الكبير (تفسير الرازي) (٣٥٦/٢).

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٣٤٢/١).

(٣) صحيح البخاري ح ٣٠٣٨، وصحيح مسلم ح ١٧٣٣.

والصفات، وهو سمة واضحة في صنعة الله تعالى، تجعل الوجود أكبر في حقيقته من مظهره. وكذلك الناس تنوع في الأجناس، والهيئات، والسمات، والطبائع؛ فهذه آثار صنعته، وآيات قدرته. وإعجازه في خلقه واضح الآثار فيما تراه الأبصار، وفيما لا تدركه الأبصار.

- ذكر الله تعالى أن من أسباب البشرى بالجنة بعد الإيمان به: عمل الصالحات، والأعمال الصالحات هي ما كانت موافقة للشرع، ويكون فيها المسلم مخلصاً لربه، وهذا الإخلاص يقتضي أن يكون ماله من حلال، فلا يأكل حراماً، وأن يحب في الله، ويبغض في الله، وأن يؤدي الأمانة، وأن يصدق في حديثه، ويتحرى الصدق حتى يكتب صديقاً، ولا يكون ممن يتحرى الكذب فيكون فاجراً مكتوباً عند الله كذاباً^(٥)، وأن يعفو عن الناس ويصفح، فالعبد لا يزداد

عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ كَهَيْئَةِ الْعُضْبَانِ، فَقَالَ: «رَدُّ الْبُشْرَى، فَأَقْبَلَا أَنْتُمَا» قَالَا: قَبِلْنَا... الحديث.^(١)

وفي حديث أنس رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»^(٢)

وعنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، أَقْبَلْتُ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ وَغَيْرُهُمْ بَنَعْمِهِمْ وَذَرَارِيَهُمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَمِنَ الطُّلَقَاءِ، فَأَذْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ، فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءً لَمْ يَخْلُطْ بَيْنَهُمَا، التَّقَت عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ». قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْبَشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، ثُمَّ التَّقَت عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْبَشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ فَنَزَلَ فَقَالَ: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». فَأَنْهَزَهُ الْمُشْرِكُونَ... الحديث.^(٣)

وفي خبر عمرو بن ميمون الأودي رحمه الله، عن مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: "ولج عليه شاب من الأنصار، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استخلفت فعدلت، ثم الشهادة بعد هذا كله..."^(٤)

- التبشير بالخير يثبت الإنسان في المواقف العصبية، ويطمئن القلوب، ويشرح الصدور.

وبشّر الله المؤمنين بألوان النعم، منها الثمار المتشابهة، هذا التشابه في الشكل، والتنوع في المزية

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَ بَرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ فَجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ كَذَابًا» رواه مسلم ح ٢٦٠٧. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في خطبته: "ألا عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى الجنة، لا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ويثبت البر في قلبه ولا يكون الفجور في قلبه موضع إبرة ليستقر فيها، ألا وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ويستقر الفجور في قلبه فلا يكن في قلبه موضع إبرة ليستقر فيها".

أخرجه الطبراني في ((الكبير)) (٨٥٢٤) من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة الطيب، عن ابن مسعود به. والخبر صحيح، قد رواه (٨٥١٨) من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود، بنحوه، وفيه: "وشر الروايا روايا الكذب، ألا إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ألا أن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإنه يقال للصادق: صدق وبر، ويقال للكاذب: كذب وفجر".

وجاء في ((سنن سعيد بن منصور)) (١٠٥٠) مختصراً من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله: "ألا يصلح من الكذب جد ولا هزل".

ورواه (١٠٤٩) عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن أبي عمر، عن ابن مسعود قال: "ألا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعد

(١) صحيح البخاري ح ٤٣٢٨. وصحيح مسلم ح ٢٤٩٧.

(٢) صحيح البخاري ح ٥٧٧٦. وصحيح مسلم ح ٢٢٢٤.

(٣) صحيح البخاري ح ٤٣٣٧. وصحيح مسلم ح ١٠٥٩.

(٤) صحيح البخاري (١٣٩٢).

المبحث الأول: أسباب النزول

قال الطبري رحمه الله: "أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك، فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته".^(٥)

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير

قال الطبري رحمه الله: "أما تأويل الآية، فهو أن الله يقول لنبيه: قل يا محمد، لمعاشر اليهود من بني إسرائيل الذين زعموا أن جبريل لهم عدو من أجل أنه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة، فأبوا اتباعك وجددوا نبوتك، وأنكروا ما جئتهم به من آياتي وبيانات حكمي من أجل أن جبريل وليك وصاحب وحي إليك، وزعموا أنه عدو لهم: من يكن من الناس لجبريل عدوا ومنكرا أن يكون صاحب وحي الله إلى أنبيائه وصاحب رحمته فإنني له ولي وخلي، ومقر بأنه صاحب وحي إلى أنبيائه ورسله، وأنه هو الذي ينزل وحي الله على قلبي من عند ربي بإذن ربي له بذلك يربط به على قلبي ويشد فؤادي.

﴿فإنه نزل على قلبك﴾ وهو يعني بذلك قلب محمد ﷺ، وقد أمر محمدا في أول الآية أن يخبر اليهود بذلك عن نفسه.

بذلك إلا عزا^(١)، وأن ينفق في سبيل الله، وأن يجاهد أعداء الله، وأن يسلم المسلمون من لسانه ويده وغله. عن زيد بن أسلم قال: "دخل على أبي دجاجة وهو مريض ووجهه يتهلك فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلم فيما لا يعنيني وكان قلبي للمسلمين سليما".^(٢)

ورأس العمل الصالح: عمل القلب، الذي به يكون الزهد. قال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: "أنتم أكثر صياما وأكثر صلاة وأكثر جهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرا منكم. قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟! قال: كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة".^(٣)

وقال سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله: "ليس الزهد بأكل الغليظ، ولبس الخشن، ولكنه قَصْرُ الأمل، وارتقَابُ الموت".^(٤)

الفصل الثاني: قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه له". ومن طريقه أخرجه الطبراني (٨٥٢٥).

(١) كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» رواه مسلم ح ٢٥٨٨.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((كتاب الصمت)) (١١٣)، قال: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم، فذكره. وصحح الخبر محقق الكتاب: أبو إسحاق الحويني.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٧٢٧٠): حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود به. وإسناده صحيح.

(٤) أورده الذهبي في ((السير)) (٢٤٣/٧)، قال: "أبو هشام: حدثنا وكيع سمعت سفيان يقول... فذكره.

(٥) تفسير الطبري (٢٨٣/٢).

﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ القرآن. ونصب مصدقاً على القطع من الهاء التي في قوله: ﴿نزله على قلبك﴾ فمعنى الكلام: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك يا محمد مصدقاً لما بين يدي القرآن، يعني بذلك مصدقاً لما سلف من كتب الله أمامه، ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد ﷺ وتصديقه إياها موافقة معانيه معانيها في الأمر باتباع محمد ﷺ. وما جاء به من عند الله، وهي تصدقه.

﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وهدى﴾ ودليل وبرهان. وإنما سماه الله جل ثناؤه هدى لاهتداء المؤمن به، واهتدائه به اتخاذه إياه هادياً يتبعه وقائداً ينقاد لأمره ونهيه وحلاله وحرامه. والهادي من كل شيء ما تقدم أمامه، ومن ذلك قيل لأوائل الخيل: هوداها، وهو ما تقدم أمامها، وكذلك قيل للعنق: الهادي، لتقدمها أمام سائر الجسد. وأما البشري فإنها البشارة. أخبر الله عباده المؤمنين جل ثناؤه أن القرآن لهم بشري منه؛ لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه. وذلك هو البشري التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه؛ لأن البشارة في كلام العرب هي إعلام الرجل بما لم يكن به عالماً مما يسره من الخير قبل أن يسمعه من غيره أو يعلمه من قبل غيره.^(١)

قال ابن كثير: "﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾ أي: من عادى جبريل فليعلم

أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله ملكي - عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة السلام - ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً (١٥٠) أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً (١٥١)﴾ [النساء] فحكم عليهم بالكفر المحقق، إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه كما قال: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾ [مريم: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤)﴾ [الشعراء]

وقد روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب»^(٢)؛ ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه، فقال: ﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه﴾ أي: من الكتب المتقدمة.

(٢) رواه البخاري ح ٦٥٠٢.

(١) تفسير الطبري (٢٩٢/٢-٣٠٠).

فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله". (٣)(٤)

قال صاحب الجواهر الحسان: "قل من كان عدوا لجبريل...» أجمع أهل التفسير أن اليهود قالت: جبريل عدونا، واختلف في كيفية ذلك، فقيل: إن يهود فدك^(٥) قالوا للنبي ﷺ:

نسألك عن أربعة أشياء، فإن عرفتھا، اتبعناك، فسألوه عما حرم إسرائيل على نفسه، فقال:

«لحوم الإبل، وألبانها»، وسألوه عن الشبه في الولد، فقال: «أي ماء علا، كان له الشبه» وسألوه عن نومه، فقال: «تنام عيني، ولا ينام قلبي»، وسألوه عن يمينه من الملائكة، فقال: «جبريل»، فلما ذكره، قالوا: ذاك عدونا لأنه ملك الحرب، والشدائد، والجذب، ولو كان الذي يجيئك ميكائيل ملك الرحمة، والخصب، والأمطار، لاتبعناك" (٦)(٧)

قال الشوكاني: "هذه الآية قد أجمع المفسرون على أنها نزلت في اليهود. قال ابن جرير الطبري: وأجمع أهل التأويل جميعا أن هذه الآية نزلت جوابا على اليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ثم اختلفوا ما كان سبب قولهم ذلك؟ فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ من أمر نبوته.

﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي: هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة، وليس ذلك إلا للمؤمنين". (١)

قال القاسمي: "﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام، بقدم رسول الله ﷺ، وهو في أرض يخترف^(٢)، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سئلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفا» قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ «أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: «أي رجل عبد الله فيكم؟». قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام». فقالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله،

(٣) تفسير القاسمي (١/٣٥٦-٣٥٧).

(٤) أخرجه البخاري، ح ٣٣٢٩، ٤٨٠.

(٥) هي بلدة على مرحلتين من المدينة.

(٦) الجواهر الحسان (تفسير الثعالبي) (١/٢٨٥).

(٧) روى الإمام أحمد في ((المسند)) ح ٢٥١٤ نحو هذا الحديث، وحسنه محققو المسند، إلا أن اللفظ الذي تقدم من حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري هو الأصح، وقد بَوَّبَ له البخاري بقوله: "باب (من كان عدوا لجبريل)".

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٤١-٣٤٢).

(٢) يخترف: يجني من ثمارها.

التي تأتيه وتتقذه من ضلال هو فيه؛ لأن الوسطة في مجيئها كان عدوا له من قبل، فإن هذا الرفض من عمل الغبي الجاهل الذي لا يعرف الخير بذاته وإنما يعرفه بمن كان سببا في حصوله".^(٢)

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية

حَرَصَ رسول الله ﷺ على هداية الناس أجمعين؛ لأن الله أرسله رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧]. وعمل ﷺ على هداية المشركين في مكة، وعندما انتقل إلى المدينة عمل على هداية أهل الكتاب، وعلى رأسهم اليهود الذين كانوا يجاورونه. لكن هذا الحرص لم يقابل بالمثل، بل قوبل بالرفض والعناد والبغي والافتراء، فاتهم اليهود جبريل - عليه السلام - بأنه عدو لهم، فردَّ الله عليهم بأنه من كان عدوا لجبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل يتنزل بأمر الله، وهو أمين الوحي، من الله لأنبيائه ورسله، وأن ما أنزله الله هو الحق، وفيه الهدى والبشرى للمؤمنين رغم أنف المكذبين.

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

- واجه رسول الله ﷺ تحديات كثيرة لإيصال دعوة ربه إلى العالمين، فصبر صبرا جميلا وجاهد في الله حق الجهاد؛ فحري بالدعاة اليوم أن يلتمسوا طريق المصطفى ﷺ ويصبروا كما صبر.

ومما تعرّض له رسول الله ﷺ: حنق اليهود وبهتهم، وكان من بهتهم أن قالوا: جبريل عدو لنا، لا يأتي

والضمير في قوله: ﴿فإنه﴾ يحتمل وجهين: الأول أن يكون لله، ويكون الضمير في قوله: ﴿نزله﴾ لجبريل، أي: فإن الله سبحانه نزل جبريل على قلبك، وفيه ضعف كما يفيد قوله: ﴿مصدقا لما بين يديه﴾. الثاني: أنه لجبريل، والضمير في ﴿نزله﴾ للقرآن، أي: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك، وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم.

وقوله: ﴿بإذن الله﴾ أي: بعلمه وإرادته وتيسيره وتسهيله. و﴿لما بين يديه﴾ هو التوراة كما سلف، أو جميع الكتب المنزلة، وفي هذا دليل على شرف جبريل وارتفاع منزلته، وأنه لا وجه لمعاداة اليهود له، حيث

كان منه ما ذكر من تنزيل الكتاب على قلبك، أو من تنزيل الله له على قلبك، وهذا هو وجه الربط بين الشرط والجواب، أي: من كان معاديا لجبريل منهم فلا وجه لمعاداته له، فإنه لم يصدر منه إلا ما يوجب المحبة دون العداوة، أو من كان معاديا له، فإن سبب معاداته أنه وقع منه ما يكرهونه من التنزيل، وليس ذلك بذنب له وإن نزوه، فإن هذه الكراهة منهم له بهذا السبب ظلم وعدوان، لأن هذا الكتاب الذي نزل به هو مصدق لكتابهم، وهدى وبشرى للمؤمنين".^(١)

قال صاحب المنار: "﴿وهدى﴾ أي: نزله هاديا من الضلالات والبدع التي طرأت على الأديان، فألقت أهلها في حضيض الهوان، والعاقل لا يرفض الهداية

^(٢) تفسير المنار - محمد رشيد رضا (١/٣٢٤).

^(١) فتح القدير للشوكاني (١/١٣٦-١٣٧) بتصرف يسير.

وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ،
تَقْرَأُهُ نَائِمًا وَيَقْظَان... الحديث. (١)

- في إنزال القرآن على قلب رسول الله ﷺ حكمة بالغة؛ لأن القلب هو موضع التلقي، وهو الذي يفقه به المرء، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] والقلب هو المضغة التي إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسد الجسد كله.

- القرآن يصدق ما سبقه من الكتب السماوية؛ فأساس دين الله واحد، والرسول بعضهم أولى ببعض، كما جاء في الحديث الصحيح: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» (٢)

- القرآن هو الهدى والبشرى للقلوب المؤمنة التي تستجيب له، ويسكب في قلب المرء الأنس، ويفتح له أبواب الخير، ويعز الله به من يشاء. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من قرأ القرآن فليبشر". (٣)

الفصل الثالث قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

إلا بالشر والبلاء، وهذا بهتان افتروه لتبرير كفرهم بالرسول ورسالته الخاتمة، وكراحتهم أن يمنح الله من فضله شيئاً لسواهم.

وديدن اليهود قديماً وحديثاً: اختلاق الأكاذيب على الرسل خاصة، ووصفهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه بأنهم قوم بُهت.

- لا يعادي أولياء الله إلا المجرمون، وأكبرهم جرماً من علم أن الذي يعاديه ولي من أولياء الله، ولا يتأتى هذا إلا ممن اجتالته الشياطين عن دينه؛ فاستحل الظلم والعدوان، وهذا واقع في أهل الكتاب عامة، وفي اليهود خاصة، ممن سلكوا سبيل التكذيب حتى قتلوا من الأنبياء ما قتلوا - والعياذ بالله - إلا أن الله جعل من أهل الكتاب بقايا يتبعون الحق ويحكمون به؛ فصدقوا بالرسول وصبروا على البلاء معهم.

وفي حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلِمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْنَاهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ

(١) صحيح مسلم ح ٢٨٦٥.

(٢) صحيح البخاري ح ٣٤٤٢، ٣٤٤٣. وصحيح مسلم ح ٢٣٦٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٢٠٧٥)، قال: حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله: من قرأ القرآن فليبشر. وإسناده معلوم الصحة.

المبحث الأول: سبب النزول

قال ابن أبي حاتم: "حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: "أخبر الله سبحانه المؤمنين، أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته، لتطيب أنفسهم فقال: ﴿مستهم البأساء والضراء﴾ [البقرة: ٢١٤]"^(١)

وقال الطبري: "حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر وبشرهم، فقال: ﴿وبشر الصابرين﴾ ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم".^(٢)

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير

قال الثعلبي: "﴿ولنبلونكم﴾ أي: ولنختبرنكم يا أمة محمد ﴿بشيء من الخوف﴾ قال ابن عباس: الخوف يعني: خوف العدو^(٣) ﴿والجوع﴾ يعني: المجاعة والقحط ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي ﴿والأنفس﴾ يعني: الموت والقتل، وقيل المرض، وقيل الشيب ﴿والثمرات﴾ يعني: الجوائح، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج.

﴿وبشر الصابرين﴾ على البلايا والرزايا".^(٤)

قال الطبري: "﴿ولنبلونكم﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله ﷺ أنه مبتليهم، وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحانهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءه قبلهم، ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿بشيء من الخوف﴾ يعني من الخوف من العدو. وبالجوع: وهو القحط. يقول: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتتقص لذلك أموالكم، وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار، فينقص لها عددكم، وموت ذراريكم، وأولادكم، وجذوب تحدث، فتتقص لها ثماركم. كل ذلك امتحان مني لكم واختبار مني لكم، فيتين صادقكم في إيمانهم من كاذبيكم فيه، ويعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه والشك والارتياب. كل ذلك خطاب منه لأتباع رسول الله ﷺ وأصحابه.

^(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٩٩).

^(٢) تفسير الطبري (٧٠٤/٢). وفي صحة ما يرويه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نظر.

^(٣) ذكره ابن الجوزي في (زاد المسير) (١٢٤/١).

^(٤) الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧-٢٢٤/٤).

وإنما قال تعالى ذكره: ﴿بشيء من الخوف﴾ ولم يقل "بأشياء" لاختلاف أنواع ما أعلم عباده أنه ممتحنهم به. فلما كان ذلك مختلفا وكانت ((من)) تدل على أن كل نوع منها مضمّر في شيء وأن معنى ذلك: ولنبلونكم بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وبشيء من نقص الأموال. اكتفى بدلالة ذكر الشيء في أوله من إعادته مع كل نوع منها. ففعل تعالى ذكره كل ذلك بهم وامتحانهم بضروب المحن.

ثم قال تعالى ذكره لنبيه ﷺ: يا محمد بشر الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به، والحافظين أنفسهم عن التقدم على نهبي عما أنهاهم عنه، والآخذين أنفسهم بأداء ما أكلفهم من فرائضي مع ابتلائي إياهم بما ابتليتهم به القائلين إذا أصابتهم مصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون. فأمره الله تعالى ذكره بأن يخص بالبطارة على ما يمتحنهم به من الشدائد أهل الصبر الذين وصف الله صفتهم. وأصل التبشير: إخبار الرجل الرجل الخبر يسره أو يسوءه لم يسبقه به إليه غيره^(١).

قال السمعاني: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾ واللام فيه لجواب القسم. وتقديره: والله لنبلونكم. وحكمة الابتلاء لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئا ﴿بشيء من الخوف﴾ خوف العدو ﴿والجوع﴾ بالقحط والجذب ﴿ونقص من الأموال﴾ بالخسران والهلاك ﴿والأنفس﴾ بالمرض والشيب والموت ﴿والثمرات﴾ بالجوائح، وقيل: بالأولاد؛ وذلك

أنهم ثمرات القلوب، وحكمة الابتلاء بهذه الأشياء: حتى إذا صبروا عليه فكل من سمع به بعدهم علم أنهم أنما صبروا عليه لما عرفوا من الحق^(٢). قال صاحب المنار: ﴿ولنبلونكم﴾ أي: ولنمتحنكم ببعض ضروب الخوف من الأعداء وغيره من المصائب البشرية المعتادة في المعاش، وأكد هذا بصيغة القسم لتوطيئ الأنفس عليه، فعلمهم به أن مجرد الانتساب إلى الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وقوة السلطان، وانتفاء المخاوف والأحزان، بل يجري ذلك بسنن الله تعالى في الخلق، كما أن من سنن الخلق وقوع المصائب بأسبابها. وإنما المؤمن الموفق من يستفيد من مجاري الأقدار، إذ يتربى ويتأدب بمقاومة الشدائد والأخطار، ومن لم تعلمه الحوادث، وتهذبه الكوارث فهو جاهل بهدي الدين، متبع غير سبيل المؤمنين، غير معتبر بقوله تعالى بعد ذكر هذا البلاء المبين:

﴿وبشر الصابرين﴾ فإنه تعالى أراد أن ينبهنا بهذا إلى أن هذه العقيدة هي التي تكتسب بها ملكة الصبر التي يقرن بها الظفر، ويكون صاحبها أهلا لأن يبشر باحتمال البلاء والاستفادة بحسن العاقبة في الأمور كلها.

فالبشارة في الآية عامة ولم يذكر المبشر به إنيانا بذلك وهو إيجاز لا يعهد مثله في غير القرآن الحكيم، فأنت ترى أنه لو أريد ذكر ما يبشرون به لخرج الكلام إلى تطويل لا حاجة إليه كبيان عاقبة

(٢) تفسير السمعاني (١٥٦/١-١٥٧).

(١) تفسير الطبري (٧٠٣/٢-٧٠٦).

أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياح، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك.

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها والخضر، بيزد، أو بزد، أو حرق، أو آفة سماوية من جراد ونحوه.

﴿وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب.

فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة^(٣).

قال صاحب أضواء البيان: "قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ قبل وقوع ذلك دليل على أن هذه المصائب معلومة له - جل وعلا - قبل وقوعها، ولذا أخبرهم تعالى بأنها ستقع، ليكونوا مستعدين لها وقت نزولها بهم، لأن ذلك يعينهم على الصبر عليها"^(٤).

قال الزحيلي: "أخبر الله بأن المؤمنين يتعرضون للمصاب بشيء قليل من الخوف والجوع ونقص

من يقع في كل نوع من أنواع المخاوف فيصابها وينجح في أعقابها وهي كثيرة، وهكذا الخوف المشار إليه في الآية - وأعداء الإسلام على ما كانوا عليه من الكثرة والقوة - ظاهر لا يخفى.

على أن بعضهم فسره بالخوف من الله تعالى وهو باطل؛ لأن هذا من أعظم ثمرات الإيمان لا من مصائب الامتحان، فهو نعمة تعين على الصبر لا مصيبة يطلب الصبر عليها أو فيها لأجل تهوين خطبها، وأما الجوع فقد قالوا: إنه ما يكون من الجذب والقحط"^(١).

قال ابن كثير: "﴿بشيء من الخوف﴾ وقد حكى بعض المفسرين أن المراد من الخوف هاهنا: خوف الله، وبالجوع: صيام رمضان، ونقص الأموال: الزكاة، والأنفس: الأمراض، والثمرات: الأولاد. وفي هذا نظر، والله أعلم"^(٢).

قال السعدي: "﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ﴿بشيءٍ من الخوف﴾ من الأعداء ﴿والجوع﴾

(١) تفسير المنار (٣٢/٢-٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٧/١).

(٣) تفسير السعدي ص ٧٥.

(٤) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٥٤٩/٧).

هو حال أكثر الكافرين والمنافقين؛ لأن الدنيا عزيزة عليهم، فلا يحبون أن يخسروا منها شيئاً دون مقابل بمثله في الدنيا.

فمن وفقه الله للصبر والاحتساب: فاز بالأجر والثواب. ومن لم يوفق لذلك خسر خسارنا مبينا.

وقوله تعالى: ﴿بَشِيرٌ﴾ يشعر بالتقليل، وهذه رحمة من الله؛ لأنه قادر على أن يبيلوهم بما هو أكبر، ولكنه سبحانه وتعالى يجعل مع العسر يُسْرِينَ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إِنَّهُ مَا نَزَلَ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ شِدَّةً، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَعْدَهَا فَرْجًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْلِبُ عُسْرٌ يُسْرِينَ" (١)

فإن الله لطيف بعباده، خبير بشؤونهم، ميسر لأمورهم، ثم أتبع ذكر البلاء بذكر الجزاء، فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ولم يقيّد البشري، فهي بشرى مطلقة، أي: فليبشروا بكل خير.

والصابرون قد ذكرهم الله في مواطن شتى من كتابه، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

وقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

الأموال بضياعها، والأنفس بموتها، والثمرات بقلتها، لتهدأ القلوب وتسكن، وتستسلم إلى الله، راضين بقضائه وقدره إذا ما أصابهم شيء من ذلك في الدنيا، محتسبين الأجر والثواب عند الله، قائلين: إنا لله وإنا إليه راجعون. والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب، والشهداء تنزل عليهم المغفرة والرحمة من ربهم الذي ربّاهم وتولّى أمورهم، وأولئك هم المهتدون إلى الأفعال النافعة وخير البلاد والوطن". (١)

قال أبو حيان: "﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، أو لكل من تتأتى منه البشارة، أي على الجهاد بالنصر، أو على الطاعة بالجزاء، أو على المصائب بالثواب؛ أقوال، والأحسن عدم التقييد، أي كل من صبر صبرا محمودا شرعا، فهو مندرج في الصابرين". (٢)

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية

في الآية حث على توطين النفوس أثناء المصائب، والإعلام بأنها واقعة؛ لتخف وتسهل إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابرين من أجر، وأنه سنة الله لا تبديل لها، تقع على خيارهم وشرارهم، ولا يجني خيرها إلا أهل الإيمان الصابرون.

ومن سنة الله تعالى أن كتب الابتلاء على عباده فإذا وقع البلاء انقسم الناس إلى فسطاطين، فسطاط يرى أنه من عند الله وتمحيص منه، فيحتسب على الله ما يصيبه منه، وفسطاط لا يزيده البلاء إلا خبثا، كما

(١) أورده الذهبي في ((السير)) (١٥/١): قال: وقال ابن المبارك في ((الجهاد)) له: عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: "بلغ عمر أن أبا عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نزل بعد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجا، وإنه لا يغلب عسر يسرين..." وعلق عليه المحققون: "إسناده قوي، رجاله ثقات".

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (٧١/١).

(٢) البحر المحيط (٥٦/٢).

بذلها، من الأموال والأنفس والثمرات وهذا البذل لا يعود على المرء إلا بخير.

- في البلاء تربية للنفوس، وامتحان لتحمل الشدائد للنجاح في معركة الحق.

- تحمل البلاء هو أداء لتكاليف العقيدة كي تعز على نفوس أصحابها بمقدار ما أدوا في سبيلها.

- العقائد التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند أول صدمة أو بلاء.

- لن يدرك أهل الملل قيمة عقيدة أهل الإسلام إلا حين يرون صبرهم لأجلها، وبذلهم مهجهم لنصرتها.

- اتباع الرسل لا يتم إلا بالصبر، بالصبر على أذى أعدائهم، وبالصبر على ما يؤمرون به من تكاليف

أوجبها الله، وإن نبينا ﷺ نصره الله بأصحاب مخلصين، صبروا معه وقاتلوا دونه، وفدوه بأموالهم

وأأنفسهم؛ فكفَى المؤنة من جاء بعدهم بهم. قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه: "أولا تحمدون الله

إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم؟، مصدقين لما جاء به نبيكم؟!، قد كفيتهم البلاء بغيركم، والله لقد بعث

الله النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها فيه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون أن دينا أفضل

من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده حتى إن كان الرجل

ليرى والده وولده أو أخاه كافرا، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر

عينه وهو يعلم أن حبيبته في النار..."^(٣)

وقال: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [محمد: ٣١]

وقال: في وصف المختبتين ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ [الحج: ٣٥]

وقال في وصف المؤمنين: ﴿والصابرين والصابرات﴾ [الأحزاب: ٣٥]

وأمر به بقوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت: ٣٥]

وقال: ﴿اصبروا وصابروا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

وقال: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٤٦]

فالصبر خُلُقٌ أصيل في أهل الإيمان، وبه يجد المرء خيرَ عيشه.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعَفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطُوا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١)

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: "إنا وجدنا خير عيشنا بالصبر"^(٢)

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

- اختار الله المسلمين ليكونوا خلفاءه في الأرض، وهذا الاستخلاف يقتضي تكاليف لا مناص من

(١) صحيح البخاري ح ١٤٦٩، ٦٤٧٠. وصحيح مسلم ح ١٠٥٣.

(٢) أخرجه ابن المبارك في ((الزهد)) (٥٨٥) قال: أخبرنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب: "إنا وجدنا خير عيشنا بالصبر". وإسناده صحيح إلى مجاهد إلا أنه مرسل. وعلقه البخاري في صحيحه (٩٩/٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (٢٣٨١٠) قال: "حدثنا يعمر بن بشر، حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك، أخبرنا صفوان بن عمرو،

والحرث هو الزرع، ولكنَّهُنَّ لما كُنَّ من أسباب الحرث جعلن حرثاً، إذ كان مفهوماً معنى الكلام. ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يعني تعالى ذكره بذلك: فانكحوا مزدرع أولادكم من حيث شئتم من وجوه المأتى. والإتيان في هذا الموضع كناية عن اسم الجماع.

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أمر من الله تعالى ذكره عباده بتقديم الخير، والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم، عدة منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب.

﴿وانتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾ وهذا تحذير من الله تعالى ذكره عباده أن يأتوا شيئاً مما نهاهم عنه من معاصيه، وتخويف لهم عقابه عند لقائه، كما قد بينا قبل، وأمر لنبيه محمد ﷺ أن يبشر من عباده بالفوز يوم القيامة، وبكرامة الآخرة، وبالخلود في الجنة من كان منهم محسناً مؤمناً بكتبه ورسله وبلقائه، مصداقاً لإيمانه قولاً بعمله ما أمره به ربه، وافترض عليه من فرائضه فيما ألزمه من حقوقه، وبتجنبه ما أمره بتجنبه من معاصيه.^(٢)

قال الثعلبي: "﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم، وحيث شئتم ومتى شئتم، بعد أن يكون في صمام^(٣) واحد. و((أَنَّى)) حرف استفهام ويكون سؤالاً عن الحال والمحل.

وفي هذه الآية أدل دليل على تحريم أديار النساء؛ لأنها موضع الفرث لا موضع الحرث، وإنما قال الله

- ابتلي أصحاب رسول الله ﷺ بالخوف في مكة، وأُخذ، والأحزاب، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وأصابهم الجوع، حتى كان قرّة العين ﷺ ربما شد الحجر أو الحجرين على بطنه ليسكن ألم الجوع، وتأسى به أصحابه؛ فرفع الله شأنهم وأعلى رايته، وأعز بهم دينه، وبشّرهم بالخيرات، وأعتق الله بهم رقاب العباد من النار؛ فما يكاد يوجد بيت في الآفاق إلا ودخله الإسلام، وما يدخل داخل في دين الله إلى يومنا هذا إلا ولهم عليه فضل.

الفصل الرابع قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأنفُسِكُمْ وَانْتَقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

المبحث الأول: سبب النزول

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبْرِهَا فِي قُبْلَيْهَا، كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَتَزَلَّتْ: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(١)

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير

قال الطبري: "﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ نساؤكم مزدرع أولادكم، فأتوا مزدرعكم كيف شئتم، وأين شئتم. وإنما عني بالحرث المزدرع،

حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمر به رجل.. " وصححه محققوا المسند، وذكروا تصحيح ابن كثير له. وصححه الشيخ الألباني في تعليقاته على الأدب المفرد للبخاري.
(١) صحيح البخاري (٤٥٢٨) وصحيح مسلم (١٤٣٥). وهو أصح شيء في الباب، وما سواه فلا يخلو من مقال.

(٢) تفسير الطبري (٧٤٥-٧٦٣) بتصرف يسير.
(٣) يعني الفرج.

تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ وهذا من أظرف كنايات القرآن، حيث عبّر بالحرث عن الفرج، فقال: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي: مزرع ومنبت الولد، وأراد به المحترث والمزدرع، ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلهن حرثا.

وقال أهل المعاني: تقدير الآية: نساؤكم كحرث لكم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: كنار.

﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: طلب الولد.

وقيل: هو التزوج بالعفاف؛ ليكون الولد صالحا طاهرا.

وقيل: هو تقديم الأفراط^(١). قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا جَبَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: «وَأَنْتَيْنِ؟» فَقَالَ: «وَأَنْتَيْنِ»^(٢) وقال مجاهد: ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: إذا أتى أهله فليدع^(٣).

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَبَبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَبَبِ الشَّيْطَانُ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضَىٰ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ»^(٤) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمركم به، ونهاكم عنه.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ﴾ فيجزئكم بأعمالكم^(٥).

قال السمعاني: "واعلم أن الآية لا تدل على إباحة إتيان النساء في غير المأني؛ لأنه قال: ﴿نَسَاؤُكُمْ

حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ فخص الإتيان بموضع الحرث، وهو القُبْل.

﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ قال ابن عباس: هو التسمية على الوطء^(٦). وقيل: هو طلب الولد. وقيل: سائر أفعال الخير.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ﴾ صائرون إليه ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمد^(٧).

قال الواحدي: "﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي: مزرع ومنبت للولد.

﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أُنَىٰ شَتْمٌ﴾ أي: كيف شتم ومن أين شتم بعد أن يكون في صِمام واحد.

﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: العمل لله بما يحب ويرضى.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما حد لكم من الجماع وأمر الحائض.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ﴾ أي: راجعون إليه.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين خافوه وخذروا معصيته^(٨).

قال الشوكاني: "﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أُنَىٰ

شَتْمٌ﴾ لفظ الحرث يفيد أن الإباحة لم تقع إلا في

الفرج الذي هو القُبْل خاصة؛ إذ هو مزدرع الذرية،

كما أن الحرث مزدرع النبات.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٦٢/٣)، قال: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن عطاء، قال: أراه عن ابن عباس: "﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ قال: التسمية عند الجماع، يقول: بسم الله". ولا يصح عن ابن عباس، والصواب أنه من قول عطاء؛ فقد أخرجه عبد الرزاق في ((التفسير)) (٣٤٢/١) قال: "محمد بن كثير قال: نا عبد الله بن واقد، قال: حدثني طلحة بن عمرو، عن عطاء" فذكره. وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) (٢١٤٠) قال: "ذكر لي عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهروي، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء" فذكره.

(٧) تفسير السمعاني (٢٢٦/١-٢٢٧).

(٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ص ١٦٨.

(١) قُرط الولد: صغاره ما لم يدركوا، أي أولادا لم يبلغوا الحلم.
(٢) صحيح البخاري ح ١٠١. وصحيح مسلم ح ٢٦٣٣. واللفظ الذي أورده الثعلبي فيه بعض الاختلاف؛ فاقترعت بإيراد اللفظ المتفق عليه.

(٣) ذكره البيهقي في ((معالم التنزيل)) (٢٦٢/١).

(٤) صحيح البخاري ح ١٤١، ٦٣٨٨، ٧٣٩٦. ومسلم ح ١٤٣٤.

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (٨٢/٦-١٢٢) بتصرف يسير.

﴿أنى شئتم﴾ أي: من أي جهة شئتم: من خلف، وقدام، وباركة، ومستقلية ومضطجعة، إذا كان في موضع الحرث.

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أي: خيرا، كما في قوله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ [البقرة: ١١٠] وقيل: ابتغاء الولد وقيل: التزويج بالعفاف، وقيل غير ذلك.

﴿واتقوا الله﴾ فيه تحذير عن الوقوع في شيء من المحرمات.

﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ مبالغة في التحذير.

﴿وبشر المؤمنين﴾ تأنيس لمن يفعل الخير ويجتنب الشر^(١).

قال صاحب المنار: "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم" بين في الآية السابقة حكم المحيض، وأحل غشيان النساء بعده، وبين في هذه الآية حكمة هذا الغشيان التي شرع الزواج لأجلها، وكان من مقتضى الفطرة وهي الاستنتاج والاستيلاء؛ لأن الحرث هو الأرض التي تستنبت، والاستيلاء كالاستنبات، وهذا التعبير على لطفه ونزاهته وبلاغته وحسن استعارته تصريح بما فهم من قوله عز وجل: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ أو بيان له.

﴿أنى شئتم﴾ معناه كيف شئتم و﴿أنى﴾ تستعمل غالبا بمعنى ((كيف)) وتستعمل بمعنى ((أين)) قليلا، ولا يظهر هنا؛ لأن الحرث له مكان واحد لا يتعداه، والأمر مقيد به؛ ولذلك أعاد ذكر الحرث

﴿وقدموا لأنفسكم واتقوا الله﴾ فهذه أوامر تدل على أن هنا شيئا يُرغب فيه وشيئا يُرغب عنه ويحذر منه، أما ما يرغب فيه فهو ما يقدم للنفس وهو ما ينفعها في المستقبل، ولا أنفع للإنسان في مستقبله من الولد الصالح، فهو ينفعه في دنياه، وفي دينه.

فالأمر بالتقديم للنفس يتضمن الأمر باختيار المرأة الودود الولود التي تعين الرجل على تربية ولده بحسن خلقها وعملها، كما يختار الزراعة في الأرض الصالحة التي يرجى نماء النبات فيها.

﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ إنذار للذين يخالفون عن أمره بأنهم يلاقون جزاء مخالفتهم في الآخرة كما يلاقونها في الدنيا بفقد منافع الطاعة والامتثال، وتجرع مرارة عاقبة المخالفة والعصيان، ثم قرن إنذار العاصين بتبشير المطيعين فقال: ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين يقفون عند الحدود ويتبعون هدى الله تعالى في أمر النساء والأولاد، وقد حذف ما به البشارة؛ ليفيد أنه عام يشمل منافع الدنيا ونعيم الآخرة^(٢).

(١) تفسير المنار (٢٨٧/٢-٢٨٩) بتصرف.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢٦٠/١).

قال السعدي: "﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتَى شَيْئُمْ﴾ مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل، لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الولد.

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك، ولعن فاعله.^(١)

﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القرية والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أحوالكم، كونوا ملازمين لتقوى الله، مستعينين بذلك لعلمكم، أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ومجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر المبشّر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضير، رتب على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة.

وفيها محبة الله للمؤمنين، ومحبة ما يسرهم، واستحباب تنشيطهم وتشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي.^(٢)

قال الزحيلي: "زوجاتكم موضع الإنجاب واللقاء النطف، فأتوهن على أية كيفية تريدون قائمة أو قاعدة، أو جالسة نائمة، أو مضطجعة، إذا كان ذلك في موضع النسل، وقدموا عملاً صالحاً تجدونه لأنفسكم، عند الله، وخافوا الله من الوقوع بالمحرمات، واعلموا أنكم ملاقو الله يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، وبشر المؤمنين بالجنة".^(٣)

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية أخبر الله تعالى عباده بأن الزوجة حرث لزوجها، وهي محل الإنبات، وبين أن هذا الحرث ينبغي أن يكون في الموضع الذي خلقه الله له.

وأمر الله تعالى عباده أن يقدموا لأنفسهم من الأعمال الصالحة ما ينفعهم يوم القيامة، وحثهم على التقوى وعدم اقتراف الممنوع؛ ليسلموا من معرة الدنيا، ويفوزوا بخير الآخرة. وأَعْلَمَهُمْ أنهم ملاقوه، فأمرهم بتقديم ما يسرهم أن يجدوه عند الله عز وجل من عمل صالح، ثم أتبع ذلك بالبشرى لهم إن امتثلوا.

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

- من حكمة الله في خلقه أن خلق الذكر والأنثى، ليكمل أحدهما الآخر بالزواج، وجعله سكناً لهم، وليصبح كل منهما لباساً وستراً لصاحبه، وجعل ذلك من آياته لقوم يتفكرون.

- النكاح أعمق وأدوم رابطة تصل بين اثنين من بني الإنسان؛ فلا بد إذن من توحيد القلوب، وأعظم ما

^(١) ذهب جماعة من أئمة الحديث إلى عدم ثبوت حديث مرفوع في شأن إتيان النساء في أدبارهن؛ فتبقى دلالة القرآن على ذلك، وتحتمل الأحاديث الصحة بجموعها. قال ابن حجر في ((الفتح)) (١٩١/٨): "وذهب جماعة من أئمة الحديث كالبخاري والذهلي والبيهقي والنسائي وأبي علي النيسابوري إلى أنه لا يثبت فيه شيء. قلت: لكن طرقها كثيرة فمجموعها صالح للاحتجاج به".

^(٢) تفسير السعدي ص ١٠٠.

^(٣) التفسير الوسيط للزحيلي (١/٢٠١).

فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ
وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿البقرة: ٢٢٢﴾

- حين يوازن المرء بين أسس العلاقات الكريمة التي ارتضاها الله للبشر والمجتمع المؤمن النظيف وبين ما كان قائما في الجاهلية الأولى والجاهلية الحديثة اليوم لَعَلَّمْ أن هذه المشابهة بين الجاهليتين ليست بمستغربة؛ فالتَّيَّة ملته واحدة، وأصحاب الملل التائهة يدعون إلى شيء واحد، وهو: الانسلاخ من شرائع الله، حتى كان هذا الانسلاخ من ربة الفطر السليمة، والأخلاق الكريمة؛ فإنك إن وجدت من لا يفعل الموبقات فيهم: فلن تجد من ينكره حتى بقلبه، بل يعلنون رضاهم بها.

فالله ربى عباده على إنكار المنكر، ولا يكفي عدم فعله، بل الراضي بها وفاعلها حكمهما سواء؛ ذلك بأن المآل واحد في تفشي السوء.

- أراد الله تذكير عباده بالغاية والهدف من فعل الحرث، وأن يتجهوا إلى الله فيه بنية العبادة؛ فيكون عملا صالحا يقدمونه على الرغم مما يصاحبه من لذة.

- اختار الله للإنسان منهج الفطرة. وكلُّ منهج آخر لا ينسجم مع منهج الله فمصيره الفشل، ويشقى الناس بعد ذلك جماعة وفرادى.

- بُعِثَ رسول الله ﷺ متمما لصالح الأخلاق، وهديه خير الهدى؛ فكان من هديه عدم التكلف، وتقويم الفطر؛ فكان يصلي في النعال مخالفا تكلف من أوجب ذلك من اليهود، ويؤاكل الحائض ويباشرها، مخالفا تكلف من أوجب اعتزالها ومن يرى أنها نجسة، حتى قالوا: "ما يريد هذا الرجل أن يدع من

يوحد القلوب هو العقيدة؛ فهي أكبر ما يعمر النفوس، ويؤثر فيها ويكتف مشاعرها.

- جعل الله لكل من الزوجين رغائب، وحث أن تكون هذه الرغائب فيما ينفع للدنيا والآخرة بأن يخرج الله من أصلابهم نسمة تُوجِّدُه. ففي الحديث الصحيح المشهور: أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١)

وعن عمرو بن دينار: أن ابن عمر أراد أن لا ينكح، فقالت له حفصة: تزوج؛ فإن ولدك لك ولد فعاش من بعدك دعا لك.^(٢)

- أنزل الله شريعته للناس من البشر، لا لجماعة من الملائكة؛ لذلك راعى فطرة الإنسان وتكوينه، وملابس ضروراته الواقعة في حياته على الأرض. - في الإنسان ميول ونزعات، وفيه نقص وضعف، وله عواطف ومشاعر، والإسلام يوظفها لمنفعة الخلق؛ فقد أنزل الله كتابه فيه تفصيل كل شيء.

- في هذه المعاني وأشباهها من كلام الله آداب حسنة، على الدعاة أن يتعلموها ويتأدبوا بآدابها ويعلموها للناس.

- يستنبط من الآية أن إتيان المرأة في موضع الأذى ممنوع؛ لأن الله أمرهم من قبل أن يعتزلوهن في المحيض حتى يتطهرن، فإذا تطهرن أتوهن من حيث أمرهم الله ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ

(١) صحيح مسلم ج ١٦٣١.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ص ٢٧٣، قال: "أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار أن ابن عمر... فذكره. وإسناده معلوم الصحة.

الخاتمة

جعل الله آيات البشرى من مقاصد إرسال الرسل،
والبشارة مطية الداعية إلى قلوب المدعوين، وكم من
أناس هداهم الله بذكر الرحمة؟!

لقد قدّم الله التبشير على الإنذار؛ لأن الطبايع تلتين
إليه، إلا أنه لم يقتصر عليه لكيلا تميل الأنفس كل
الميل فتغلب جانب الرجاء مع ترك الأعمال، كما
يفعل بعض الناس ممن يتركون الصلاة أو غيرها من
أركان الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فدين الله وسط في كل أمر، وجعل الله أمّة محمد ﷺ
أمّة وسطا ليكونوا شهداء على الناس؛ فمن فرط أو
أفرط علم بطلان ما ذهب إليه بدهاة.

وقد تواترت الأخبار عن صحابة رسول الله ﷺ في
فهمهم لهذا المعنى؛ فإنك لا تجد فيهم غاليا ولا
جافيا، بل كانوا يحذرون النفاق ويحذرون منه،
ويبغضون التتبع وينفرون منه، ومن وقع في شيء
من ذلك تاب إلى الله منه، وما كانوا بالمتصنعين، ولا
بالمتكلفين، بل فهموا جوهر الدين، واستجابوا لقول
رب العالمين:

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ
عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)﴾ [الحجر]

فلا يمنعهم رجاؤهم أن يخافوا ذنوبهم، ولا خوف
ذنوبهم أن يكونوا راجين، بل الابتغاء بين ذلك هو
سبيل الراشدين وهدى النبيين.

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن المؤمن يرى
ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه،

أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه" (١) وكذلك كان يأمر
بالتزوج، وكان أكثر هذه الأمة نساء، مخالفا رهبانية
النصارى المبتدعة.

- يؤجر المؤمن بجماع أهله على حسب نيته. وفي
الحديث الصحيح المشهور: «وفي بضع أحدكم
صدقة» (٢)

- الرهبانية ليست من الإسلام في شيء؛ فقد نهى
رسول الله ﷺ عن التبتل (٣) والتتبع، وقال: «والله
إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر،
وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي
فليس مني» (٤)

فالنكاح من سنن الفطرة، وهو سنة سائر النبيين.
وروى سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة، قال:
قال لي طاووس: "لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر
لأبي الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو
فجور". (٥)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لو لم
يبق من الدهر إلا ليلة لأحببت أن يكون لي في تلك
الليلة امرأة". (٦)

وقد قال الله تعالى من قَبْلُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

(١) صحيح مسلم ج ٣٠٢.

(٢) صحيح مسلم ج ١٠٠٦.

(٣) صحيح البخاري ج ٥٠٧٣، ٥٠٧٤. وصحيح مسلم ج ١٤٠٢.

(٤) صحيح البخاري ج ٥٠٦٣. وصحيح مسلم ج ١٤٠١.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١٦٦٥٦) عن سفيان به. وهو
صحيح مرسل.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١٦٦٦٢) قال: حدثنا عبيد الله،
حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله
بن مسعود، به. وإسناده جيد. وعبيد الله: هو ابن موسى.

وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه" أخرجه البخاري (٦٣٠٨).

فعلى الدعاة إلى الله أن يشيعوا البشْرَى بين الناس، فيبدؤوا بما بدأ الله به، ويحرصوا على الخير ويستنهضوا الهمم ويعينوا على المعروف، ويحذروا من الاغترار أيضا.

نسأل الله تعالى أن يوفق الدعاة لدينه إلى ما يحب ويرضى، وأن يستعملنا وإياهم في طاعته، وأن يجعلنا وإياهم ممن ينصر الله بهم دينه ويدافع عن شرعه، إنه لنعم المولى ولنعم النصير.

وصلّى الله على معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنش، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بوزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

٣- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤- البسيط في تفسير القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، من مصورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٥- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ.

٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٧- التفسير لعبد الرزاق، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٨- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٠- الزهد لهناد، أبو السري هناد بن السري التميمي الدارمي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١١- الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، تحقيق: أحمد فريد، دار المعراج، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٢- الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، تحقيق: أبو إسحاق

٢٠- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - الدار الشامية، بيروت - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٢٣- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٢٤- تفسير القرآن للسمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، السمعي التميمي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٥- تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا الحسيني القلموني، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٣٦٦هـ.

الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٣- القرآن الكريم، طبعة مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.

١٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

١٥- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي النعماني الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٦- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٧- المسند لأحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٨- المسند للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٩- المصنّف لابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

- ٢٦- تهذيب اللغة، الأزهري محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢٩- خلق أفعال العباد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض.
- ٣٠- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي، دار الفكر، بيروت.
- ٣١- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٣٢- سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان، سعيد بن منصور بن شعبة الجوزجاني، تحقيق: د. سعد بن عبد الله آل حميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، دار الألوكة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
- ٣٣- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٣٤- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٣٥- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٣٧- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٨- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبو عبد الله محمد بن أيوب ابن الضريس، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٣٩- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف المغربية.
- ٤٠- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد

٤٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

الشيحي، تحقيق: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤١- لسان العرب، أبو الفضل، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٤٢- محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

الفهرست

الصفحة	الموضوع
١	مستخلص البحث
٢	المقدمة
٣	أهمية البحث وسبب اختياره
٤	الدراسات السابقة
٥	منهج البحث وأسلوبه
٦	خطة البحث
٧	التمهيد
٧	التعريف بالسورة
٧	سبب التسمية
٧	فضلها
١٠	محور مواضيع السورة
١٠	التعريف اللغوي لكلمة البشرى
١١	الفصل الأول قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾
١١	المبحث الأول: أسباب النزول
١١	المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير
١٩	المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية
٢٠	المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر
٢٢	الفصل الثاني قوله تعالى: ﴿قل من كان عدوا

	لجبريل...﴿
٢٢	المبحث الأول: أسباب النزول
٢٣	المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير
٢٦	المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية
٢٧	المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر
٢٨	الفصل الثالث قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ...﴾
٢٨	المبحث الأول: أسباب النزول
٢٩	المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير
٣٣	المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية
٣٤	المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر
٣٥	الفصل الرابع قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...﴾
٣٥	المبحث الأول: أسباب النزول
٣٦	المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير
٤٠	المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية
٤١	المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر
٤٤	الخاتمة
٤٥	المصادر والمراجع

The Verses of the Good Tidings in Surat Al-Baqarah and Their Significance to Muslim Preachers (Dawah Study).

Ahmad Mohammad Obeid

Associate Professor, King Abdulaziz University, Faculty of Arts and Humanities, Islamic Law and Studies

Abstract In the name of Allah, the most merciful, most compassionate, peace and blessings of Allah be upon His messenger, his household and companions.

This research is titled: The Verses of the Good Tidings in Surat Al-Baqarah and Their Significance to Muslim Preachers (Dawah Study).

The study analyzed the verses of Quran which contained the words “the good tidings”, which are four, and I have divided the study into four chapters where each chapter discusses a verse:

- The first chapter: {And give good tidings to those who believe and do righteous deeds that they will have gardens [in Paradise] beneath which rivers flow. Whenever they are provided with a provision of fruit therefrom, they will say, "This is what we were provided with before." And it is given to them in likeness. And they will have therein purified spouses, and they will abide therein eternally. } (Al-Baqarah: 25).
- The second chapter: {Say, "Whoever is an enemy to Gabriel - it is [none but] he who has brought the Qur'an down upon your heart, [O Muhammad], by permission of Allah, confirming that which was before it and as guidance and good tidings for the believers." } (Al-Baqarah: 97)
- The third chapter: {And We will surely test you with something of fear and hunger and a loss of wealth and lives and fruits, but give good tidings to the patient, } (Al-Baqarah: 155)
- The fourth chapter: {Your wives are a place of sowing of seed for you, so come to your place of cultivation however you wish and put forth [righteousness] for yourselves. And fear Allah and know that you will meet Him. And give good tidings to the believers. } (Al-Baqarah: 223)

A description of the Surah and its name will be presented as well as the virtues that can be deduced from it. Also, the study demonstrates the reasons behind the revelation of each verse in addition to various interpretations of selected authors (Mufasssirun), and the lessons, which are deduced from the Surah, that preachers can benefit from.

As a result, it was concluded that giving good tidings falls under “the good saying” which, in fact, we are ordered, by Allah, to do {And speak to people good [words] } (Al-Baqarah: 83).

Moreover, giving good tidings was one of the prophet’s commandments, peace and blessings be upon him, where he used to instruct his messengers by saying: "Make things easy and do not make them difficult, cheer the people up by conveying glad tidings to them and do not repulse (them)." It is also worth to mention that conveying glad tidings is one of the most loved deeds to Allah, a happiness that you give to the heart of a Muslim with which you implant hope and cleanse the dust of desperation. And that is recommended to any preacher who aims to succeed in his dawah and to every Muslim individual that would like to follow the teachings of his beloved prophet, peace and blessings be upon him.

(الإعلام الحديدي وأثره في خدمة القرآن وعلومه). التطبيقات الإلكترونية للقرآن الكريم
انموذجاً - الواقع والآفاق - " ومدى الاستفادة منها والتميز بين المعتمد وغير المعتمد منها
لدى بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة وموقفهن من التطبيقات المحرفة)

د. خيرية بنت علي بن عبدالله الشهري

الاستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن - قسم علوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - جامعة جدة

مستخلص: (الإعلام الحديدي وأثره في خدمة القرآن وعلومه). التطبيقات الإلكترونية للقرآن الكريم انموذج - الواقع
والآفاق - " ومدى الاستفادة منها والتميز بين المعتمد وغير المعتمد منها لدى بعض طالبات جامعة الملك
عبدالعزيز بجدة وموقفهن من التطبيقات المحرفة)

والهدف من هذا البحث: رصد واقع التطبيقات القرآنية بين الإيجاب والسلب، وطرح أفكار تطويرية وتكاملية تهدف
إلى الارتقاء بالتطبيقات القرآنية، وقياس مدى استفادة شريحة من طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة منها،
وقياس وعيها بالمعتمد وغير المعتمد من هذه التطبيقات.

وجمع هذا البحث بين المنهج الاستقرائي - بتتبع التطبيقات الإلكترونية للقرآن الكريم -، وبين الدراسة التحليلية لهذه
التطبيقات، كما اتبع المنهج الوصفي بإجراء دراسة مسحية على شريحة من طالبات جامعة المؤسس؛ لقياس مدى
استفادتهن وعيها حيال التطبيقات القرآنية.

ومن نتائج البحث:

* قيام مراكز متخصصة في خدمة القرآن في السعودية و الكويت بدور حضاري وبناء؛ باستحداث تطبيقات ذات
جودة عالية؛ لتكون لها الريادة العالمية؛ خدمة لكتاب الله، وتصدياً للتطبيقات المشبوهة.

* الإقبال الكبير من عموم المسلمين على التطبيقات المعتمدة، حيث بلغ عدد مرات التثبيت لهذه التطبيقات ملايين
المرات.

* إقبال عدد كبير من طالبات جامعة المؤسس على تحميل التطبيقات المعتمدة، والاستفادة منها تعديلاً أو علمياً ،
وعيها بأهمية التأكد من سلامة التطبيق القرآني، وقدرة نسبة كبيرة منهن على التمييز بين التطبيقات المعتمدة،
وغير المعتمدة.

ومن التوصيات المقترحة: وجوب تحري الموثق من التطبيقات الإلكترونية ، والخالف من الأخطاء. والتوعية
المستمرة بذلك، كما يتوجب على المراكز القرآنية التعاون مع شركات ومؤسسات التقنية؛ للاستمرار في استحداث
وتطوير التطبيقات القرآنية ذات الجودة العالية، بما يتماشى مع التطور السريع في هذا المجال.
الكلمات المفتاحية: التطبيقات القرآنية ، المعتمدة ، المحرفة ، المشبوهة .

المقدمة

لقد انتهج السلف - رحمهم الله تعالى - منهاجاً فريداً

في الاستفادة من الثقافات الأخرى بما يتفق مع روح
الإسلام ومضمونها؛ ومن الحكمة أن يسخر المسلم
كل نافع لخدمة دينه ودنياه.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد
المرسلين، وحبيب رب العالمين صلى الله عليه
وسلم، ومن استن بسنته، واهتدى بهديه إلى يوم
الدين، وبعد.

وقد أدركت كوكبة مباركة من أبناء الاسلام أهمية الإعلام الجديد في الحياة بجميع جوانبها ، وسخروا هذه الأدوات المؤثرة في خدمة العلم عامة ، وخدمة القرآن وعلومه خاصة.

ولأهمية تسليط الضوء على هذا الجانب المشرق من المعرفة، واستشرافاً للمستقبل؛ اخترت أن يكون عنوان بحثي: (الإعلام الجديد وأثره في خدمة القرآن وعلومه". التطبيقات الإلكترونية للقرآن الكريم انموذج - الواقع والآفاق - ومدى الاستفادة منها والتمييز بين المعتبر وغير المعتبر منها لدى بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة وموقفهن من التطبيقات المحرفة)

وتظهر جدة هذا الموضوع ، وأصالته ؛ في محاولة خدمة كتاب الله تعالى، وتتبع وفحص التطبيقات الحديثة للقرآن الكريم والمنتشرة على الشبكة العنكبوتية، وتمييز النافع من الضار، وقياس مدى الاستفادة منها لدى شريحة من طالبات الجامعة بتخصصات مختلفة.

الهدف من هذا البحث وجديده يكمن في:

1- رصد واقع التطبيقات القرآنية بين الإيجاب والسلب.

2- طرح أفكار تطويرية وتكاملية تهدف إلى الارتقاء بالتطبيقات القرآنية.

3- قياس مدى استفادة شريحة من طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة حيال التطبيقات القرآنية،

وقياس وعيهم بالمعتبر من التطبيقات القرآنية وغير المعتبر.

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع:

١- مكانة القرآن الكريم ؛ والتي تفرض العناية بكل ما يتصل به.

٢- أهمية الإعلام الجديد وبالعالم تأثيره والتي تفرض تسخيرها لخدمة كتاب الله. الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة في هذا الموضوع وبهذه التسمية - والله أعلم .

منهج البحث: جمعت بين المنهج الاستقرائي بتتبع التطبيقات الإلكترونية للقرآن الكريم، وبين الدراسة التحليلية لهذه التطبيقات ، ثم اتبعت المنهج الوصفي بإجراء دراسة مسحية على شريحة من طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة لقياس استفادة ووعي الطالبات حيال التطبيقات القرآنية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. المقدمة: حوت على أهمية الموضوع والهدف منه، وأسباب اختياره ، ومنهجه، وخطته .

المبحث الاول: مبحث تعريفي ، وفيه مطالبين:

المطلب الأول: تعريفات الإعلام الجديد.

المطلب الثاني: أسماء الإعلام الجديد.

المبحث الثاني: التطبيقات الإلكترونية الموثوق بها للقرآن الكريم:

وفيه أربعة مطالب:

الأول: مميزات التطبيقات القرآنية.

المطلب الثاني: طرق التأكد من سلامة التطبيقات القرآنية.

المطلب الثالث: أمثلة على التطبيقات القرآنية المعتمدة، ومميزاتها، ومدى فعاليتها.

المطلب الرابع: تطوير التطبيقات القرآنية.

المبحث الثالث: التطبيقات الإلكترونية المشبوهة أو المحرفة للقرآن الكريم وفيه مطلبين:

المطلب الأول: نماذج للتطبيقات المحرفة للقرآن الكريم، وشواهد تدل على التحريف الموجود فيها.
المطلب الثاني: الموقف الأمثل من التطبيقات المحرفة أو المشبوهة .

المبحث الثالث: الإحصاءات وفيه مطالبين:

المطلب الأول: مدى استفادة بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة من التطبيقات القرآنية .
المطلب الثاني: مدى التمييز بين التطبيقات القرآنية المعتبرة وغير المعتبرة لدى بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وموقفهن من التطبيقات المحرفة.

الخاتمة، وفيها: نتائج البحث وأهم توصياته.

فهرس الموضوعات والمراجع.

المبحث الأول: مبحث تعريفى ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفات الإعلام الجديد: للإعلام الجديد عدة تعريفات، حيث يُعرف بأنه: "وسائل

الإعلام التي تعتمد على الحاسب الآلي في إنتاج وتخزين وتوزيع المعلومات، وتقدم ذلك بأسلوب ميسر وبسعر منخفض، وتضيف التفاعل المباشر، وتستلزم من المتلقي انتباهاً، وتدمج وسائل الإعلام التقليدي"^(١)

كما يُعرف بأنه: "مصطلح يضم كافة تقنيات الاتصال والمعلومات الرقمية، التي جعلت من الممكن إنتاج ونشر واستهلاك وتبادل المعلومات التي نريدها في الوقت الذي نريده وبالشكل الذي نريده؛ من خلال الأجهزة الإلكترونية (الوسائط) المتصلة أو غير المتصلة بالإنترنت، والتفاعل مع المستخدمين الآخرين كائناً من كانوا وأينما كانوا"^(٢)

المطلب الثاني: أسماء الإعلام الجديد:

يطلق على الإعلام الجديد عدة مسميات، ومصطلحات، منها: "الإعلام الرقمي، الإعلام التفاعلي، إعلام المعلومات، إعلام الوسائط المتعددة، الإعلام الشبكي الحي على خطوط الاتصال، الإعلام السيبروني، والإعلام التشيعي"^(٣)

(١) ينظر: الإعلام القديم والإعلام الجديد: هل الصحافة المطبوعة في طريقها للانقراض، سعود صالح، جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (ص ١٨٩)، وينظر: الإعلام الجديد: التد في السعودية، سعد بن محارب، جداول للنشر والتوزيع، بيروت: ٢٠١١، (ص ٥٦).

(٢) ينظر: ماهية الإعلام الجدد ، مها فالح ، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، كلية الإعلام، ٢٠١٣م، (ص ٨٧).

(٣) ينظر: التربية الإعلامية وكيف نتعامل مع الاعلام ، الشميري، فهد بن عبد الرحمن

والإعلام الجديد إعلام تعددي بلا حدود متعدد الوسائط ؛ أدى أدوراً جديدة لم يكن بوسع الإعلام التقليدي تأديتها ، فهو على سبيل المثال للحصر وسيلة تعليم ومنافساً تلقائياً للمدارس.^(١)

المبحث الثاني: التطبيقات الإلكترونية الموثوق بها للقرآن الكريم:

تعهد الله تبارك وتعالى بحفظ الكتاب العزيز؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩]، قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير الآية: "يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ وهو القرآن، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: ﴿ لَهُ ﴾ من ذكر الذكر"^(٢).

ويقول تعالى بعد أمره رسوله عليه الصلاة والسلام بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس: ﴿ وَآتُوا مَا أُوحِيَ إِلَيْكُم مِّن كِتَابِ رَبِّكُم لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [سورة الكهف: ٢٧] ، ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ أي : "لا مغير لها، ولا محرّف ، ولا مؤوّل"^(٣)، يقول العلامة السعدي - رحمه الله: "أي:

اتبع ما أوحى الله إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتنثال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي : لا تغير ولا تبدل لصدقها وعدلها ، وبلوغها من الحسن فوق كل غاية ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾ فلتتمامها استحالة عليها التغير والتبدل، فلو كانت ناقصة لعرض لها ذلك أو شيء منه، وفي هذا تعظيم للقرآن، وفي ضمنه الترغيب على الإقبال عليه"^(٤).

ومن موجبات حفظ الله لكتابه العزيز أن قيض له كوكبة مباركة في كل زمان؛ تذود عنه، وتبذل كل وقت وجهه، خدمة للقرآن الكريم ، ومن هذه الكوكبة من أوجد التطبيقات المعتمدة للقرآن الكريم؛ فسهل انتشاره وعمت الفائدة، ويسرت سبل مدارس القرآن وعلومه، وتدبره وسماع قراءات أشهر القراء في أي وقت، ومجاناً، وغير ذلك الكثير من المميزات التي تعود بالنفع والخير على الأمة.

وفي هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول: مميزات التطبيقات القرآنية.

تتميز التطبيقات القرآنية المعتمدة بعدة مميزات؛ مما جعلها توفر خيارات متنوعة، منها:

١- التنقل بسهولة بين السور والآيات.

٢- سرعة البحث عن الكلمات.

(١) ينظر: الإعلام الجديد " دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة " ، عباس مصطفى صادق، دار الشروق ، عمان، ص ٢٠.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م، (٦٨/١٧).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء القرشي الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون،

الجيزة : مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط ١، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م (١٢٦/٩).

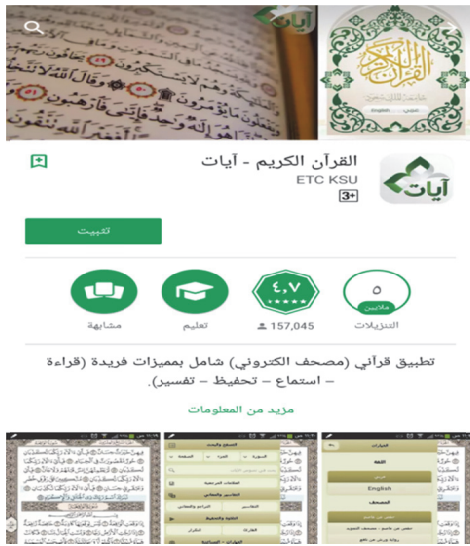
(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحم في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت: ١٣٧٦هـ) ، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م، (ص ٤٧٩).

المسلم هو أولى بها أنما وجدها، ومن الحكمة الاستفادة من ثمرات التطور التقني والثورة المعلوماتية؛ لخدمة كتاب الله تعالى .

وقد حصل ذلك - والله الحمد - فقد ظهرت تطبيقات الكترونية للقرآن الكريم معتبرة سدت ثغرة مهمة، ولبت حاجة ملحة عند عموم المسلمين.

ومن أهم هذه التطبيقات:

أ. تطبيق آيات



الصورة رقم (١)

أشرف عليه: مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية. وقد حظي هذا التطبيق بعناية بالغة، وجودة عالية، ويحتوي على مميزات متعددة منها: قراءة، استماع، تحفيظ، تفسير، وبالإمكان استخدامه بدون الحاجة للاتصال، كما أن تحميله مجاني مما منحه قبولاً كبيراً، ومما يثبت فعالية التطبيق، وإقبال المسلمين عليه: كثرة تحميله من مستخدمي الشبكات

٣- إمكانية التعرف على معاني الكلمات القرآنية.

٤- توافر أهم التفاسير للآيات القرآنية، وسهولة ظهورها.

٥- وجود ترجمة للمعاني التفسيرية للقرآن الكريم بلغات متعددة.

٦- تتيح بعض التطبيقات قائمة بالعديد من أشهر القراء في العالم الإسلامي؛ ليتمكن المستخدم للتطبيق من اختيار أي قارئ، أو التغيير السريع بينهم.

٧- بالإمكان حفظ الآية التي تم التوقف عندها؛ لاستكمال القراءة فيما بعد.

٨- إمكانية تحميل سور القرآن الكريم على الهاتف؛ لسماعها في حال عدم توفر إنترنت.

المطلب الثاني: طرق التأكد من سلامة التطبيقات القرآنية.

لمعرفة سلامة أي تطبيق قرآني وخلوه من التحريف أو السقط أو الزيادة، لابد من التأكد من عنصرين رئيسيين، وهما:

أ. مطور البرنامج .

ب. موقع الويب الخاص بمصدر التطبيق .

وفي حال لم يوجد مطور أو موقع ويب مجهول فإن الأولى عدم تحميل هذا التطبيق، والاكتفاء بالتطبيقات معروفة المصدر.

المطلب الثالث: أمثلة على التطبيقات القرآنية المعتمدة، ومميزاتها، ومدى فعاليتها:

نحن في زمن الانفتاح المعرفي عن طريق الشبكة المعلوماتية، وشبكات الحاسبات؛ والحكمة ضالة

- تظهر الآيات بدقة وجودة عالية؛ حيث اعتمد التطبيق على طبعة مجمع الملك فهد الجديدة المتميزة بجمال الخط ووضوح الرسم.
- بإمكان القارئ من التطبيق إضافة علامات المرجعية لا نهاية لها ومزامنتها تلقائياً بين جميع أجهزته.
- يقدم التطبيق كتاب المختصر في التفسير^(٣).
- بحث لحظي في كامل المصحف عن أي كلمة، وتنقل سريع لأي سورة أو صفحة أو جزء كما هو موضح في الصورة رقم (٣).

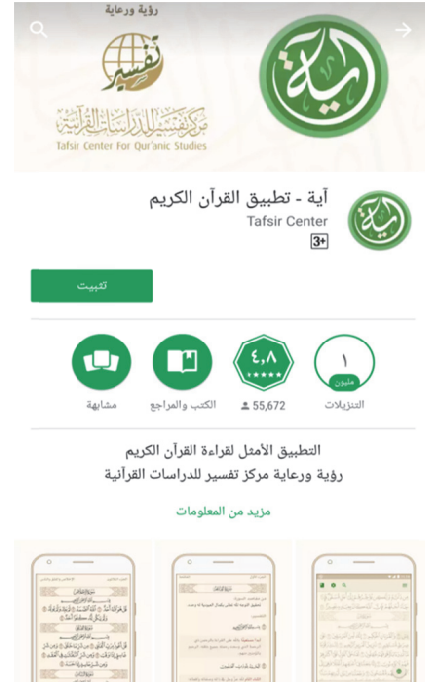


الصورة رقم (٣)

- بإمكان الآخرين مشاركة مستخدم التطبيق ما يقرأ من آيات عبر الشبكات الاجتماعية، وهذا مفيد جداً في مدارس القرآن كما هو موضح في الصورة رقم (٤).

المعلوماتية، حيث بلغ تنزيل التطبيق أكثر من خمسة ملايين مرة. كما هو موضح في الصورة (1) ^(١)

ب. تطبيق آية



الصورة رقم (٢)

اصدار: مركز تفسير للدراسات القرآنية، وهو مركز علمي وقفي، مقره الرياض، يشرف عليه نخبة من العلماء وطلبة العلم بالمملكة العربية السعودية وخارجها^(٢)

يتميز تطبيق آية بجمالية الطبعة المستخدمة، وتعتبر هذه الطبعة من أفضل الطبقات جمالية من بين الطبقات المستخدمة بالتطبيقات الأخرى، و يتميز التطبيق أيضاً بمجموعة من المميزات الرائعة.

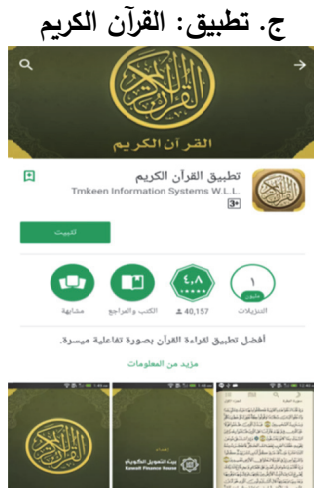
مميزات تطبيق آية :

- تعد طبعة التطبيق من أجمل الطبقات المستخدمة في التطبيقات الأخرى.

^(٣) قام بهذا المشروع نخبة من اساتذة التفسير والدراسات القرآنية تحت إشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية.
https://www.tafsir.net/publication/ ٥٢٩٤

^(١) <http://quran.ksu.edu.sa/ayat>
^(٢) <http://www.tafsir.net>

كل هذه المميزات وأكثر مقدمة من تطبيق آية^(١).



الصورة رقم (٦)

وهذا التطبيق إهداء من بيت التمويل الكويتي^(٢) يعرض القرآن الكريم بصورة ميسرة تفاعلية، ويستطيع مستخدمه التفاعل مع كتاب الله تعالى ببشر وسهولة، وفي الآن ذاته يحتفظ بجماليات المصحف الشريف^(٣) ويعد من التطبيقات المعتبرة والمعتمدة حيث أوصت به الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي^(٤)

(١) <https://www.tech-wd.com/wd/٤/٠٣/٢٠١٤>

(٢) بيت التمويل الكويتي: مصرف إسلامي يوفر خدمات مصرفية تجارية استثمارية ومتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية.

<https://www.kfh.bh/ar/kuwait-finance-house>

(٣) <https://play.google.com/store/apps/details?id=com.tmk.keen.alquran&hl=ar>

(٤) <http://www.hqmi.org.sa/page.php?id=٢٧١>



الصورة رقم (٤)

- نسخ النص القرآني لاستخدامه فيما بعد .
- تحميل التلاوات الصوتية للقراء: عبدالباسط عبدالصمد، ومحمد المنشاوي، ومحمود الحصري؛ وسماعها في حال عدم توفر اتصال بالإنترنت.
- تدوين الملاحظات واستعراضها جميعاً بشكل متسلسل وجميل.
- الإحتفاظ بسجل الصفحات التي زرها مستخدم التطبيق كاملة، فيمكنه الذهاب إلى أي منها بلمسة واحدة.
- واجهة للقراءة الليلية في الأماكن المظلمة ، كما هو موضح في الصورة رقم (٥).



الصورة رقم (٥)

د. تطبيق " القرآن الكريم "

كما يمكنه معرفة المعنى على مستوى جذر الكلمة،
الإعراب، واللفظ

* يحتوي التطبيق تفسير القرآن الكريم، ومعاني
الكلمات بالعربية وترجمتها إلى الإنجليزية في الآن
ذاته، ويعرض في نصف الأيمن من الشاشة
القرآن، وفي النصف الأيسر تفسير الآية الجارية
قراءتها .

* يتضمن التطبيق تسجيلات لمشاهير القراء،
بإضافة إلى خدمة تكرار الآية، وإمكانية البحث من
خلال القرآن (٢)

ويعد من التطبيقات المعتبرة والمعتمدة حيث أوصت
به "الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة
لرابطة العالم الإسلامي" (٣)

و. تطبيق القرآن العظيم | وقف الراجحي



(٤) "أوقاف والدة بدر بن صالح الراجحي، ومن
تصميم وتطوير شركة الدار العربية لتقنية المعلومات

(٢) <http://alrajhibank.com.sa/ar/personal/services/pages/alrajhi-quran-app.aspx>

(٣) موقع الهيئة العالمية للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي

<http://www.hqmi.org.sa/page.php?id=271>

(٤) الشركة العربية لتقنية المعلومات <http://arabia-it.com>



وهذا التطبيق لأجهزة الإندرويد مجاناً وقف الأخوين
الشيخين: عبد العزيز وسعد الموسى، ويتميز ببسر
الاستخدام، والتفاعل مع الآيات، وبإمكان القارئ
نقل أي نص إلى أي تطبيق آخر عن بالتظليل
عليه ونسخه، كما يتميز المصحف بإمكانية البحث
النصي في كتاب الله تعالى (١).

هـ. تطبيق "بيان القرآن"



وهو إهداء من مصرف الراجحي

يتميز تطبيق بيان القرآن بعدة مميزات، أهمها:

* بإمكان القارئ أن يحصل على مفردات كلمات
القرآن بالنقر الطويل على أي كلمة في القرآن الكريم،

(١) وقف سعد وعبد العزيز الموسى
<https://alhussainicharity.org/partners/> #٢

المتخصصة في برامج القرآن الكريم والسنة النبوية^(١).

من أهم مميزات تطبيق "القرآن العظيم":

مصحف معتمد وموثق *

معتمد من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف والأزهر الشريف، وتم إعداده ومراجعته من قبل فريق عمل متخصص في القرآن ولجنة علمية مجازة بالقراءات العشر للقرآن.

نص عالي الجودة *

نص عالي الجودة للمصحف العثماني المطابق للطبعة الأخيرة من مصحف المدينة النبوية.

تلاوة الآيات *

التلاوة الصوتية لآيات القرآن الكريم بصوت سبع قراء مشاهير، بدون الحاجة للإنترنت.

التحفيظ *

تسهيل حفظ القرآن بترديد النطاق آية آية حسب الاختيار.

المشاركة *

مشاركة آيات المصحف بالرسم العثماني أو الإملائي بالتشكيل أو بدونه والفوائد القرآنية بشكل تفاعلي جميل عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

البحث *

محرك بحث نصي متقدم وسريع مبني على محلل صرفي دقيق لآيات القرآن، يمكنك من خلاله الوصول لأي آية في ثوان معددة.

الختمة *

طريقة مبتكرة تفاعلية سهلة تساعدك على متابعة ختمة أو عدد من الختمات وتذكيرك بقراءة الختمة بشكل يومي وتحفز القارئ المداومة على قراءة القرآن.

القراءة الليلية *

تغيير كامل للخلفية بلون داكن لراحة العينين في التصفح.

الفاصلة *

بإمكانك تحديد صفحة أو حتى آية وإضافة فاصلة لها للوصول السريع إليها لاحقاً وإمكانية تزامنها عبر iCloud للتمكن من استعراضها على جميع

أجهزتك

تدوين الملاحظات *

دون ملاحظتك على آيات القرآن أثناء التلاوة، واستعراضها في أي وقت تشاء، وسيترط بتلقائياً عبر iCloud للتمكن من استعراضها على جميع أجهزتك

الفوائد اليومية *

مواضع وتأملات على شكل إخطارات يومية

خدمات الصفحة *

الانتقال بين صفحات القرآن العظيم بكل سهولة، إما عن طريق الشريط أو الانتقال المباشر لرقم الصفحة وإمكانية إظهار وإخفاء إطار المصحف وتغيير لون الخلفية وعرض فهرس السور والأجزاء وتصنيف السور مكية أو مدنية

إعدادات العرض*

تحكم كما تشاء في طريقة عرض النص داخل المكتبة، تكبيره أو تصغيره، تغيير لونه أو حتى تغيير نوع الخط

المكتبة القرآنية*

مكتبة قرآنية تلبي احتياجات المستخدمين بدون الحاجة للإنترنت

تفاسير و اسباب النزول و معاني الكلمات و الاعراب و تدبر الآيات وأحكام الآيات و ترجمه بعدة لغات.

متعدد اللغات*

اختيار اللغة المناسبة (عربي - انجليزي - فرنسي) وذكره الجهة المطورة بأنه سيتم إضافة لغات أخرى^(١).

المطلب الرابع: تطوير التطبيقات القرآنية.

إن التطبيق الذي لا يواكب الجديد يعتبر منسياً، من هذا المنطلق يتوجب على الهيئات العلمية المعتبرة بالتعاون مع مراكز التقنية والتي واكبت روح العصر وسدة ثغرة مهمة ولبة حاجة ملحة لدى أمة الإسلام؛ أن لا تتوقف في تطوير هذه التطبيقات المباركة؛ تطويراً مستمراً يواكب التغيير السريع في عالم التقنية، وبذلك تتحقق الرسالة السامية لهذه المؤسسات الرائدة والتي قيصها الله لخدمة كتابة العزيز.

المبحث الثالث: التطبيقات الإلكترونية المشبوهة أو المحرفة للقرآن الكريم وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: نماذج للتطبيقات المحرفة للقرآن الكريم، وشواهد تدل على التحريف الموجود فيها: نهبت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي من تطبيقات للقرآن الكريم فيها تحريف وسقط لبعض الآيات والكلمات ، وجاء في بيان الهيئة: أن:

"هناك عشرات الرسائل عبر البريد الإلكتروني وحسابات في وسائل التواصل، كلها تشكو من وجود أخطاء وتحريفات في بعض آيات القرآن الكريم على شبكة الإنترنت، وتطبيقات القرآن الكريم المحرفة على متجر الموقع التسويقي آبل ستور Apple Store ، و غوغل بلاي Google Play وغيرهما"^(٢)

ثم أورد البيان: "لاحظنا بالفعل أن التطبيقات القرآنية المحرفة على الأجهزة الذكية في متجر المواقع التسويقية قد وقع فيها التحريف؛ من ناحية نقص في حرف أو كلمة أو في بعض الآيات أو تقديم أو تأخير أو تغيير في الحركات؛ ما يؤدي إلى تغير المعنى أو الإعراب أو حتى أخطاء تقنية نتج عنها حذف لبعض الصفحات بقصد أو بدون قصد"^(٣)

^(٢) <http://www.hqmi.org.sa/page.php?id=٢٧١>

^(٣) <http://www.hqmi.org.sa/page.php?id=٢٧١>

^(١) <https://play.google.com/store/apps/details?id=com.ara&hl=ar%biait.quran.v>

ب. تطبيق quran360:

وهذا شعارة :



وقع في هذا التطبيق أخطاء كثيرة، منها: أخطاء في حركة الكلمة القرآنية، واتصال حروفها، وغير ذلك^(٧) وهذا مثال على الخطأ الموجود بهذا التطبيق:



ج. تطبيق : " القرآن الكريم "

وهذا شعاره:



وبعد هذا التتبع ذكرت الهيئة في البيان لأمثلة لهذه

التطبيقات، ومصدرها:

فمن أمثلة هذه التطبيقات المحرفة للقرآن الكريم:

أ. تطبيق القرآن:

ومن التطبيقات التي انتشرت هذا التطبيق الذي حذر منه بيان الهيئة العالمية للكتاب والسنة؛ ووضح البيان أن هذا التطبيق متواجد على متجر: أبل ستور، ومسجل باسم مطوره (A.S.H) اليهودي، وفيه نقص في الكلمات والأحرف، وغيرها من التطبيقات المحرفة، التي وصل عددها إلى إحدى عشر تطبيقاً. ثم أوضح البيان أن منشأ التطبيق، اتخذ غلافه صورته - افتراء - مطابقة لمصحف المدينة النبوية بمجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف^(١).

مثال على التحريف الموجود في هذا التطبيق:



<http://www.hqmi.org.sa/page.php?id=۲۷۱> (1)

مرات تحميلاتها على (٧٠ مليون) مرة فيما يفوق عدد تطبيقات القرآن الكريم في المنصات الأخرى كمنصة تطبيقات (Android) ، و (Google Play) (700) ألف تطبيق، حتى شهر مارس ٢٠١٢ ميلادي، ومنصة ((Windows Phone ما يشكّل صعوبة التعامل معها بسبب عمليات الرفع المتتابع للتطبيقات المتعلقة بالقرآن الكريم يوماً بعد يوم. " (٢)

المطلب الثاني: الموقف الأمثل من التطبيقات المحرفة أو المشبوهة .

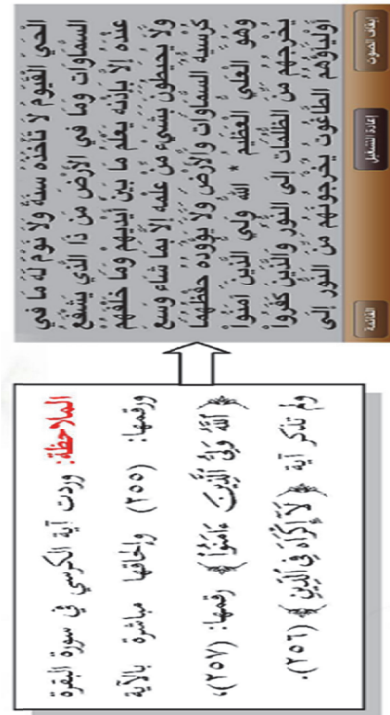
يتمثل الموقف السديد من هذه التطبيقات المحرفة لكتاب الله تعالى فيما يلي:

١ - الحذر منها:

وقد حذرت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المطلب السابق، وكذا مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في بادرة مباركة، وبعد إجراء دراسة شاملة على التطبيقات المتعلقة بالقرآن الكريم؛ بهدف تقويمها، حذر المجمع من الأخطاء والتحريفات في محتواها (٣) .

٢ - التبليغ عنها:

يتوجب على المسلم إنكار المنكر بما يستطيع، وبالتوضيح للناس ولو بكلمات تكتب في المتجر تبين للناس بالشاهد بأن هذا التطبيق فيه تحريف.



ومن المسلم به كثرة التطبيقات الموجودة والتي تحوي تحريفاً متعمداً و خطأ في الكتابة؛ لكونها مكتوبة بالرسم الإملائي، بل إنه يصعب حصرها كما ذكر مدير مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه بـ (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة) (١) . ولفت الأمين العام للمجمع د. محمد العوفي إلى " تعذر الإحاطة بكافة التطبيقات التي تحوي آيات قرآنية محرّفة في فضاء الإنترنت أو تحديدها لمراجعتها، بالنظر إلى العدد الهائل الذي تحويه منصات التطبيقات في المتاجر العالمية الشهيرة، مبيناً أن متجر (AppStore) التابع لشركة أبل - مثلاً - تجاوزت أنواع التطبيقات فيه مليون تطبيق حتى أبريل من عام ٢٠١٤م، وزادت

(٢) وكالة الأنباء السعودية واس <http://www.spa.gov.sa>

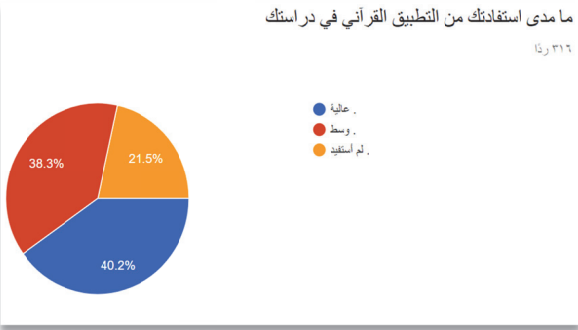
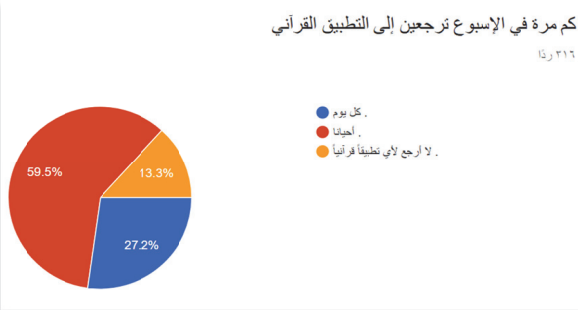
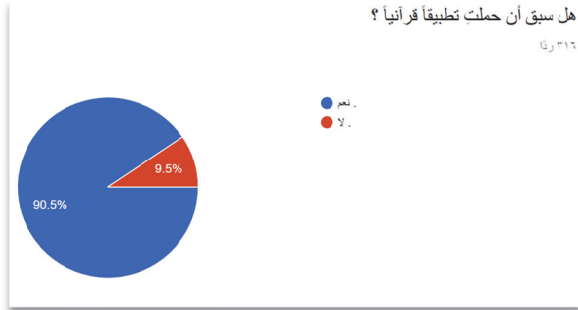
(٣) وكالة الأنباء السعودية واس <http://www.spa.gov.sa>

(١) وكالة الأنباء السعودية واس <http://www.spa.gov.sa>

وموقفهن حيال اكتشاف تحريف أوسقط في التطبيق^(٢).

وفي هذا المبحث مطلبين:

المطلب الأول: مدى استفادة بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة من التطبيقات القرآنية :



وكان لمركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه ب (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة) قدم السبق في الذود عن القرآن الكريم ؛ حيث أجرى تنسيقاً عاجلاً مع الجهات ذات العلاقة؛ لاتخاذ اللازم وتكامل الإجراءات المتطلبة لحجب هذه التطبيقات المحرّفة، ومخاطبة شركة (أبل) لحذف (١٢) تطبيقاً تحوي أخطاء على متجر (App Store) ، وكذلك مخاطبة شركة (google) لحذف سبعة تطبيقات محرّفة على متجر (Android)، ومخاطبة شركة ميكروسوفت لحذف تطبيقين فيهما أخطاء على متجر (Windows Phone^(١)).

٣- تقديم البديل الصحيح والمطور :

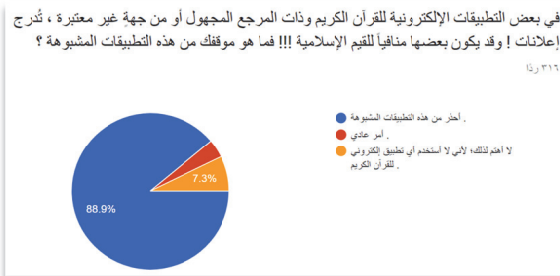
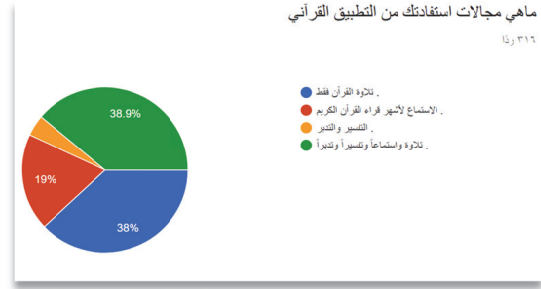
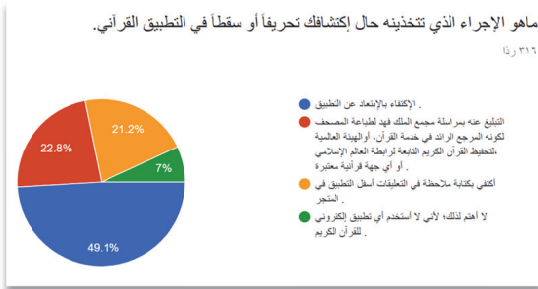
فيما سبق في المطلب الثاني من المبحث الثاني: التطبيقات الإلكترونية الموثوق بها للقرآن الكريم. أمثلة على البدائل الصحيحة، كما يتوجب التطوير المستمر لهذه التطبيقات لتواكب التطور المتسارع في هذا مجال.

المبحث الثالث: الإحصاءات

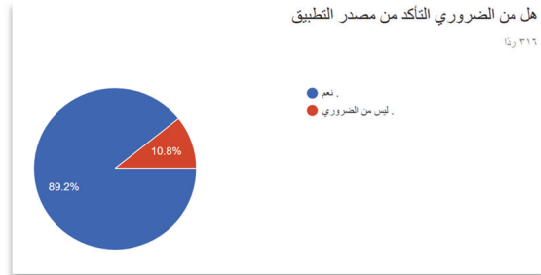
تم اعداد استبيان يقيس مدى الاستفادة من التطبيقات القرآنية لدى شريحة من طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة من تخصصات متنوعة بلغ عددهن ٣١٦ طالبة، كما يقيس الاستبيان مدى وعيهن وتميزهن بين التطبيقات المعتبرة وغير المعتبر،

(2) رابط الاستبيان <https://goo.gl/forms/Q3AliXnXQM1sHwL1I>

(1) وكالة الأنباء السعودية واس <http://www.spa.gov.sa>



المطلب الثاني: مدى التمييز بين التطبيقات القرآنية
المعتبرة وغير المعتبرة لدى بعض طالبات جامعة
الملك عبدالعزيز بجدة، وموقفهن من التطبيقات
المحرفة



*رابط ردود الاستبيان

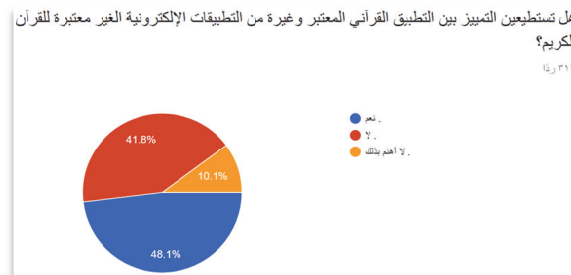
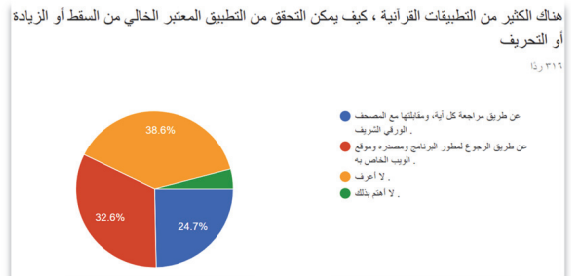
https://docs.google.com/forms/d/1xKCWToCvcPi9iVykkP_pWbWa1x1vIK2wF98_MNYDwv0/edit#responses

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
 نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
 وبعد.

أهم النتائج المستخلصة:

١- قامت مؤسسات علمية ومراكز متخصصة في
 القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية ودولة
 الكويت بدور حضاري وبناء؛ باستحداث التطبيقات
 القرآنية ذات الجودة العالية؛ لتكون لها الريادة
 العالمية، خدمة لكتاب الله تعالى وتسهيل تلاوته
 وتدبر معانيه، ومواجهة تحريفات التطبيقات
 الإلكترونية المشبوهة أو مجهولة المصدر.



٣-يتوجب على المراكز القرآنية التعاون مع شركات ومؤسسات التقنية المتخصصة في مجال التقنية؛ للاستمرار في استحداث التطبيقات القرآنية ذات الجودة العالية، والتطوير المستمر لها بما يتماشى مع التطور السريع في هذا المجال.

٤-أن تقوم الجمعيات والهيئات العلمية للقرآن الكريم وعلومه بتكوين لجان متخصصة ، مهمتها: مراجعة دقيقة لمحتوى المواقع والتطبيقات القرآنية، وتشيد بالمعتبر منها، وتحذر من التطبيقات المشبوهة والمحرفة .

٥-يتوجب على المعلمين والمعلمات عموماً، وأساتذة الجامعات خصوصاً التوجيه والارشاد لأهمية وكيفية التحري والتدقيق والحذر عند استخدام التطبيقات القرآنية الغير معتبرة، بل والبعد عنها تماماً، وتبليغ الجهات القرآنية المعتبرة عنها، مثل: مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، أو الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي، أو الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والمنتشرة بالمملكة العربية السعودية،

٦-ينصح بعمل مسابقات في المدارس والجامعات لكشف تحريفات التطبيقات الالكترونية الغير معتبرة ؛ لنشر ثقافة التحري والتدقيق.

٢-محاولة النيل من القرآن العزيز من قبل بعض المغرضين بإنشاء تطبيقات محرفة لآيات القرآن، ولكن الله تعهد بحفظه فهيأ لهم من ولتقطع الطريق على تلك التطبيقات المحرفة؛ ابناء الإسلام من تتبع هذا الزيغ وكشفه.

٣-ظهور تطبيقات هدفها الربح المادي _ لعلمهم بتعلق المسلمين بكتاب ربها عز وجل _ فاشتملت هذه التطبيقات على إعلانات، وفي ذلك عدم تأدب مع كتاب الله، فضلاً عن كون بعضها يعرض صوراً منافيةً للقيم الإسلامية.

٤-الإقبال الكبير من عموم المسلمين على التطبيقات المعتبرة، بدليل: بلغ عدد مرات التثبيت لهذه التطبيقات المعتبرة ملايين المرات.

٥-اقبال طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة على تحميل التطبيقات المعتبرة ، والاستفادة منها تعبدياً أو علمياً.

٦-وعي طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة بأهمية التأكد من سلامة التطبيق القرآني.

٧-قدرة نسبة كبيرة من طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة على التمييز بين التطبيق المعتبر، وغير المعتبر.

من التوصيات المقترحة:

١- الحذر من استخدام برامج أو التطبيقات الإلكترونية مشبوهة أو مجهولة المصدر.

٢- وجوب تحري التطبيقات الموثقة، والخالية من الأخطاء.

المراجع

- الإعلام الجديد في السعودية، المحارب، سعد بن محارب، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.
- ماهية الإعلام الجديد، مها فالح، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، كلية الإعلام، ٢٠١٣م.

المواقع الإلكترونية

- برنامج آيات - مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود
- <http://quran.ksu.edu.sa/ayat->
- تطبيق آية
- <https://play.google.com/store/apps/details?id=com.ayah&hl=ar>
- تطبيق بيان "مصرف الراجحي"
- <http://alrajhibank.com.sa/ar/personal/services/pages/alrajihi-quran-app.aspx>
- تطبيق القرآن الكريم "بيت التمويل الكويتي"
- <https://play.google.com/store/apps/details?id=com.tmkeen.alquran&hl=ar>
- تطبيق القرآن الكريم "وقف والد بدر بن صالح الراجحي وأولادها"
- <http://arabia-it.com/rajhi/QuranAr.html>
- بيت التمويل الكويتي
- <https://www.kfh.bh/ar/kuwait-finance-hous>
- شبكة الألوكة
- <http://www.tafsir.net>
- الشركة العربية لتقنية المعلومات.
- <http://arabia-it.com>
- عالم التقنية
- <https://www.tech-wd.com/wd/>

- القرآن الكريم.
- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ، ١/٢٠٠٠ م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بنعمر أبو الفداء القرشي الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، الجيزة: مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط ١، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠ م.
- تيسير الكريم الرحم في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ، ١/٢٠٠٠ م.
- التربية الإعلامية وكيف نتعامل مع الاعلام، الشميمري فهد بن عبدالرحمن
- http://www.saudimediaeducation.org/index.php?option=com_content&view=article&id=119:2010-10-19-15-05-28&catid=40:2010-10-19-13-51-04&Itemid=77
- الإعلام الجديد " دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة "، عباس مصطفى صادق، دار الشروق، عمان.
- الإعلام القديم والإعلام الجديد: هل الصحافة المطبوعة في طريقها للانقراض، كتاب، سعود صالح، جدة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر.

٢٦-٢٤	المطلب الثاني: مدى التمييز بين التطبيقات القرآنية المعتبرة وغير المعتبرة لدى بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وموقفهن من التطبيقات المحرفة
٢٨-٢٦	الخاتمة
٣٠-٢٨	فهرس المصادر والمراجع
٣٠	فهرس الموضوعات

- الهيئة العالمية للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي

<http://www.hqmi.org.sa/page.php?id>

- وكالة الانباء السعودية

واس <http://www.spa.gov.sa>

- وقف سعد وعبدالعزیز الموسی

<https://alhussainicharity.org/partners/>

فهرس الموضوعات

٢	المُقَدِّمَة
٥	المبحث الأول: مبحث تعريفي
٥	المطلب الأول: تعريفات الإعلام الجديد
٥	المطلب الثاني: أسماء الإعلام الجديد
٦	المبحث الثاني: التطبيقات الإلكترونية الموثوق بها للقرآن الكريم
٧	المطلب الأول: مميزات التطبيقات القرآنية
٧	المطلب الثاني: طرق التأكد من سلامة التطبيقات القرآنية
١٥ - ٧	المطلب الثالث: أمثلة على التطبيقات القرآنية المعتمدة، ومميزاتها، ومدى فعاليتها
١٦	المطلب الرابع: تطوير التطبيقات القرآنية
١٦ -	المبحث الثالث: التطبيقات الإلكترونية المشبوهة
٢١	أوالمحرفة للقرآن الكريم
١٦ -	المطلب الأول: نماذج للتطبيقات المحرفة للقرآن الكريم، وشواهد تدل على التحريف الموجود فيها
٢١ -	المطلب الثاني: الموقف الأمثل من التطبيقات المحرفة أو المشبوهة
٢٢	المبحث الثالث: الإحصاءات
٢٢	المطلب الأول: مدى استفادة بعض طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة من التطبيقات القرآنية

**The New Media and Its Impact on the Service of Quran and Its Sciences:
Electronic Applications of the Holy Quran – Reality and Prospects- and the
Extent of Benefit and the Distinction between Considered and Unconsidered
Applications by Some Students at King Abdulaziz University in Jeddah, and
Their Attitude toward Distorted Applications**

Khairiah Ali Alshehri

Associate professor

Department of Quran Sciences

College of Quran Kareem and Islamic Studies

University of Jeddah

Abstract. This current study aims to examine the reality of positive Quranic applications and negative Quranic applications, generating advanced and inclusive ideas which target the development of the Quranic applications, and measuring to which extent this group of students at King Abdulaziz University in Jeddah benefited from these applications, estimating their awareness of the consideration of these applications.

This study combines several methods: the inductive method - following the electronic applications of the Holy Quran -; the analytical study of these applications; and the descriptive approach by conducting a survey on a group of students at King Abdulaziz University in Jeddah to measure the extent of their awareness of and benefit from these Quranic applications.

The main results of the current study confirm the civilized and vital role of the specialized centers in the service of the Quran in Saudi Arabia and Kuwait in developing applications of high quality for having a global leadership in serving the holy book and responding to suspicious applications. These applications have been installed millions of times by a great turnout of Muslims. Also, a large turnout of many students at the University have downloaded the considered applications, using them in a devotional or scientific purposes with self-awareness of the importance of ensuring the validity of the Quranic applications, distinguishing between considered and unconsidered applications. These results

suggest that these applications should be investigated to make sure they are error-free. Also, the Quranic Centers should

cooperate with technology companies and institutions to continue developing high quality Quranic applications in line with the rapid development of this field.

Keywords: Quranic applications; considered; distorted; suspicious

الدروس العقدية من صلح الحديبية

د. مريم بنت علي الحوشاني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك، كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص. الحمد لله رب العالمين والصلاة على نبينا محمد وعلى آله وصحابه اجمعين أما بعد:
فالمأمل في السيرة النبوية وأحداثها يجد أنه أمام مدرسة تربوية وعقدية وسياسية عظيمة، ومن تلك الاحداث صلح الحديبية الذي كان منعطفاً مهماً في مسيرة الدعوة الإسلامية، ولأهمية هذا الحدث كان هذا البحث الموسوم بـ(الدروس العقدية من صلح الحديبية) وفق خطة تكونت من تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وفهارس، واشتمل التمهيد على بيان مكان وزمن ومدة الصلح والذي حدث في يوم الاثنين من ذي القعدة سنة ست من الهجرة في الحديبية وسمي الصلح بها وكانت مدته عشر سنين. ثم تحدثت المبحث الأول عن أسباب الصلح وكان منها أن النبي -ﷺ- قدم مكة يريد العمرة لا القتال، واصرار كفار قريش على منعهم دون مواجهة عسكرية لخوفهم من المسلمين وخاصة بعد بيعة الرضوان، واعتقاد كفار قريش أن الصلح سيعود عليهم بالخير والنفع. ثم كان المبحث الثاني في الحديث عن كتابة الصلح وبنوده والتي بلغت ستة بنود منها: رجوع المسلمين دون عمرة وقضاؤها العام المقبل، ارجاع كل قرشي يريد الإسلام إلى قريش، وقبول كل مسلم يأتي لقريش، وضع الحرب عشر سنين بينهم، وفي المبحث الثالث ارتكز الحديث عن الدروس العقدية المستوحاة من صلح الحديبية والتي منها: أن رؤيا الأنبياء وحي، واستحباب الغال وإحسان الظن بالآخرين، وآية تكثير الماء دليل على نبوته -ﷺ-، ووجوب التسليم لله ورسوله -ﷺ-، ووجوب محاسبة النفس، وجواز القيام على رأس الكبير وهو جالس، وكفر من اعتقد تأثير الكواكب، وحكم التبرك بأثار النبي -ﷺ- الشريفة، وموافقة الكفار في بعض طلباتهم لا تعني موالاتهم ومحبتهم، ووجوب طاعة ولي الأمر، وتعظيم حرمة الله، وأن قضاء الله كله خير، وعدم تحكيم الأهواء، وحب الصحابة للنبي -ﷺ-. وفي المبحث الرابع إشارة مختصرة للفوائد والمكاسب التي حققها صلح الحديبية ومنها فتح مكة، والاعتراف الرسمي بالإسلام ودولته، والقضاء مهابة المسلمين في قلوب الأعداء، وتفرغ الرسول -ﷺ- للدعوة لله، ومحاربة اليهود ومن يناوئهم، واستراحة المسلمين من الحرب. ثم ختم البحث بخاتمة اشتملت على نتائج وتوصيات استخلصت أثناء البحث وذيل البحث بنهايته بفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة

صاحب الحوض والشفاعة، المبعوث بين يدي

الساعة بالإنذار والتبيين، نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين،

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،

أما بعد: فَإِنَّ اللَّهَ - ﷻ - أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ للدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له، وهدم صروح الشرك والوثنيات، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، وغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم. في أعظم حدث من أحداث السيرة النبوية العطرة، وهو صلح الحديبية كان للنبي - ﷺ - فيه مواقف ودروس عقدية عظيمة، تستحق الوقفة والتأمل، واستلهاهم عبرها، وفقه دلالتها؛ لتكون عقيدة، ومنهجًا، وسلوكًا يسير وفقه المسلم في سيره لله - ﷻ -.

لقد كان لصلح الحديبية أهمية كبيرة في تغيير مجرى الأحداث بين المسلمين والمشركين، بين التوحيد والوثنية، فقد اشتمل على كثير من الدروس العقدية التي يحسن استنباطها والوقوف عليها. في محاولة لبيان تلك الدروس في هذا الصلح وقع الاختيار على هذا البحث الموسوم بـ (الدروس العقدية في صلح الحديبية).

كان اختيار هذا الموضوع للأسباب التالية:

١- عدم الكتابة في هذا الموضوع - حسب اطلاعي -، وهو حصر الدروس العقدية في صلح الحديبية ببحث مستقل.

٢- أهمية هذا الحدث في تاريخ الإسلام؛ كونه نقطة تحول في مسار الدعوة الإسلامية، واشتماله على دروس متنوعة تربوية، وعقدية، وسياسية، ودعوية، وإعلامية.

٣- بُعد جيل الشباب اليوم عن دراسة السيرة النبوية دراسة واعية، واستخلاص العبر منها والدروس،

والمنهج القويم الذي يجب أن يسيروا عليه مقتفين أثر نبيهم - ﷺ - سائرين على سنته. أهمية البحث: تبرز أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

١- تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية موضوعها، وهو موضوع متعلق بالعقيدة الصحيحة التي قال الله - ﷻ - عنها: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩_٨٨] وبالسيرة النبوية الشريفة.

٢- بعث الهمة في نفوس الدعاة وطلبة العلم والشباب قاطبة لدراسة السيرة النبوية، واستخلاص الدروس والعبر منها؛ لتكون منهجًا وسلوكًا يسير العبد عليه. ٣- بيان الدروس العقدية في صلح الحديبية بأسلوب سهل مبسط.

الدراسات السابقة:

سبقني جمع من العلماء وطلبة العلم الأجلاء في التأليف حول استنباط الدروس من صلح الحديبية باختلاف أنواعها: دعوية، وفقهية، وتربوية، وأصولية، ولم تكن الدروس العقدية أحد هذه المؤلفات، فلم تغرد ببحث مستقل شامل - حسب علمي - عدا بعض المقالات المختصرة على مواقع الإنترنت.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم معرفة كثير من الناس بالدروس العقدية في هذا الصلح العظيم، التي قد

اتفقت الروايات أن المكان الذي جرى فيه الصلح هو: الحُدَيْبِيَّة وسُمِّي الصلح بها، وهي قرية متوسطة سُمِّيَت ببئر هناك، وقيل: نسبة لشجرة حدباء صغرت فسمي بها المكان، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم، وموقعها في زماننا اليوم يسمى (الشميسي).^(١) تقع غرب مكة منحرفة لجهة الشمال على بعد (٢٢ كيلو) على طريق جدة.^(٢) وأما زمانه: فقد أجمع المسلمون أن الحديبية كانت سنة ست من الهجرة من ذي القعدة، يوم الإثنين وحكى النووي، وابن كثير، وابن حجر وغيرهم هذا الإجماع^(٣)، ووردت روايات شاذة لم تثبت أنه في شوال، وأنه في السنة الخامسة^(٤).

وأما مدته: فقد اختلف العلماء فيها، والمحفوظ عنهم وفق ما جاء في بعض الروايات الصحيحة أن مدته كانت عشر سنين كما رواه ابن إسحاق، وقيل: سنتين، وقيل: أربع سنوات، وعلق ابن حجر على هذه الأقوال بقوله: (هذا القدر الذي ذكره ابن إسحاق أنه مدة الصلح هو المعتمد، وبه جزم ابن سعد، وأخرجه الحاكم من حديث علي نفسه، ووقع في مغازي بن عائذ في حديث ابن عباس وغيره، أنه كان سنتين، وكذا وقع عند موسى بن عقبة، ويجمع بينهما بأن الذي قاله ابن إسحاق هي المدة التي وقع

خفي بعضها على بعض الصحابة - ﷺ - بادي الأمر، كالحكم العظيمة وراء هذا الصلح وثماره.

منهج البحث:

قامت الدراسة على المنهج الاستقرائي، القائم على استقراء النصوص الواردة في الصلح، ثم منهج تحليل المضمون واستخراج الدروس العقدية منها، وهو أحد أشكال المنهج الوصفي.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس، على التفصيل الآتي: مقدمة.

تمهيد: في مكان الصلح، وزمانه، وأسبابه.

المبحث الأول: أسباب الصلح.

المبحث الثاني: كتابة الصلح، وبنوده.

المبحث الثالث: الدروس العقدية المستنبطة من صلح الحديبية.

المبحث الرابع: فوائد ومكاسب صلح الحديبية.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد:

كان صلح الحديبية منعطفًا مهمًا في مسيرة الدعوة الإسلامية؛ حيث تمخضت عنه دروس عقدية ونتائج، وحصل بعده أحداث مهمة في تاريخ الإسلام، يحسن قبل البدء في الحديث عنها إلقاء الضوء على مكان الصلح، وزمانه، ومدته.

مكان الصلح، وزمانه:

(١) سميت بذلك: نسبة إلى رجل يدعى الشميسي حفر بئرًا هناك فغلب اسمه عليها، انظر نسب حرب (٥٣٠).

(٢) انظر معجم البلدان (٢٢٩/٢) الحموي، وشرح النووي على مسلم (٦٠/٢)، وفتح الباري (٣٣٤/٥)، ومرويات غزوة الحديبية (١٩) حافظ الحكمي.

(٣) المجموع (٧٢/٧) النووي، والبداية والنهاية (١٦٤/٤) ابن كثير، وتلخيص الحبير (٩٠/٤) ابن حجر.

(٤) انظر مرويات غزوة الحديبية (٣٠٠، ٣٣٢) حافظ الحكمي.

الصلح عليها، والذي ذكره بن عائد وغيره هي المدة التي انتهى أمر الصلح فيها حتى وقع نقضه على يد قريش... وأما ما وقع في كامل بن عدي، ومستدرك الحاكم، والأوسط للطبراني من حديث ابن عمر، أن مدة الصلح كانت أربع سنين فهو مع ضعف إسناده منكر مخالف للصحيح^(١).

المبحث الأول: أسباب صلح الحديبية:

لقد ظلت مشاعر المسلمين وقادة تتطلع إلى زيارة بيت الله الحرام، ودخول بلدهم الذي أخرجوا منه ظلماً وعدواناً، وما اليوم الذي خرج فيه النبي - ﷺ - على أصحابه ليخبرهم برؤياه التي رأى فيها دخوله وصحبه لمكة، وطوافه بالبيت الحرام، وحلق بعضهم وتقصير البعض، فاستبشر المسلمون بهذه الرؤيا لعلمهم أن رؤيا الأنبياء حق، وذهب بعض أهل العلم إلى أن تلك الرؤيا كانت سبب خروج النبي - ﷺ - وصحبه للحديبية، وممن ذهب لذلك الواقدي واليعقوبي، والزرقاني وغيرهم.^(٢)

وذهب أهل التفسير إلى أن هذه الرؤيا هي التي ذكرها الله - ﷻ - بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ٢٧]، فروى ابن جرير عن ابن زيد، في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ

الْحَرَامَ﴾ إلى آخر الآية. قال: قال لهم النبي - ﷺ -: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ، فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله - ﷻ -: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.^(٣) وذهب البعض إلى أن الرؤيا كانت بعد الخروج إلى الحديبية، وحاولت طائفة ثالثة الجمع بين القولين، وجعل رؤيا الحديبية رؤيا ثانية، ولكن الصحيح الذي تشهد له الروايات أن الرؤيا كانت واحدة، قبل صلح الحديبية^(٤).

ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان، وفيه: (قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - ﷺ - فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نَعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذْنًا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَغْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوْ لَيْسَ كُنْتُ تَحَدَّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ).^(٥)

ولما أراد الرسول - ﷺ - الخروج استنفر العرب، ومن حوله من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش أن يصدوه عن البيت، أو أن يعرضوا له بحرب، فأبطأ عليه كثير من الأعراب فخرج رسول

(٣) جامع البيان في تأويل أي القرآن (١٠٧/٢٦).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم (٢٠١/٤) ابن كثير.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ج (٢ / ٩٧٨) ح (٢٥٨١).

(١) فتح الباري (٣٤٣/ ٥)

(٢) انظر المغازي (٥٧٢/٢) الواقدي، وتاريخ اليعقوبي (٥٤/٢) اليعقوبي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١٧٠/٣).

يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يُلَبِّثُهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ،
وَشَكَّى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا
مِنْ
كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ
لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ ^(١)، وَلَمَّا خَافَتْ قَرِيشُ
عَلَى نَفْسِهَا، طَفَقَتْ تَرْسِلُ الرِّسْلَ لِلنَّبِيِّ - ﷺ -، وَكَانَ
أَوَّلُ رَسُولٍ جَاءَ إِلَيْهِ بِدِيلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ
مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْنَةَ نَصْحٍ ^(٢) رَسُولِ
اللَّهِ - ﷺ - مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ
لُؤَيٍّ وَعَامَرَ بْنَ لُؤَيٍّ ^(٣) نَزَلُوا أَعْدَادَ ^(٤) مِيَاهِ الْحَدْيَبِيَّةِ،
وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ ^(٥)، وَهُمْ مُقَاتِلُونَ وَصَادُونَ
عَنِ الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: (إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالٍ
أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنْ قُرَيْشًا فَقَدْ نَهَكْتُهُمْ
الْحَرْبُ، وَأَصْرَتِ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْنَاهُمْ ^(٦) مُدَّةً،
وَيُخْلَوُا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرَ؛ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ
يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمَعُوا ^(٧)،
وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي

اللَّهِ - ﷺ - وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمِنْ
لَحِقَ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ يَرِيدُ الْعِمْرَةَ، وَمَعَهُ
أَلْفٌ وَأَرْبَعُ مِائَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ إِلَّا سِلَاحُ
السَّفَرِ، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ؛ لِیَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ،
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ زَائِرًا لِبَيْتِ اللَّهِ، فَأَحْرَمُوا بِالْعِمْرَةِ
مَنْ ذِي الْحَلِيفَةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ مَكَّةَ بَلَغَهُمْ وَهُمْ فِي
غَدِيرِ الْأَشْطَاطِ ^(٨) أَنْ قُرَيْشًا جَمَعَتْ الْجُمُوعَ
وَالْأَحَابِيثَ ^(٩) لِمُقَاتَلَتِهِمْ، وَصَدَّهُمْ عَنِ الْبَيْتِ ^(١٠)،
وَأَرْسَلَتْ قُرَيْشُ خَالِدًا بْنَ الْوَلِيدِ عَيْنًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
وَعَلَّمَ النَّبِيَّ - ﷺ - بِذَلِكَ، فَقَالَ مُحْذِرًا لِأَصْحَابِهِ: (إِنَّ
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ ^(١١) فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً،
فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا
هُمْ بِقَرَّةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ) ^(١٢).
(وَسَارَ النَّبِيُّ - ﷺ - حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبِطُ
عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكْتُ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ: حُلْ حُلْ،
فَأَلَحَّتْ فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، فَقَالَ
النَّبِيُّ - ﷺ -: مَا خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ،
وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا
أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلْ عَنْهُمْ
حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدْيَبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ

(١) سبق تخريجه .

(٢) العيبة ما يوضع فيه الثياب لحفظها، أي أنهم موضع النصح لرَسُولِ

اللَّهِ - ﷺ - والأمانة على سره. انظر فتح الباري (٣٣٧/٥) ابن حجر

(٣) ذكرهما دون سواهما لكون قريش الذين في مكة ترجع أنسابهم جميعهم إليهما. انظر المرجع السابق (٣٣٨/٥).

(٤) الأعداد: جمع عد، وهو الماء الذي لا انقطاع له. انظر فتح الباري (٣٣٨/٥) ابن حجر.

(٥) العود جمع عائد: وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها، والمراد أنهم خرجوا معهم بالإبل ذوات الألبان، ليتزودوا بالإناء، ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، والمراد أنهم خرجوا معهم نسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام، وليكون أدعى إلى عدم الفرار. انظر فتح الباري (٣٣٨/٥) ابن حجر.

(٦) المعنى جعلت بيني وبينهم مدة نترك الحرب بينا وبينهم. انظر المرجع السابق (٣٣٨/٥) ابن حجر.

(٧) من الجم وهو الراحة والمعنى استراحوا. انظر المرجع السابق (٣٣٨/٥).

(٨) غدير الأشطاط: مكان قريب من عسفان والأشطاط جمع شط، وهو جانب الوادي. انظر فتح الباري (٣٣٣/٥) ابن حجر.

(٩) الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمه بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة، كانوا تحالفوا مع قريش تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة، وقيل: سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم، والتحبش التجمع. انظر فتح الباري (٣٣٤/٥) ابن حجر.

(١٠) انظر السيرة النبوية (٣٠٨/٢) ابن هشام.

(١١) الغميم: هو الكلا الأخضر تحت اليابس، وهو مكان قريب من مكان بين رابغ والجحفة. انظر معجم البلدان (٢١٤/٤) ياقوت الحموي.

(١٢) سبق تخريجه .

مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَنِكَ، قَالَ:
وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ - ﷺ -، فُكَلِّمًا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ،
وَالْمُغِيرَةُ بِنْتُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ - ﷺ -، وَمَعَهُ
السَّيْفُ، وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فُكَلِّمًا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى
لِحْيَةِ النَّبِيِّ - ﷺ - صَرَبَ يَدُهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ:
أَخْرَ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَرَفَعَ عُرْوَةَ
رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بِنْتُ شُعْبَةَ، فَقَالَ:
أَيُّ غُذُرٍ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غُذْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ
صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ
جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: أَمَا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلْ،
وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ
يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ - ﷺ - بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا
تَنَحَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ
مِنْهُمْ فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ،
وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ
خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يَجِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ
تَعْظِيمًا لَهُ. فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ
وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَقَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ
وَكَيْسَرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ
أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ
إِنْ تَنَحَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَكَ
بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا
كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يَجِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ،
وَأَنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رَشِدٍ فَاقْبَلُوهَا).

هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ بُدَيْلٌ:
سَأُبْلِغُهُمْ مَا تَقُولُ^(١)، فَعَرَضَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى
قُرَيْشِ السَّلَامِ ابْتِدَاءً، وَلَمْ يَضْعَفْ مَوْقِفُهُ أَوْ يَظْهَرِ
الْخَوْفُ مِنْ قُرَيْشٍ بَلْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِقَاتِلِهِمْ إِذَا
تَطَلَّبَ الْأَمْرَ ذَلِكَ.

اختلف رأي قريش عندما عاد بديل إليهم فأعلمهم ما
دار بينه وبين النبي - ﷺ -: (إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا
الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ
عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُمْعَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا
عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذُوو الرَّاْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ
يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذًا وَكَذًا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ
النَّبِيُّ - ﷺ -، فَقَامَ عُرْوَةُ بِنْتُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ،
أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا:
بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونَنِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عَكَظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا^(٢) عَلَيَّ
جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ:
فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةً رَشِدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي
آتِهِ، قَالُوا: ائْتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ - ﷺ -، فَقَالَ
النَّبِيُّ - ﷺ - نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ
ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ؟ هَلْ
سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاَحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟! وَإِنْ تَكُنِ
الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا^(٣)
مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ
أَمُصُّصُ بَطَرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟! فَقَالَ:

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي امتنعوا والتبلح التمتع من الإجابة وبلح الغريم إذا امتنع من أداء ما
عليه. انظر فتح الباري (٥ / ٣٣٩) ابن حجر.

(٣) أي أخلاطاً، وفي رواية أوباشاً. انظر المرجع السابق (٥ / ٣٤٠).

الْبُدْنَ قَدْ قَلَدْتُ وَأَشْعِرْتُ، فَمَا أَرَى أَنْ يَصْدُوا عَنْ الْبَيْتِ^(١).

لقد حلل النبي - ﷺ - شخصية الحليس وفهمها، وأنه رجل من قوم يتألهون، فتعامل معه وفق سمات شخصيته، ليقنع قريشاً بعد ذلك بتحويل موقفهم لصالح النبي - ﷺ -، فأمر برفع الأصوات بالتلبية وإظهار الهدى ليراه الحليس فيعلم أن النبي - ﷺ - وصحبه إنما أتوا لزيارة بيت الله، وأداء العمرة.

لما رأى الحليس ذلك، ورأى الهدى يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي في مكان مجذب قد أكل الهدى أوباره من طول الحبس عن محله، ورأى الصحابة شعناً من طول البقاء على الإحرام، استنكر صنيع قريش؛ لأن صد الزوار عن البيت الحرام جريمة في عرف العرب، فانصرف سيد بني كنانة عائداً من حيث أتى دون أن يتكلم مع النبي - ﷺ - وتبين له تدليس قريش على العرب بأن النبي - ﷺ - يريد قتالهم في بيت الله الحرام، وقال الحليس كما جاء في رواية إسحاق عند ابن هشام: (يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيبعد عن بيت الله من جاء معظماً له؟! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد)^(٢).

لقد رأى النبي - ﷺ - تعزيزاً لفكرة السلم مع قريش، إرسال رسول منه لهم مؤكداً احترامه لبيت الله

هكذا حاور عروة رسول الله - ﷺ - محاولاً بادي الأمر أن يضعف ويزعزع ثقة الصحابة بأنفسهم، وثقة النبي - ﷺ - فيهم، فجاء الرد الحاسم من أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ليؤكد له أنهم لن يخذلوا نبي الله، ثم يجول عروة ببصره ممعناً النظر في كيفية تعامل الصحابة مع نبيهم وقائدهم ليرسم في ذهنه مدى اللحمة بين القائد وجيشه، فيدب الرعب بقلبه مما يرى من دفاعهم، وتعظيمهم، وتوقيرهم، وتبركهم بنبيهم، ليعلم تلك الحقيقة لقومه، والتي تحمل رسالة لهم أنَّ صحب محمد - ﷺ - لن يخذلوه، وبالتالي استبعاد هذا الاحتمال من تخطيطهم، وصرف النظر عن المواجهة العسكرية معه، والانتقال إلى خطة أخرى تحفظ ماء وجوههم عند القبائل، وتبعدهم عن ويلات الحرب، ولما كان لعروة حظوة ومكانة عند قريش فقد رغبهم مرة ثانية بقبول عرض رسول الله - ﷺ - عليهم، ولكن قريشاً لم تحسم أمرها بعد، فأرسلت رسولاً ثالثاً.

(فقال رجلٌ من بني كِنَانَةَ- وهو الحليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش-: دَعُونِي آتِهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ. فلما أَشْرَفَ على النبي - ﷺ - وَأَصْحَابِهِ، قال رسول الله - ﷺ -: هَذَا فَلَانٌ، وهو من قَوْمٍ يَعْظُمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ، فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يَلْبُوتُونَ، فلما رأى ذلك قال: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصْدُوا عَنْ الْبَيْتِ، فلما رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قال: رأيت

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢ / ٩٧٧)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ح (٢٥٨١).
(٢) السيرة النبوية (٢٨٠/٤) ابن هشام.

الحرام، وأنه لم يخرج لقتالهم فاختر - كما جاء عند ابن هشام - خراش بن أمية، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله - ﷺ -، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله - ﷺ -، وكان الذي عقر ناقة رسول الله عكرمة بن أبي جهل، وقد عاد مبعوث رسول الله دون أن يكلم قريشاً ويبلغهم رسالته^(١)

وفي هذه الأثناء يتسلل شرذمة من كفار قريش ليلاً إلى معسكر المسلمين للاعتداء عليهم، ولكن حراس جيش المسلمين يمسكون بهم، ويأسرونهم حتى بلغ عددهم سبعين رجلاً، جيء بهم إلى رسول الله - ﷺ - مشدودي الوثاق، ووقفوا أمام النبي - ﷺ - بذل وصغار، فما كان منه - ﷺ - إلا أن قال: (دَعُوهُمْ، يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ)، فبحكمته حفظ دماء أصحابه، وأوصل رسالة لقريش أنه يريد السلم رغم استفزازهم وتعنتهم^(٢). ولحرص النبي - ﷺ - على السلم مع قريش قرر أن يرسل رسولا آخر فذكر الواقدي: (أن النبي - ﷺ - بعد رجوع خراش بن أمية، دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى قريش فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وقد عرفت قريش عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم. فلم يقل رسول الله - ﷺ - شيئاً، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة

وأمنع؟ عثمان بن عفان؛ فدعا رسول الله - ﷺ - عثمان - ﷺ - فقال: اذهب إلى قريش، فخيرهم إنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمة، معنا الهدى نذبحه، وننصرف^(٣)، وأوصاه النبي - ﷺ - أن يتصل برجال ونساء مؤمنين من المستضعفين بمكة ويقرئهم السلام، ويبشرهم بالفتح القريب والنصر المبين، وأن الله سيظهر دينه بمكة قريباً.

فخرج عثمان حتى أتى بلدح^(٤)، فوجد قريشاً هنالك فقالوا: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله إليكم، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، تدخلون في الدين كافة، فإن الله مظهر دينه، ومعز نبيه، وأخرى: تكفون، ويلي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار: أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو تقاتلوا وأنتم وافرون حامون، إن الحرب قد نهكتكم وأذهبت بالأماثل منكم، وأخرى إن رسول الله يخبركم أنه لم يأت لقتال أحد، إنما جاء معتمراً، معه الهدى عليه القلائد، ينحره، وينصرف. فجعل عثمان - ﷺ - يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون، ويقولون: قد سمعنا ما تقول، ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوةً، فارجع إلى صاحبك، فأخبره أنه لا يصل إلينا، فقام إليه أبان بن سعد بن العاص، فرحب به وأجازه، وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل

(٣) المغازي (٨٩/٢) للواقدي.

(٤) بلدح: هو مكان في طريق التنعيم بفتح الموحدة والمهملة بينهما لام ساكنة

واخره مهمله ويقال هو واد

انظر فتح الباري (٧ / ١٤٣) ابن حجر.

(١) انظر المرجع السابق (٢٨١/٤).

(٢) انظر المرجع السابق (٢٨٢/٤).

عثمان - ﷺ - على السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً: أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وغيرهم، منهم من لقي ببلاط، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً، قال عثمان - ﷺ -: ثم كنت أدخل على قوم مؤمنين من رجالٍ ونساءٍ مستضعفين فأقول: إن رسول الله يبشركم بالفتح، ويقول: "أظلمكم حتى لا يستخفى بمكة الإيمان". فقد كنت أرى الرجل منهم والمرأة تنتحب، حتى أظن أنه يموت فرحاً بما خبرته، فيسأل عن رسول الله - ﷺ - فيخفي المسألة، ويشدد ذلك على أنفسهم، ويقولون: اقرأ على رسول الله منّا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادرٌ على أن يدخله بطن مكة. وقال المسلمون: يا رسول الله، وصل عثمان إلى البيت فطاف، فقال رسول الله - ﷺ -: ما أظن عثمان يطوف بالبيت، ونحن محصورون. قالوا: يا رسول الله، وما يمنعه وقد وصل إلى البيت؟ فقال النبي - ﷺ -: ظني به ألا يطوف حتى نطوف^(١).

عثمان - ﷺ - على السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً: أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وغيرهم، منهم من لقي ببلاط، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً، قال عثمان - ﷺ -: ثم كنت أدخل على قوم مؤمنين من رجالٍ ونساءٍ مستضعفين فأقول: إن رسول الله يبشركم بالفتح، ويقول: "أظلمكم حتى لا يستخفى بمكة الإيمان". فقد كنت أرى الرجل منهم والمرأة تنتحب، حتى أظن أنه يموت فرحاً بما خبرته، فيسأل عن رسول الله - ﷺ - فيخفي المسألة، ويشدد ذلك على أنفسهم، ويقولون: اقرأ على رسول الله منّا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادرٌ على أن يدخله بطن مكة. وقال المسلمون: يا رسول الله، وصل عثمان إلى البيت فطاف، فقال رسول الله - ﷺ -: ما أظن عثمان يطوف بالبيت، ونحن محصورون. قالوا: يا رسول الله، وما يمنعه وقد وصل إلى البيت؟ فقال النبي - ﷺ -: ظني به ألا يطوف حتى نطوف^(١).

بينما كان المسلمون يرقبون ما تسفر عنه محادثات عثمان بن عفان مع قريش، تنامي إلى مسامعهم شائعة هزت كيانه، وجعلت النبي - ﷺ - يتخذ موقفاً آخر، وينتقل من الحل السلمي إلى التدخل العسكري، حيث أشيع أن قريشاً أسرت عثمان وقتلته، فقرر النبي - ﷺ - السير لمكة بجيشه، ومواجهة قريش، فاستنفر صحابته الكرام، ودعاهم

لما سمعت قريش باستعداد المؤمنين للقتال، ووصلها خبر المبايعة على الموت، دبّ الذعر في قلوبهم وهم يعرفون المسلمين جيداً في حروبهم السابقة معهم، ويعلمون أن الحرب إذا اشتعلت فستهلكهم لامحالة، فسارعوا بإرسال رسولهم ليتفاوض مع رسول الله - ﷺ - على ما كان يطلبه النبي سابقاً وهو الصلح.

لقد خضعت قريش لمطلب رسول الله - ﷺ - الذي لم يتنازل أو يتخاذل، فأرسلت مكرز بن حفص الذي قال: (دعوني آتة فقالوا: انته، فلما أشرف عليهم قال النبي - ﷺ -: هذا مكرز، وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي - ﷺ - فبينما هو يكلمه إذ جاء

(١) أخرجه ابوداود في سننه (٧٤/٢) في باب فيمن جاء بعد الغنيمة لاسهم له ح (٢٧٢٦) وصححه الألباني في صحيحه أبو داود رقم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (١٥٢٦/٤) ح (٣٩٢٣).

(١) المغازي (٨٩/٢، ٩٠) الواقدي.

المبحث الثاني: كتابة الصلح وبنوده:

اضطرت قريش إلى كتابة الصلح مع المسلمين لما جاءها خبر استعداد النبي - ﷺ - للتحرك العسكري، فبعثت ثلاثة من معسكرها، وهم: سهيل بن عمرو بن عامر، ومكرز بن حفص، وحويطب بن عبد العزى^(١)، وتولى التفاوض مع رسول الله - ﷺ - سهيل بن عمرو - أحد زعماء قريش - المعروف بعقله الراجح وبالحنكة والدهاء، فلما جلس للتفاوض بدأ كلامه بقوله: (من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا ولا ذوي الأحلام منا، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة، والذين أسرت آخر مرة، فقال رسول الله - ﷺ -: إني غير مرسلهم حتى ترسل أصحابي، قال سهيل: أنصفتنا)^(٢) فبعث إلى قريش الشميم بن عبد مناف، وطلب منهم إرسال أصحاب الرسول - ﷺ - فبعثت قريش بمن عندها، وكان عددهم أحد عشر رجلاً، ثم أطلق النبي - ﷺ - أسرى المشركين^(٣). بعد ذلك شرع سهيل بن عمرو بالتفاوض مع رسول الله - ﷺ - حيث جاء في رواية البخاري كيفية كتابة الصلح فقال: (قال مَعْمَرُ: قال الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيَّ - ﷺ - الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ سُهَيْلٌ:

سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ^(١)، وتم بعد ذلك كتابة الصلح بين قريش والنبي - ﷺ - كما سيأتي بيانه.

وبعد هذا السرد التاريخي لأحداث ما قبل صلح الحديبية يمكن إجمال أسباب الصلح بالآتي:

• أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - والمسلمين لم يريدوا القتال في تلك السنة، وإنما أرادوا زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة، وساقوا معهم الهدى؛ لتعلم قريش والعرب تلك الحقيقة.

• إصرار كفّار قريش على عدم دخول المسلمين عليهم في تلك السنة عنوة من دون إذن؛ فتذهب هيبتهم عند العرب، وعدم رغبتهم كذلك في لقاء عسكري معهم، وقتالهم لتجاربهم السابقة مع المؤمنين وخسائرهم.

• خوف كفّار قريش من التحرك العسكري من النبي - ﷺ - وصحبه؛ بعدما سمعت بببيعة الرضوان إثر شائعة مقتل عثمان بن عفان، ومبايعتهم لنبيهم على الموت والصبر، فبادرت بإرسال رسولها ليصالح المسلمين.

• اعتقاد كفّار قريش أَنَّ الصّلح مع المسلمين سيعود عليهم بالخير والنّفع الكثير، وستتحدث العرب عن قوتهم وسطوتهم، وستقلّ بالمقابل هيبة المسلمين في نفوس النّاس، وقد تحدث فتنة وانقسام في صفوفهم، عندما يرجعون للمدينة دون أداء العمرة.

(١) حويطب بن عبد العزى من بني عامر بن لؤي القرشيّ الحجازي - في قصة الكعبة، وسمع عبد الله بن السعدي، سمع منه السائب بن يزيد، روى عنه أبو نجيع، يقال هو من مسلمة الفتح سنة سن حكيم بن حزام عشرين ومائة سنة.

(٢) المغازي (٢ / ٩٢) الواقدي.

(٣) انظر المرجع السابق (٩٣/٢).

(١) سبق تخريجه.

أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ وَلَكِنْ أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتُ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: أَكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ النَّبِيِّ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ أَكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: وَاللَّهِ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ - وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي - أَكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ الرَّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ -: عَلَى أَنْ تَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ فَتَطُوفَ بِهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخَذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو يَرْسِفُ فِي قَيْوَدِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا؛ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: فَأَجِزْهُ لِي، قَالَ: مَا أَنَا بِمَجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى، فَافْعَلْ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: مَكْرُزٌ بَلْ قَدْ أَجَزْتَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا! أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا

شَدِيدًا فِي اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟! قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟! قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نَعْطِي الدَّيْنَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟! قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوْ لَيْسَ كُنْتُ تَحَدَّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي النَّبِيَّ فَتَطُوفُ بِهِ؟! قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمَطُوفٌ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟! قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟! قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نَعْطِي الدَّيْنَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟! قَالَ: أَيْهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسَكَ بِعَزْرِهِ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يَحَدَّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي النَّبِيَّ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمَطُوفٌ بِهِ. قَالَ الرَّهْرِيُّ: قَالَ عَمْرُ: فَعَمِلْتُ لَذَلِكَ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَأَنْحَرُوا، ثُمَّ اخْلِقُوا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ لِاتَّكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُذْنَكَ، وَتَدْعُوَ خَالِقَكَ، فَيَخْلُقَكَ، فَخَرَجَ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُذْنَهُ، وَدَعَا خَالِقَهُ فَخَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَخَرُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ

داخلاً في حمايتهم، قبلوه وأدخلوه في حلفهم، ولا يُردّ إلى المسلمين.

الثالث: أن تُوضَع الحرب بين قريش والمسلمين مدة مقدارها عشر سنين، فيعمُّ الأمان خلال هذه المدة.

الرابع: من أراد من قبائل العرب الدخول في حلف المسلمين فليدخل، ومن أراد منهم الدخول في حلف قريش فليدخل.

الخامس: أن بينهم عيبة مكفوفة^(٢).

السادس: أنه لا إسلال ولا إغلال^(٣).^(٤)

المبحث الثالث: الدروس العقدية المستتبطة من صلح الحديبية

١- أن رؤيا الأنبياء وحي من الله - ﷻ -:

تقدم أن السبب المباشر لخروج النبي - ﷺ - إلى الحديبية كان لرؤيا رآها، حيث رأى أنه وأصحابه دخلوا البيت الحرام، وحلق بعضهم، وقصر البعض. قال ابن كثير: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ أُرِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، فَأُخْبِرَ أَصْحَابُهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا سَارُوا عَامَ الْخُدَيْبِيَّةِ لَمْ يَشْكُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تَنْفَسِرُ هَذَا الْعَامَ، فَلَمَّا

بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا)^(١). فَصَلَّتْ رَوَايَةُ الْبَخَارِيِّ مَا دَارَ بَيْنَ سَهِيلٍ وَالنَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ كِتَابَةِ الصَّلْحِ، بِمَا تَحْمِلُ كَثِيرًا مِنَ الدُّرُوسِ الْفَقْهِيَّةِ، وَالِدَعْوِيَّةِ، وَالْعَقْدِيَّةِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - فِي تَنَازُلِهِ لَمْ يَقَعْ بِمُفْسَدَةٍ تَضُرُّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، أَوْ فِيهَا إِضْعَافٌ لَهُ، أَوْ خِذْلَانٌ أَمَامَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّمَا كَانَ يَهْدَفُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ لِأَمْرٍ بَعِيدٍ، لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ مُؤَيَّدٌ بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّهِ.

الذي يعيننا من دروس الحديبية، هو الجانب العقدي كما سيأتي بيانه، لكن قبل ذلك نعرض لبنود الصلح إجمالاً، حيث جاءت عدة روايات مبينة بنود الصلح تختلف فيما بينها زيادة ونقصاً، وإجمالاً وتفصيلاً، ومن مجموع تلك الروايات يمكن حصر جميع بنود الصلح على النحو التالي:

الأول: أن يرجع المسلمون إلى المدينة دون أن يؤديوا مناسك العمرة، ويقضوا عمرتهم في العام المقبل، وأن يقيم المسلمون بمكة ثلاثة أيام فقط إذا دخلوها لأجل العمرة في العام القادم، ولا يدخلون معهم الأسلحة، إلا سلاح المسافر الذي يضمن لهم الأمن على حياتهم من أهوال الطريق.

الثاني: من يأتي من قريش إلى النبي - ﷺ - يريد الدخول في الإسلام من غير إذن وليه، يردّه المسلمون إليهم، ومن جاء من المسلمين إلى قريش

(٢) أي: أمراً مطوياً في صدور سليمة، وهو إشارة إلى ترك المؤاخذه بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها والمحافظة على العهد الذي وقع بينهم. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥ / ٣٤٤، ٣٤٣) ابن حجر.

(٣) أي: لا سرقة ولا خيانة فالإسلال من السلة وهي السرقة. والإغلال الخيانة تقول أغل الرجل أي خان. فتح الباري (٥ / ٣٤٤).

(٤) انظر تلك البنود في الروايات التالية: رواية البخاري في صحيحه في كتاب الشروط (سبق تخريجه، وفي كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين ح (٢٥٥٤)، ورواية الإمام أحمد في مسنده (١٢٤/٢) ح (٦٠٦٧) و(٣٢٥/٤) ح (١٨٩٣٠) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند، وابو داود في سننه (٥٣٢/٢) في كتاب الجهاد ح (٢٧٦٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢٧٦٦)، والسيرة النبوية (٢٨٥/٤) ابن هشام، و البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٢/٩، ٢٢١، ٢٢٧) وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. صحيح البخاري ج (٢) / (٩٧٤) ح (٢٥٨١).

طَيَّرَهُ، وَخَيْرَهَا الْفَأْلَ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ^(٤).

وإنما كان - ﷺ - يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله - ﷻ - بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله - ﷻ - على كل حال. فيتضح الفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء، فذلك كرهت^(٥).

وذكرت الطيرة عند النبي - ﷺ - فَقَالَ: (أَحْسِنُهَا الْفَأْلَ، وَلَا تَزِدْ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)^(٦).

٣- إحسان الظن بالآخرين:

سريرة المرء مطيته التي يسير عليها في الحياة، وفي تعامله مع الآخرين، فإذا حسنت السريرة حسن الظن بالآخرين، وإذا ساءت ساء ظن المرء بمن حوله.

وفي الحديبية يعلمنا النبي - ﷺ - درسًا عقديًا قلبيًا في إحسان الظن حتى في غير المكلفين، وذلك عندما بركت به راحلته في الثنية، فانتهرها الصحابة، فألحت فقالوا: خلأت القصواء، فقال - ﷺ -: (مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ). قال ابن حجر: (جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن جاز أن يطرأ عليه

وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الصُّلْحِ، وَرَجَعُوا عَامَهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِلٍ، وَقَعَ فِي نَفُوسِ بَعْضِ الصَّاحِبَةِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، حَتَّى سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - ﷺ - فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ: أَفَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي النَّبِيَّ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: "بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامُكَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: "فَأَتَيْتُكَ آتِيهِ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ". وَبِهَذَا أَجَابَ الصِّدِّيقُ -

ﷺ- أَيْضًا حَذُو الْفُذَّةِ بِالْفُذَّةِ؛ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ٢٧] هذا لتحقيق الخبر وتوكيده^(١). قال ابن حجر: (رؤيا الأنبياء وحي، وأن عصمتهم في المنام كالليقة)^(٢)، ولذا كان أول ما بدأ به النبوة صدق رؤياه - ﷺ -، جاء في حديث عائشة - ﷺ - في بدء الوحي: وأنه - ﷺ - ما كان يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح^(٣).

٢- استحباب الفأل:

الفأل الحسن عكس الطيرة، وقد تجلّى في صلح الحديبية درس عقدي في استحباب التفاؤل بالأسماء والأقوال؛ عندما جاء سهيل بن عمرو لمفاوضة رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ -: (سهل أمركم)، وكان كما قال - ﷺ - فسهل أمر المسلمين، وبين - ﷺ - معنى الفأل، فقال رسول الله - ﷺ -: (لَا

^(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٧٢/٥) في كتاب الطب، باب الطيرة ح (٥٤٢٢).

^(٥) فتح الباري (٢١٥/١٠) ابن حجر.

^(٦) أخرجه أبو داود في سننه (١٨/٤) في كتاب الطب، باب الطيرة ح (٣٩١٩). وقال ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (٢١٩/٤): مرسل.

^(١) تفسير القرآن العظيم (٢٠٢/٤).

^(٢) فتح الباري (١٨٢/٩).

^(٣) أخرجه أبو عروبة في كتاب الأوائل (٧١/١).

فَمَكَّنَّا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوَيْنَا وَرَوْتُ أَوْ صَدَرْتُ رَكَائِبِنَا^(٤).

٥- وجوب التسليم لله ورسوله ﷺ:

من أعظم دروس صلح الحديبية: وجوب التسليم لله ورسوله ﷺ - اتضح ذلك جلياً بموقف الصحابة - في جميع أحداث صلح الحديبية، فتركوا المعارضة العقلية والعاطفية، واستسلموا للوحي. يقول سهل بن حنيف - : (اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله - ﷺ - أمره لرددت، والله ورسوله أعلم). لقد كان الصحابة - مسلمين لله ورسوله، رغم مخالفة ما يروونه وما يقع في ذلك الصلح لرغباتهم وتطلعاتهم، ورغم حجم الاحتقان الذي عصف بهم مع تطورات الحدث، حتى بلغ بهم التوتر الحد الذي وصفه سهل بن حنيف.

إن مبدأ التسليم لله ورسوله يتضح في كل مشهد الصلح، ولكنه يتجلى أكثر في بعض مواقفه، ومنها: أ- عندما شرع النبي - ﷺ - في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها، أمر كاتبه علي بن أبي طالب - : أن يبدأ المعاهدة بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم)، فاعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلاً: (أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتُ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : (اَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ).

غيره فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلاً، لا ينسب إليها، ويرد على من نسبه إليها ومعدرة من نسبه إليها ممن لا يعرف صورة حاله؛ لأن خلاء القصواء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحاً، ولم يعاتبهم النبي - ﷺ - على ذلك؛ لعذرهم في ظنهم^(١). فإذا كان النبي قد أعذر غير المكلف من الدواب، وأحسن الظن بها، فمن باب أولى أن يعذر المكلف، ويحسن الظن فيه، ويذب عن عرضه كما فعل النبي - ﷺ -.

٤- آية تكثير الماء دليل على صدق نبوته - ﷺ -: آيات النبي محمد - ﷺ - التي تدل على صدق نبوته كثيرة، ومنها: آية تكثير الماء، والتي حدثت مرات عدة في مواقف مختلفة، منها يوم الحديبية، فحين نَزَلَ - ﷺ - بِأَفْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلٍ الْمَاءِ يَنْبَرِّضُهُ^(٢) النَّاسُ تَبْرَضاً، فَلَمْ يُلَيْتُهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، فَشَكَّى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْعَطَشُ، فَانْتَرَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَمَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمُ بِالزَّيْرِ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ^(٣). وفي رواية أخرى عند البخاري عن البراء - : قال: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَةً، وَالْحُدَيْبِيَّةُ بَنَرٌ، فَنَزَحْنَاهَا حَتَّى لَمْ نَتْرِكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى شَفِيرِ الْبَنَرِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضَمَضَ وَمَجَّ فِي الْبَنَرِ،

(١) فتح الباري (٥ / ٣٣٦).

(٢) أي: يأخذونه قليلاً قليلاً، والبرض: هو اليسير من العطاء. انظر عمدة القاري (٨ / ١٤) العيني.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٧٤/٢) في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ح (٢٥٨١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣١١/٣) في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ح (٣٣٨٤).

محمد أَوَّلُ ما أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: فَأَجِرْهُ لِي، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيرِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى فَاَفْعَلْ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِّدُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا؟! أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ). هذا المشهد يبين الأثر البالغ لذلك الشرط على الصحابة - ﷺ - والذي جعل عمر الفاروق - ﷺ - يقدم على خطوة جريئة عندما سار بجانب أبي جندل لمواساته قائلا: (اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويدني قائم السيف منه، قال: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فظن الرجل بأبيه ونفذت القضية)^(١).

إِنَّ التَّسْلِيمَ لِنُصُوصِ الْوَحْيِينَ لَيْسَ اعْتِرَافًا بِصَحَّةِ نَسَبَتِهَا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَحَسْبُ، إِنْ التَّسْلِيمُ الْحَقُّ لِلنُّصُوصِ أَنْ يَتَلَقَّى الْعَبْدُ أَوَامِرَ الشَّرْعِ وَنُصُوصِهِ بِالْقَبُولِ وَالرِّضَا التَّامِ بِحُكْمِ اللَّهِ، وَبِالْإِمْتِثَالِ فَلَا يَعْزِضُ عَنْهَا، وَبِالْحُبِّ فَلَا يَكْرَهُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ فِيهَا، وَبِالصَّبْرِ عَلَيْهَا وَعَلَى مَا يَصِيبُهُ مِنْ أَقْدَارِ اللَّهِ. وَهُوَ عَمَلٌ قَلْبِي يَتَحَقَّقُ بِتَنْقِيَةِ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ شَبْهَةٍ تَعَارِضُ الْخَبَرَ وَشَهْوَةٍ تَعَارِضُ الْأَمْرَ، وَإِرَادَةِ تَعَارِضِ الْإِخْلَاصِ، وَاعْتِرَاضِ يَعَارِضِ الْقَدْرِ وَالشَّرْعِ، وَعِبُودِيَةِ التَّسْلِيمِ

ب- أمر الرسول - ﷺ - عليًا - ﷺ - بأن يكتب: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. واعترض المسلمون على ذلك ولكن النبي - ﷺ - بحكمته وبعد نظره واستشرافه للمستقبل، أمر الكاتب أن يحو كلمة رسول الله، فقال النبي - ﷺ -: (وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ - وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِ - أَكْتُبُ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ).

ج- قال النبي - ﷺ - لسهيل: (عَلَى أَنْ تَخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتُطَوَّفَ بِهِ)، فقال سهيل: (وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ)، فكتب هذا الشرط؛ وما كان من الصحابة إلا التسليم المطلق؛ رغم أن الهدى قد سيق وهم بإحرامهم يترقبون ويتشوقون للعمرة.

د- ونختم بمشهد أخير لمبدأ التسليم في ذلك الصلح التربوي العظيم حيث اشترط سهيل شرطًا، ليرفع حالة الاحتقان والتوتر أقصاها لدى الصحابة بقوله: (أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مَنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْكَتَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مَنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا)، عِنْدَئِذٍ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟!)، وَيَشَاءُ اللَّهُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنْ يَدْخُلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو هَارِبًا مِنْ قَرِيشٍ يَرْسُفُ فِي قُبُورِهِ، وَقَدْ حَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: (هَذَا يَا

(١) رواه الامام أحمد في مسنده (٤ / ٣٢٥) ح (١٨٩٣٠) وحسنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

كلامي الذي تكلّمتُ به يؤمّنُ حتى رجوتُ أن يكونَ خيراً^(٣)، وفي رواية البخاري، قال عمر-رضي الله عنه-: (فعملت لذلك أعمالاً).

ومحاسبة النفس منهج شرعي لتقويم اعوجاجها، وضمان سيرها على الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الحشر: ١٨]. هذه المحاسبة القلبية للنفس جعلت عمر بن الخطاب يعمل أعمالاً كثيرة خيرية لتكفر هذا الأمر الذي صدر عنه، والذي رآه كبيراً حتى خاف عاقبته.

٧- جواز القيام على رأس الكبير وهو جالس عند التعامل مع الأعداء:

قام المغيرة بن شعبة-رضي الله عنه- على رأس النبي-صلى الله عليه وسلم- بالسيف يوم الحديبية وهو قاعد، ولم يكن من عادة النبي-صلى الله عليه وسلم- السماح لأحد بالوقوف فوق رأسه، أو تعظيمه، ولكن لما كان الموقف يستدعي إظهار الفخر والعز والتعظيم للقائد أمام الأعداء، لم ينكر النبي-صلى الله عليه وسلم- ذلك على شعبة؛ فإظهار القوة واللحمة للأعداء بين القائد وجيشه؛ يبيث الرعب والخوف في قلوب عدوهم، ويبعثهم للتفكير قبل الإقدام على المواجهة العسكرية، ولا يدخل ذلك في نهْي النبي-صلى الله عليه وسلم- وذمّه لمن أحب أن يقف له كما جاء في حديث

المطلق لله ولرسوله-صلى الله عليه وسلم- يكون صاحبها من القلوب السليمة التي تنجو يوم القيامة.^(١)

وهكذا تجلّى في جميع مواقف صلح الحديبية عبودية التسليم التي تمكنت في قلوب الصحابة، وعرفوا بعد ذلك نتائجها عندما نزلت سورة الفتح على النبي-صلى الله عليه وسلم- بعد انصرافه من الحديبية بجيشه الحزين الكئيب فقال لهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَتَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ مَا يَفْعَلُ بِكَ فَمَآذَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَأُنزِلَ اللَّهُ الْآيَةَ بَعْدَهَا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وكان يقرأ على صحابته: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح: ١] وهو بكراع الغميم^(٢)، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتَحُ هُو؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ)، فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح، وأدركوا أن وراء أقدار الله-صلى الله عليه وسلم- حكماً لا يعلمونها، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كلُّ الخير لهم ولدين الله-صلى الله عليه وسلم-.

٦- وجوب محاسبة النفس:

من الدروس العقدية المستفادة من صلح الحديبية: موقف عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- في محاسبته لنفسه، وتخوفه زمناً طويلاً من أن ينزل به عقوبة جراء ما قاله يوم الحديبية، وكان يقول: (ما زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدَّقُ وَأَصَلِّي وَأَعْتَقُ مَنْ الذي صَنَعْتُ مَخَافَةَ

(١) انظر مدارج السالكين (١٧٨/٢) ابن القيم.

(٢) مكان بين مكة والمدينة. عمدة القاري (٢٠ / ١٦١).

(٣) سبق تخريجه.

الأمر الأول: مَنْ قال: (مطرنا بنوء كذا)، معتقداً أنّ للكواكب تأثيراً في إيجاد المطر وإنزاله، فهو كافر كافرًا مخرجاً من الملة.

الأمر الثاني: مَنْ قال: (مطرنا بنوء كذا)، قاصداً أنه مطر وقت كذا وكذا فلا يكون كفرًا، والأولى البعد عن هذا اللفظ واستبداله بلفظ آخر. (٤)

٩- حكم التبرك بآثار النبي - ﷺ - الشريفة:

وصف عروة بن مسعود أصحاب رسول الله - ﷺ - وهم حوله بقوله: (فَوَاللَّهِ مَا تَنَحَّمُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ)، والتبرك بآثار رسول الله - ﷺ - كشعره، أو عرقه وما مس جسده، لا بأس به؛ لأن السنة قد صحت بذلك، فقد قسّم - ﷺ - في حجة الوداع بين الناس شعر رأسه، وجاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: (دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرَقٌ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُثُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ)، وذلك لما جعل الله فيه من البركة والخير.

أمّا التبرك بآثار غيره فهو ممنوع لأمر منها: عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي - ﷺ - في الفضل والبركة، ومنها: عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا لا يمكن الاطلاع عليه إلا

معاذ فيما يرويه عنه - ﷺ - بقوله - ﷺ -: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار). (١)
فالحرب لها أحكام خاصة يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها من إظهار الفخر والخيلاء والتعظيم. ولابد من التفرقة بين القيام للرجل إذا أقبل، وبين القيام عليه، قال ابن القيم: (أنه - ﷺ - كان ينهي عن القيام له إذا خرج عليهم، ولأن العرب لم يكونوا يعرفون هذا، وإنما هو من فعل فارس والروم، ولأن هذا لا يقال له قيام للرجل، إنما هو قيام عليه، ففرق بين القيام للشخص المنهي عنه، والقيام عليه المشبه لفعل فارس والروم، والقيام إليه عند قدومه الذي هو سنة العرب، وأحاديث الجواز تدل عليه فقط). (٢)

٨- كفر من اعتقد تأثير الكواكب:

صلى النبي - ﷺ - بالصحابة صلاة الصبح بالحديبية إثر سماء كانت من الليلة، وكان بعض القوم قد قالوا مطرنا بنوء كذا، فقال - ﷺ -: (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرَّنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ). (٣)

والكفر المذكور في الحديث يحمل على أمرين حسب نية القائل واعتقاده:

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٧) وصححه الالباني في صحيح الأدب (٣٧٣) ح (٧٤٨).

(٢) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٤ / ٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٢٤/٤) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ح (٣٩١٦).

(٤) انظر غزوة الحديبية (٣٠٥) الحكمي.

بنصّ شرعيّ كحال النبي - ﷺ -، ومنها: أنّا لو ظننا صلاح شخص، فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلاً للتبرك بآثاره، ومنها: أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فلم يفعلوه مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ونحوهم من الذين شهد لهم النبي - ﷺ - بالجنة، فدل على أن ذلك مخصوص بالنبي - ﷺ -، ومنها: أن فعل هذا مع غيره - ﷺ - لا يؤمن أن يفتته، وتعجبه نفسه، فيورثه العجب والكبر والرياء، فيحصل إفساد له^(١).

١٠- موافقة الكفار في بعض طلباتهم لا يعني موالاتهم ومحبتهم:

لقد أرغمت قريش على كتابة الصلح بعد رسولها الخامس سهيل بن عمرو، وقبول ما أشار به - ﷺ - عليهم، وبدأت إجراءات كتابة الصلح، وفي أثناء كتابته وافق النبي - ﷺ - كفار قريش في بعض طلباتهم لمصلحة الإسلام والمسلمين، كالتخلي عن كتابة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، إلى: (باسمك اللهم)، وترك وصف رسول الله - ﷺ - بالرسول إلى ذكر اسمه مجرداً (محمد بن عبد الله). ولا مفسدة فيما طلبوه، فمعناها كلها واحد ولا ضير على الإسلام في ذلك.

فلم يجبههم النبي - ﷺ - في تحليل حرام، أو ما يشعر بتعظيم دينهم، وعبادتهم للأوثان. ولم يكن ذلك ليغير

شيئاً من كرهه - ﷺ - للكفار وبغضه لهم، وعدم موالاتهم ومحبتهم، فإن النبي - ﷺ - لم يتنازل لقريش كما فهمه بعض الصحابة لأجلهم، وإنما لحكم عظيمة تبينت للصحابة فيما بعد. ولذا قال - ﷺ -: (لا يسألونني خطّة يُعْظَمُونَ فيها حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا). قال ابن القيم - رحمه الله -: (إن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما)^(٢). أما البراءة من المشركين فلا تزول بمجرد الاستجابة لبعض طلباتهم، بل لابد من زوالها من الإيمان بالله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١]. فمن تاب من الشرك، ودخل بالإيمان بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فهو المسلم الذي يجب موالاته ومحبته.

١١- وجوب طاعة ولي الأمر:

يتضح جلياً في صلح الحديبية طاعة الصحابة للنبي - ﷺ - في جميع ما يأمر به، رغم كراهية بعضهم لهذا الصلح أو بعض بنوده، وهذا التزاماً بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. فالنبي - ﷺ - مطاع لكونه رسول الله،

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٧٢).

(١) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١٥٣، ١٥٤).

أن يصدوا عن البيت. لقد عرف رسول الله -ﷺ- أن العقيدة ستحرك هذا الرسول، ويتصرف وفق ما يعتقده؛ لأنه من قوم يعظمون البدن في قلوبهم، وفعلاً لم تخطئ فِرَاسة رسول الله -ﷺ-، ورجع لقومه وقد خسروه كداعم لموقفهم ضد رسول الله -ﷺ- وأصحابه.

١٣- وجوب تعظيم حرَمات الله -ﷻ-:

من الدروس العقيدية المستوحاة من صلح الحديبية: أنه يجب تعظيم حرَمات الله -ﷻ-، وهذا الذي دعا النبي -ﷺ- للوقوف عند بعض طلبات قريش، وقال -ﷺ-: (لا يسألونني خُطة يعظمون فيها حرَمات الله إلا أعطيتهم إيَّاهَا).

قال الخطابي -رحمه الله-: (معنى تعظيم حرَمات الله في هذه القصة: ترك القتال في الحرم، والجنوح إلى المسألة، والكف عن إراقة الدماء) ^(٢). إذاً الوقوف عند طلبات قريش كان تعظيماً حقيقياً لحرَمات الله.

١٤- عدم تحكيم الأهواء والآراء:

الهوى والرأي غير المنضبط بالشريعة يجب مخالفته وعدم تحكيمه، وفي صلح الحديبية اتضح كيف خالف الصحابة أهواءهم وآراءهم؛ فعلى الرغم من استنكارهم لبعض بنوده في موقف أبي جندل بقولهم: (سبحان الله! كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً)، ووقفوا مع عمر -رضي الله عنه- بقوله لرسول الله -ﷺ-: (أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا

وكونه ولي الأمر. وولي الأمر يجب طاعته، وعدم الخروج عليه؛ لما يترتب على ذلك من المفساد العظيمة، والتي منها: تسلط الأعداء، وزعزعة أمن الأمة وكيانها، وليس في موقف عمر -رضي الله عنه- عندما أشار على النبي -ﷺ- بعثمان -رضي الله عنه- رسولاً لقريش بدلاً منه عدم طاعة لولي الأمر، وليس فيه ما ينقص من قدر عمر -رضي الله عنه-، بل هو دليل على رجحان عقله، وسداد رأيه، وقوة إيمانه، وطاعته المطلقة لرسول الله -ﷺ-، ففي رواية الواقدي: (وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم). ^(١) وإنما أشار بعثمان لمكانته عند قريش -كما ورد في الحديث- ولأنه يريد النجاح لمهمة رسول الله -ﷺ- فأشار إليه بالرجل المناسب لها، فعمر -رضي الله عنه- لم يرفض أمر ولي الأمر، ولكن المقام مقام سياسة ومفاوضات، فأبدى عمر رأيه مصحوباً بالأدلة المقنعة، ولهذا رحَّب رسول الله -ﷺ- برأيه، ووقف عنده وأرسل عثمان.

١٢- العقيدة هي المحرك الأقوى لسلوك الإنسان:

عقيدة المرء وما يدين به هي المحرك الأساس لسلوك الإنسان، اتضح ذلك جلياً في موقف النبي -ﷺ- مع رسول قريش الحليس بن علقمة عندما رآه الرسول -ﷺ- مقبلاً، قال لأصحابه: (هذا فلانٌ وهو من قومٍ يَعْظُمُونَ الْبَدْنَ فَاْبْعَثُوْهَا لَهُ فَبِعِثْتُ لَهُ)، فاستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك الحليس قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى

^(٢) انظر فتح الباري (٣٣٦/٥).

^(١) المغازي للواقدي (٢ / ٦٩).

عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ تُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا؟! أَوَلَيْسَ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟! ومع ذلك رضخوا، وسلموا لله ورسوله، واتضح لهم بعد ذلك حكم وفوائد الصلح بعد أن نزلت سورة الفتح، حتى كان عمر - رضي الله عنه - يلقي الناس درسًا بوجوب مخالفة الهوى أمام حكم الله ورسوله بقوله: (أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيته أرد أمر رسول الله - ﷺ - برأي اجتهدًا، فو الله ما آلو عن الحق وذلك يوم أبي الجندل) كان سهل بن حنيف يقول: (اتهموا رأيكم رأيته يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله - ﷺ - لرددته).^(١) إنه درس عقدي عظيم الأثر بوجوب مخالفة الهوى أمام حكم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

١٥- حب الصحابة النبي - ﷺ -:

لقد أشرب في قلوب الصحابة حب رسول الله - ﷺ - حتى بذلوا الغالي والرخيص من أجله، وفي صلح الحديبية تجسّد هذا الحب في أروع الصور والمواقف، ومن ذلك: ما فعله عروة بن مسعود الثقفي - رضي الله عنه - مع ابن أخيه المغيرة بن شعبة يوم صلح الحديبية عندما كان واقفًا على رأس رسول الله - ﷺ - في الحديد يحرسه، فامتدت يد عروة إلى لحية رسول الله - ﷺ -

وكان يفاوضه على الصلح يومئذ، ففرع المغيرة يد عروة، ثم قال له: أمسك يدك عن لحية رسول الله - ﷺ - قبل ألا تعود إليك، يهدده بقطعها، فقال عروة: ما أفظك وأغلظك! ثم قال لرسول الله - ﷺ -: من هذا يا محمد؟ فتبسم رسول الله - ﷺ - وقال: (هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَالَ: أَغْدَرُ، هَلْ غَسَلْتَ سَوَاتِكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ؟).^(٢) وفي موقف آخر يعبر عنه عروة الثقفي لقومه بقوله: (أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَخَخَّمْ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهُهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يَحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةً رَشِدٍ فَاقْبَلُوهَا).^(٣)

إنها محبة رسول الله - ﷺ - التي تمكنت في نفوس الصحابة حتى فدوه بأنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، عملاً وتحقيقاً لقوله - ﷺ - في حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).^(٤)

١٦- البشارة لكل مسلم مستضعف بالفرج بعد الشدة، وبالعزيز بعد الذل، وبالتمكن بعد الطرد والابعاد.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/١) في كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان ح (١٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠١٠/٣) في كتاب الجزية، باب من عاهد ثم غدر (١١٦١)

كما هي عادة رسول الله -ﷺ- أنه يبشر بالخير، وبانقشاع ليلالي الظلم والجور لكل مستضعف ومضطهد، وفي صلح الحديبية بشارة لكل المستضعفين أن ضعفهم لا يدوم، وأن قوة الباطل لاتصمد أمام الحق، بل سرعان ما ينهار كيانه وتترزع قواعدها، ويتضح ذلك لما قدم أبوجندل إلى النبي -ﷺ- في المدينة قادما من مكة، بعد الانتهاء من كتابة الصلح، وما كان للنبي -ﷺ- بدٌّ من إرجاعه وإن أبدى للنبي -ﷺ- تخوُّفه من فتنة المشركين وعذابهم، واكتفى الرسول -ﷺ- بالقول له: (يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله عز وجل جاعلٌ لك ولمن معك من المُستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً فأعطيناهم على ذلك وأعطينا عليه عهداً، وأنا لن نغدر بهم)^(١). أنها بشارة له ولجميع المستضعفين في كل زمان ومكان بانبلاج الظلام، وبزوغ فجر العز والتمكين. وتحقق البشارة، فلما قدم النبي -ﷺ- المدينة، وأقام بها جاءه أبو بصير، هارباً من قريش، وترسل قريش رجلين خلفه، ويرده رسول الله -ﷺ- التزاماً بشروط الصلح، ويخرج أبو بصير مع صاحبيه القرشيين ليعود إلى مكة؛ فما أن جاوز المدينة بقليل . قيل: عند ذي الحليفة . حتى قتل أحد الرجلين، وفر الآخر هائماً على وجهه مستصرخاً بالنبي -ﷺ- فرعاً، فيخبره المصطفى -ﷺ- أن الأمر انتهى بتسليمه لهما. فيأتي أبو بصير قائلاً:)

يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم قال النبي -ﷺ- ويُل أمه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيردُّه إليهم^(٢) وفهم أبو بصير هذه الرسالة، وانطلق إلى الساحل حتى نزل إلى (العيص) (على طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام) ثم انضم إليه كل من فر من قريش من مستضعفي المسلمين بمكة، ومنهم أبو جندل، وشكلوا هناك قوةً وخطرًا على تجارة قريش، وهم خارج إطار الصلح حتى ضاقت قريش بهم، وطلبت من النبي -ﷺ- أن يلغي الشرط الخاص بمن قدم إليه من المسلمين، وأن يستقبل هؤلاء. وهكذا تقوى شوكة الضعفاء، ويستضعف الأقوياء، وينصرهم الله بعد ظلم، ويفرج لهم بعد هم، فبعث النبي -ﷺ- إلى قائدهم أبا بصير ليرجع ومن معه وينضموا إليهم، فيفرحون جميعاً بذلك، وتوفي المنية أبا بصير وهو يقرأ كتاب رسول الله -ﷺ- فيضعه على صدره ويموت ويقبر ومعه بكتاب رسول الله -ﷺ-.

١٧- لا يقضي الله -ﷻ- قضاءً إلا وفيه خير في الدنيا والآخرة، ووراءه حكم عظيمة.

كان الصحابة -رضي الله عنهم- يرون صلح الحديبية بادي الأمر مجحفاً لهم. ولإيمانهم بالله ورسوله سلّموا الأمر لهما دون رؤيتهم بادي الأمر للخير الذي فيه، ولكن هذا الصلح كان فيه الخير كله، والعز والتمكين للمسلمين، وهذا ما لمسه الصحابة بأنفسهم بعد

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الصلح مباشرة، وكان أول ثماره: نزول سورة الفتح، وما تحمله من بشارات عدة للمؤمنين، فكان الصلح فتحًا للمسلمين. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]. قال ابن كثير-رحمه الله-: أي بيانا ظاهرا، والمراد به صلح الحديبية، فإنه حصل بسببه خير جليل، وآمن الناس، واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع.^(١)

فكان الخير العميم في هذا الصلح، وهذا يجري في كل أمر يأمر الله به، وفي كل قضاء يقضيه الله- ﷻ- ففيه خير وحكم عظيمة، علمناها أولم نعلمها، بل حتى ولو لم تر أعيننا هذا الخير، فنؤمن إيمانًا جازمًا أن الخير فيما يختاره الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٩]. وفي حديث أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: (عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ، لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ)^(٢). فهذا الصلح تمخضت عنه منافع عظيمة، وحكم جليلة، تكشف في ما بعد للمؤمنين، وعلموا مافيه من خير، ولأهميتها يحسن أفرادها بالمبحث التالي.

المبحث الرابع: فوائد ومكاسب صلح الحديبية:

بالرغم من أن الصحابة- ﷺ- كانوا يرون الصلح ضيماً لهم، وصداً عن بيت الله، إلا أنه تبين لهم بعد ذلك حكمٌ عظيمة من وراءه حتى عدوه عزاً لهم، وتمكيناً، وفتحاً مبيناً، قال ابن مسعود- ﷺ -: (إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية).^(٣)

هذا الصلح له ثمار جليلة، ومنافع جسيمة يمكن إيجاز بعض منها فيما يلي:

١-فتح مكة:

من أهم ثمار صلح الحديبية: فتح مكة، فبعد أن نقض المشركون الصلح كان هذا سبباً لدخول المسلمين مكة، قال النووي-رحمه الله-: (من ثماره الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها كلها، ودخول الناس في دين الله أفواجا).^(٤)

٢-الاعتراف الرسمي بالإسلام:

لقد انتزع صلح الحديبية من قريش ما ظلت سنوات تتهرب من الإقرار به وهو: أن الإسلام دين، وأن لأتباعه الحق في أداء ما افترضه عليهم من شعائر في بيت الله الحرام، وأن لمحمد- ﷺ- وأصحابه مكانة في الوصاية القرشية، وكان له أثر في نفوس القبائل المجاورة التي اعتادت الخضوع لسطوة قريش^(٥)

٣- إلقاء مهابة المسلمين في قلوب المشركين والمنافقين:

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/٥٠٧) ح (٧٢٨) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥/٦٧) ح (١٦٩٢)، وأحمد في مسنده (٥/٢٥٦٤) ح (١٢٣٤٣). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٤٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٣) ابن كثير.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ١٤٠).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٦/ ١٧٣) القرطبي.

ومن ثم خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لحساب كفار قريش ويعتمدون على معونتهم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي أكمل الدين، وأتم النعمة، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمةً للعالمين، وجعله خاتماً للنبيين

بعد أن منَّ الله - ﷺ - عليَّ بإنجاز هذا البحث، أذكر فيما يلي أبرز النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو التالي:

أن هناك أسباباً عدة دعت إلى عقد صلح الحديبية منها:

- أن النبي - ﷺ - والمسلمين لم يريدوا القتال في تلك السنة؛ لعدم إذن الله لهم بذلك، وإنما أرادوا زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة، وساقوا معهم الهدى لتعلم قريش والعرب تلك الحقيقة.

- إصرار كفار قريش على عدم دخول المسلمين عليهم في تلك السنة عنوة من دون إذن، فتذهب هيبته عند العرب، وعدم رغبتهم كذلك في لقاء عسكري معهم وقتالهم؛ لتجاربيهم السابقة مع المؤمنين وخسائرهم.

- خوف قريش من التحرك العسكري من النبي - ﷺ - وصحبه بعدما سمعت بببيعة الرضوان، إثر شائعة مقتل عثمان بن عفان، ومبايعتهم لنبيهم على الموت والصبر، فبادرت بإرسال رسولها ليصالح المسلمين؛ اعتقاداً منها أن الصلح مع المسلمين سيعود عليهم بالخير والنفع الكثير، وستتحدث العرب

تجلى ذلك بمسارعة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام والدخول فيه، فلقد تيقنوا بغلبة الإسلام وأهله، ومن هؤلاء: خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعثمان بن طلحة - رضي الله عنه -، وسارع كثير من الأعراب المجاورين إلى الاعتذار عن تخلفهم عن رسول الله - ﷺ -.

٤- تفرغ الرسول ﷺ للدعوة للإسلام:

حيث أرسل رسائل، وخاطب قادة بعض الدول العظمى كقيصر، وكسرى، والنجاشي، والمقوقس، وأمراء الأعراب، وغيرهم من الملوك والقادة؛ ممَّا ساهم في نشر الإسلام، واتساع نفوذه، ودخلت كثير من قبائل العرب في دين الله لما أتاحت فرصة الاختلاط بالمسلمين عن قرب. ^(١)

٥- تفرغ الرسول - ﷺ - لمحاربة اليهود ومن يناوئهم: فبعد أن أمن النبي - ﷺ - جانب قريش؛ توجه لمحاربة عدو لدود، وهم اليهود فكانت غزوة خيبر، ففتحها الله - ﷻ - على نبيه، وغنم المسلمون غنائم كثيرة في هذه الغزوة.

٦- استراحة المسلمين من الحرب:

أتاح للمسلمين هدنة استراحوا فيها من الحروب التي شغلته واستهلكت قواهم، وذلك أن الكفار في الجزيرة كانوا يعتبرون قريشاً ه رأس الكفر، وحاملة لواء التمرد والتحدي للدين الجديد، وعندما شاع نبأ الصلح مع المسلمين انفرط عقد الكفار في الجزيرة، وضعفت الرابطة التي كانت تجمعهم وتؤلبهم على الإسلام،

^(١) انظر معرفة السنن والآثار (١٤٦/٧) البيهقي. و السيرة النبوية (٢١٩/٤) ابن هشام.

قواعد الشرك والوثنية، ورفعت راية التوحيد الخالص في أشرف البقاع، ولذا سماه الله فتحاً مبيناً. التوصيات:

١- ينبغي على المربين والمعلمين والدعاة والمدرسين استلهم الدروس من السيرة النبوية، وتربية الناس عليها.

٢- ضرورة ربط النشء بسيرة نبيهم - ﷺ - والتدبر فيها؛ لاستخلاص منهج حياة يسرون عليه في جميع سلوكهم وتعاملاتهم وعقيدتهم.

٣- على الباحثين والعلماء السعي لوضع موسوعة علمية في الدروس النبوية التربوية، والعقدية، والسياسية، والدعوية، والإعلامية، تعتمد على الاستنباط والتحليل لجميع أحداث السيرة، وربطها بالواقع المعاصر والعلوم الحديثة.

هذه أهم نتائج وتوصيات البحث الذي بذل فيه جهداً لاستنباط الدروس العقدية من أهم حدث في السيرة النبوية المشرفة، وهو صلح الحديبية وحسبي أني بذلت وسعي، فإن وافق الصواب فهو بفضل الله وتوفيقه، وإن كان خلاف ذلك فهو من نفسي والشيطان وأستغفر الله من ذلك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف- بيروت.

عن قوتهم وسطوتهم، وستقل بالمقابل هيبة المسلمين في نفوس الناس، وقد تحدث فتنة وانقسام في صفوفهم عندما يرجعون للمدينة دون أداء العمرة.

٢- أن صلح الحديبية انبثقت منه دروس تربوية، ودعوية، وسياسية، وتشريعية، وعقدية عظيمة، واقتصر هذا البحث على الدروس العقدية التي منها: وجوب التسليم لله ورسوله - ﷺ -، واستحاب الفأل، ووجوب حسن الظن بالآخرين، وأن رؤيا الأنبياء حق، وأن آية تكثير الماء دليل صدق نبوته - ﷺ -، إلى غير ذلك من الدروس العقدية.

٣- أن صلح الحديبية وضع حدًا لأعداء الإسلام؛ بحيث لم يعد لهم التجمع بزعامة قريش لمحاربة المسلمين.

٤- لا يقضي الله قضاءً إلا فيه خير في الدنيا والآخرة، تجلى ذلك في فوائد وثمار صلح الحديبية، التي كان من أهمها: انتشار الإسلام، وفتح مكة، وتحالف القبائل مع المسلمين، وظهور قوة المسلمين كطرف مساوٍ لقريش.

٥- أن طاعة ولي الأمر والالتفاف حوله، له دور كبير جدًّا في التصدي للأعداء، وزرع الهيبة في صدورهم، وفشل مؤامراتهم في اختراق الصف الإسلامي، وهذا تجلى واضحاً في صلح الحديبية، باعتراف الرسل المفاوضين من قبل كفار قريش.

٦- أن صلح الحديبية كان منعطفًا عقديًا كبيرًا في تاريخ الإسلام؛ حيث كان من إنجازاته كسب أكبر معركة دارت بين الإسلام والوثنية، وبه تصدعت

- ٣- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف بـ (اليعقوبي)، طباعة ونشر: مؤسسة الأعلمي للطبوعات - لبنان، بيروت، تحقيق: عبد الامير المهنا.
- ٤- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.
- ٥- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار النشر: دار المحاسن للطباعة - المدينة المنورة - ١٣٨٤ - ١٩٦٤، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.
- ٦- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الطبعة: الثالثة، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- ٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.
- ٨- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، الطبعة: الثانية. دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥.
- ٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الألباني، (د.ط)، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ١٠- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الطبعة: دار النشر: دار الفكر - بيروت -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ١١- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- ١٢- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١١، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
- ١٣- صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الطبعة: الثانية، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢هـ.
- ١٤- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، دار النشر: دار صادر - بيروت -.
- ١٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٦- كتاب الأوائل، أبو عروبة الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت -

- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد. البيهقي. الخسروجردي، الطبعة: بدون دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت -، تحقيق: سيد كسروي حسن.
- ٢١-المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا.
- ٢٢-المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، الطبعة: الثالثة، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، - ١٤٠٩ / ١٩٨٩.
- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري.
- ١٧-المجموع، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧ م.
- ١٨-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة- مصر.
- ١٩-مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٥ م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني
- ٢٠-معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أديس الشافعي، الحافظ الامام أبو بكر

The doctrinal lessons of the Hdaybiyah Prepared by

Maryam Ali Alhoshani

*Associate Professor of Faith and Contemporary Beliefs College of
Art - Islamic Studies Department Princess Noura
Bint Abdulrahma University*

All praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers be upon our Prophet Muhammad, his family and companions.

The student of the Prophet's biography and events finds himself in front of a great educational, doctrinal and political school. One these events is Treaty of Hudaibiya which was an important juncture in the Islamic Dawa. In recognition of the importance of that event, So the search has been named(The doctrinal lessons of the Hdaybiyah) according to plan consisting of an introduction, four topics, a conclusion and an indexes. The introduction includes a clarification of the place, time and duration of the treaty which took place on Monday 6Dhul-Qidah of the sixth year of immigration in Hudaibiya, and the duration of treaty was ten years. The first topic talked about the reasons of treaty, some of these were that the Prophet came to Mecca for the Umrah and not to fight, the unbelievers of Quraish insist to prevent the Prophet and his companions to perform the Umrah without a military confrontation because they were afraid of Muslims especially after the pledge of Al-Radwan, the unbelievers thought that the treaty will benefit them. The second topic was about writing the treaty and its provisions which were six items: To return Muslims without the performance of Umrah to the next year – To return everyone from Quraish wants Islam to his tribe – To accept every Muslim comes to Quraish - To stop the war for ten years between Quraish and Muslims. The third topics was about the doctrinal lessons learned of Hdaybiyah, which includes: that the prophet's vision is divine inspiration , good fortune, think the best of people, abundance of water is evidence of prophecy, submission to God and His Messenger, soul-searching, to disbelieve in the influence of the planets, judgment on asking Allah's blessing by the remains of the Prophet, To agree with unbelievers in some cases does not mean aiding them, to obey the guardian, to magnify Allah's sacred rites, Allah's divine decree is all good, not to arbitrate the passions and opinions and love companions of the Prophet.

The fourth topic was a brief reference to the benefits and gains achieved by the treaty of Hdaybiyah, conquest of Mecca, the official recognition of Islam and its state, Muslims feared by unbelievers, the Prophet engaged to the Dawa and fighting the Jews, Muslims took a rest of war. The conclusion of the research contains the results and recommendations, and the indexes of sources and approved references

ازدواجية القيم الثقافية لدى عينة من طلاب جامعة الكويت

زهاء الصويلان

جامعة الكويت قسم أصول التربية أستاذ مساعد

ملخص. هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى وجود ازدواجية القيم الثقافية المتعلقة باللغة والدين والعادات والتقاليد لدى طلبة جامعة الكويت، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وتكونت استبانة الدراسة من ثلاثة أبعاد (اللغة، و الدين، والعادات والتقاليد). طبقت الدراسة الأولية في العام الدراسي ١٩٩٩/٢٠٠٠ على عدد محدود من الطلاب بلغ عددهم ١٥٠ طالباً وطالبة، كما طبقت الدراسة مرة أخرى في العام الدراسي ٢٠١٤/٢٠١٥ على عينة أكبر من الطلاب بلغ عددها ١١٦٦ طالباً وطالبة، وذلك لتقصي ظاهرة الازدواجية ، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود ازدواجية في الأبعاد الثلاثة، وقد حصل البعد اللغوي وبُعد العادات والتقاليد على متوسط (٣,٠٢)، أما بالنسبة للفروق الإحصائية لمجالات الدراسة فقد لوحظ وجود فروق دالة إحصائية وفقاً لمتغير الجنس بين متوسطي استجابات عينة الدراسة في البعد اللغوي لصالح الإناث عند مستوى ($> 0,01$)، كما جاء الفرق في متوسطات استجابات عينة الدراسة في بعد العادات والتقاليد لصالح الإناث عند مستوى ($> 0,05$)، كما لوحظ وجود فروق دالة إحصائية في الأبعاد الثلاثة تعزى للسنوات الدراسية والكليات عند مستوى ($> 0,01$)، وقد أوصت الدراسة بضرورة متابعة ظاهرة الازدواجية الثقافية وإقامة الندوات التوعوية حولها.

الكلمات المفتاحية: الازدواجية، اللغة، الدين، العادات والتقاليد.

المقدمة

تعد الثقافة مقياس إنسانية الأمم وتقدمها، ولكل أمه ثقافتها الخاصة وما تحمله من عادات وتقاليد وأعراف، إلا أنَّ هذه الثقافة قد لا تصمد أمام الغزو الثقافي والإعلامي الخارجي، الذي يستهدف غالباً الشباب ويعمل على تغيير قيمهم وعاداتهم، بالإضافة إلى أنه قد يساعد على زيادة الفجوة القيمية بين الشباب وآبائهم، وبين الماضي والحاضر، وبين القديم والجديد. إن الجيل الحالي يسعى إلى تطوير

هويته الذاتية بينما يصر الآباء على أن يحافظ أبناؤهم على الهوية التقليدية، وهذا ما قد يعرض هذا الجيل إلى مخاطر الانفصال عن عالم الكبار (Falk & Falk, 2005)، كما قد ينتج عنه أزمة قيم، والتي قد تدفع الشباب اليوم إلى المطالبة بتعديل القيم القديمة وبناء مجتمع يقوم على قيم حديثة، وما شاهده عالمنا العربي من ثورات دليل على تطلع الشباب لهذا التغيير.

كانت للتطورات السياسية والوعي السياسي أثر على تغير نظرة الشباب للمجتمع وسعيهم لتحسين مجتمعاتهم، والتأكيد على حقوقهم، والعمل على تطبيق الديمقراطية والحرية السياسية.

للأسرة والمدرسة كذلك دور في إحداث هذا الصراع القيمي؛ فالفرد يتعلم القيم من الأسرة أولاً ثم ينتقل بعد ذلك إلى المجتمع المدرسي فيكتسب قيماً أخرى قد تتباين مع ما تعلمه داخل الأسرة، فوجود فجوة بين القيم التي يكتسبها من المنزل وتلك التي يتعلمها من المدرسة قد تحدث ازدواجية لدى الفرد، فمثلاً العنف الجسدي واللفظي من القيم التي قد لا يستخدمها الفرد في المنزل ويمارسها في المدرسة للدفاع عن ذاته.

إن العوامل السابقة قد أوجدت جيلاً متضارباً مزدوجاً يسعى إلى ارضاء مجتمعه التقليدي وفي الوقت ذاته باحثاً عن التجديد ومواكبة التغيرات، مما أدى ذلك إلى ظهور جيل يعاني من ازدواجية في عدة جوانب، منها ازدواجية العادات والتقاليد، الازدواجية اللغوية، والازدواجية الدينية. فنجد قيمهم بين الماضي والحاضر، ولغتهم بين العربية والأجنبية، ودينهم بين التطرف والوسطية، لذا تحاول هذه الدراسة الكشف عن تلك الازدواجية ومدى انتشارها بين طلبة الجامعة.

مشكلة الدراسة

بحثت العديد من الدراسات عن الصراع القيمي لدى الشباب، إلا أن المشكلة ما زالت قائمة وتحتاج إلى المزيد من البحث، ولا سيما فيما يتعلق بالقيم المتعلقة

وتعد التطورات الكمية والكيفية للمعرفة والتكنولوجيا عاملاً مساعداً على ظهور هذا الصراع القيمي بسبب إدخالها العديد من التغيرات على قيم الفرد ومفهومه للمجتمع، كما أنها أثارت لدى الشباب العديد من المشاكل، فدمرت بذلك الكثير من القيم والمفاهيم التي اكتسبها الشباب من المجتمع، وقد ساعد التقدم الهائل في مجال الاتصالات على انفتاح الشباب على قيم خارجية وأصبحت تلك القيم دخيلة على المجتمع، كما أصبح نقل قيم المجتمع إلى الشباب أكثر صعوبة مما كان عليه في السابق (Iglehart, 1997)، فثورة الاتصالات خلقت جيل أصبح يمتلك زمام قوة القيادة للتغير الاجتماعي (France, 2007)، وبذلك أصبحت وسائل الاتصال تهدد قيم المجتمع، وتعمل على زعزعة القيم الموروثة والمكتسبة لدى الشباب مما يسبب ذلك تضارب القيم، وقد يدفعهم ذلك إلى الثورة على قيم المجتمع و يشعروهم بالاغتراب (حسن، ٢٠٠٩).

وللعوامل الاقتصادية والسياسية أيضاً دور في تغيير فكر الشباب (إبراهيم، ١٩٨٨)، فبسبب ضغوط الحياة الاقتصادية تغيرت القيم الاخلاقية وأصبحت المادة تغلب على التعاملات بين البشر، وأصبحت قيم الصدق والاخلاص تنتمي إلى عالم الأدبيات (حافظ، ٢٠٠٤)، كما أن التغيرات الاقتصادية قد ساهمت في تشكيل قيم الشباب وأصبحت الثقافة الاستهلاكية ثقافة الشباب التي يستخدمها لإشباع رغباته وتحقيق ذاته. أما من الناحية السياسية، فقد

أهداف الدراسة

- يمكن تحديد أهداف الدراسة على النحو التالي:
- التعرف على مدى وجود ظاهرة ازدواجية القيم الثقافية بين طلاب جامعة الكويت.
 - التعرف على أهم مظاهر القيم الثقافية لبعد اللغة، الدين، والعادات والتقاليد.
 - تقديم توصيات ومقترحات لمعالجة ظاهرة ازدواجية القيم الثقافية.

أهمية الدراسة

تنبثق أهمية الدراسة من أهمية الظاهرة التي تبحث فيها، وهي ظاهرة الصراع القيمي التي تنتمي إلى ظاهرة انسانية وليدة التغير الاجتماعي السريع الذي يعيشه مجتمعنا في الآونة الأخيرة، والذي كان له دور في تغيير فكر الشباب، ونتيجة لذلك التغير نجد الشباب يتبنون أفكار دخيلة على المجتمع، وفي الوقت ذاته يصارعون للحفاظ على هويتهم الثقافية، وتظهر هنا الازدواجية التي قد تخلق انفصام ظاهري لدى الشباب الحريصين على ارضاء المجتمع الطامحين للتغيير. وقد طالت هذه الظاهرة الشباب الجامعي الذي يسعى إلى تحقيق مجتمع يجمع بين الحداثة والأصالة، ورغم أن التغير القيمي ضرورة حتمية للمجتمعات لمسايرة العصر، إلا أن هذا التغير قد يساهم في حدوث الصراع القيمي.

باللغة، و الدين، والعادات والتقاليد. وقد لوحظ في الآونة الأخيرة ومن خلال الاحتكاك بالشباب كطلاب في الجامعة تغير في تلك القيم وظهور فجوة قيمية ما بين التمسك بالأصالة ومواكبة الحداثة مما أدى ذلك إلى ظهور أزمة فكر وسلوك عند الشباب، وخلق جيلاً يعاني من ازدواجية قيمية واضطراب فكري، محاولاً ارضاء ذاته ومجتمعه في آن واحد، وانعكس ذلك على سلوكه فأصبح يسلك سلوكاً ظاهرياً لإرضاء مجتمعه وسلوكاً باطنياً لإرضاء ذاته، وظهر في مجتمعاتنا شباب مزدوج الهوية يخوض في دائرة منافسة قيمية كل طرف فيها يحاول التغلب على الآخر، وفي نزاع مستمر يزداد بزيادة حدة الخلاف، فالازدواجية مشكلة يعيشها شبابنا يومياً وقد تؤدي إلى أمراض نفسية واجتماعية وخيمة.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- ما مدى وجود ظاهرة ازدواجية القيم الثقافية بين طلاب جامعة الكويت؟
- ٢- ما أهم مظاهر ازدواجية القيم الثقافية للبعد اللغوي، والديني، والعادات والتقاليد؟
- ٣- هل توجد فروق دالة احصائياً بين طلاب الجامعة وفقاً للمتغيرات الديموغرافية (الجنس، السنوات الدراسية، والكلية)؟

الإطار النظري للدراسة

الازدواجية اللغوية

الازدواجية كما جاءت في قاموس المعاني هي الظهور بمظهرين فيما يتعلق بالشخصية، وبالنسبة للغة فهي تعني استخدام لغتين. أما القيم فهي المبادئ والأهداف التي تعمل على الحفاظ على هوية المجتمع سواء من قبل الفرد أو الجماعة (González-Rodríguez, Díaz-Fernández, and Simonetti Biagio, 2014)، في حين يقصد بالثقافة الأفكار والعادات والسلوكيات وطريقة حياة الإنسان التي تساعده على التفكير والعيش، وتوثق الروابط الاجتماعية من خلال تبني الأفراد لسلوكيات الجماعة التي ينتمون إليها (Sharaf Eldin, 2015). ويمكن تعريف ازدواجية القيم الثقافية اجرائياً على أنها تلك الصراعات الثقافية التي تعود إلى تناقضات قيمية بين قيم الفرد وقيم المجتمع، وبين القيم التقليدية والقيم المعاصرة.

وتعد ازدواجية القيم الثقافية من أوجه الصراع القيمي، فهي تلك القيم التي ترتبط بثقافة المجتمع كاللغة والدين والعادات والتقاليد. وقد تعاني هذه القيم من تذبذب في كثير من الأحيان بسبب التداخل الثقافي بين قيم المجتمع والقيم الخارجية، فالمجتمع لم يعد الحصن المنيع وأصبح من السهل اختراقه بسبب الغزو الفكري الذي بات يهدد الأمن الثقافي لدى الشباب، ومن الازدواجيات الملحوظة في المجتمع ازدواجية اللغة، و الدين، والعادات والتقاليد.

تعرف الازدواجية اللغوية على أنها استخدام فرد أو جماعة لغتين مختلفتين في آن واحد، ويتضمن هذا المصطلح مفهوم "التعددية اللسانية" أي تعايش أكثر من لغتين، كما يقصد بها "التداخل اللغوي" حيث تتداخل اللغة الأم مع اللغة الأجنبية ليشكل ما اصطلح عليه "الازدواجية اللغوية" (جبروني، ٢٠١٧). ويعرف كلير الازدواجية اللغوية على أنها الواقع العام لكل المواقف التي تقتضي ضرورة الاستعمال الشفوي وأحياناً الكتابي للغتين أو عدد من اللغات من طرف واحد أو من طرف جماعة (الفيتوري، ١٩٨٤)، كما تعرف على أنها القدرة على التكلم بلغتين مختلفتي الأصل وبطريقة جيدة؛ فالأولى هي اللغة الأم، أما الثانية فيكتسبها الفرد أما عن طريق المحيط الغني باللغات أو عن طريق الزمالة بالتقليد والممارسة (أغلal، فاطمة الزهراء وعمر، بلخير، ٢٠١٣).

وبالنظر إلى التعريفات السابقة للازدواجية اللغوية نستنتج أن الفرد مزدوج اللغة هو الشخص الذي يمتلك القدرة على استخدام لغتين مختلفتين في آن واحد، والمتأمل بلغة الشباب العربي اليوم يجد أن من بينهم من يستخدم لغتين مختلفتين كاستخدام اللغة الأجنبية بجانب اللغة العربية، بالإضافة إلى استخدام الأحرف والأرقام الإنجليزية في الكثير من الأحيان وخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي، فبدلاً من

اللغة المستخدمة في الإعلام والحوار في الأدب المسرحي والروائي. كما أن هناك عوامل قد تؤثر على اللغة العربية ومن أبرزها الصراع الدائم مع اللغة الأجنبية التي أصبحت استثماراً تجارياً لأصحاب المشاريع والمؤسسات التعليمية لتسويق تلك اللغة في المجتمع (الزواوي، ٢٠٠٥). كما نلاحظ أن اللغة الأجنبية كالإنجليزية أصبحت لغة أساسية تدرس في الكليات العلمية في أغلب الجامعات؛ حيث أصبحت تلك اللغة لغة العلم في وقتنا الحالي، وأصبح العديدون يحرصون على امتلاكها وممارستها في حياتهم اليومية، فلذا نجد أن البعض قد يستخدمها في خطاباتهم وحواراتهم بشكل مستمر.

ومن ناحية أخرى، أكدت Mary Bocholtz (2000) المختصة في علم اللغويات أن هناك لغة شبابية دارجة أصبحت لغة القرنين العشرين والواحد والعشرين، ومن أسباب ظهور تلك اللغة الإعلام وشبكات الانترنت، وبما أن الشباب هم الأكثر استخداماً لتلك الشبكات فمن المتوقع استمرارية تطور اللغة الشبابية من تلك المصادر، فكما أن ثقافة الشباب كان لها الدور في تغيير الملابس وتسريحات الشعر، فكذلك سيكون لها تأثير في تطوير أشكال استخدام اللغة.

الازدواجية الدينية

يُقصد بالازدواجية الدينية افتعال الولاء الديني أو التظاهر بالالتزام بمبادئه من قبل البعض. وقد يرجع ذلك إلى أحد عاملين: عامل سلطة الدين في

الأحرف والأرقام العربية أصبح الشباب يستخدم لغة التعريب الدارجة في محيطهم، فعلى سبيل المثال يستخدمون في الكتابة رقم (7) بالإنجليزية للدلالة على حرف الحاء باللغة العربية، ويكتبون محادثاتهم العربية مستخدمين الأحرف الانجليزية، كما يستخدم الشباب بعض الكلمات والجمل الأجنبية في الكثير من حواراتهم. وقد يدل ذلك على وجود ازدواجية لغوية وإن لم تكن ظاهرة، وهذا ما قد يعرض لغتنا العربية إلى الخطر، وقد أكد مؤتمر بيروت عام ٢٠١٢ على مدى تراجع لغتنا العربية وذلك ليس بسبب ضعفها، أو عدم مقدرتها على التصدي للمستجدات، والتطورات، والعلوم، والمعارف، ولكن بسبب ضعف تأهيل الجيل الحالي وجيل المستقبل وعدم وجود استراتيجيات وسياسات لتعزيز اللغة العربية (الزواوي ٢٠١٣).

ويمكن تصنيف الازدواجية اللغوية إلى ثلاثة أصناف:

- الازدواجية المتزنة ويقصد بها استخدام اللغة الأم واللغة الأجنبية بدرجة متساوية.
- الازدواجية غير المتزنة لصالح اللغة الأم بحيث تكون أقوى استخداماً من اللغة الأجنبية.
- الازدواجية غير المتزنة لصالح اللغة الأجنبية بحيث تكون أقوى استخداماً من اللغة الأم.

ويجد المهتمين باللغة العربية أن هناك مشكلات قد تتجم عنها، مثل مشكلات متعلقة بتعليم اللغة العربية للآخرين، ومشكلات الترجمة والتعريب، ومشكلات

بالأساليب الغربية في جميع نواحي الحياة في المجتمع (الناصر، ١٩٨٩).

ازدواجية العادات والتقاليد

توجد قيم مشتركة داخل كل جماعة، وتلك القيم دور مهم في تنظيم وتوجيه الفرد، فهي تعد المعايير التي تقود الأفعال، وتعمل على إصدار الحكم على المواقف (Rebecca, 1988)، وقد يختلف تأثير القيم باختلاف عموميتها ومركزيتها من جماعة إلى أخرى حسب ارتباطها بالعقائد والتقاليد الاجتماعية (الفقي، ١٩٨٤). ويرى أصحاب الفلسفة الواقعية أن القيم جزء من عالمنا المادي وتعكس الواقع، وأن للكيان الاجتماعي دور في تحديد قيم الفرد (الشريدة والعلوان، ٢٠٠٧)، ويحاول الفرد جاهداً أن يندمج مع كيان الجماعة كما هو الحال لدى الجماعات البشرية كالقبيلة أو العشيرة، فيطغي بذلك على الفرد معايير وضوابط الجماعة التي ينتمي إليها، وقد تطغى على حريته الفردية، وتقيد سلوكه واختياراته. ويؤكد دوركهيم هنا أن لكل فرد كائنين، أحدهما يعبر عن ذاته وهو الكائن الفردي والآخر لا يعبر عن شخصيته بل شخصية الجماعة التي ينتمي إليها (وظفة والشريع، ٢٠١١)؛ فالعادات والتقاليد تصاحب الفرد عند ولادته وتنمو معه، فالبعض قد يتشربها وتصبح جزءاً من حياته، والبعض الآخر قد يجدها تقيد حريته فيعاديها معرضاً نفسه للانتقادات. ولحل هذه المشكلة قد يلجأ الفرد أحياناً للسلوك والتفكير

المجتمع وعامل الخوف من الغيب، ونجد العامل الأول عند الأشخاص الذين تكون ممارساتهم الدينية شكلية لتخفيف شعور الخجل الاجتماعي والضعف الإنساني أمام التجاوز على المحرمات الدينية والضوابط الاجتماعية، أما العامل الثاني فيظهر غالباً عند الأشخاص الذين يتقدم بهم السن فيسترجعون ما قدموه في سنواتهم الماضية فيبدأ الصراع بين تعاليمهم الماضية والحاضرة عند محاولتهم إصلاح ما ارتكبوه من أخطاء ومعاصي (الناصر، ١٩٨٩).

و من أسباب ظهور الازدواجية الدينية:

- التناقض بين ما تفرضه تعاليم الدين المتعارف عليها وبين الرغبة في إشباع حاجات الشباب، وخاصة الجنسية.
- الصراع بين روح الدين المتأصلة في الشباب وبين حياتهم اليومية؛ أي ما يحس به بعض الشباب من تناقض بين الدين والعقل مما قد ينتج عنه حيره واضطراب.
- مثالية الشباب الذين يرتبطون بتفكير الماضي وحياة الإسلام في الماضي، فيعيشون بمعزل عن الحياة المعاصرة.

- إخضاع الدين للأهواء السياسية، وقد يتنافى ذلك مع عقل الشباب الرافض بالصاق الدين بالسياسة.

- تغريب المجتمع الإسلامي؛ حيث يصبح الإسلام مجرد دين لا يطبق في الحياة الواقعية واستبداله

المجتمعات. وأكدت الدراسة على دور العلماء والمفكرين ومسؤوليتهم في الدفاع عن أفكارهم حتى لا تأخذ منحنيات غير أخلاقية.

وقد أجرى العواد (٢٠٠٧) دراسة بعنوان "التعليم وسوق العمل: أزمة قيم" حاول فيها التعرف على طبيعة القيم التي تتحكم بطبائنا في الحياة وتتعاكس على سلوكنا، وقد كشفت الدراسة أن هناك اختلاف في هذه القيم بين أفراد المجتمع الواحد، وأشارت إلى دور الغزو الثقافي في تداخل القيم بين المجتمعات في عصر العولمة، كما صنف الأفراد حسب القيم إلى ثلاث مجموعات الأولى متمسكة بالقيم الأصلية، والثانية تناست القيم وتسعى للتجديد، أما الثالثة فتقوم بالموازنة بين القديم والجديد، وأكدت الدراسة على مسؤولية المدرسة في تكوين القيم.

وفي دراسة أجراها الشريدة والعلوان (٢٠٠٧) تحت عنوان "أثر بعض المتغيرات في المنظومة القيمية لدى طلبة جامعة الحسين بن طلال" بحثت عن العوامل المؤثرة في المنظومة القيمية، وتشمل القيم الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والجمالية، والاقتصادية، وعلاقتها بمتغيرات الجنس، والمستوى الدراسي، ومكان السكن، ومستوى الدخل الشهري للأسرة. وقد تم تطبيق استبانة على ٦٠٥١ طالب وطالبة من جامعة الحسين بن طلال. وأشارت نتائج الدراسة إلى تأثير متغيري الجنس والمستوى الدراسي للطالب على القيم الاجتماعية والسياسية والجمالية والاقتصادية، كما أشارت إلى عدم وجود تأثير لمتغيري مكان السكن ومستوى الدخل الشهري للأسرة على المنظومة القيمية.

أما حافظ (٢٠٠٤) فأجرى دراسة بعنوان "التغير القيمي لدى طلاب الجامعة" هدفت إلى التعرف على مظاهر اضطراب قيم الشباب الجامعي، والكشف عن

المزدوج محاولاً إرضاء المحيط الاجتماعي أولاً ومن ثم إشباع ذاته.

و من عوامل ظهور ازدواجية العادات والتقاليد:

- العوامل الخارجية: وتتمثل بالعولمة وما تحمله من تغيرات قيمية قد تهدم القيم المكتسبة من المجتمع.
- العوامل السياسية: والمتعلقة بالقيود التي يفرضها المجتمع على الشباب وتمنعهم من حرية التعبير.
- العوامل الاقتصادية: والمتمثلة بالمستوى الاقتصادي والإمكانات المحدودة لدى الشباب في تحقيق طموحاتهم.

الدراسات السابقة

بحثت العديد من الدراسات العربية والأجنبية عن أزمة القيم، وقد أكدت أغلب الدراسات على دور الحداثة والعولمة في ادخال قيم جديدة على المجتمع وخاصة بين فئة الشباب الذين انجرفوا وراء تيار التجديد، وعملوا على تبني قيم دخيلة على مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وكان لتلك القيم الحديثة أثراً في حدوث فجوة بين قيم وعادات الشباب العصرية وبين قيم وعادات الجماعة التي ينتمون إليها.

وفي دراسة قام بها علوض (٢٠١٢) تحت عنوان "أزمة القيم في عالم متغير: ملاحظات نقدية" بحث من خلالها عن العلاقة بين القيم والثقافة، فقد أظهرت تلك الدراسة وجود علاقة ارتباطية بين القيم والثقافة، فكلاهما يسعى لمواجهة آثار العولمة، كما أشارت إلى وجود عاملين رئيسيين وراء أزمة القيم: الأول يتعلق بالهيمنة الغربية على مجتمعات العالم الثالث في كافة المجالات، والثاني يتجلى في فقدان قيم المواطنة جراء اللوبي الحاكم على تلك

المصري. اقترح الباحث تصوراً استراتيجياً يساعد على تخطي الأزمة الأخلاقية والسلوكية أو التقليل من انعكاساتها على المجتمع من خلال توسيع مساحة الديمقراطية الأخلاقية وإتاحة الفرصة لخلق أسس للحوار العقلاني.

وقد قام السيد (٢٠٠٣) بدراسة تحت عنوان "إشكالية القيم لدى الشباب الجامعي بين ثقافة العولمة والثقافة التقليدية" هدفت إلى التعرف على انعكاسات العولمة وما أفرزته من قيم مستحدثة، ومدى تأثيرها على القيم التقليدية للشباب في الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي ودراسة الحالة المكثفة، وطُبقت المناقشة الجماعية المركزة على ٥٠ طالب وطالبة من كلية الآداب جامعة طنطا. وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- التفاعل بين ثقافة العولمة والثقافة التقليدية أسفر عن بروز ثقافة مشوهة، انعكست تداعياتها على التناقض القيمي وأساليب التفكير لدى الشباب الجامعي.

- رغم خضوع الشباب الجامعي لمؤثرات السوق العالمية، إلا أن المحددات البنائية التاريخية السائدة تحول دون انتشار الثقافة الاستهلاكية العالمية بفعل عمليات الإفقار والتهميش للشباب.

- الثقافة التقليدية مازالت تُفرض على الشباب الجامعي من خلال ممارسة طقوسها بضرورة الاستمرار في ظلها، كما تتعايش الثقافة التقليدية إلى جانب ثقافة العولمة في النمط الاستهلاكي لدى الشباب الجامعي.

- الشباب الجامعي يشهد اليوم اتجاهاً دينياً كبيراً كتعبير عن الأزمة الخائفة التي يمر بها، وقد تبين

المتغيرات المحلية والعالمية في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي طرأت عليها، وتناول أهم القيم السائدة لدى الشباب والتي تضمنت القيم التربوية، وقيم العمل، والقيم الأسرية، والحوار مع الآخرين، بالإضافة إلى التنبؤ بالمتغيرات القيمية المستقبلية في تلك القيم. تم تطبيق استبانة على ١٨ خبيراً في مجال القيم، وأظهرت نتائج الدراسة عدم الرضا المهني في قيم العمل السائدة لدى الشباب الجامعي، وأما قيم العمل المستقبلية فبعضها كان سلبياً مثل استمرار سيادة قيم (الفهولة) لدى الكثيرين، وبعضها كان إيجابياً مثل إتقان مهارات العمل الأساسية. بالنسبة للقيم التربوية، فقد اتضح وجود قيم سلبية مثل القصور في مهارات البحث، والاستهتار الشديد بالعلم، وأما فيما يتعلق بالقيم الأسرية فقد أثبتت الدراسة وجود قيمة اللجوء للزواج العرفي بين الشباب، وبالنسبة للقيم الأسرية المتوقع حدوثها مستقبلاً أشارت الدراسة إلى وجود قيم سالبة مثل ضعف الروابط الاجتماعية، وأخرى موجبة مثل تحمل الشباب مسؤولية توفير حاجاته ومقدرته على الكسب. وفيما يخص قيم الحوار فقد توصلت الدراسة إلى وجود قيم سالبة مثل سذاجة مجالات الحوار وضعف المستوى المعرفي في الحوار، أما قيم الحوار المتوقع حدوثها فقد أسفرت عن توقع قيم موجبة مخالفة للقيم السالبة مثل نبذ التعصب للآراء والأفكار وقبول الرأي الآخر.

وفي دراسة حجازي (٢٠٠٣) عن "أزمة القيم"، حاول الباحث من خلالها التعرف على أزمة القيم في المجتمع المصري، وتقصى مظاهرها وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكيفية تعرضها لمجموعة متغيرات أثرت على منظومة القيم محدثة خلل في الكيان الاجتماعي، بالإضافة إلى تشخيص الأزمة الأخلاقية وتداعياتها على أفراد المجتمع

عدد محدود من الطلاب في مختلف الكليات (ن=١٥٠)، وقد لاحظت الباحثة من خلال احتكاكها بالطلاب أن هناك تطوراً ملحوظاً في ازدواجية القيم الثقافية لديهم، لذا قامت بإجراء الدراسة مرة أخرى في العام الدراسي ٢٠١٤/٢٠١٥ على عينة أكبر من الطلاب (ن=١١٦٦) لدراسة التغيرات والتطورات التي طرأت على مشكلة الدراسة بشكل موسع.

حدود الدراسة:

الحد المكاني: جامعة الكويت

الحد الزمني: طبقت في العام الدراسي ٢٠١٤/٢٠١٥

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من طلبة وطالبات جامعة الكويت البالغ عددهم ٣٦٣٤٤ طالباً وطالبة.

عينة الدراسة: تم تطبيق الاستبانة التي استخدمت في الدراسة الأولية في العام الدراسي ١٩٩٩/٢٠٠٠ على عينة عشوائية من طلاب جامعة الكويت، وقد كان حجم العينة حينذاك ١٥٠ طالباً وطالبة، أما في العام الدراسي ٢٠١٤/٢٠١٥ فقد بلغ حجم العينة ١١٦٦ طالباً وطالبة. ويوضح الجدول رقم (١) أدناه توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً للمتغيرات الديموغرافية.

جدول رقم (١)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً للمتغيرات الديموغرافية

المتغير	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	٥٤١
		46.4%

للشباب أن اللجوء إلى الأصولية الدينية خير سبيل في هذه الأحوال.

- ثقافة العولمة قد أدت إلى تكريس الثنائية والانشطار في قيم الاختيار الزواجي، ففي الوقت الذي يركز فيه بعض الشباب الجامعي على القيم المادية في الزواج وانتشار الزواج العرفي في ظل العولمة، نجد أن هناك من يضع معيار التدين والأخلاق والحجاب كشرط للزواج.

- انعكاس ثقافة العولمة على طبيعة المشاعر والقيم المعبرة عن الانتماء لدى الشباب الجامعي، حيث فرضت ذلك المشكلات كالبطالة والفقر، والإحساس بالاغتراب، واهتزاز القيم الوطنية.

- وعي الشباب بضرورة الحفاظ على الثقافة الوطنية، ودعم الفكر الحر الملتزم بالقيم الدينية، والاهتمام بالأسرة، وتطوير التعليم.

ومما سبق نجد أن الدراسات السابقة تطرقت إلى وجود أزمة قيم حقيقية بين الشباب إلا أنها ركزت على دور القوى الخارجية كالعولمة والثورة التكنولوجية والإعلام في تغيير قيم الشباب، بينما تركز هذه الدراسة على دور الصراع القيمي في خلق قيم مزدوجة لدى الشباب ما بين تشربهم للقيم الدخيلة وبين الحفاظ على قيم مجتمعهم.

منهج الدراسة وإجراءاتها

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي، وذلك من خلال وصف واقع المشكلة والاهتمام بالقيم والاتجاهات عند الأفراد ورصد التيارات والاتجاهات والتغيرات الآخذة في النمو (البياتي وخليفة، ٢٠١٥). وقد قامت الباحثة برصد هذه الظاهرة في العام الدراسي ١٩٩٩/٢٠٠٠ على

أوافق، محايد، أعارض، أعارض جداً) وذلك لقياس اتجاهات عينة الدراسة نحو اللغة، والدين، والعادات والتقاليد. اشتمل بعد اللغة على (١٢) عبارة، فيما اشتمل بعد الدين على (١٥) عبارة، في حين أن بعد العادات والتقاليد اشتمل على (١١) عبارة.

ثبات الأداة

يقصد بثبات الاستبانة أن تعطي الاستبانة التي طبقت على فرد أو مجموعة من الأفراد نفس النتائج أو التقديرات عند تكرارها، ولا يحدث تغيير جوهري في الدرجات بتكرار تطبيق الاستبانة، وفي هذه الحالة نصف الاستبانة بأنها تتميز بالثبات، والثبات يعني الاستقرار والموضوعية؛ فعندما تكون الاستبانة ثابتة فإن أي فاحص يحصل على نفس النتائج ولا يختلف عليها اثنان (دودين، ٢٠١٣).

قامت الباحثة باختبار مدى ثبات الاستبانة بثلاث طرق، هي: قياس الثبات عن طريق معامل ألفا كرونباخ، وقياس الثبات عن طريق معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية للبعد مع الدرجة الكلية لأسئلة الاستبانة، ومعامل الثبات عن طريق التجزئة النصفية، وفيما يلي عرض لهذه النتائج.

الثبات عن طريق معامل (ألفا كرونباخ):

استخدمت الباحثة معامل (ألفا كرونباخ) للتأكد من ثبات أداة الدراسة، حيث تم حساب معامل ثبات ألفا كرونباخ باستخدام برنامج SPSS، و يوضح جدول رقم (٢) نتائج معامل الثبات.

السنة الدراسية	أنتى	٦٢٥	53.6%
الكلية	الأولى	٣٠٨	26.4%
	الثانية	٢٨٨	24.7%
	الثالثة	٢٩٢	25.0%
	الرابعة فما فوق	٢٧٨	23.9%
	التربية	٢٤٢	20.8%
	الشريعة	١٨٥	15.9%
	الآداب	١٧٦	15.1%
	العلوم	٢٠٠	17.1%
	العلوم الاجتماعية	١٦٩	14.5%
	الطب	١٩٤	16.6%

يظهر من الجدول أعلاه أن نسبة الإناث أعلى من الذكور حيث بلغت نسبتهم (ن = ٦٢٥، ٥٣,٦٪)، فيما كان هناك توازن إلى حد ما في نسبة تمثيل الطلبة في العينة بحسب السنة الدراسية. وفيما شكل طلبة كلية التربية خمس العينة (ن = ٢٤٢، ٢٠,٨٪)، و تراوحت نسب تمثيل الكليات الأخرى ما بين ١٤,٥٪ و ١٧,١٪ كما هو موضح في الجدول أعلاه.

أداة الدراسة

قامت الباحثة بتصميم استبانة لتحقيق أهداف الدراسة ومن أجل التعرف على وجود ظاهرة ازدواجية القيم لدى الشباب في جامعة الكويت، وذلك بالاستفادة من أدوات القياس التي تضمنتها الدراسات السابقة في الإطار النظري. وللتأكد من صدق الأداة تم عرضها على مجموعة من المحكمين من جامعة الكويت للتعرف على فعالية الأداة. وقد استخدمت الاستبانة مقياس ليكرت الخماسي (أوافق جداً،

جدول رقم (٢)

معاملات الثبات لأبعاد الدراسة بطريقة معامل (ألفا كرونباخ)

أبعاد الدراسة	اللغة	الدين	العادات والتقاليد	الاستبيان ككل
عدد العبارات	12	15	11	38
ألفا كرونباخ	0.899	0.836	0.736	0.897

يشير الجدول أعلاه إلى أن قيمة معامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ لعبارات بعد اللغة هي (0.899)، ولعبارات البعد الديني (0.836)، ولعبارات بعد العادات والتقاليد (0.736). نلاحظ أن هذه القيم واقعة ضمن المدى 0.70 إلى 0.89 وهي قيم تعتبر جيدة إلى جيدة جداً إحصائياً، فيما بلغ معامل الثبات الكلي للاستبانة (0.897) وهي قيمة جيدة جداً من الناحية الإحصائية.

حساب الثبات بطريقة معاملات الارتباط لبيرسون:

بعد التأكد من وجود درجة مرتفعة من الاتساق الداخلي باستخدام طريقة ألفا كرونباخ قامت الباحثة بقياس الثبات بطريقة معاملات الارتباط لبيرسون وذلك للتأكد من وجود درجة مرتفعة من الاتساق الداخلي بين كل بعد من أبعاد الاستبانة والمجموع الكلي لدرجات الاستبانة؛ أي حساب قيمة معامل ارتباط بيرسون بين المجموع الكلي لدرجات كل بعد مع المجموع الكلي للعبارات المكونة للاستبانة. وفيما يلي عرض لنتائج هذه الطريقة.

جدول رقم (٣)

الارتباط بين أبعاد الدراسة والدرجة الكلية للاستبانة

الأبعاد	عدد البنود	العدد	معامل ارتباط بيرسون	الدلالة الاحصائية
اللغة	12	1166	0.790**	0.000
الدين	15	1166	0.854**	0.000
العادات والتقاليد	11	1166	0.807**	0.000

** معامل الارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة ١%.

يتضح من الجدول رقم (٣) أعلاه وجود ارتباط موجب ودال إحصائياً عند مستوى دلالة ١% بين درجات كل بعد من الأبعاد الثلاثة والدرجة الكلية للعبارات التي اشتملت عليها أداة الدراسة وعددها 38 عبارة، وقد جاءت معاملات الارتباط محصورة بين 0.790 و 0.854.

الاتساق الداخلي بطريقة التجزئة النصفية

لإيجاد معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية تم استخدام معامل الارتباط بين متغيري "الأسئلة الفردية" و "الأسئلة الزوجية" ومن الجدول رقم (٤) أدناه يتبين أن معامل ارتباط سبيرمان - براون يساوي 0.829، وهو معامل مقبول إحصائياً ودال إحصائياً عند مستوى دلالة ١%.

نتائج الدراسة

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما مدى وجود ظاهرة ازدواجية القيم الثقافية لدى طلاب جامعة الكويت؟

جدول رقم (٥)

الإحصاء الوصفي لأبعاد الدراسة

متغير الدراسة	عدد الأسئلة	ن	م	ع	درجة البعد
البعد اللغوي	١٢	١١٦٦	3.0٢	٠.91	متوسطة
البعد الديني	١٥	١١٦٦	2.٥٢	٠.٧٥	متوسطة
بعد العادات والتقاليد	١١	١١٦٦	3.0٢	٠.7٣	متوسطة

من خلال النظر إلى الجدول رقم (٥) نجد أن قيمة المتوسطات الحسابية للأبعاد الثلاثة تشير إلى وجود ازدواجية ثقافية بدرجة متوسطة؛ حيث كانت درجة الازدواجية في البعد اللغوي متوسطة (م=٣,٠٢، ع=٠,٩١)، وكانت درجة الازدواجية في البعد الديني متوسطة (م=٢,٥٢، ع=٠,٧٥)، وكانت درجة الازدواجية في بعد العادات والتقاليد متوسطة (م=٣,٠٢، ع=٠,٧٣).

جدول رقم (٤)

الثبات الداخلي بطريقة التجزئة النصفية

المقياس	العدد	قيمة معامل الارتباط	الدالة الاحصائية
معامل ارتباط سبيرمان- براون	١١٦٦	٠,٨٢٩	0.000

من العرض السابق يتضح إن درجة الاتساق الداخلي لبنود الاستبانة وفقاً للطرق الثلاثة التي استخدمتها الباحثة في قياس ثبات الاستبانة كانت جيدة من الناحية الإحصائية، وبذلك تكون الباحثة قد تأكدت من ثبات العبارات المكونة للاستبانة.

المعالجة الإحصائية

تم استخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في تحليل النتائج ومعالجتها احصائياً حيث تضمنت المعالجة الإحصائية الأساليب التالية:

- التكرارات والنسب المئوية.
- المتوسطات والانحرافات المعيارية.
- اختبار (T) لعينتين مستقلتين.
- تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA).

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: ما أهم مظاهر ازدواجية القيم الثقافية لبعد اللغة، الدين، والعادات والتقاليد؟

- بعد اللغة

جدول رقم (7)

المتوسطات والانحرافات المعيارية والرتبة لعبارات بعد اللغة

الرتبة	ع	م	البعد اللغوي	الرقم
٣	1.29	3.33	أشعر بوجود تداخل عفوي بين لغتي العربية واللغة الانجليزية أثناء الحديث	١
١	1.17	3.54	أجد تداخلاً بين بعض المفردات العربية والمفردات الانجليزية في بعض المواقف	٢
٢	1.27	3.50	استخدم لا إرادياً بعض الكلمات الانجليزية أثناء تحدثي إلى الآخرين	٣
٦	1.27	3.15	أفهم النص باللغة الإنجليزية جيداً ولكنني أجد صعوبة في ترجمته إلى العربية	٤
٩	1.36	2.75	أجد مفردات اللغة العربية أكثر صعوبة من مفردات اللغة الانجليزية	٥
٨	1.27	2.80	أنتقل أثناء حديثي لا شعورياً من العربية إلى الإنجليزية	٦
٧	1.45	2.93	أجد اللغة الانجليزية أسهل من اللغة العربية في دراستي لبعض المقررات الجامعية	٧
١١	1.37	2.55	أفهم المواد العلمية باللغة الإنجليزية أكثر من العربية	٨
١٠	1.34	2.62	أتحدث مع بعض أصدقائي باللغة الإنجليزية	٩

جدول رقم (٦)

المتوسطات والانحرافات المعيارية واختبارات للتعرف على ظاهرة ازدواجية القيم الثقافية (١٩٩٩-٢٠١٥)

متغير الدراسة	٢٠١٥/٢٠١٤		٢٠٠٠/١٩٩٩		قيمة ت
	م	ع	م	ع	
البعد اللغوي	3.0٢	٠.91	2.43	0.59	١٠,٧١**
البعد الديني	2.52	٠.75	2.41	0.41	2.٧٤*
بعد العادات والتقاليد	3.0٢	٠.7٣	2.46	0.44	١٣,٤**

** دالة عند مستوى ١٪

* دالة عند مستوى ٥٪

بمقارنة هذه النتائج مع نتيجة الدراسة الأولية التي أجريت في العام الدراسي ٢٠٠٠/١٩٩٩، نجد أن مستوى الازدواجية اللغوية في العام ٢٠١٤/٢٠١٥ قد ارتفع عما كان عليه في السابق (٣,٠٢ مقابل ٢,٤٣). و يشير اختبار "ت" الى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية في مستوى الازدواجية في البعد اللغوي عند مستوى (> ٠,٠١). في المقابل ارتفع مستوى الازدواجية الدينية من (٢,٤١ إلى ٢,٥٢) ارتفاعاً طفيفاً عند مستوى (> ٠,٠٥). و بالنظر إلى الازدواجية في العادات والتقاليد فإن هناك فروق ذات دلالة إحصائية عالية في مستوى الازدواجية في العادات والتقاليد من (٢,٤٦ إلى ٣,٠٢) عند مستوى (> ٠,٠١)، وأن مستوى الازدواجية في العادات والتقاليد في العام ٢٠١٤/٢٠١٥ قد ارتفع عما كان عليه في العام ١٩٩٩/٢٠٠٠.

التوافق بين الطلبة حول وجود تداخل بين بعض المفردات العربية والمفردات الانجليزية في بعض المواقف هو الأعلى، ويأتي بعد ذلك الاستخدام غير الارادي لبعض الكلمات الانجليزية أثناء التحدث مع الآخرين، ومن ثم الشعور بوجود تداخل عفوي بين اللغة العربية واللغة الانجليزية أثناء الحديث.

- بعد الدين

جدول رقم (٨)

المتوسطات والانحرافات المعيارية والرتبة لعبارات البعد الديني

الرتبة	ع	م	البعد الديني	الرقم
15	1.10	1.70	أحتفل بأعياد الكريسماس	13
12	1.36	2.25	أحتفل مع أصدقائي بعيد رأس السنة الميلادية	14
13	1.38	2.19	أحتفل بعيد الحب مع أهلي وأصدقائي	15
8	1.55	2.42	عند الأكل أمسك الشوكة باليسار والسكين باليمين	16
2	1.43	3.11	أرى أن الاختلاط ظاهرة صحية في الحرم الجامعي	17
7	1.46	2.62	أؤمن بالصدقة مع الجنس الآخر	18
3	1.49	2.85	أتحدث بالإنترنت مع الجنس الآخر	19
11	1.37	2.26	أغش في الاختبار	20
14	1.26	2.10	أكذب على أساتذتي	21
10	1.24	2.28	أغتاب ببعض زملائي في الجامعة	22
5	1.34	2.67	أغتاب بأساتذتي في الجامعة	23
4	1.50	2.71	أفضل ارتداء الزي الغربي الشورت (للرجل) أو البنطال	24

١٠	أستخدم الكلمات الإنجليزية جنباً إلى جنب مع العربية أثناء المحادثة في الانترنت مع أصدقائي	3.26	1.35	٥
١١	أرسل رسائل نصية بالعربية تتخللها المفردات الإنجليزية	3.28	1.35	٤
١٢	أتحدث مع أسرتي بالعربية تارة وبالإجليزية تارة أخرى	2.49	1.36	١٢
الدرجة الكلية		3.02	٠.91	

يلاحظ من خلال قراءة جدول رقم (٧) أن العبارة رقم (٢) التي تنص على (أجد تداخلاً بين المفردات العربية والمفردات الانجليزية في بعض المواقف) قد حصلت على أعلى المتوسطات الحسابية (م=٣,٥٤، ع=١,١٧)، وجاءت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية ضمن مصفوفة البعد اللغوي، بينما جاءت العبارة رقم (٣) التي تنص على (استخدم لا إرادياً بعض الكلمات الانجليزية أثناء تحدثي إلى الآخرين) في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بمتوسط حسابي (م=٣,٥٠، ع=١,٢٧)، فيما جاءت العبارة رقم (١) (أشعر بوجود تداخل عفوي بين لغتي العربية واللغة الانجليزية أثناء الحديث) في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية ضمن مصفوفة البعد اللغوي بمتوسط حسابي (م=٣,٣٣، ع=١,٢٩)، فيما حصلت باقي العبارات على متوسطات تتراوح ما بين (2.49 - 3.15).

من مجمل النتائج الواردة بالجدول رقم (٧) يلاحظ تأثير اللغة الانجليزية على اللغة العربية؛ فتداخل اللغة الانجليزية في الحديث قد تؤثر بالنطق الصحيح للغة الأم وقد تنتج كذلك لغة مركبة مزدوجة تؤثر سلباً على لغتنا العربية، ويلاحظ من الجدول أن

الاختلاط ظاهرة صحية في الحرم الجامعي قد جاء من بين المتوسطات المرتفعة مقارنة ببقية العبارات.

- بعد العادات والتقاليد

جدول رقم (٩)

المتوسطات والانحرافات المعيارية والرتبة لعبارات بعد العادات والتقاليد

الرتبة	ع	م	العادات والتقاليد	الرقم
11	1.23	2.35	التزم باللباس التقليدي (العباءة أو الدشداشة) في جميع المناسبات*	28
10	1.34	2.50	أعود إلى البيت في وقت متأخر في الليل	29
7	1.45	2.89	أؤيد سفر الفتاة للخارج للدراسة	30
5	1.39	3.04	أفضل السفر مع الأصدقاء دون الأهل	31
9	1.38	2.74	أؤيد الزواج التقليدي عن طريق الأهل*	32
8	1.40	2.88	أؤيد عادة السكن في منزل الأهل بعد الزواج*	33
3	1.25	3.42	أشعر أن بعض تقاليد المجتمع لا تصلح في زمننا	34
1	1.37	3.68	أرى بأن مكان المرأة المنزل وليس العمل*	35
2	1.37	3.62	أؤمن بمبدأ المساواة بين المرأة والرجل	36
4	1.49	3.04	أؤيد تقليد المرأة مناصب وزارية	37
6	1.55	3.02	أؤيد دخول المرأة إلى مجلس الأمة	38
	٣.7٠	٢3.0	الدرجة الكلية	

* العبارات (٢٨)، (٣٢)، (٣٣)، و (٣٥) تم إعادة ترميزها.

			(للمرأة)	
25	أحرص على مواكبة الموضة الغربية	2.62	1.29	6
26	عند السفر أحافظ على اللبس الشرعي (الحجاب، النقاب)*	٣,٦٤	1.34	1
27	أشعر بصراع بين تعاليم الدين وبين سلوكي في الحياة	2.36	1.34	9
	الدرجة الكلية	٢,٥٢	٠,٧٥	

* العبارة رقم (٢٦) تم إعادة ترميزها.

من خلال النظر إلى الجدول رقم (٨) يلاحظ أن العبارة رقم (٢٦) التي تنص على (عند السفر أحافظ على اللبس الشرعي (الحجاب، النقاب) قد حصل على أعلى المتوسطات الحسابية (م = ٣,٦٤، ع = ١,٣٤)، وجاءت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية ضمن مصفوفة البعد الديني، فيما جاءت العبارة رقم (١٧) (أرى أن الاختلاط ظاهرة صحية في الحرم الجامعي) في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في البعد الديني بمتوسط حسابي (م = ٣,١١، ع = ١,٤٣)، فيما جاءت العبارة رقم (١٩) (أحدث بالإنترنت مع الجنس الآخر) في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بمتوسط حسابي (م = ٢,٨٥، ع = ١,٤٩)، بينما حصلت باقي العبارات على متوسطات تتراوح ما بين (١,٧١ - ٢,٧١).

ومن مجمل النتائج الواردة بالجدول رقم (٨) يلاحظ تأثير العولمة الغربية على الدين، كما يلاحظ من الجدول أن التوافق بين الطلبة حول رؤيتهم بأن

الدين	2.55	2.49	١,٣٢	١١٦٤	٠,١٨٦
العادات والتقاليد	2.97	3.06	2.05	١١٦٤	٠,٠٤٠

** دالة عند مستوى ١٪ * دالة عند مستوى ٥٪

نلاحظ من الجدول أعلاه أن متوسط استجابات الذكور في البعد اللغوي هو (٢,٨٩) بينما كان متوسط استجابات الإناث هو (3.12). ولمعرفة ما إذا كان هذا الفرق في المتوسطين دال احصائياً أم لا، استخدمت الباحثة اختبار (ت) للعينتين المستقلتين وأشار التحليل إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين متوسطي استجابات عينة الدراسة في البعد اللغوي تعزى إلى الجنس (ت=٤,٣٧، درجات الحرية= ١١٦٤، الدلالة الإحصائية > ٠,٠١)، وبهذا فإنه يمكننا الاستنتاج بأن اتجاهات الازدواجية اللغوية مرتفعة لدى الإناث بشكل أكبر من الذكور. أما في البعد الديني، فيتضح من الجدول رقم (١٠) أن متوسط استجابات الذكور هو (٢,٥٥) بينما كان متوسط استجابات الإناث هو (٢,٤٩). وأشار التحليل إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى الجنس (ت=١,٣٢، درجات الحرية= ١١٦٤، الدلالة الإحصائية < ٠,٠٥)، وبهذا فإنه يمكننا الاستنتاج بأن اتجاهات الازدواجية في الدين لا تختلف باختلاف جنس الطالب.

وفي بعد العادات والتقاليد، كان متوسط استجابات الذكور هو (٢,٩٧) بينما كان متوسط استجابات الإناث هو (٣,٠٦). وقد أشار التحليل إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى الجنس (ت=2.05، درجات الحرية= ١١٦٤، الدلالة الإحصائية > ٠,٠٥)، وبهذا فإنه يمكننا الاستنتاج

من خلال النظر إلى جدول رقم (٩)، يلاحظ أن العبارة (٣٥) التي تنص على (أرى بأن مكان المرأة المنزل وليس العمل) قد حصلت على أعلى المتوسطات الحسابية (م= ٣,٦٨، ع= ١,٣٧) وجاءت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية في بعد العادات والتقاليد، وحيث أن هذه العبارة سلبية فإن غالبية الاستجابات لا ترى أن مكان المرأة المنزل.

وجاءت وفقاً لذلك العبارة رقم (٣٦) التي تنص على (أؤمن بمبدأ المساواة بين المرأة والرجل) في المرتبة الثانية من حيث الأهمية (م= ٣,٦٢، ع= ١,٣٧). كما جاءت العبارة رقم (٣٤) التي تنص على (أشعر أن بعض تقاليد المجتمع لا تصلح في زمننا) في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية (م= ٣,٤٢، ع= ١,٢٥).

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: هل توجد فروق دالة احصائية بين الطلاب لظاهرة الازدواجية القيمية الثقافية فيما يتعلق بالمتغيرات الديموغرافية - الجنس

جدول رقم (١٠)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة اختبار "ت"

لاستجابات الطلبة للتعرف على مدى وجود ظاهرة ازدواجية

القيم الثقافية وفقاً لمتغير الجنس

البعد	المتوسط الحسابي للذكور	المتوسط الحسابي للإناث	قيمة ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
اللغة	2.89	3.12	٤,٣٧	١١٦٤	٠,٠٠٠

الدلالة الإحصائية $(0.01 >)$ ، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في بعد العادات والتقاليد $(F=11.17)$ الدلالة الإحصائية $(0.01 >)$.

ولمعرفة أي من السنوات الدراسية توجد بها فروق في المتوسطات، قامت الباحثة بإجراء اختبار "شيفيه" للمقارنات البعدية الثنائية، وعرضت النتائج في الجدول رقم (١٢) التالي:

جدول رقم (١٢)

المقارنات البعدية بطريقة شيفيه للفروقات المتعددة بين متوسطات تقديرات أفراد العينة حول ازدواجية القيم الثقافية وفقاً لمتغير السنة الدراسية

المتغير التابع	السنة الدراسية ١	السنة الدراسية ٢	فروق المتوسطات (١-٢)	الخطأ المعياري	مستوى الدلالة
اللغة	الرابعة فما فوق	الأولى	٠.٢٢	٠.٠٧٤	٠.٠٣٢
		الثالثة	٠.٣١	٠.٠٧٥	٠.٠٠١
		الثالثة			
الدين	الثالثة	الأولى	-0.23	٠.٠٦١	٠.٠١١
		الثانية	-0.32	٠.٠٦٢	٠.٠٠٠
		الرابعة فما فوق	-0.32	٠.٠٦٢	٠.٠٠٠
العادات والتقاليد	الثالثة	الأولى	-0.21	0.059	0.004
		الثانية	-0.19	0.060	0.022
		الرابعة فما فوق	-0.34	0.060	0.000

يلاحظ من الجدول أعلاه، وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة في السنة الدراسية الرابعة فما فوق والطلبة في السنة الدراسية الأولى (الدلالة الإحصائية $(0.05 >)$ وبين الطلبة في السنة الدراسية الرابعة فما فوق والطلبة في السنة الدراسية الثالثة (الدلالة الإحصائية $(0.01 >)$ لصالح الطلبة بالسنة

بأن اتجاهات الازدواجية في العادات والتقاليد مرتفعة لدى الطالبات مقارنة بالطلاب.

- متغير السنة الدراسية:

جدول رقم (١١)

نتائج اختبار تحليل التباين للفروق في متوسطات استجابات عينة الدراسة في أبعاد الازدواجية الثقافية وفقاً لمتغير السنة الدراسية

أبعاد الدراسة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
البعد اللغوي	بين المجموعات	14.49	3	4.83	5.90	٠.٠٠١
	داخل المجموعات	951.04	1162	٠.82		
	المجموع	965.53	1165			
البعد الديني	بين المجموعات	20.07	3	6.69	12.18	٠.٠٠٠
	داخل المجموعات	638.17	1162	٠.55		
	المجموع	658.24	1165			
بعـد العادات والتقاليد	بين المجموعات	17.28	3	5.76	11.17	٠.٠٠٠
	داخل المجموعات	599.25	1162	٠.52		
	المجموع	616.53	1165			

يشير الجدول رقم (١١) أعلاه إلى نتائج اختبار تحليل التباين الذي أجري للكشف عن الفروق بين متوسطات استجابات عينة الدراسة. ويتضح من التحليل وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في البعد اللغوي $(F=5.90)$ ، الدلالة الإحصائية $(0.01 >)$ ، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في البعد الديني $(F=12.18)$ ،

- متغير الكلية:

جدول رقم (١٣)

نتائج اختبار تحليل التباين للفروق في متوسطات استجابات
عينة الدراسة في أبعاد الازدواجية الثقافية وفقاً لمتغير الكلية

أبعاد الدراسة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	بين المجموعات	116.04	5	23.21	31.69	0.000
	داخل المجموعات	849.49	1160	٠.73		
	المجموع	965.53	1165			
بين المجموعات	بين المجموعات	122.51	5	24.50	53.06	0.000
	داخل المجموعات	535.73	1160	٠.46		
	المجموع	658.24	1165			
بين المجموعات	بين المجموعات	133.55	5	26.71	64.15	0.000
	داخل المجموعات	482.98	1160	٠.42		
	المجموع	616.53	1165			

يلاحظ من الجدول السابق أن الدلالة الإحصائية
لاختبار تحليل التباين للأبعاد الثلاثة دالة إحصائياً
عند مستوى ٠,٠١ تعزى لمتغير الكلية. ويتضح من
التحليل وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية في

الدراسية الرابعة فما فوق. بهذا نستنتج أن اتجاهات
الطلبة في السنة الدراسية الرابعة فما فوق نحو
الازدواجية اللغوية تميل لأن تكون مرتفعة بشكل
أكبر من طلبة الفرقتين الأولى والثالثة.

في البعد الديني، نلاحظ من الجدول السابق وجود
فروق دالة إحصائياً بين طلبة الفرقة الثالثة وكل من
طلبة الفرقة الأولى، الثانية، والرابعة فما فوق وذلك
للبعد الديني عند مستوى دلالة ٠,٠١؛ حيث كان
متوسط طلبة الفرقة الثالثة هو الأقل، لذا نستنتج أن
اتجاهات الطلبة في السنة الدراسية الثالثة نحو
الازدواجية الدينية تميل لأن تكون منخفضة مقارنة
بطلبة الفرقة الأولى، الثانية، والرابعة فما فوق.

أما بعد العادات والتقاليد، يتضح من الجدول رقم
(١٢) وجود فروق دالة إحصائياً بين طلبة الفرقة
الثالثة وطلبة الفرقتين الأولى والرابعة فما فوق
(الدلالة الإحصائية $> ٠,٠١$)، كما توجد فروق دالة
إحصائياً بين طلبة الفرقة الثالثة وطلبة الفرقة الثانية
(الدلالة الإحصائية $> ٠,٠٥$)؛ حيث كان متوسط
طلبة الفرقة الثالثة هو الأقل، و بهذا نستنتج أن
اتجاهات الطلبة في السنة الدراسية الثالثة نحو
الازدواجية في العادات والتقاليد تميل لأن تكون
منخفضة مقارنة بطلبة الفرقة الأولى، الثانية، والرابعة
فما فوق.

المتغير التابع	الكلية I	J الكلية	فرق المتوسطات (J-I)	الخطأ المعياري	مستوى الدلالة
البعد اللغوي	التربية	الشريعة	0.47	0.084	0.000
		الآداب	-0.40	0.085	0.000
		العلوم	-0.28	0.082	0.038
		الطب	-0.46	0.082	0.000
	الشريعة	الآداب	-0.87	0.090	0.000
		العلوم	-0.75	0.087	0.000
		العلوم الاجتماعية	-0.40	0.091	0.002
		الطب	-0.94	0.088	0.000
	العلوم الاجتماعية	الآداب	-0.47	0.092	0.000
		العلوم	-0.35	0.089	0.009
		الطب	-0.53	0.090	0.000
		الشريعة	0.61	0.066	0.000
البعد الديني	التربية	الآداب	-0.30	0.067	0.001
		العلوم	-0.27	0.065	0.003
		الطب	-0.36	0.065	0.000
		الآداب	-0.91	0.072	0.000
	الشريعة	العلوم	-0.88	0.069	0.000
		العلوم الاجتماعية	-0.77	0.072	0.000
		الطب	-0.97	0.070	0.000
	التربية	الشريعة	0.50	0.063	0.000
		الآداب	-0.44	0.064	0.000
		العلوم	-0.23	0.062	0.014
		العلوم الاجتماعية	-0.25	0.065	0.009
بعد العادات والتقاليد	التربية	الطب	-0.55	0.062	0.000
		الآداب	-0.94	0.068	0.000
		العلوم	-0.74	0.066	0.000
		العلوم الاجتماعية	-0.76	0.069	0.000
	الشريعة	الطب	-1.06	0.066	0.000
		العلوم	٠,٣٢	0.065	0.000
		العلوم الاجتماعية	٠,٣٠	0.068	0.002
	الطب	العلوم	٠,٣٠	0.068	0.002
		العلوم الاجتماعية	٠,٣٠	0.068	0.002
		العلوم	٠,٣٠	0.068	0.002
		العلوم الاجتماعية	٠,٣٠	0.068	0.002

إضافة إلى ذلك، توجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين طلبة كلية الشريعة وطلبة كليات الآداب، والعلوم، والعلوم الاجتماعية، والطب (الدلالة الإحصائية $> ٠,٠١$)، وقد كان متوسط طلبة كلية

متوسطات استجابات الطلبة في البعد اللغوي (ف=٣١,٦٩، الدلالة الإحصائية $> ٠,٠١$)، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في البعد الديني (ف=53.06، الدلالة الإحصائية $> ٠,٠١$)، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في بعد العادات والتقاليد (ف=64.15، الدلالة الإحصائية $> ٠,٠١$).

ولمعرفة أي من السنوات الدراسة توجد بها فروق في المتوسطات، قامت الباحثة بإجراء اختبار "شيفيه" للمقارنات البعدية الثنائية. وقد أشارت نتائج المقارنات البعدية المتعددة في البعد اللغوي إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين طلبة كلية التربية وطلبة كلية الشريعة لصالح طلبة كلية التربية (الدلالة الإحصائية $> ٠,٠١$).

كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين طلبة كلية التربية وطلبة كليات الآداب، والعلوم، والطب (الدلالة الإحصائية $> ٠,٠١$)، وقد كان متوسط طلبة كلية التربية أقل من متوسط استجابات طلبة الكليات المذكورة في هذا البعد كما هو موضح بالجدول رقم (١٤) أدناه.

جدول رقم (١٤)

المقارنات البعدية بطريقة شيفيه للفروقات المتعددة بين متوسطات تقديرات أفراد العينة للتعرف على مدى وجود ظاهرة ازدواجية القيم الثقافية وفقاً لمتغير الكلية

الشريعة أقل من متوسط استجابات طلبة الكليات المذكورة في البعد اللغوي، ويلاحظ من الجدول أيضاً وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في متوسطات استجابات الطلبة في البعد اللغوي بين طلبة كلية العلوم الاجتماعية وطلبة كليات الآداب، العلوم، والطب (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)، وقد كان متوسط طلبة كلية العلوم الاجتماعية أقل من متوسط الاستجابات لدى طلبة الكليات المذكورة.

وفي البعد الديني، يتضح من جدول المقارنات المتعددة وجود فروقات ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في هذا البعد بين طلبة كلية التربية وطلبة كلية الشريعة لصالح طلبة كلية التربية (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)، كما توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في متوسطات استجابات الطلبة بين طلبة كلية التربية وطلبة كليات الآداب، العلوم، والطب (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)، وقد كان متوسط استجابات طلبة كلية التربية أقل من متوسطات الاستجابات لدى طلبة الكليات الأخرى. كما يتضح من الجدول أيضاً وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين متوسط استجابات الطلبة في كلية الشريعة في البعد الديني ومتوسطات استجابات الطلبة في كليات الآداب، العلوم، العلوم الاجتماعية، والطب (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)؛ حيث كان متوسط استجابات طلبة كلية الشريعة أقل من متوسطات الاستجابات لدى طلبة الكليات الأخرى.

أما في بعد العادات والتقاليد، يتضح من جدول المقارنات المتعددة وجود فروقات ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في هذا البعد بين طلبة كلية التربية وطلبة كلية الشريعة لصالح طلبة كلية التربية (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)، كما توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في متوسطات استجابات الطلبة بين طلبة كلية التربية وطلبة كليات الآداب، العلوم، والطب (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)، وقد كان متوسط استجابات طلبة كلية التربية أقل من متوسطات الاستجابات لدى طلبة الكليات الأخرى.

و يتضح من الجدول أيضاً وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين متوسط استجابات الطلبة في كلية الشريعة في بعد العادات والتقاليد ومتوسطات استجابات الطلبة في كليات الآداب، العلوم، العلوم الاجتماعية، والطب (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)؛ حيث كان متوسط استجابات طلبة كلية الشريعة أقل من متوسطات الاستجابات لدى طلبة الكليات الأخرى.

إضافة إلى ذلك، أشارت المقارنات المتعددة وجود فروقات ذات دلالة إحصائية عالية في متوسطات استجابات الطلبة في بعد العادات والتقاليد بين طلبة كلية الطب وطلبة كليتي العلوم والعلوم الاجتماعية لصالح طلبة كلية الطب (الدلالة الإحصائية $> 0,01$)، وقد كان متوسط استجابات طلبة كلية الطب أكبر من متوسطات الاستجابات لدى طلبة كليتي العلوم والعلوم الاجتماعية.

مناقشة النتائج

تشير نتائج الدراسة إلى وجود ازدواجية في الأبعاد الثلاثة (العادات والتقاليد والدين واللغة) بدرجة متوسطة لدى طلاب جامعة الكويت، وقد حصل البعد اللغوي وُبعد العادات والتقاليد على متوسط (٣,٠٢) وهذا يشير إلى أن الشباب يعانون من ازدواجية لغوية ما بين اللغة العربية والأجنبية واللغة المستعربة، كما يعانون من صراع قيمي جعلهم في حيرة ما بين التمسك بتقاليد مجتمعهم وما بين مواكبة العصر، وتأتي هذه النتيجة لتؤكد ما توصل إليه العواد (٢٠٠٧) من أن هناك اختلاف بين قيم أفراد المجتمع الواحد وأشار إلى دور الغزو الثقافي في تداخل قيم المجتمع.

وعندما ننظر إلى الدراسة الأولية التي أجريت في العام الجامعي ١٩٩٩/٢٠٠٠ والنتائج التي توصلت إليها الدراسة في ٢٠١٤/٢٠١٥ نجد أن متوسط البعد اللغوي ومتوسط بعد العادات والتقاليد قد ارتفعاً في السنوات الأخيرة، وقد يرجع السبب إلى العولمة والانفجار المعرفي وزيادة الانفتاح على العالم الخارجي.

كما أوضحت نتائج الدراسة مظاهر الازدواجية المنتشرة بين الشباب، ومنها تفضيل استخدام اللغة الأجنبية للمحادثة والكتابة في الكثير من الأحيان، بالإضافة إلى تقبل الشباب الكثير من القيم الدخيلة على ديننا الإسلامي كظاهرة الاختلاط في الحرم الجامعي والصداقة مع الجنس الآخر، كما أن

الشباب يرى أن بعض تقاليد المجتمع قد لا تصلح في وقتنا الحالي، ومن خلال النظر إلى مجتمعاتنا اليوم نلاحظ ثورة شبابنا على العديد من العادات والتقاليد، وتبني سياسة الانفتاح على الثقافات الأخرى وتشرب أعراف المجتمعات الغربية. وقد اتفقت نتائج الدراسة مع دراسة السيد (٢٠٠٣) والتي أكدت على تأثير العولمة على قيم الشباب الدينية والاجتماعية والسياسية، وما أسفرت عنه من بروز ثقافة مشوهة أدت إلى تناقض قيمي لدى الشباب.

وبالنظر إلى الفروق الاحصائية لوحظ أن هناك فروقاً دالة إحصائياً تعزى لمتغير الجنس؛ حيث جاءت الفروق الاحصائية للبعد اللغوي لصالح الإناث، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن اللغة الإنجليزية أصبحت موضة بين الاناث في عصر الانفتاح الثقافي. كما جاء الفرق دال احصائياً في بعد العادات والتقاليد لصالح الاناث أيضاً، وقد يرجع السبب إلى أن الاناث في المجتمعات الشرقية تمارس عليهن قيوداً اجتماعية أكثر من الذكور، ولديهن تطلعات مستقبلية لتغيير الأوضاع الاجتماعية.

أما بالنسبة لمتغير السنة الدراسية فيلاحظ وجود فروق دالة احصائياً تعزى متغير السنة الدراسية لصالح طلاب الفرقة الرابعة فما فوق للبعد اللغوي، ووجود فروق دالة إحصائياً لصالح الفرقة الأولى والثانية والرابعة فما فوق للبعد الديني، كما لوحظ وجود فروق دالة احصائياً لصالح للفرقة الثانية والرابعة فما فوق لبعد العادات والتقاليد، وقد يرجع

الاقتصادي، لما لها من آثار اجتماعية سلبية على الشباب في دولة الكويت.

المراجع

- إبراهيم، لطيفة. (١٩٨٨). دور التربية في مواجهة مشكلات الصراع القيمي داخل المدرسة الثانوية، مصر: عين شمس.

- أغلال، فاطمة الزهراء وكرمة، عمر بلخير. (٢٠١٣). الازدواجية اللغوية من منظور العلوم العصبية المعرفية. مجلة الخطاب، ٨(١٤)، ٢٤٧-٢٦٠.

- البياتي، عبد الجبار وخليفة، غازي. (٢٠١٥). طرق ومناهج البحث العلمي. الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

- جبروني، صليحة، (٢٠١٧). أثر الثنائية و الازدواجية اللغوية في الأداء اللغوي لدى الطالب، مجلة اللغة العربية، ١٨(٣٥)، ١٥٣ - ١٩٠.

- حافظ، ايمان. (٢٠٠٤). التغير القيمي لدى طلاب الجامعة دراسة مستقبلية، مجلة كلية التربية ١ (٥٤).

- حجازي، أحمد. (٢٠٠٣). أزمة القيم. مجلة الديمقراطية، ٣ (٩)، ٥٣-٦٨.

- حسن، أحمد. (٢٠٠٩). تحليل سوسيولوجي

لأزمة القيم الأخلاقية بين الشباب المصري دراسة ميدانية. المجلة العلمية (٢٦) تم استرجاعه من

<http://ow.ly/2EZc20>

السبب إلى تطور المجتمع الافتراضي مما نتج عنه الاحتكاك بالثقافات الأخرى وزيادة الرغبة في التغير.

أما بالنسبة لمتغير الكلية فقد كانت هناك فروقات ذات دلالة إحصائية بين طلبة الكليات؛ حيث حصلت كلية التربية والشرعية والعلوم الاجتماعية على أقل المتوسطات مقارنة بالكليات الأخرى في البعد اللغوي، وقد يعود السبب إلى أن هذه الكليات تعتمد في دراستها النظرية على استخدام اللغة العربية، ومن ناحية أخرى حصلت الشريعة على أقل المتوسطات عند البعد الديني، وبعد العادات والتقاليد وذلك يعود إلى الالتزام الديني لطلبة كلية الشريعة.

التوصيات والمقترحات

١- تقديم دورات توعوية للشباب لتعزيز قيم المجتمع والتعامل مع القيم الدخيلة.

٢- استحداث مقررات خاصة في كيفية التعامل مع القيم الدخيلة على المجتمع.

٣- اعتماد برامج تدريب أعضاء هيئة التدريس لتوجيه الطلبة إلى كيفية التعامل مع الازدواجية القيمية.

٤- إقامة ندوات حول الازدواجية القيمية وتأثيرها على الشباب.

تقترح الدراسة متابعة ورصد ازدواجية القيم الثقافية من خلال الدراسات الميدانية مع استصحاب متغيرات ديموغرافية أخرى مثل الحالة الاجتماعية، والمستوى

- دودين، حمزة. (٢٠١٣). التحليل الإحصائي المتقدم للبيانات باستخدام SPSS، عمان: الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- الذواوي، محمود. (٢٠١٣). علاقة الهوية باللغة بين التنظير والواقع: المجتمع التونسي نموذجاً، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٣٤، الرسالة ٣٩٠.
- الزواوي، خالد (٢٠٠٥). إكساب تنمية اللغة. مصر: مؤسسة حورس الدولية.
- السيد، حجاب. (٢٠٠٣). إشكالية القيم لدى الشباب الجامعي بين ثقافة العولمة والثقافة التقليدية 1 (١٦) تم استرجاعه من <http://search.mandumah.com/record/337229>
- الشريدة، محمد والعلوان، أحمد. (٢٠٠٧). أثر بعض المتغيرات في المنظومة القيمية لدى طلبة جامعة الحسين بن طلال. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- علوض، حسن (٢٠١٢). أزمة القيم في عالم متغير: ملاحظات نقدية. مجلة عالم التربية، (٢١)، ص ١٨١-١٩١ تم استرجاعه من <http://search.mandumah.com/record/574158>
- العواد، خالد. (٢٠٠٧). التعليم وسوق العمل أزمة قيم. المنتدى العربي الرابع للتربية و التعليم-التعليم و احتياجات سوق العمل تم استرجاعه من <http://search.mandumah.com/record/34593>
- الفقهي، حامد. (١٩٨٤). سيكولوجية الفرد في المجتمع. الكويت: مكتبة الفلاح.
- الفيتوري، الشاذلي. (١٩٨٤). الأسس النفسية و الاجتماعية للغة العربية و الوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ص ١٤٥-١٦٥.
- قاموس المعاني.
- الناصر، توفيق. (١٩٨٩). الخداع الذاتي ومفترق الطرق نقد اجتماعي تحليلي مقارنة. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص ٨٥-٨٨.
- وطفة، علي والشرع، سعد. (٢٠١١). التربية تاريخاً والفكر التربوي تطوراً: معانيات في جدل الواقع والنظرية. الكويت: كلية التربية.
- Bucholtz, Mary (2000). Language and Youth Culture. American speech. 75 (3), 280-283.
- Falk, Gerhard & Falk, Ursula (2005). Youth Culture and the Generation Gap. New York: Algora.
- France, Alan (20٠7). Understanding Youth in Late Modernity. Maidenhead, England: Open University Press.
- González-Rodríguez Ma Rosario, Díaz-Fernández Ma Carmen, and Simonetti Biagio (2014). Values and Corporate Social Initiative: An Approach through Schwartz Theory. *International Journal of Business and Society*. 15 (1), 19-48.
- Inglehart, R. (1997). The Silent Revolution: Changing Values and Political Styles Among Western Publics. New Jersey: Princeton University Press.

- Rebecca S. Curtis.(1988).Values and Valuing in Rehabilitation. *The Journal of Rehabilitation*. 64(1).
- Sharaf Eldin, Ahmad(2015).Teaching Culture in the Classroom to Arabic Language Students. *International Education Studies*.8 (12), 113-120.

Dualism of Cultural Values among A Sample of Kuwait University Students

Zaha Alsuwailan

*Assistant Professor Foundation of Education
Kuwait University*

Abstract The study aims to identify to what extent there is dualism in cultural values regarding language, religion, customs and traditions among students at Kuwait University. A descriptive approach was used. A questionnaire was applied to measure students' dualism on the three dimensions (language, religion, and customs and traditions). A preliminary study was applied in 1999/2000 among a small sample of 150 students. It was applied again in 2014/ ٢٠١٥ on a larger sample consisted of 1,166 students to investigate the changes over time regarding the cultural values dualism phenomenon. The results of the study indicated that there was a dualism on the three dimensions and that language and customs and traditions had a mean of (3.02). The results also showed statistical differences in favor of females regarding language dimension (< 0.01). There were also significant differences regarding customs and traditions in favour of female (< 0.05). There were also statistical differences regarding years of studies and college (< 0.01). The study recommended a follow up study of cultural dualism phenomenon and holding seminars to raise awareness around this issue.

Key words: Dualism, Language, Religion, Traditions and Customs

سيمياء الجسد في ديوان "أول الجسد آخر البحر" لأدونيس (الانفتاح الدلالي والتشاكل السيميائي)

د. منى الغامدي

جامعة جدة

يتناول هذا البحث تحليل تصور أدونيس الشعري للجسد بوصفه علامة من السطح إلى العمق، من خلال تمثيل نموذج البنية العاملة عند غريماس التي وزعها على ثلاثة محاور: محور التواصل، ومحور الرغبة، ومحور الصراع، حيث يشتمل محور التواصل على المرسل والمرسل إليه، بينما يشتمل محور الرغبة على الذات والموضوع، ويشتمل محور الصراع على المساعد والمعارض. وقد اقتصر البحث في تحليل هذه المحاور على محوري الرغبة والصراع، نظرا لتواجد محور التواصل بوفرة كبيرة في النصوص السردية القصصية، وانعدامه غالبا في النصوص الشعرية. ويجمع محور الرغبة بين الذات الراغبة /الشاعرة طبقا لنصوص أدونيس الشعرية، والمرغوب فيه (الموضوع). وبناء على هذه العلاقة بين الذات والموضوع يتم الانتقال من حالة إلى أخرى أي من حالة الاتصال إلى الانفصال أو العكس. وقد استدعت هذه الدراسة مفاهيم سيميائية متعددة، مثل السيميز والتشاكل والمربع السيميائي. كما انطلقت من أطروحات بيرس حول أنواع المؤول بوصفها أدوات إجرائية تعين على إدراك تصور أدونيس للجسد في حدود نصوصه الشعرية ضمن مفهوم العلامة الذي ينطوي على تعدد الدلالات.

مقدمة

الفني والجمالي للصور والمشاهد التعبيرية للنص^١، فلم يعد مباشرا أو واضحا في مبناه ومعناه كما كان عليه في العصور القديمة، بل أصبح الأدباء يتنافسون فيما بينهم في تقديم أكثر الطرق غموضا والتفافا في التصوير أو التعبير الجمالي .
أضف إلى ذلك أن "الطبيعة الإبداعية للفنان تتأثر بالاتجاهات الأخلاقية والدينية والسياسية

لما كان النص الأدبي متعدد الدلالات ومتنوع الإحالات فقد أصبح من العسير على القارئ أن يخرج منه بقراءة واحدة، أو حكم نقدي واحد، ولذلك فقد تعددت المناهج وتنوعت في تحليل النصوص الأدبية والحكم عليها. وإذا كنا بصدد نص شعري لأدونيس فإن القراءة والتأويل تصبح مهمة أكثر تعقيدا على الناقد، وذلك لأن نصوص أدونيس تنتمي إلى الشعر الحديث، "والنص الشعري الحديث يرتقي في شكله ومضمونه من جانب الغموض والتصوير

^١ محمد خاقاني ورضا عامر: المنهج السيميائي، آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد ٢، صيف ١٣٨٩هـ، ٢٠١٠م، ص ٧٥.

تفيض عليها ، فهو بحث في آليات إنتاج المعنى، ينطلق من البنى السطحية للنصوص، متسائلا عن سبب تعددها واختلافها سطحا وانسجامها أو اتفاقها عمقا، إلى سبر غور البنى العميقة محللا كيفية توليد الدلالات، والعلاقات المنطقية التي تحكمها، كالعلاقات التباينية أو التضادية وغيرها^٥.

وسنطلق في دراستنا لتحليل تصور أدونيس الشعري للجسد بوصفه علامة من السطح إلى العمق، من خلال تمثل نموذج البنية العاملة عند غريماس التي وزعها على ثلاثة محاور: محور التواصل ، ومحور الرغبة، ومحور الصراع، حيث يشتمل محور التواصل على المرسل والمرسل إليه، بينما يشتمل محور الرغبة على الذات والموضوع، ويشتمل محور الصراع على المساعد والمعارض^٦. وسنحاول تحليل هذه المحاور مكتفين بمحوري الرغبة والصراع، نظرا لتواجهه بوفرة كبيرة في النصوص السردية القصصية، وانعدامه غالبا في النصوص الشعرية^٧.

والعلمية والتعاليم الاجتماعية السائدة في المجتمع"^٢، كما أن عصرنا الحالي تميز بالتطور والتقدم الهائل على الصعيد العلمي والاجتماعي والسياسي والفكري والاقتصادي، فمن البديهي إذن أن يتميز النص الشعري الحديث بتعقيده وغموضه.

وأدونيس دونا عن بقية الشعراء تميز باطلاعه الواسع على الشعر الغربي الحديث واستمرار اتصاله بالموروث الشعري والثقافي العربي، بالرغم من دعوته الصريحة للانفصال عنه، مما أنتج طريقة متفردة في كتابته للنص الشعري الحديث^٣، دفعت بعض الباحثين بوصف لغته بأنها "غابة شاسعة كثيفة الإيقاع والتوهج والإيحاء لا حد لأبعادها، فنفترغ الكلمات من معانيها الموضوعية سابقا في المعاجم أو على الألسنة"^٤. وإذا كانت هذه لغة أدونيس فإننا نرى أن أفضل المناهج وأنسبها في تحليل نصوصه الشعرية هو المنهج السيميائي، ذلك أن هذا المنهج ينطلق من تحليل العلامات الظاهرة على السطح إلى تحليل سلسلة الدلالات العميقة التي تحملها والتي

^٢ محمد عبد الواحد حجازي، ظاهرة الغموض في الشعر الحديث، (القاهرة: دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ٢٠٠١)، ص ٣٦.

^٣ أثبتت الكثير من الدراسات سعة اطلاع أدونيس على الشعر الغربي والعربي وطريقته المتميزة في تعاطيه مع الموروث من خلال مباحث التناسل. انظر شواهدا على هذه الدراسات: كاظم جهاد: أدونيس منتحلا، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ماهو التناسل، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م، ط٢. ولؤي شهاب محمود: التصوف في شعر أدونيس، غنى الثقافة وثرأء الإيحاء، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٣. وإحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٨، الصفحات: ٢٠٤-٢٠٩. وإيمان مرسال: التناسل الصوفي في شعر أدونيس، رسالة ماجستير من جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

^٤ أيسر محمد فاضل الدبو: قراءة في مفهوم الحداثة عند أدونيس، مجلة آداب الرفادين، العدد ٤٦، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٢م، ص ٢٢.

^٥ انظر: جميل حمداوي: بناء المعنى السيميائي في النصوص والخطابات، دار الألوكة للنشر- شبكة الألوكة، ٢٠١٣، ص ٨.

^٦ انظر: سعيد بو عيطة: المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية-غريماس نموذجا، مجلة سيمات، المجلد ١، العدد ١، مايو ٢٠١٣، ص ٥٢.

^٧ يتحدد محور التواصل بالعلاقة بين المرسل والمرسل إليه، ويتحدد المرسل بالذات الراغبة نفسها، وطبقا للنص الشعري سيتحدد بالذات الشاعرة. ونظرا لذلك ولاضطلاع المرسل بدور المقنع وقيامه بمنح المكافأة للذات على إنجازها لمهمتها: لم نجد ما يوافق دور المرسل فيما بين أيدينا من النصوص الشعرية لأدونيس، وذلك في اعتقادنا لغلبة لعبة المجاز على السرد. انظر لمزيد من الاطلاع فيما يتعلق بدور المرسل: محمد الداوي: سيميائية السرد، بحث في الوجود السيميائي المتجانس، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩، ص ٣٦.

هي إيقاف تدفق الدلالات اللانهائي، من خلال تحديد دلالة معينة داخل نسق معين^{١٠}.

أما التشاكل فهو مصطلح أدخله غريماس إلى الحقل السيميائي، وهو "يمنح النص التماسك والترابط وذلك من خلال التراكم والتكرار والتواتر لبنى معنوية أو وحدات لغوية، مما يعني أن التكرار لهذه البنى يساعد في تشكيل ما يسمى بالتماسك النصي ... وتقتضي دراسة التشاكل الالتفات إلى التباين في النص للكشف عن العلاقات القائمة على التناقض والاختلاف"^{١١}.

ويساهم المربع السيميائي الذي اقترحه غريماس أيضا في الكشف عن الدلالات العميقة للنص، وذلك من خلال تجسيده لعلاقات التضاد والتضمن والتناقض داخل النص، مما يساعد على الكشف عن آليات إنتاج المعنى وتوليد الدلالات المتعلقة بموضوعنا وهو الجسد عند أدونيس.

وسنبداً بتحليل رؤية أدونيس وتصوره الشعري للجسد -في ديوانه أول الجسد آخر البحر- بوصفه علامة لغوية مجازية تتفتح أثناء التأويل وتتوسع دلالاتها وفقا للسياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية وغيرها من السياقات التي يحيل إليها النص ويستدعيها من جهة، ووفقا للعلاقات المجازية

ويجمع محور الرغبة بين الذات الرغبة/ الشاعرة طبقا لنصوص أدونيس الشعرية، والمرغوب فيه (الموضوع). وبناء على هذه العلاقة بين الذات والموضوع يتم الانتقال من حالة إلى أخرى أي من حالة الاتصال إلى الانفصال أو العكس^٨.

وستستدعي هذه الدراسة مفاهيم سيميائية متعددة، مثل السميز والتشاكل والمربع السيميائي. كما ستطلق من أطروحات بيرس حول أنواع المؤول المباشر والديناميكي والنهائي بوصفها أدوات إجرائية تعين على إدراك تصور أدونيس للجسد في حدود نصوصه الشعرية ضمن مفهوم العلامة الذي ينطوي على تعدد الدلالات.

والمؤول المباشر عند بيرس هو المعنى المباشر للعلامة ويرتبط بالمعنى القاموسي أو المعجمي. أما المؤول الديناميكي فهو كل تأويل يعطيه ذهن للعلامة من خلال استحضار السنن الثقافي. ولذلك فوظيفة المؤول الديناميكي فتح الدلالات حيث كل دلالة هي علامة تستدعي تأويلا، وهكذا. وهذه العملية؛ عملية إنتاج الدلالات تدعى بمصطلح بيرس: "السميز" أي ذلك النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها^٩. ويقتصر دور المؤول النهائي على كبح جماح التأويل، فوظيفته

^{١٠} انظر: الأطرش يوسف: المكونات السيميائية والدلالية للمعنى، آليات إنتاج المعنى في الخطاب السرد، ضمن الكتاب الرابع لأعمال ملتقى السيمياء والنص الأدبي ٢٨-٢٩ نوفمبر، بسكرة، ٢٠٠٦م، ص ٧. ويتفق إيكو مع بيرس في ما يخص كبح جماح التأويل حيث يحدد وظيفة هذا المؤول النهائي بالتأويل الذي يتيح النص ويسمح به ^{١١} موسى رابعة: آليات التأويل السيميائي، الكويت: آفاق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١، ص ١٤-١٥.

^٨ انظر: محمد الداوي: سيميائية السرد، ص ٣٦.

^٩ انظر: سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٦٧.

١- مبتدؤها أول الجسد وخبرها آخر البحر. والتقدير: أول الجسد هو آخر البحر، وحين ذاك يكون أول الجسد ومطلعه ومبدؤه من آخر البحر ومنتهاه، فهما كيانان مستقلان لكنهما متصلان معا.

٢- أما إذا قرأنا جملة العنوان على التقدير الثاني، أي على أن أول الجسد وآخر البحر خبرين لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا أول الجسد آخر البحر؛ يكون المبتدأ الغائب حينئذ كيانا مؤلفا من عنصرين دلاليين؛ الجسد والبحر. وبهذا فهما عنصران قابلان للاندماج لتكوين عنصر جديد ينتمي إليهما معا.

وفي كل الأحوال ستفيض الصورة سواء كانت على التقدير الأول أو الثاني بدلالات عديدة كلها تسعى لتؤكد على حالة الاتصال والانفصال. فيحتمل أن يكون المقصود بالجسد هنا جسد الإنسان وأوله

الشعرية من جهة أخرى. وفي ضوء ذلك يبدو لنا النص الشعري غامضا ومعقدا ومتناقضا ومفتقدا إلى الروابط المنطقية الدلالية بين أجزائه، لذلك سننطلق في التحليل من أهم العتبات المتجلية في النص كالعنوان الرئيس على الغلاف والعناوين الأساسية الداخلية للقوائد والعناوين الفرعية والغلاف، ثم من البنى العاملة لنصل إلى الإمساك بالمنطق الداخلي الكفيل بتحقيق انسجام النص وتماسكه.

سيمياء العنوان والغلاف :

يرى جون كوهين أن من أهم وظائف العنوان الأساسية : الإسناد والوصل، كما يعتبر العنوان من أهم الوسائل التي يتم بها تحقيق الربط المنطقي، وتأتي أهمية العنوان في الدرجة الأولى حين يكون النص الذي يحيل إليه نصا غامضا مفتقرا إلى الانسجام كما هو الحال في النص الشعري ونصوص أدونيس بصفة خاصة، هنا يصبح للعنوان دورا أساسيا وحيويا في الربط والتعليل والتفسير^{١٢}.

أ- العنوان الرئيسي والغلاف:

عند قراءة عنوان الديوان على الغلاف نجد أن الجسد يخرج من بعده اللغوي إلى الإيقوني^{١٣} أولا عند إسناده في جملة اسمية :

^{١٢} انظر: جميل حمداوي: بناء المعنى السيميائي في النصوص والخطابات، ص ٢٠٠.

^{١٣} نعني بذلك انزياح الجسد بوصفه علامة لغوية عن النسق اللساني القاموسي في كونه قالب ذو طبيعة حسية وقابل للحياة ويتكون من أعضاء وهكذا .. إلى النسق الأيقوني البصري القائم على التشابه، حيث يفتح الجسد على صور حسية تشبه الجسد في كثير من خصائصه وتقوم بوظائفه، مثل الشاطئ هنا بوصفه جسد الأرض المقابل للبحر، وهكذا .. "والأيقونة هي علامة تحيل على موضوعها وفق تشابه يستند إلى تطابق خصائصها الجوهرية مع خصائص هذا الموضوع". أمبرتو أيكو: العلامة تحليل المفهوم

وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، مراجعة سعيد الغامدي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٩١. ويرى إيكو محيلا على بيرس أن الاستعارة هي أيقونة ليس لقيامها على التشابه مع موضوعيها بل لقيامها على إعادة إنتاج أجزاء متشابهة مع أجزاء خاصة بموضوعيها /الشيء الفعلي الذي تحيل عليه. ولذلك فإننا نتعامل هنا مع الاستعارات بصورها علامات أيقونية. انظر: إيكو : المرجع نفسه، ص ٢٤١. ويرى سعيد بنكراد أنه ينبغي توافر سنن ثقافي- أو ما يطلق عليه إيكو "سنن التعرف" - يمكننا من إدراك الصور التي تحيل عليها العلامات البصرية ، فرغم إحالتها على تشابه ظاهري، فهي لا تنفصل عن التجربة الإنسانية بوصفها بنية إدراكية وليدة الثقافة والعرف وسابقة على الأيقونية ومتحركة فيها. انظر: سعيد بنكراد : السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الرياض- بيروت: منشورات ضفاف، الجزائر: منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٥م، ص ٨٤. وهذا الرأي الذي يذهب إليه بنكراد يتفق مع ما ذهب إليه إيكو في مناقشته للبيرس حول اعتبار الرسم البياني أيقونة ذهنية منتهيا إلى أن الأيقونة قضية صيغ عرفية. انظر: إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ص ٢٤٨. وما يهمنا هنا هو أن تحليلنا لشعر للاستعارات والمجازات وغيرها من العلامات الأيقونية المتصلة بالجسد في شعر أدونيس سينبني وفق ما تستند إليه من أبعاد ثقافية.

ويشكل الفضاء النصي الذي يحتله العنوان أيضا علامة أيقونية غنية بدلالات جديدة، لمجيئه في الغلاف بين أبيات امرئ القيس التي يتحدث فيها إلى محبوبته والتي يبتدئ فيها بوصف طريقة صعوده إلى ديار محبوبته "تنورتها من أذرعات وأهلها .." والتي تشبه "سمو حباب الماء حالا على حال"، وتنتهي بإصراره على وصالها ولو كان في ذلك قطع رأسه، الذي يحيل القارئ على أول الجسد في العنوان. فطريقة اتصاله بمحبوبته تشبه حباب الماء، وحباب الماء تتشابه مع الصورة السابقة صورة زبد الموج على الشاطئ. فأخر البحر هنا حين يتصل بالجسد/ جسد الأرض فهو يتصل بأوله/الشاطئ في حركة الجزر، وينتهي في حركة المد بقطع صلته به، فالاتصال غالبا ما يسفر عنه انفصال .

من هنا ندرك ما يرغب العنوان بقوله ، وهو أن العاشق حين يتصل بمحبوبته، كما يتصل البحر بجسد الأرض، سيقطع أوله رأسه. ومع ذلك فإن عودة الموج إلى الشاطئ من جديد بعد انقطاعه وذهابه وغيابه، تقابل إصرار الشاعر على محاربة المجتمع والقبيلة وكل ما يقف حائلا ومائعا له من الوصول إلى غايته في أبيات امرئ القيس. ومن العنوان والغلاف نستطيع أن نرسم الانفتاح الدلالي كالاتي :

الرأس والأطراف، ويحتمل أن يكون جسد الأرض وأوله الشاطئ وهو مدلول يستدعيه حضور البحر هنا. وبغض النظر عن وجود لفظ الجسد هنا في مقابل البحر وما يحتمله من دلالات ، فإن جسد الأرض سيكون حاضرا حتى في حالة غياب لفظ الجسد، وذلك لاتصاله بالبحر في الواقع وعدم إمكانية تخيل وجود بحر دون يابسة.

أما آخر البحر فيحتمل أن يكون أبعد نقطة يصلها الموج على الشاطئ من الجهة الأخرى التي لا يراها المشاهد، وهو ما نرجحه هنا بعد قراءة العنوان بوصفه علامة لغوية. أو يكون الأفق الذي يلتقي فيه البحر بالسماء، وما يحمله من دلالات موحية، حيث تحضر صورة الالتقاء المزيف التي يضمحل فيها خط الأفق كلما اقتربنا منه ويزيد اتساع البحر حتى يبدو بلا نهاية واضحة أو مرئية. وهذا البحر بهذه الصورة وهذه الحالة، أعني بوضعه مقابلا للجسد، يرفد الجسد بعدة دلالات، منها: الاتساع ، وسياسة المد والجزر، والحركة والسكون، والارتفاع والهبوط، وغيرها من دلالات البحر. كما يجعل القارئ يستعيد صورة الأرض في اتصالها بالبحر، فأول الجسد هنا يحيل على الشاطئ المقابل للمشاهد، المرئي والملموس^{١٤}.

^{١٤} غاية ما نقصده هنا بالحديث عن المرئي وغير المرئي هو جوانب صورة اتصال البحر بالأرض، فهو يتصل بها من جهتين جهة مرئية وأخرى غير مرئية، وما نسعى إليه هنا يختلف عن الدراسة التي أجراها أحد الباحثين عن الجسد المرئي والمتخيل في شعر أدونيس، حيث قصد الباحث إلى استجلاء رؤية الشاعر المتجلية في نصوصه حول الجسد، وربطها بالرؤية الغائبة التي يستعيدها من خلال التناص، فالمرئي هو الظاهر في النص ، والمتخيل أو اللامرئي هو ما يحاول الباحث استعادته من خلال النصوص الغائبة التي تقاطع

معها نص أدونيس أو دخل في علاقة تناص معها، فمثلا يرى الباحث أن جسد الانثى يحضر في شعر أدونيس بينما يبقى جسد الذكر مغيبا ومحجوبا، وهكذا انظر: المنصف الوهابي : الجسد المرئي والمتخيل في شعر أدونيس، قراءة تناصية، تونس: الجامعة التونسية، كلية الآداب، ١٩٨٧م، ص ١١٢، ١٦٥ .

ويجدر التنبيه هنا إلى أن هذه الدلالات المشتركة بين آخر البحر والمرأة هي دلالات ناتجة عن قراءة تدمج بين سياق العنوان وسياق قصيدة امرئ القيس في الغلاف، فهي بمصطلح السيميائيين ناتجة إذن عن تشاكل بين الكلاسيكات أو ما يطلق عليها (السيمات السياقية)، وتعني تغيرات المعنى المنتجة من قبل لكسيم ما (وحدة معجمية)، ولا تتولد إلا عن إدراج هذا اللكسيم في سياق جديد^{١٥}.

فمثلا لكسيم البحر لا يتشاكل بسيماته النووية^{١٦} : "جامد + ماء + ملح + أزرق + محيط باليابسة .. الخ" مع السيمات النووية لللكسيم المرأة : "كائن حي + انساني + أنثى ... الخ" ، ولكن من خلال ارتباطه بلكسيمات وكلاسيكات أخرى متولدة عن السياق : سياق العنوان وسياق قصيدة امرئ القيس في الغلاف.

ويمكن القول إن العنوان مع الغلاف قدم لنا تمهيدا لقراءة الديوان، وهو أن الوصول غير اللائق إلى الغاية لن يتحقق في حال علم القبيلة والمجتمع لأنه سيشكل خرقا للعرف والتقاليد والأنظمة الاجتماعية في الجاهلية والتي تشكل معيقا لامرئ

أول الجسد	آخر البحر	
الشاطئ المقابل للمشاهد	أول الشاطئ من الجهة الأخرى للمشاهد	الأفق (أبعد نقطة تصل بين البحر والسماء)
الشاطئ المرئي	الشاطئ غير المرئي	التقاء مزيف
أول الأرض / الشاطئ	عودة إلى أول الجسد في حركة دورية : آخر شيء يبدو لنا من جهة ما سيكون أول شيء من الجهة الأخرى المقابلة.	حركة دورية : كلما اقترب المبحر من خط الالتقاء بين البحر والسماء ازداد الاتساع واضمحلت الالتقاء .
الرأس / الأطراف	أول الجسد = آخر البحر. آخر البحر = أول الجسد، وهكذا ..	ما يبدو مرئيا = هو غير حقيقي
رأس امرئ القيس	اتصال وانفصال	المرأة (الحب - الرغبة - الحياة) .

وما يجعلنا نطابق بين آخر البحر و المرأة بما تشتمل عليه من مفردات الحب والرغبة في الحياة، هو الدلالات المشتركة بينهما، فغاية امرئ القيس الوصول إلى محبوبته، وهذه المحبوبة تقع في مكان عال وبعيد، والوصول إليها يشبه حباب الماء الذي يلتقي مع زبد البحر. واتصاله بها سيسفر عن انفصال بين أول جسده وآخره ، وبينه وبينها، كما ينفصل الموج عن الشاطئ ، وبهذا فإن آخر البحر في العنوان يتشاكل في مدلولاته مع المدلولات التي تحملها المرأة في قصيدة امرئ القيس على الغلاف.

^{١٥} انظر: جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية، ترجمة جمال حضري، الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٧، ص ص ٧٦-٨١.

^{١٦} الفرق بين السيمات النووية والكلاسيكات: أن السيمات النووية بحسب غريماس: "هي تلك تدخل في تكوين وحدات تركيبية أي اللكسيمات، بينما الكلاسيكات تتمظهر داخل وحدات تركيبية أوسع تربط بين لكسيمين على الأقل" أي بين وحدتين معجميتين فأكثر. جوزيف كورتيس: المرجع نفسه، ص ٧٦.

- معجم مصغر لهن - موسيقى I - موج I -
موسيقى II - موج II - موسيقى III - أبجدية -
طلسم.

في الجدول التالي يتضح الانفتاح الدلالي لكل
من العناوين الفرعية السابقة، وما ينتج عنه من
تشاكل سيميائي، كما هو مبين:

معجم مصغر لهن	موج	موسيقى	- أبجدية - طلسم
اللغة - المرأة	مد وجزر	حركة سكون	اللغة - الرموز
	اتصال وانفصال	اتصال وانفصال	
	ارتفاع وهبوط	ارتفاع وهبوط	

فالدلالات التي تناسلت من كلا العناوين؛
موج وموسيقى، تتشاكل معاً، بينما تتشاكل مقدمة
هذه العناوين وخاتمتها (اللغة والمرأة) مع النتيجة
السابقة التي انتهت إليها دلالات العنوان الرئيس مع
الغلاف، وإغنائها بإضافة دلالة جديدة للمرأة وهي
اللغة . فأول الجسد يتصل بآخر البحر = المرأة وما
تمثله من الرغبات والأهداف البعيدة والحياة. وإذا
كانت المرأة حياة الجسد فكذلك اللغة. وسيتجلى هذا
التشاكل بصورة أكثر وضوحاً مع بقية إشارات
النص.

سيمياء الاستهلال :

يبدأ أدونيس مقدمة ديوانه باستهلال يتحدث
فيه عن النار والجنة، وإذا قمنا بالبحث في العلاقة

القيس لا يعبأ به ولا يكثر له مصرأ على وصالها
حتى بعد قطع رأسه وأوصاله.

ويبدو التشاكل بين مدلولات الغلاف والعنوان
أكثر وضوحاً بعد قراءة متأنية للانفتاح الدلالي لبقية
العناوين الفرعية للقوائد وما تحمله من علامات
معجمية وثقافية، وكذلك للاستهلال الذي بدأ به
الشاعر مقدمة لديوانه، ثم قراءة أخرى لحضور تلك
العلامات في متن القوائد الشعرية.

ب- العناوين الفرعية (عناوين القوائد):

يقسم الشاعر قوائد الديوان إلى مجموعات
شعرية، ولكل مجموعة عنوان، وأول مجموعة تحمل
عنوان "معجم مصغر لهن"، والمجموعتان الأخيرتان
تحملان عنوان "أبجدية" و"طلسم"، وكل من هذه
العناوين الثلاثة يشترك في الإشارة إلى اللغة والكلام.
وتحمل العناوين التي تقع بينها إيقاعاً يتناوب بين
موج وموسيقى، إيقاع موج البحر في مده وجزره،
اتصاله وانفصاله، ارتفاعه وهبوطه، وإيقاع الموسيقى
في سكونها وحركتها، اتصالها وانفصالها، ارتفاعها
وهبوطها. يبدأ أول العناوين بالموسيقى وينتهي
بالموسيقى، وقبل الموسيقى وبعدها يكون العنوان
الأساسي: اللغة بوصفها معجم مصغر يتألف من
كلمات ذات دلالات في البداية، ثم أبجدية وحروف ،
ثم رموز وطلاسم غير مفهومة في النهاية. وهذه
العناوين كما جاءت مرتبة في الديوان:

دلالاته على بقية نصوص الديوان - أن تخليد الجسد والإحساس به إحساساً جميلاً لا ينقطع لا يكون إلا في وسط الحياة، في خاضرتها، لا في سنوات الطفولة الأولى ولا في آخر سنوات الشيخوخة. بل في منتصفها، في فترة الشباب التي عجز الزمان عن استدامتها، لكنه سيظل، كما يقول أدونيس، "وفياً للعبء الذي ائتمنته عليه حياته على الوفاء به".

ويجدر التنبيه إلى أن ثيمة الصعود التي يحملها الغلاف في أبيات امرئ القيس، في قوله "سموت إليها بعدما نام أهلها" مطابقاً بين هذا السمو وسمو حباب الماء في قوله "حالا على حال" وفي صورة كلية تشكل مرحلة الاتصال؛ تلقي مع ثيمة الهبوط من الجنة ومحاولة الصعود/ العودة إليها، واتصال النعيم. وهو تشاكل على مستوى البنى العاملة حيث الذات الشاعرة في قصيدة أدونيس ترغب بوصل المرأة فيشكل مجتمع القبيلة معيقاً لها مما ينتج عنه انفصال أول الجسد عن بقيته، وكذلك الذات الشاعرة في ديوان أدونيس ترغب جسدياً بالاتصال بنعيم الجنة ولكن الأخطاء والمحرمات وعدم احترام الأنظمة والقوانين السماوية تقف عائقاً دون بلوغها، ويقف الزمن معينا ومساعداً وكفيلاً بإعادة رأس الجنة المقطوع إلى جسد الحياة وخصرتها، وهو ما ستؤكد عليه إشارات النصوص في المتن. وكما رأينا سابقاً كيف أنتج الانفتاح الدلالي تشاكلاً سيميائياً على مستوى العناوين

بين هذا الاستهلال والعنوان والغلاف سنجد أن كلا من الجنة والنار هنا علامات غنية بمضامين ثقافية متعددة، ومن أهمها وأبرزها: قصة خروج آدم عليه السلام وزوجته حواء من الجنة، قصة الحياة التي بدأت بخطأ الجسد، ومحاولة تخليده، فيما هو بالٍ في حقيقته، عصي على الخلود.

يقوم أدونيس بوصف الجنة وما فيها من نعيم مقيم ودائم لا ينقطع منتقياً عدة أحاديث نبوية، ومنتقياً إلى رسم صورة شعرية يبدو فيها الزمن عاجزاً عن بلوغها. فهذا الزمن، كما يقول أدونيس: "الذي ينتظر قطافه لن ينضج أبداً. غير أنه سيظل وفياً للعبء الذي ائتمنته حياته على الوفاء به: أن يضع، كل يوم، رأس الجنة على خاصرة الحياة"^{١٧}. يحيلنا هذا الزمن في علاقته بالجنة الذي جاء في الاستهلال إلى الزمن الذي قدر لنا في هذه الحياة والذي يمثل فرصة لإعادة ترميم أرواحنا، أن نمثل لأوامر الله ونواهيه في هذه الفترة الزمنية المقدرة لنا على الأرض. وهذا وحده كفيل إذن بإعادة الرأس إلى جسده، بإعادة رأس الجسد المقطوع في قصيدة امرئ القيس وأول الجسد في العنوان الذي كلما اتصل بالبحر انقطع عنه، ورأس الجنة المقطوع إلى خاصرة الحياة.

والخاصرة هنا تحيل على وسط الجسد لا أول الجسد ولا آخره. وبهذا يبدو أن ما يرغب الاستهلال بقوله - وهو استهلال سيفرض ظلال

^{١٧} أدونيس: ديوان أول الجسد آخر البحر، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٥، ط٢، ص ٧.

الموسيقى والمد والجزر في الموج، وتضيف إليها دلالة جديدة تتمثل في اللغة في ارتباطها بالمرأة. ثم جاء الغلاف بدلالات ثانوية أضافت إلى المعنى المؤسس وأغنته بقيم أخرى اجتماعية ثقافية، وهي مفهوم القبيلة والجماعة ومحاولة الخروج عليها والوصول إلى تحقيق الرغبات بمخالفة الأنظمة القبلية وما يؤدي إليه ذلك من انفصال الجسد عن الحياة .

بعد ذلك جاء الاستهلال ليغني الدلالة الاجتماعية الثقافية أيضا بدلالات أخرى دينية، فيسوق لنا أساس المشكلة وسببها- وهو خطأ الجسد الأول في رغبته بشيء محرم مخالفا الأنظمة والقوانين السماوية- مؤكدا على الدلالة التي كان يحملها الأفق في العنوان الأساسي بوصفه الخط الذي يصل البحر بالسماء والذي يضمحل كلما اقتربنا منه.

نعود إذن إلى تشكيل دلالة العنوان الأساسية مرة أخرى وفق قراءتنا للاستهلال، حيث يصبح زيف الأفق هو زيف المحافظة على الأنظمة والقوانين السماوية . هذا ما يجعل البحر كلما التقى بالشاطئ ينفصل عنه، فأخذه لم يكن متصلا بالسماء كما يبدو لنا بل كان اتصالا زائفا . وهذا ما جعل امرئ القيس ينفصل عن امرأته بعدم محافظته على أنظمة القبيلة، فكان سموه إليها "بعدما نام أهلها" أي في ظل غياب القوانين والأنظمة، وبفعل الخداع ومحاولة الوصول المزيف كما هو حال حباب الماء الذي يسمو ولا

الفرعية، سنرى الآن كيف ينتجه على مستوى العناوين والغلاف والاستهلال كآلاتي:

العنوان
أول الجسد & آخر البحر
اتصال آخر البحر بأول لجسد وانفصاله عنه
الغلاف
رغبة الشاعر في الاتصال بمحبوبته وسموه إليها الذي يطابق سمو حباب الماء مع الخطأ (خرق الأنظمة والقوانين) يؤدي إلى قطع رأسه وانفصاله عن جسده
الاستهلال
اتصال آدم وزوجه بالجنة ثم خرقهما الأنظمة والقوانين أدى إلى انفصالهما عنها / رأس الجنة المقطوع.
سمو آدم وأبنائه إلى الجنة في حال التمسك بالأنظمة والقوانين يؤدي إلى :
العودة إلى خاصرة الحياة = وسط جسدها . إلى الجنة: اتصال دائم وبلا انقطاع = شباب دائم.

ومن تحليل الدلالات التي اشتمل عليها كل من الغلاف والعنوان والاستهلال نلاحظ أن العنوان الأساسي على الغلاف أسس للدلالة أساسية أولية، وهي أن أول الجسد كلما اتصل بآخر البحر/ الرغبات البعيدة- الحياة- المرأة ينتهي دائما بانفصاله من جديد. ثم جاءت العناوين الفرعية داخل الديوان لتؤكد على هذه الدلالة الأساسية التي تتمحور حول الاتصال والانفصال في الحركة الناشئة عن كل من الموج والموسيقى وفقا لإيقاع السكون والحركة في

يلبث أن يختفي لأنه ليس أكثر من فقاعات هواء .
فلا بد إذن من اتصال حقيقي بهذه السماء بأنظمتها
وقوانينها وشرائعها ليسمو الشاعر إلى جنته ويستقر
بها بلا انقطاع .

كما جاء الاستهلال أيضا ليؤكد على
التشاكل السيميائي بين كل من المرأة والجنة من
خلال اللغة، حيث ربط أدونيس بين الجنة واللغة في
قوله : "عن سعيد الطائي: أخبرت أن الله تعالى لما
خلق الجنة، قال لها: تزيني، فتزينت. ثم قال لها :
تكلمي، فتكلمت. فقال : طوبى لمن رضى عنه"^{١٨}.
فدلالة الكلام ترتبط بكل من الجنة في الاستهلال،
والمرأة في مبتدأ العناوين الفرعية وخاتمتها. ويمكن
من خلال الجدول التالي تقصي الدلالات المشتركة
بين كل من المرأة التي شكلت هدف الشاعر
الأساسي في الغلاف والعناوين الفرعية، والجنة التي
شكلت هدف الشاعر الأساسي في استهلاله كما
يلي:

الجنة	المرأة في أبيات امرئ القيس في الغلاف
وصف امرؤ القيس طريقة اتصاله بمحبوبته في قوله: "بعدما نام أهلها"، فأسند النوم إلى أهلها، ونفاه عنه فهو مستيقظ سهران رغبة في وصلها.	نفي الشاعر/ أدونيس سمة النوم عن أهل الجنة في اقتباسه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : "وسئل نبينا صلى الله عليه وسلم : أينا من أهل الجنة؟ فقال :النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون".
ربط امرؤ القيس بين المرأة والعلو في قوله : "سموت إليها".	ربط الله عز وجل بين الجنة والعلو في قوله : "في جنة عالية. قطوفها دانية". الحاقة: ٢٢-٢٣ .
وصف امرؤ القيس طريق الوصول إلى المرأة المظلم المحاط بالنجوم التي تضيئ الطريق إليها، وكأنها "مصابيح الرهبان تشب لقفال"، عائد إلى وطنه ودياره ..	ذكر الشاعر النار بوصفها الضد الذي تتميز من خلاله الجنة وتتعرف ، في قوله : "حين تذكر النار، لا يذكر هو إلا الضد : الجنة. وأخذا بالقول : والضد يظهر حسنه الضد" يتنور ما رواه أسلافه" .
وصف امرؤ القيس طريقة رحلته إلى ديار محبوبته في الظلام وعن طريق النجوم بالتنور في قوله: "تنورتها من أذرعات.."	وقرن الشاعر بين وصف الجنة السابق بأنها تتعرف من خلال النار بفعل التنور في قوله : "يتنور ما رواه أسلافه" .

المرأة	الجنة
ربط الله عز وجل بين المرأة والزينة في قوله تعالى : "أو من ينشأ في الحلية". الزخرف: ١٨ .	ربط أدونيس بين الجنة والزينة في اقتباسه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "تزيني فتزينت"
ربط الشاعر بين اللغة والمرأة في العنوان الفرعي الذي افتتح به بقية العناوين "معجم مصغر لهن"	ربط الشاعر بين اللغة والجنة في اقتباسه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : "تكلمي فتكلمت"

^{١٨} الديوان/ ٥ .

الرغبة في تحقيق اتصال الجسد بغاياته اتصالاً لا يشوبه انقطاع، أو محاولة بلوغ النعيم الخالد الذي لا ينقطع^{٢٠}. وأول هذه العلاقات :

أ- الجسد / البحر :

يقول الشاعر: "بقايا جسدينا ، تحدث عن نفسها: / شاطئان ، ولا موجة"^{٢١}.

يبرز الجسد في هذا المقطع الشعري من خلال علاقته بالبحر في صورة بقايا تنتمي إلى الشاعر وامرأته، وشاطئين يستعيدان صورة الشاطئ الأول المقابل للمشاهد والشاطئ الآخر الذي يحجبه البحر والذي يقع في الجهة الأخرى غير المرئية للمشاهد. بالرغم من وجود هذين الشاطئين وهذين الجسدين لا يتجدد اللقاء وتحيا هذه البقايا إلا من خلال موجة لم تأت بعد.

ويقول في وصف امرأته : " رأسها أمطار وعواصف / لكن جسدها بحار من العطش"^{٢٢}.

فهي نصفان، نصف علوي وهو رأسها ويقع في السماء من خلال انتمائه إلى الأمطار والعواصف، ونصف سفلي يقع في بحار تتصف بالعطش . تعود هنا صورة البحر الذي يتصل بالسماء من خلال جسد هذه المرأة وتضاف دلالة

وأخيراً فإن الخروج من الجنة كان سببه خطأ الجسد فلا بد من معالجة هذا الخطأ الجسدي في سياق تصويري يربطه بالمرأة / الجنة . وبهذا فإن رغبة الشاعر بالجنة والاتصال بها اتصالاً دائماً لا ينقطع تشكل المدلول الأساسي الذي يختبئ خلف رغبة الشاعر بالمرأة التي تحفزها كل السياقات المتصلة بالجسد كالبحر والنار والأفق واللغة وغيرها من السياقات^{١٩}، وهو ما ستؤكد القراءة السيميائية للنصوص الشعرية كما سيأتي إيضاحه في الفقرة التالية.

سيمياء النص الشعري :

في قراءتنا لسيمياء العنوان (الرئيس والفرعي) والغلاف رأينا كيف جاء الجسد متعلقاً مع البحر والنار والأفق واللغة. ثم كيف كان التشاكل كبيراً بين رغبات الجسد في تعالقه بالبحر -النار-الأفق - اللغة، المتمثلة في تحقيق الاتصال بالمرأة والرغبة في الجنة في الاستهلال .

ولو عدنا إلى البحث في العلاقات بين سيمياء العنوان والغلاف والاستهلال وسيمياء النصوص الشعرية في المتن سنجد أن هذه العلاقات تترابط لتؤكد من جديد على حالة واحدة تحتلها الذات الشاعرة تتكرر في كثير من المقاطع الشعرية، وهي

^{١٩} يتفق هذا مع ما ذهب إليه أدونيس نفسه من كون جسد الأنتلى عند الشاعر الجاهلي بمثابة الجنة، فهو يشكل مصدر متعة وخصب وطمانينة وبه يصبو إلى غبطة الاكتمال والتملك، وهو على حد تعبيره: " رمز ما يبعث ويخلق وما يعلو ويتماس". فربط بين جسدها والحياة والخصب من جهة وبينه وبين ثيمة العلو من جهة أخرى. كما يؤكد بأن الشاعر الجاهلي يرتفع بحب الجسد "إلى مستوى الفرح الكيان الكلي الأسمى ... ويعثر على جنته الأرضية"، أدونيس مقدمة الشعر العربي، بيروت: دار العودة، ط ٤، ١٩٨٣م، ص ١٩، ٢٠.

^{٢٠} يخرج أحد الباحثين من دراسة مستفيضة عن التصوف في شعر أدونيس بنتيجة مؤداها أن الشاعر كان ينظر إلى الروح "بصفته الطائر الذي هبط من ملكوته الأعلى إلى العالم الأرضي متطلعاً إلى العودة خلاصاً من الجحيم الواقع، وتلذذاً بنعيم الحلم".لؤي شهاب محمود: التصوف في شعر أدونيس، غنى الثقافة وثرأ الإحياء، ، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلطينية، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٣، ٢٠١٠م، ص ٧٠٥.

^{٢١} الديوان/ ١٠٥ .

^{٢٢} الديوان/ ١٦ .

العطش إلى جسدها السفلي/ البحر التي تتصل قاموسيا بدلالة الرغبة والتوق .

ويقول : "لا يعرف الحب أن يحب/ إلا غريقا في محيط الجسد/ في بحيرة دمعها"^{٢٣}.

فتتحقق الرغبات التي يحصرها هنا في دائرة الحب حين يندمج الجسد بالبحر في مفردات مثل : "محيط" و"بحيرة" التي تتكون من دموعها. هذه الدموع التي تتصل منطقيا بدلالة الحزن. تتحول هذه الدموع في قصيدة أخرى إلى بحار يسافر خلالها الشاعر بين أمواجه، حيث يقول:

"أتيقن : أجمل ما فيك دمعك - تجري/بين أمواجه /مراكب أيامنا"^{٢٤}.

فالحزن المرتبط بالدموع يحفز الشاعر على خوض البحار للوصول إلى هدفه ، وهو الشعور الذي أستقر في بني آدم بعد الخروج من الجنة. والزمن الذي ذكره أدونيس في استهلاله يتجلى هنا في صورة مراكب من الأيام تحمل الشاعر إلى غايته . إنه أيام كفيلة بإعادة رأس الجنة المقطوع إلى خاصرة حياة الشاعر. والأمواج هنا تشير إلى التناوب في الاتصال والانفصال وذلك بدنوها من الشاطئ وبعدها عنه.

ويمزج الشاعر بين الأمواج التي تأتي وتذهب في إيقاع المد والجزر، وتتناثر على الأرض، بالوقت الذي يتناثر أيضا ثم يربط الأمواج بالجسد. فعلاقة الجسد بالأمواج يحكمها الزمن الذي يمر من

خلال الأجساد ويتناثر فيها. ويكشف عن هذه الدلالة بوضوح في قوله:

"أمواج، أرى إلى الوقت يتناثر فيها... ماذا لو أدعوك ، أدعو هذه الأمواج وأحك بها أعضائي؟ أأخذها رمزا لأيامي"^{٢٥}.

ولذلك نجده يتساءل في قصيدة أخرى : "مرتحل، وأرى الفضاء يسيل فيّ. تراه جسمك شاطئ؟"^{٢٦}.

لا تلبث صورة المرأة الغاية البعيدة التي يصبو إليها الشاعر تغيب كلما تحقق له حضورها كما تبتعد الأمواج عن شاطئ البحر كلما اقتربت منه ودنت. فجسمها شاطئ يتناوب الوصل والفصل. فلا سبيل للوصول إلى جسدها والاتصال به دون انقطاع إلا من خلال استدامة الزمن .

ب- الجسد / النار :

تبدو النار الثيمة المضادة للجنة في ظاهرها، ولكنها في الحقيقة هي الطريق المفضي إليها. فهي وسيلة تهيب وتحذير لسلوك الطريق المستقيم، وهي من جهة أخرى المكان الذي لا بد أن يعبره العباد ويرون أهواله وما كان سيحيق بهم لولا أن أنجاهم الله منها، فيردونها طريقا إلى الجنة. وذلك كما نصت عليه الآية: "وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا". مريم: ٧ .

ومن المفردات التي تؤدي وظيفة النار نفسها ويتعلق معها الجسد: الضوء - المصابيح -

^{٢٥} الديوان/ ١٢٣ .

^{٢٦} الديوان/ ٧٧ .

^{٢٣} الديوان / ١٤ .

^{٢٤} الديوان / ٣٦ .

العنوان. ولا يكتفي امرؤ القيس بفعل التتور في وصف توقه إلى وصل امرأته، بل يرسم الصورة التي تكون عليها في حال رؤيتها ووصلها وهي صورة تحتوي على سلسلة من المفردات المتعلقة بالنار. كما جاء في خزانة الأدب: "ضمير إليها راجع إلى النار المفهوم من تتورتها، وجملة "والنجوم" إلخ حال من الفاعل، وجملة "تشب" حال من ضمير النار. قال ابن رشيق في العمدة: "ومن أبيات المبالغة قول امرؤ القيس يصف ناراً، وإن كان فيه إغراق: نظرت إليها والنجوم، البيت؛ يقول: نظرت إلى نار هذه المرأة تشب لقال، والنجوم كأنها مصابيح رهبان. وقد قال: "تتورتها من أذرع" البيت، وبين المكانين بعد أيام، وإنما ترجع القفال والغارات وجه الصباح، فإذا رآها من مسبرة أيام وجه الصباح، وقد خمد سناها وك موقدها، فكيف كانت أول الليل؟! ... وقال بعضهم: ومن التشبيه الصادق هذا البيت، فإنه شبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها، وتعهدها الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح، فكذا النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل إلى الصبح كتضاؤل المصابيح له"^{٢٨}.

ومن هذه الشروحات على البيت يتضح أن امرؤ القيس أشار إلى نار امرأته التي رسمت له طريقها، كما ترسم النار طريق العباد إلى الجنة فلا يسلكوا طريق الضلال والغواية، وكما ترسم النجوم الطريق الصحيح للسائرين ليلاً، والذين لا تتضح لهم

الشمس- النجوم ... فكلها تتدرج تحت حقل دلالي واحد (جامد - حراري - منير). فإذا عدنا إلى بيت امرؤ القيس السابق:

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقال.

نجد أن الجسد يرتبط بالنار، وبالنجوم، وبمصباح الرهبان، وبالفعليين "تشب وتتور"، وهما من المفردات المتعلقة بالنار أيضاً. وقد جاء في خزانة الأدب ما يدل على إلحاق لفظ "تتورتها" في قول امرؤ القيس: "تتورتها من أذرع" .. البيت، بمفردة النار، وذلك في قول عبد القادر البغدادي: "قال المبرد في الكامل: المتتور الذي يتلمس ما يلوح له من النار. ورد عليه أبو الوليد القشيري - في شرحه عليه- بأن المتتور إنما هو الناظر إلى النار من بعيد، أراد قصدها أو لم يرد، كما قال امرؤ القيس: "تتورتها من أذرع" ولم يرد أن يأتيها... والنظر إلى نارها إنما هو بنظر قلبه تشوقاً إليها. كما قال ابن قتيبة في أبيات المعاني: هذا تحزن وتظن منه ، ليس أنه رأى بعينه شيئاً إنما أراد رؤية القلب"^{٢٧}.

فعل التتور إذن مرتبط من خلال الثقافة العربية بثيمة النار وبالرؤية القلبية لها، إذا يفتح لفظ النار في قصيدة امرؤ القيس هنا على مدلول جديد: وهو "غير مرئي"، ويلتقي بهذا مع مدلول الشاطئ غير المرئي للمفردة المركبة "آخر البحر" في

^{٢٨} عبد القادر البغدادي: المرجع السابق، ج ١، ص ٦٨ - ٦٩.

^{٢٧} عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط٤، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٥٨ - ٥٩.

سابقا تؤكد على ثيمة الاتصال والانفصال من خلال فعل الإيقاع الذي تتناوب فيه الحركة والسكون والنغمة الصاعدة والهابطة .

أما جسمه هو فيقول فيه :

"أكاد أشطر أيامي وأنشطر/ دمي هناك وجسمي ها هنا ورق/ يجره في هشيم العالم الشرر ".
فالعالم هشيم ورماد قد أتت عليه النار.
ومقدمة النار وهي الشرر المتطاير يجر جسده الذي جف من الدماء/ الحياة ويقوده إليها. ولكن ليحصل على جسدها المنور ويبعث في جسده الحياة لا بد أن يتنور هو أولاً:

"أتنور نفسي/ وأسلسل وقتي/ بين أحضانها/ وأغني لنا وأغني لها".^{٢٩}

ويتكرر ارتباط الجسد بالنار والمفردات التي تندرج من حقلها الدلالي في كثير من قصائد الديوان، وتأتي غالبا في سياق الصعود والهبوط . ومن ذلك قوله :

" بعد أن شربنا مفاتن أعضاءنا / وشربنا الشموس- دياجيرها وقناديلها/ لنقل: إننا نضجنا/ مثل عنقود كرم/ يعشق الكرم بعد العلو الهبوط /حيث ينحل، يهدأ في الدن ينساب في / الجسد الآدمي ويعلو/ من جديد إلى ربه"^{٣٠}.

فالشموس المفردة التي ترتبط بالنار تمارس وظيفتها في رسم الطريق الصحيح للشاعر إلى هدفه، في حين تقترب بمفردتين: الدياجير والقناديل ،

الرؤية، فيوشكون على أن يضلوا الطريق. أما هو فطريقه واضح ونجومه تشبه مصابيح الرهبان. واستعمال لفظ الرهبان، لفظ مشبع بدلالات ثقافية دينية، حيث يشير إلى رجال الدين في الكنيسة، أولئك الذين يأخذون بيد العبد إلى الجنة، ويشعلون قناديلهم ليلا فيأوي إليهم من ضل طريقه.

وكذلك لفظ "قفال" يضفي على المرأة دلالة المنزل والوطن والمستقر. وما ذكره الإمام البغدادي من أن لفظ "قفال" نسبة إلى القافلة والتي تطلق على العائدين إلى أوطانهم من الغارات، ترتبط من جهة أخرى بأمنية الشاعر في استهلاله بالعودة إلى الجنة. والنار التي تشب للقفال ليهتدي إلى وطنه تقابل النار التي تشب للعباد ليهتدوا إلى جنتهم. وكل هذه الصور والألفاظ تجعل القارئ يصل بين هدف امرئ القيس في أبياته وهو الوصول إلى امرأته المحروسة من القبيلة، وهدف أدونيس في استهلاله وهو الوصول إلى الجنة المحفوفة بالمكاره، ويعيد رسم التشاكل السيميائي السابق بين المرأة والجنة ويثريه.

وإذا انتقلنا إلى قصائد الديوان سنجد ارتباط النار بالجسد في الكثير من الأبيات، ونجده يستخدم لفظ "تنور" ومشتقاته المذكور في قصيدة امرئ القيس لتوظيفه في تحديد دلالة الجسد، حيث يقول:

"يا جسمها المنور ، علمني الغناء".

فجسمها محفوف بالنور ليسوق الشاعر إليه، فيتمكن من الاتصال به، ومن خلال الغناء أيضا الذي تصحبه غالبا موسيقى. والموسيقى كما قلنا

^{٢٩} الديوان/ ٢٢، ٢١.

^{٣٠} الديوان/ ١٧١.

يكون الضوء مشعا ولا معتما؛ يلتقي مع ضوء امرأة
امرئ القيس في صورة مصابيح الرهبان التي تشعل
في آخر الليل لهداية المسافرين واستقبالهم في
كنائسهم لصقل أرواحهم وإراحتها من التعب.

فالضوء والليل بما يحملانه من دلالاتي
الانكشاف والاحتجاب يعودان في القصيدة نفسها
ليكونا غطاء للجسد : اتخذت ليلك ضوءا رحت
ألبسه / كما تشاء مراياه - أسير بها / إلى بهي
خفاياها وأبتعد^{٣٣}.

وبهذا الليل الذي يذكرنا بليل امرئ القيس
حيث يلتقي بامرأته بعيدا عن الأعين؛ ينتقي أدونيس
ليله الخفي الذي يأمن فيه من رقابة الأعين ليلتقي
ببهي خفايا امرأته فيكون ليله طريقا مضيئا يمنح
الجسد بغيته في الوصال والاتصال، ويكون رداءه
الذي يستره من الرقباء . ولكنه حين يسير إليها يبتعد
في الوقت نفسه، وهو الإيقاع الذي بدأ به الديوان منذ
العنوان، وهو ما تؤكد المقطوعة التالية من
القصيدة:

"هل أقول لليلي: / غبت، لكن وجهك يأتي
ويذهب/ في مقلتي؟"

هل أقول لأعضائها : خانت النار قيسا
والرماد مشيرا إلي؟ ...

ما أقول لليلي وهي مبثوثة تتوهج في كل
شيء ؟ ...

والدياجير وهي الظلمات تمارس وظيفة الحجب
والستر كما قلنا ، فيما تمارس القناديل وظيفة الهداية
وتعيدنا إلى قناديل الرهبان في قصيدة امرئ القيس.
وبهذه السمات التي تختص بالجسد -وليس أي جسد
بل الجسد الآدمي إشارة إلى الهبوط الأول من
الجنة- يكون العلو بعد الهبوط ، ويحدد الشاعر أنه
العلو إلى الله، والعودة إلى الجنة حيث الهدف
الأسمي والحقيقي.

وفي قصيدة أخرى يقول : "غرفة - كم هو
الضوء - محلولا، بهيَّ / غسق لا مشع ولا معتم. /
غرفة - لجة . هو ذا الموج يعلو / والوسائد جنت
... / غرفة - لجة وأعضاؤنا سفن مبحرة"^{٣١}.

فيقترن الجسد بالبحر من جديد في آخر
صورة، وهي صورة الغرفة اللجة التي تسافر فوقها
أعضاء الجسدين جسد الشاعر وامرأته. كما تقترن
هذه الغرفة "البحر" التي تحمل فوقها الأجساد
المسافرة بالضوء في أول صورة، ويقترن الضوء
بالليل في صورة الحلقة والغسق والعمته، ثم بالبحر
في صورة اللجة والموج، ثم بثيمة الصعود في صورة
الموج وهو يعلو.

ومحلولا هنا حال منصوبة، فكم هو الضوء
بهيَّ في حال كونه محلولا . فامتزاج الضوء بالحلقة
-وهي تعني "شدة السواد"^{٣٢} - لا تكون إلا آخر الليل
حيث يكون الظلام شديدا. واختياره الغسق، حيث لا

^{٣١} الديوان / ٧١.

^{٣٢} ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون،
القاهرة: دار المعارف، مج ٢، ج ٩، مادة "ح ل ك"، ١١١٩م، ص
٩٧٢.

^{٣٣} الديوان / ٧٦.

أتعلم سر الهبوط الصعود على درجات
الجحيم" ^{٣٤}.

فأمرأته التي يطلق عليها "ليلي" هنا غائبة،
لأنها الغاية البعيدة التي يطمح إليها، لكن وجهها "
أول الجسد" يأتي ويذهب في عيني الشاعر، فهو
حاضر يتناوب الوصل والفصل . ولن يكون هناك
وصل دائم إلا حين تؤدي النار وظيفتها في الترهيب
وبيان قيمة المرأة / الجنة .

ولذلك حين تخون النار قيسا كما يقول
الشاعر فلن يصل إلى امرأته ، وكذلك "أعضاءها"
لن يصلها الشاعر طالما النار تخون وظيفتها وتظل
البشر بدلا من منحهم طريق الصعود إلى الجنة .
بدلا من نار امرئ القيس الخائنة : تصبح ليلي
نفسها دليلا على ذاتها ، فهي "مبتوثة تتوهج في كل
شيء". وحتى يتحقق الوصال الدائم بلا انقطاع لا
بد للشاعر أن يتعلم ويتعرف على سر "الهبوط
والصعود" الثيمة التي ابتدأ بها الجسد في رحلته من
وإلى الجنة. ولا بد أن يتعرف على طبيعة هذه النار
التي يشير إليها صراحة هنا بـ "الجحيم" .

يعود الليل في قصيدة أخرى ليمارس وظيفة
الحجب والستر لأخطاء الجسد فيقول:

"حيث لا يمكن الرحيل/ شاء ان يأخذ الأرض من
عنقها/ عاليا راحلا/ في هجير تباريحه/ دفن الليل
في أرضه / جسمه الأول القتل/ اعطه، أيها الحب،
جسما جديدا" ^{٣٥}.

هذا الستر والحجب للجسد أثناء رحلته
وصعوده "عاليا راحلا". والجسد الأول القتل إشارة
إلى قصة قابيل وهابيل ، فالدفن عملية حجب
للخطيئة وإقصاء لعين الرقيب.
ويقول:

"ضوء يتسرب من جسدينا إلى جسدينا /
ويغير وجه المكان ... جسدينا/ كوكب واحد / نتبادل
أحزاننا/ نتبادل أحشاءنا/ جسدينا دم واحد" ^{٣٦}.

فالمكان المتشظي يعود إلى وحدته الأولى
كما كان قبل أن تخلق الأرض، قبل أن تفتق عن
السماء، فبالضوء يتواصل معها ، وبالضوء يتحد
معها ، ويتحد العالم من حولهم بعد تشظيه .
ج- الجسد / الأفق :

تتشاكل مدلولات الأفق بوصفه آخر البحر
مع مدلولات المرأة / الجنة ، وكلها كما قلنا مدلولات
سياقية ناشئة عن السياق الشعري عند أدونيس. وما
يؤكد على هذا التشاكل قول الشاعر:
"طيف شهوة وراء قامة الأفق
المكان مركب أحلام لا من الشيخوخة ولا
من الطفولة" ^{٣٧}.

فالرغبة ، وليست أي رغبة بل الرغبة الجسدية في
الوصل المفضية إلى الإنجاب التي تحملها كلمة
"شهوة" تتراءى خلف الأفق . يصبح الأفق حاملا
لدلالة الوصال الجسدي وتناوله، والرغبة في إدماة
هذا الجسد عبر فعل الولادة والتكاثر . وهناك

^{٣٦} الديوان / ٢٥ ، ٢٦ .

^{٣٧} الديوان / ١٢٣ .

^{٣٤} الديوان / ٨٠ .

^{٣٥} الديوان / ٣٣ .

الأفق الذي كان يتكشف عن خط وهمي يصبح حقيقة وواقعا حين يتصل بجسدها هي في أعالي الواقع حيث تكون .

ولذلك يقول في موضع آخر :

"لا يتوقف جسدها عن / تغيير حدوده وتوسيعها ... هي - / جسدها مسألة في علم الفلك / لا في علم الحياة"^{٣٩}.

فتتشاكل دلالة جسدها مع دلالة الأفق، ويضفي جسدها إلى الأفق حقيقة اتصال الأرض بالسماء بعد أن كانت وهما وزيفا. وحين يقول "جسدها مسألة في علم الفلك" يؤكد على الدلالة الروحانية لطبيعة جسدها، فهو ليس جسدا ملموسا بل روحانيا يتصل بالفلك والسموات والعالم العلوي، وبوجهها / أول جسدها وأعلاه: تكون السماوات بدؤها ونهاياتها ، حيث يقول:

"جامعا بين بدء السماوات في وجهها / ونهاياتها / وتقاويم أفلاكها الدائرة"^{٤٠}.

ويقول في قصيدة أخرى :

"فمك الضوء لا حمرة / تليق بأفاهه"^{٤١}.

وفمها - موضع اللغة والنطق والكلام - هو الضوء الذي يهديه إليها. ونلاحظ أن الشاعر ينسب إلى هذا الفم آفاق تكسوها الحمرة. واستخدام لفظ الحمرة مقترنا بالآفاق يجعل دلالتها مقترنة بوقت الغروب، وهي اللحظة التي تلتقي مع الغسق، فإذا

بالإضافة إلى ذلك : المكان بوصفه مركبا يطفو على البحر يحمل الأحلام، وهذه الأحلام محدودة بزمن معين لا ينتمي إلى الطفولة ولا إلى الشيخوخة ، بل إلى مرحلة الشباب، وهو مدلول يؤكد ما نسبه سابقا للجنة في استهلاله .

ويقول :

"حسنا كما تشائين / سأصعد إلى ذروات وهمك/ وأتذوق أعالي الواقع/ لا ذراعاها، ولا خطواتها/ جسدها هو الذي يفتح الأفق"^{٣٨}.

يعود بنا هذا المقطع إلى أبيات امرئ القيس ومغامرته في الصعود إلى امرأته، ولكنه يضيف مدلولات جديدة تصل الجسد بالوهم والواقع وتكشف من دلالة ارتباطه بالأفق. فهنا يصعد الشاعر إلى امرأته ولكنها ليست أي امرأة ، بل امرأة تنتمي إلى الأقاصي/ القمم/ الذروات التي ليست أكثر من وهم، وحين يتصل بها يقوم الجسد بدور مهم وهو فتح الأفق. ذلك الأفق الذي رأيناه في آخر البحر مشكلا نقطة النقاء مزيفة تصل السماء بالأرض، إذ كلما اقترب الإنسان من هذا الأفق يبتعد، فهو الخط الذي لا يمكن الوصول إليه، خط وهمي تبدو فيه السماء متصلة بالأرض فيما هي في الحقيقة منفصلة عنها. يقوم الجسد إذن بفتح الأفق ولكن ليس أي جسد، بل جسدها هي بوصفها الغاية العلوية البعيدة الممثلة في الجنة التي يصبو إليها الشاعر. تنعكس هنا دلالة الوهم والزيف الذي ارتبط بالأفق ، فهذا

^{٣٩} الديوان / ١٤ .

^{٤٠} الديوان / ١٠٠ .

^{٤١} الديوان / ٢٠ .

^{٣٨} الديوان / ١٢-١٣ .

يقسم الشاعر قصيدة "معجم مصغر لهن" إلى مقاطع شعرية، وكل مقطع مكون من بيت أو بيتين، وعدد المقاطع متواتر مع عدد حروف الأبجدية العربية من الألف إلى الياء، أي ثمانية وعشرين مقطعا. وهو ما يجعل اللغة حضورا قويا في هذه القصيدة. ويحرص على تزيين جسد امرأته، وإخراجه من حالة الكتابة إلى النطق. وبهذا تنكشف رغبته العميقة والخفية ليس في المرأة كما هو ظاهر في النص بل في الجنة التي يصبو إليها منذ الاستهلال، فيخاطبها قائلاً :

"اخرجني من الكتب" ^{٤٢}.

كما يقول في قصيدة أخرى :

"عندما نتلاقى أينما جمعتنا خطانا في المدائن / أو في الحقول/ دع الصمت يدخل في جرحه - تكلم. / أتريد لحبي وجها يضيء الفضاء؟ إذا ، / خل عينيك بيتا لوجهي. خذني - تكلم . / لا أحس بإيقاع جسمي بين يديك وعينيك، إن أنت لم تتكلم" ^{٤٣}.

فهذا الكلام وحده القادر على الإحساس بالجسد حين يكون بين يديها وعينيها أي في حال اتصاله بغايته، القادر على إدامة اللقاء. وكما قلنا سابقا فإن هاجس اللغة في سكونها وحركتها، انفصالها واتصالها، اللذين يتمظهران من خلال العناوين الفرعية الأخرى "موسيقى" و"موج" يسيطر على الديوان منذ البدء حتى الخاتمة. ولهذه اللغة

كان الغسق الوقت الذي يزحف فيه الليل تاركا للنهار فسحة، فحمرة الغروب هي الوقت الذي يزحف فيه النهار تاركا فسحة لليل الذي يحسُّ فيه الاختفاء عن الرقباء، مع بقاء بعض الضوء -ممثلا في الحمرة- الذي تتحدد وظيفته كما قلنا في الهداية.

إن الرغبة بتحقيق الاتصال الحقيقي بين الأرض والسماء عبر هذه الآفاق تتجلى في إسناد هذه الآفاق إلى اللغة والجسد عبر عضو الفم . وسنتناول العلاقة بين الجسد واللغة لتتضح الدلالة الكلية للصورة الشعرية في الفقرة التالية:

د- الجسد / اللغة :

رأينا سابقا كيف ربط الشاعر بين الجنة واللغة في الاستهلال، ثم بين المرأة واللغة في العناوين الفرعية وما نتج عن ذلك من تشاكل سيميائي بين دلالات كل من الجنة والمرأة، بحيث استنتجنا أن الدلالة المركزية التي تنبثق منها بقية دلالات النصوص: أنه لا حياة للجسد بغير الوصول إلى المرأة/ الجنة.

ولا يخفى أن اللغة تلتقي مع المرأة في كونها الباعث الذي يمنح الجسد قيمته وحياته. كما أن اللغة قناة الاتصال الأكثر أهمية التي من خلالها يتفاهم البشر وتتواصل الجماعات. فتتجلى اللغة علامة حاملة للعديد من الدلالات التي تتقاطع مع الجسد والمرأة منذ العناوين الفرعية لقصائد الديوان كما رأينا في تحليلنا لها سابقا، إلى بقية الإشارات في متن النصوص الشعرية كما سنرى.

^{٤٢} الديوان / ١٤.

^{٤٣} الديوان / ٢٩.

والمعنى المقصود بالأبجدية هنا، والذي وظفه الشاعر: "مجموعة حروف الهجاء في اللغة العربية، سميت باسم أول الألفاظ التي جمعت هذه الحروف. وهذه الألفاظ هي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ضطع"^{٤٦}. وبعد محاولة القارئ قراءة هذه الأحرف -التي تبدو له أول وهلة غير منظمة- ضمن كلمات مستعينا بالعنوان "أبجدية"، سيتضح لديه المراد من عنوان آخر قصيدة في الديوان، وهي "طلسم". فإذا كانت الأبجدية غالبا ما تقتضي بعثرة الحروف لنحصل على الكلمات، الكلمات التي تبدو رموزا مكونة من أصوات، ولكن لها قدرة كبيرة على فك أسرار المعاني. فكذلك الطلاسم. وارتباط الحروف بالطلاسم كان اعتقادا شائعا لدى العرب منذ القديم. يقول ابن منظور في معجمه متحدثا عن الحروف وخواصها: "أما خواصها، فإن لها أعمالا عظيمة تتعلق بأبواب جليلة من أنواع المعالجات وأوضاع الطلّسمات، ولها نفع شريف بطبائعها، ولها خصوصية بالأفلاك المقدسة وملاءمة لها"^{٤٧}.

وكذلك من جهة أخرى يرتبط لفظ الطلّسم بالحروف، ولنعد للدلالات المعجمية للفظ لتتضح لدينا الدلالة الكلية للصورة الشعرية التي أراد رسمها الشاعر: "طلّسم الساجر ونحوه: قرأ أو كتب شيئا غامضا ونحوه، طلسم مفرد ج طلسمات وطلاسم...

قدسية عند أدونيس حيث يقول عنها في إحدى قصائده الأخرى:

"هذه لغة في السماء التي تنتزل/ من غيبها نفرتيني".

كما يصفها بالغسقية: "ما أحب إلى اللغة الغسقية في صيفنا، شهرزادا"^{٤٨}. والغسق، وهو انتهاء الليل وابتداء الفجر وصفه الشاعر في قصيدة "موسيقى - II" بأنه "لا هو مشع ولا معتم"، منطقة اللقاء الضوء بالعتمة، العتمة التي تحببه عن الرقباء، والضوء الذي يدلّه على الطريق إليها. وهذه اللغة السماوية والغسقية هي لغة مقدسة، من خلالها يكون للأساطير الميته القديمة "نفرتيني وشهرزاد" قدسيتهما وقيمتها وحياتها.

ويتمهى الجسد مع اللغة ليكونا شيئا واحدا، كما تتماهى هذه اللغة مع الأساطير في قصيدة أخرى يقول فيها الشاعر: "ما الذي سوف يبقى/ ويشعل للعاشقين قناديل أيامانا؟ ما الكلام الذي سوف يبقى/ من معاجم أحشائنا وأعضائنا/ من أساطيرنا البعيدة"^{٤٩}.

وفي قصيدة "أبجدية" يعود إلى تقطيع القصائد الشعرية وفق حروف العربية، وبينما كانت هذه الأحرف مرتبة ترتيبا ألفبائيا في القصيدة الأولى "معجم مصغر لهن" من الألف إلى الياء، كما جرت العادة في ترتيب أكثر معاجم اللغة، نجد أنها في قصيدة "أبجدية" منتظمة وفق الترتيب الأبجدي.

^{٤٦} جبران مسعود: المعجم الرائد، معجم لغوي عصري، بيروت: دار

العلم للملايين، ط٧، ١٩٩٢، ص ١٣.

^{٤٧} ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٩.

^{٤٨} الديوان / ٢٣.

^{٤٩} الديوان / ٩٤.

الجسد الأول "آدم" عليه السلام الذي يقرن الشاعر اسمه الحقيقي-أدونيس- به رغبة في العودة إلى البدء؛ بدء الخلق /بدء الجنة . فالأبجدية "أبجد - هوز - حطي - كلمن .. الخ " هي أول الألفاظ التي جمعت الحروف، وفقا للتعريف المعجمي السابق. والألف أول هذه الحروف، وآدم عليه السلام أول البشر .

وهو ما يؤكد في قصيدة أخرى بقوله : "لا أريد انتماء ولا نسبا أو هوية / لا أريد سوى أن نكون لغات/ للجموح وأعضاؤنا أبجدية"^{٥٠}. فلا نسب ولا انتماء ولا هوية إلا في الأجساد المتكلمة وحدها ، الأجساد التي تتناسب وتتلاقى وتتواصل عبر اللغات الحية.

ويقول في قصيدة أبجدية أيضا: " جيم . جسدك سائل في جسدي ... جسدك بين يدي ولا أريد ان أعرفه إلا بالغيب الذي فيه/ جسدانا كتابة وكلاهما كتاب للآخر. جسدانا وحي ويرفضان الهياكل/ جسدك أعرف بي مني/ جسدك يكلمني مني... جسدك ط ل س م (لي) / م س ل ط (علي)^{٥١}.

يبدأ المقطع الشعري المعنون بـ "جيم" بالحديث عن ذوبان الأجساد وانحلالها في بعضها ليعبر عن تمام الوصل. وتترجع دلالة الجسد الحسية ليحل محلها الدلالة الغيبية في قوله "ولا أريد ان أعرفه إلا بالغيب الذي فيه"، فيكون لهذا الجسد

فك طلاس الشيء : وضحه وفسره وكشف أسراره. خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانية الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى"^{٤٨}.

ومن كل ما سبق يتضح أن الدلالات الأساسية للكلمة تتمحور حول الكتابة بطريقة الخطوط والأعداد وهي طريقة مبهمة وغامضة ولا يمكن تفسيرها، وتتصل بقدرات خارقة وخارجة عن المؤلف. وما يهمنا هنا هو قدرة هذه الطلاس على الربط بين "روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية" وهو ما يؤكد حضور الدلالة الدينية القدسية لهذه الطلاس التي تصل بين السفلي والعلوي، والتي ستظل مبهمة وغامضة ولا يمكن الكشف عنها إلا حين يصل الشاعر إلى هذا المكان العلوي .

هكذا يضع الشاعر بين يدي القارئ الألفاظ الأبجدية للغة، أبجد، هوز، حطي ، كلمن، سغفص، قرشت .. الخ، وكأنها طلاس يلفها الغموض. وفي هذه القصيدة "أبجدية" يبدأ أول مقطع شعري مع أول حرف من كلمة أبجد ، وهو الألف. فيقول:

"ألف . آدم أدونيس ... الألف الهوية في نسب الجسد"^{٤٩}.

بهذه الحروف التي تتناسل لتؤلف الأسماء والكلمات، تتناسل الأجساد أيضا لتكوّن المجموعات البشرية، ولكل جسد شجرة نسب تمتد لتصل إلى

^{٤٨} أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب،

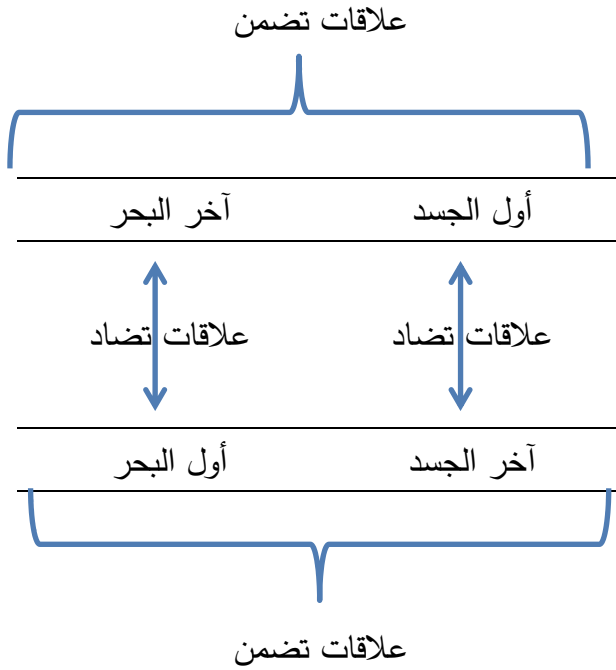
ط١، ٢٠٠٨، مج ١، ص ١٤٠٨.

^{٤٩} الديوان/ ١٧٧.

^{٥٠} الديوان/ ٨٣.

^{٥١} الديوان/ ١٨٤-١٨٣.

أدونيس بجلاء ، فالعنوان الأساسي كان يحمل علامتين متضادتين (أول) و(آخر) الأولى ترتبط بلفظ الجسد والأخرى بلفظ البحر، تتشكل وفقها العلاقات بين البحر والجسد كما تبدو من خلال المربع السيميائي الآتي:



وكما قلنا سابقاً فإن آخر البحر يتصل بأول الجسد في حركة دورية ، حث آخر شيء يبدو لنا من جهة ما سيكون هو أول شيء من الجهة الأخرى المقابلة. فأخر البحر لمشاهد ما هو أوله لمشاهد يقع في الجهة الأخرى . وكذلك الأمر في أول الجسد. فعلاقات التضاد التي تبدو لنا تضاداً تتضمن علاقات أخرى أعمق هي علاقات التضمن، حيث نهاية كل شيء بداية لشيء آخر، فإذا كان أول الجسد هو آخر البحر، كما صرح الشاعر منذ

قدرات غيبية، فهو غيب ووحى يرفض الهياكل التي تحدده وتشكله كالمادة. وهو يتكلم كما تكلمت الجنة في الحديث الذي ساقه الشاعر سابقاً في الاستهلال، وهو في النهاية طلسم يمكن أن يقرأ بالمقلوب ليتحول إلى كيان مسلط على الشاعر . ولو لاحظنا كيف جعل الشاعر بداية الكلمة الثانية "مسلط" تنسل من نهاية الأولى "طلسم" وفقاً للدلالة الأساسية التي نسج منها عنوان الديوان، حيث أول الجسد آخر البحر. وسنفصل الحديث في هذا التناسل الدلالي من خلال تحليل المربع السيميائي في الفقرة التالية .

المربع السيميائي - علاقات التضمن:

يقول الشاعر : "في كل ألف جسد آخر يبدأ من الياء" ص ١٧٧.

تتسلسل الحروف من الألف إلى الياء، ومن الياء إلى الألف ، وتتناسل من بعضها كما قلنا مشكلة الكلمات، وكذلك الأجساد، حيث بداية كل جسد هي من نهاية جسد آخر. ولا يقف هذا التناسل الذي يشكل دورة الحياة وديمومتها عند حد الأجساد واللغات. بل لاحظنا منذ العنوان الأساسي للديوان كيف صور الشاعر هذا التناسل في علاقات التضمن بين صورة الجسد والبحر، حيث أول الجسد هو آخر البحر .

ولو قمنا بقراءة كل ما سبق وفق المربع السيميائي ستتضح علاقات التضمن بوصفها الثيمة الأساسية التي يركز عليها تصور الجسد عند

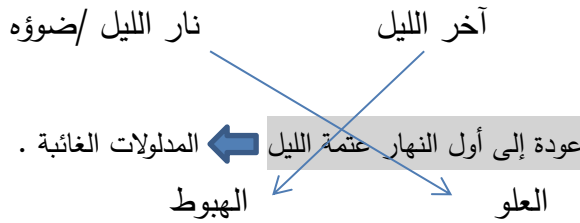
الغاية. وهذا التواصل الدائم يبرز حين يسند الجسد إليها هي :

"الفجر يزين جسدها / وجسدها يزين الليل"^{٥٢}.

وفي قصيدة أخرى يتضاد كل من الليل والنار ، حيث الليل معتم، والنار مضيئة، ولكنه من جهة أخرى يسند النار إلى الليل، مما يدل على تضمن أحدهما في الآخر. ويقرن بين آخره والهبوط، وبين النار /الضوء والعلو، وبهذا فإن آخر الليل هو بداية لأول النهار:

"لغة في الهبوط إلى آخر الليل / في ناره العالية"^{٥٣}.

ولاستعادة المدلولات الغائبة في النص السابق نرسم الجدول التالي :



وفي قصيدة "موج - II" يقول :

" المكان مركب أحلام لا من الشيوخوخة ولا من الطفولة / واللحظة قوس قزح قدماها رذاذ ورأسها نورس شارد /موج وكل شيء يحتفل بها / عشبة تكاد

العنوان الرئيس للديوان، فإن آخر الجسد هو أول البحر ، وهو ما يؤكد المقطع الشعري التالي:

"تحب أن ترقص فيما تغني:/ قدماك أيها العالم ، ملح / والحلبة زيد "

فآخر الجسد وهو هنا مخصص بالعالم (قدماء) ملح ترقص على حلبة من زيد . واقتران الملح والزيد يجعلهما مفردتين تنتميان إلى البحر. فيعود هنا إلى الاتصال ، اتصال آخر الجسد / القدم بأول البحر/ الزبد الذي ينتج عن اصطدام الأمواج بالشاطئ وما يحمله من ملح.

أيضا تبرز علاقات التضاد التي تخفي بداخلها تضمنا واضحا على صعيد العلاقة بين الجسد والنار وما يتعلق بها من مفردات الضوء - القناديل - النجوم- الشمس- النهار ..الخ، وما يضادها كالليل والعتمة والظلام. في قوله :

"كلما التقى جسدانا / يتحول النهار إلى بستان في حدائق الليل "

فالعلاقة التضادية بين النهار والليل تتمخض عن علاقات تضمن، يمتزج بمقتضاها النهار في الليل فقط حين تتصل الأجساد معا . ويقول:

"كذب جسدانا الرسم / أن آخر النهار الليل / وآخر الليل النهار" . ص

فمن آخر النهار ينسل الليل، ومن آخر الليل ينسل النهار. ونلاحظ هنا التركيز على استمرارية دوران الحلقة الزمنية في تعاقب الليل والنهار، رغبة في تحقيق التواصل الدائم بين جسده /ذاته وجسدها /

^{٥٢} الديوان / ١٢

^{٥٣} الديوان / ٤٢.

تتفتح - تكاد أن تتكلم ... والبحر يقوده إليها، وهي
أول الموج".

اللحظة الزمنية ليست أكثر من قوس قزح
يعد بالأمنيات دون تحقيقها وسرعان ما يختفي
ويتلاشى. هذه اللحظة الزمنية آخرها / قدماها عبارة
عن رذاذ يسعد فقط ويمني، ولا يحمل الخصب الذي
يحملة المطر، وأولها / رأسها : نورس شارد يطير
إلى الأعلى محلقا في السماء حيث العلو وحيث
المرأة وحيث الجنة، ولكنه شارد يجهل الطريق
الصحيح . ولا يهم الشاعر أول اللحظة/ الطفولة
الواعدة بوعود مزيفة، ولا آخرها/ الشيخوخة الشاردة
والتائهة، بل ما يهمه هو وسطها / خاصرة الحياة ،
كما أفصح عن ذلك في الاستهلال.

في الخاتمة يكون التركيز على السقوط
مكتفا. وهذا الجسد في نهاية الديوان هو حروف
وطلاسم يبدأ الشاعر بسرد تفاصيلها صعودا من
الكاحل إلى الساق، ثم الركبة، ثم الفخذ، ثم السرد
وأخيرا الثديين. وحين يصل إلى هناك يقول: "السقوط
دائما من الثديين إلى ما تحت السرة ... سقوط
تضيف فيه على جسدينا الفراديس كلها"^{٥٤}.

^{٥٤} الديوان / ٢٢٢، وانظر الصفحات ٢١٩ - ٢٢٢.

The body Semiotic in the "The Beginning of the Body, The End of the Sea" of Adonis

(The Semantic Openness and The Semiotic Isotopy)

Mona Mohammed Alghamdi

*Assistant Professor
Jeddah University*

This research deals with the analysis of Adonis' poetic perception of the body as a sign from the surface to the depth, representing the model of factorial Structure at Grimas, which he distributed in three axes: the axis of communication, the axis of desire, and the axis of conflict. The axis of communication includes the addresser and the receiver while the axis of desire includes the subject and the object, and the axis of the conflict focus on the assistant and oppositionist. In the analysis of these axes, the main focus of desire and conflict has been confined to the presence of the axis of communication in a large abundance of narrative texts, often lacking in poetic texts. Furthermore, the axis of desire combines the self-desire / poet (according to the poetic texts of Adonis), and the desired object. Based on this relationship between the subject and the object, the transition is to be from one state to another, from the state of communication to separation or vice versa. This study called for several semiotic concepts, such as the Semiosis, the Isotopy, and the Semiotic Square. It also began from Pierce's thesis on the types of interpreter as procedural tools that would help to perceive Adonis' conception of the body within the limits of his poetic texts within the concept of the polysemy.

التكرار في شعر ابن عبد ربه دراسة فنيّة

د. سليم ساعد السلمي

جامعة تبوك

مستخلص. إن تنوع التكرار في شعر ابن عبد ربه ظاهرة لها أثرها القوي والفاعل في إبراز ملامح الشاعر الإبداعية؛ إذ حاول الشاعر الابتعاد عن التكلف والتتميق اللفظي والتزيين اللغوي؛ ما جعله يميل إلى شعراء الطبع أكثر من شعراء الصنعة، وسيوضح ذلك من خلال تناول ظاهرة التكرار في ديوان الشاعر في كل الأغراض الرثاء والمدح وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات في التكرار عند ابن عبد ربه عزيزة إلا ما قل منها منشورا في بعض الدراسات؛ ما جعل الباحث يعتمد إلى عنايتها بالدراسة للوقوف على جماليات التكرار لدى الشاعر وفنيته.

مقدمة

في اللغة العربية بين الحروف والجمل بنوعيتها الاسمية والفعلية، وكذلك الألوان التكرارية الإيقاعية فيقصد بها إحداث نوع من الموسيقى اللفظية المؤثرة. ويحاول الباحث إظهار السمات الدلالية والجمالية للتكرار في شعر ابن عبد ربه ملتزما بالمنهج الوصفي التحليلي في الدراسة؛ لوصف بنية التكرار، وبيان وظيفته، كما لم يغفل المنهج النفسي؛ لارتباط التكرار بالعامل النفسي في كثير من حالات التجربة الشعرية لدى الشاعر.

عرفت اللغة العربية ظاهرة التكرار كونها ظاهرة لغوية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا وردت في القرآن الكريم كلام الله المعجز، ممثلة في الشعر الجاهلي، ثم ، وكذلك وردت في الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب، وقد حظي التكرار بعناية كبيرة في الدراسات اللسانية النصية الحديثة؛ لكونه ظاهرة بيانية تؤدي إلى الانسجام الداخلي؛ لأنه ليس مجرد إعادة لألفاظ وعبارات داخل النص، وإنما يأتي لمغزى وهدف وإلا صار عبثاً وعبثاً، ويتنوع التكرار

التكرار قديماً وحديثاً:

يُعد التكرار من الظواهر الاسلوبية التي تسخر لفهم النص الأدبي، وهو مصطلح عربي كان له حضوره عند البلاغين العرب القدامى فتذكر معاجم اللغة من معاني التكرار الإعادة والعطف والرجوع. فيقال: كرر الشيء تكريراً وتكراراً، أعاده مرة بعد أخرى، والكر: الرجوع ويقال كررت عليه الحديث إذ رددته عليه، والكر مصدر كر عليه يكر وكروراً وتكراراً: عطف عليه وكر عنه: رجع ... وكرر الشيء وكركره: أعاده مرة أخرى. "فالرجوع إلى الشيء وإعادته وعطفه هو التكرار" ١.

ويقول ابن سيده في مخصصه: "والألف في " تكرار" عوضاً عن الياء في "تكرير" ويجعلون ألف التكرار، والترداد بمنزلة ياء تكرير وترديد" ٢.

ومن خلال استقراء البحث للدلالة اللغوية لمادة كرر يتبين له اختلاف الدلالات وكثرتها وإن كان مردها واحداً وهو الإعادة مرة بعد أخرى؛ ومن ثم لم يتوقف العلماء القدماء منهم والمحدثون في نظرهم ورؤيتهم للتكرار على كلمة سواء في تعريف التكرار وإن جاءت تعريفاتهم متقاربة فيما بينها ٣.

ومن يقرأ الدراسات السابقة القديمة والحديثة كابن خلكان وفيات الأعيان والمقري نفع الطيب أو غير ذلك من الكتب والدراسات التي عرضت لابن عبد ربه، وكـ " تاريخ الأدب الأندلسي لإحسان عباس، و الأدب الأندلسي لأحمد هيكل وغيرهما من الدراسات يجدها تشير للتكرار في ثناياها دون الوقوف أمامه بعناية وتحليل فني؛ ولما لم تتوفر دراسة مستقلة تتناول التكرار في شعر ابن عبد ربه، فقد عمد الباحث لتذوق جماليات التكرار في شعر ابن عبدربه مستعيناً بما سبقه من شذرات تجاه هذه الظاهرة في ثنايا الدراسات التي عرضت لشعر الشاعر؛ ومن ثم سيهتم البحث بمدى التجديد في استخدام التكرار عند ابن عبد ربه دلالياً وموسيقياً وجماليًا من جهة تتبع لغته والجانب الموسيقي والصورة التي كونها التكرار.

وقد اقتضت الدراسة الخطة الدراسية الآتية:

الجانب النظري: تناول فيه الباحث نبذة مختصرة عن التكرار قديماً وحديثاً، وعن أهمية التكرار ووظائفه وجمالياته.

أما الجانب التطبيقي: وفيه يتناول البحث نماذج تطبيقية للتكرار في شعر ابن عبد ربه من خلال ديوانه ومنها التكرار في الأسلوب.

الخاتمة والنتائج: وتتضمن أبرز نتائج الدراسة والتوصيات ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

^١ لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر للطباعة والنشر، دت، ٢٠٠٣م، مادة (كرر). وينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، مكتبة الشروق العالمية، ط٤، ١٤٢٥هـ، مادة (كرر). وينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (كرر) ج٢ص: ٣٠٢، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (كرر) ج٢ص: ١٢٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص: ٢٠.

^٢ المخصص لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٣/ص: ٤١٢.

^٣ انظر: التبيان في علم البيان المطلاع على إعجاز القرآن، ابن الزمكاني، ص: ٩٣، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج٣ص: ١١. وتأويل

لغويا - وظائفها داخل النص - نصيا - والتكرار هو ظاهرة من ظواهر التماسك النصي اهتم به الأقدمون كثيرا، فهي الجاحظ يسميه "الترداد"٩.

وتعرفه المستشرق بربرا جنستون كوتش بأنه: "الإقناع من خلال الصياغة والبأسا إيقاعات نغمية متكررة جميلة تهدف إلى استمالة السامع".١٠.

وعند إبراهيم محمود: تشاكل لغوي يلفت الانتباه ومظهر من مظاهر التماسك المعجمي مما يحقق ترابط النص وتماسكه١١. ويقول الفقي: التكرار ضم الشيء إلى مثله في اللفظ كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير١٢.

ومن العلماء من يفرق بين التكرار والإعادة كأبي هلال العسكري إذ يقول: "الفرق بين التكرار والإعادة: أن التكرار يقع على إعادة الشيء مرة وعلى إعادته مرات، أما الإعادة فتكون مرة واحدة، ثم يزيد الأمر وضوحا فيقول: ألا ترى أن قول القائل: أعاد فلان كذا، لا يفيد إلا إعادته مرة واحدة، وإذا قال كرر كذا، كان كلامه مبهما لم يدر أعاده مرتين أو مرات ولا يخلط بينهم إلا عامي لا يعرف الكلام".١٣

فالتكرار في الاصطلاح هو: إعادة عناصر كلمة وحرف وعبارة وصيغة النص الأدبي لمرة أو أكثر، كما أنه هو أساس الإيقاع بصورة جميعها ٤. أو هو تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما كالتوكيد، أو الانتباه، أو التهويل، أو التعظيم ٥.

ويقتررب ذلك من تعريف السجلماسي "التكرار" بعد أن يعطي معناه بأنه: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع، في القول مرتين فصاعدا، وهي اسم لمحمول يشابه به شيء شيئا" في جوهره" ٦ .

ويعرفه صاحب الخزانة بأن: "التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى"٧. ويقول السيوطي من "أن التكرار هو التجديد للفظ الأول ويفيد ضربا من التأكيد"٨. ويعرف صبحي إبراهيم الفقي التكرار بأنه: ظاهرة بيانية بوظيفة الربط على مستوى البنية الظاهرة للنص المؤدية إلى الانسجام "الداخلي" فهو ليس مجرد إعادة لألفاظ وعبارات داخل النص؛ لكن هو العلاقة بين مفاهيم التكرار

مشكل القرآن، ابن قتيبة والصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ج ١ ص: ١٥٨.

٤ انظر: معجم المصطلحات الأدبية، مجدي وهبه كامل المهندس، مكتبة لبنان، ص: ٤٦.

٥ انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن، محمود السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ١٩٨٣م، ص: ١١ وما بعدها.

٦ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق: علل الغازي، طبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط ١، ١٩٨٠م، ص: ٤٧٦.

٧ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٢، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م، ص: ٣٦١.

٨ معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ج ٣ ص: ٢٥٩-٢٦٠.

٩ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ، ص: ١٧.

١٠ التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، موسى ربابعة، بحث مقدم لمؤتمر النقد الأدبي الثاني، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٨٨م، ص: ٧٠.

١١ انظر: البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، إبراهيم محمود علان، منشورات دار الثقافة، الشارقة، ط ١، ٢٠٠٢م، ص: ٦١٣.

١٢ انظر: علم النص بين النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص: ١٨.

١٣ انظر: الفروق اللغوية، العسكري، الحسن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص: ١٣٨.

ويمكن للباحث الخروج بتعريف لل تكرار بأنه: تماثل عناصر لغوية في مواضع مختلفة من العمل الفني، تكون أساسا للإيقاع بجميع صورته لإقناع المتلقي.

ومن الباحثين من ذكر التكرار في أبحاثه بمصطلح الترداد مستدلا بالجاحظ إذ يقول: "وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤدي على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص" ١٤. ومنهم من قال بالتصريف ١٥. ومنهم من ذكره تحت مصطلح المتشابهات وكذلك مصطلح التماثلات وغير ذلك، وكلها تدور في فلك بيان أن التكرار لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق، وإنما ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في النفس؛ وبذلك يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار بما يحمله في ثناياه من دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق، والتكرار يمثل إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد على فهم مشهد، صورة أو موقف ما؛ بل ويعد التكرار من الأدوات الفنية للنص الأدبي شعره ونثره لغة وموسيقى وصورة ودلالة.

والتكرار أيضاً من الأساليب الشائعة في اللغة العربية كما مر وقد تعرض له الكثير من الباحثين ١٦ ومعظم النحاة والنقاد والبلاغيين كالجاحظ الذي ربط التكرار بالتأثير النفسي، أما ابن قتيبة وابن رشيق القيرواني وحازم القرطاجني وابن معصوم فقد ربطوا التكرار بمطابقة الكلام لمقتضى الحال مع الإشارة إلى وقعه في النفوس يقول الفراء: "والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف" ١٧. وكذلك قول ابن معصوم الذي عرف التكرار: بأنه تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرة في سياق واحد لتكون إما للتوكيد أو التنبيه، أو لزيادة التهويل ١٨. ويمكن للباحث القول بأن التكرار ليس ظاهرة لغوية فحسب؛ بل ظاهرة حيوية عامة موجودة في الحياة بصور متعددة، ولما كانت اللغة صورة من صور المجتمع، فإنها تحتوي على صور مما هو موجود فيه، فظاهرة كالترادف قد نجد لها شبيهاً في تشابه شخصين من البشر تشابهاً تاماً يصعب معه التمييز بينهما، وظاهرة التضاد نجد لها شبيهاً فيما بين الأسود والأبيض من تضاد، وكذلك نحن في أفعالنا وأقوالنا نكرر كثيراً، وعلى مستوى الدرس العلمي والعمل لا نكاد نجد عند النحاة والصرفيين كبير الاهتمام بالظاهرة، كونهم يهتمون ببنية الكلمة

^{١٦} معجم المصطلحات الأدبية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م، ص ٢٣٦ وما بعدها.

^{١٧} معجم المصطلحات الأدبية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: ٢٣٦ وما بعدها.

^{١٨} أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، صدر الدين، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، العراق، ج ٥: ص ٣٤.

^{١٤} البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط ٧، ج ١، ص ١٠٥.

^{١٥} انظر: التصريف في النظم القرآني دراسة بلاغية تأصيلية لمصطلح التصريف، سمير يوسف عليوه، مجلة جامعة حلوان العدد ٢١، سنة ٢٠٠٧، ص: ١٥٩.

حتى ابن معصوم، فنرى مثلاً الجاحظ يربط نكتة التكرار بنفسية المستمع، أو المتلقي ٢١. ويعد التكرار من علامات الجمال البارزة في فنون اللغة العربية وهو مصدر يدل على المبالغة من "الكر"، ويراد به التكرار في الأفعال، والتكرار بالمعنى العام "الإعادة"، ظاهرة في تنظيم الكون والوجود والطبيعة وجسم الإنسان قبل أن تكون ظاهرة في الفنون المختلفة، فهو في الكون ماثلاً بوضوح في تكرار "دوران الافلاك وظهور النجوم والكواكب واختفائها" ٢٢؛ ومن ثم فالتكرار واحد من أهم القوانين التي تنظم الفعاليات الحيوية المختلفة لجسم الإنسان؛ بل إن التكرار متمثل في الطبيعة بكل فنونها من تناوب الليل والنهار وغيرها إذ نحسه في كل مكان وعلى جميع المستويات حيث تسلك الطبيعة مسلكاً متموجاً تعود من حيث بدأت في حلقات أو دورات تتشابه بدرجات متفاوتة ٢٣.

وللتكرار علاقته الوثيقة بعلم النحو، إذ إنه أحد أهم صور التوكيد في اللغة العربية، ودرس التوكيد ضمن مباحث النحو كما هو معلوم، وبما أن الدراسات الأولى التي تناولت القرآن الكريم اهتمت بنحوه وإعرابه، فمن الطبيعي أن تكون الإشارات الأولى للتكرار قد وردت في كتب النحو لاسيما في

الواحدة، والنحو عندهم يهتم بتركيب الجملة، ولا يتجاوز ذلك عادة إلى النص كله؛ ولذلك اقتصر النحاة للتكرار غالباً على لون واحد منه هو ما اسموه "بالتأكيد اللفظي".

وملخص القول عن التكرار وشعريته عند القدماء فيرى البحث أن التكرار عندهم أحد أهم الأساليب التي بها اهتم القدماء وتحدثوا عنها بداية من الجاحظ وصولاً لابن معصوم إذ ربطوا حديثهم عن التكرار بقضية اللفظ والمعنى وتفاوتوا في رؤيتهم عن التكرار باختلاف رؤيتهم عن اللفظ والمعنى، ومهما تفاوتوا فقد اتفقوا جميعهم في خدمتهم للقرآن الكريم والتوصل إلى إعجازه اللغوي والرد على المشككين ببلاغته.

أهمية التكرار ووظائفه وجمالياته:

يشكل التكرار ظاهرة أسلوبية في التعبير الأدبي عموماً وبخاصة في الدراسات القرآنية ١٩. وله أهميته في نفس المتلقي، إذ يعد من الأدوات الفنية للنص؛ لما يحدثه من آفاق التوقع، كما يساعد في تحقيق وحدة العمل الفنية، ويبدأ من الحرف إلى الكلمة ثم العبارة ٢٠. فتكمن بتلك النكت التي يقدمها التكرار في النص القرآني خاصة والنص الشعري عامة، وقد تعددت هذه النكت ونضجت منذ الجاحظ

٢١ الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ج ١، ص: ٢٠١، وينظر: والبيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال، بيروت، ج ١، ص: ١٠٥.

٢٢ الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ص. ٨٣-٨٤.

٢٣ النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، روز غريب، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧١م، ص. ٢٨.

١٩ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ١، ص: ٢٦.

٢٠ قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١٠م، ص: ١٤.

أولها - أعنى كتاب سيبويه - إذ عده ضرباً من التوكيد لا يختلف عن "أجمعين" ونحوها وهي لفظة تستعمل لتأكيد المعنى^{٢٤}.

ومن يتدبر مؤلفات الجاحظ يجده قد تناول التكرار من زاوية تختلف اختلافاً واضحاً عن سابقه مثل سيبويه والفراء مثلاً، ويرجع ذلك لتباين ثقافته عن سبقه فهو يرى أن التكرار ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤتى على وضعه، وإنما ذلك على قدر المستمعين ووظيفته عنده الإفهام كما جاء في كتابيه البيان والتبيين، والحيوان^{٢٥}؛ ومن ثم نجده ربط نكته وجمال التكرار بنفسية المتلقي أو المستمع.

وقد أشار أرسطو إلى أهمية التكرار في صناعة الجمال الفني إذ نجده قد وضع منذ القدم أركاناً للجمال لعل أبرزها قانون الوحدة في المأساة وتقوم أهمية الوحدة في أنها: "منها تتفرع باقي أركان الجمال: الانسجام أو تلاؤم الأجزاء، التناسب، التوازن، التطور، التدرج، التقوية والتمركز، الترجيح والتكرار"^{٢٦}. وتتعدد ألوان التكرار وأزواجه في الشعر العربي بين تكرار الحرف والكلمة والتركيب أو الأسلوب؛ بل وتجاوز ذلك لتكرار الشطر الأول من البيت الأول في سائر القصيدة على نحو ما نسب إلى الحارث بن عباد إذ كرر في قصيدته في حرب

البسوس الشطر الأول " قرباً مربوط النعامة مني"^{٢٧}، ويأتي التكرار لغايات كثيرة منها الصوتية أو الموسيقية وهو ما يعرف بالأسلوبية الصوتية والتي تعنى البنية العروضية أو الإيقاع الداخلي للشعر الذي يتخطى به الشاعر الوزن، أو يأتي لدلالات معنوية أخرى بجانب الدلالة الصوتية^{٢٨}.

ويؤدي التكرار وظائف منها:

الوظيفة التأكيذية: ويراد بها إثارة التوقع لدى المتلقي، وتأكيد المعاني وترسيخها في ذهنه.

الوظيفة الإيقاعية: فالتكرار ظاهرة موسيقية ومعنوية تقتضي الإتيان بلفظ متعلق بمعنى، ثم إعادة اللفظ مع معنى آخر في نفس الكلام، فيساهم في بناء إيقاع داخلي يحقق انسجاماً موسيقياً خاصاً.

الوظيفة التزيينية: وتكون بتكرار كلمة مختلفة في المعنى ومتفقة في البنية الصوتية، مما يضيف تلويناً جمالياً على الكلام^{٢٩}. وتزداد وظائف التكرار لتصل الكثير منها " العناية، والمبالغة، واختلاف المراد، والتخصيص، وتعدد المتعلق، وإصابة الغرض، وتقرير المعنى والإيضاح، والتعجب، وإصابة الغرض وتقرير المعنى، والتغليظ، والتنبيه، ومراعاة الفصل"^{٣٠}.

^{٢٧} شعراء النصرانية قبل الإسلام، الأب لويس شيخو، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م، ط٣، ص: ٢٧٢ - ٢٧٣.

^{٢٨} مجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٣ إصدار من ذي القعدة ١٤٠٨-١٤٠٩ هـ المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث والافتاء، ج٣: ص٢٣٩.

^{٢٩} النص الحجاجي العربي، محمد العبد، دراسة في وسائل الإقناع، ص: ١٩٢.

^{٣٠} المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ج ٣ ص: ٢٤ و٢٣. وينظر: التكرار في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، ص٧.

^{٢٤} انظر: ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ص: ١٤٨.

^{٢٥} انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج١/ص: ١٠٥. والحيوان، الجاحظ ج١: ص٢٠١.

^{٢٦} عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، مطبعة النهضة مصر، ١٩٧٥م، ص: ١٤٠. وينظر: المدخل إلى علم الجمال هيجل "ترجمة جورج طرابيش، ط. الأولى، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٨، ص: ٧١".

والإطناب بالتكرير والترديد والمجاورة ورد العجز على الصدر وتشابه الأطراف والعكس أو التبديل^{٣٢}.

ويأتي التكرار في الدرس الحديث بكثرة في صور ومصطلحات متعددة. إذ ذكر النقاد الغربيون والعرب، بدءاً من الشكلايين الروس، الذين امتدوا بالتكرار إلى الأجناس الأدبية المختلفة. وخصوصاً علم السرد به، وربطوه بالإيقاع والإنشاد، ثم كانت السيميائية وصولاً إلى جان كوهين^{٣٣}. الذي طبق مصطلح التكرار في مفهومه المحدد على دارسته لقصيدة "رباعيات السأم" لبودلير فقسم التكرار على مستويات الصوت والتركيب والدلالة، وربط دلالة التكرار^{٣٤} ..، أما السيميائية فهناك مصطلح يتماس وللتكرار استخدمته كأحد أشهر مقولاتها الإجرائية وهو "التشاكل" الذي قال به "جرىماس" وقد حدده بأنه "تكرار مقنن لوحداث الدال (ظاهرة أو غير ظاهرة)، صوتية أو كتابية أو تكرار لنفس البنيات التركيبية (عميقة أو سطحية)"^{٣٥}، وفي الدراسات الأسلوبية يتداعى "التكرار" بوصفه ظاهرة أسلوبية تخضع لـ "الاختيار"^{٣٦} أحد أدواتها الإجرائية، فتكرار الشاعر لحرف أو كلمة أو تركيب واعيا كان أو غير واع رهن باختياره لما يناسب شعوره ونفسيته

الوظيفة الحجاجية: وتكون بتكرار بعض الأدوات الحجاجية كـ "أدوات الاستفهام - النفي - لكن - بل - حتى - النفي والاستثناء ... ، وتلك الأدوات تسمى عوامل حجاجية لأنها تحمل طاقة تأثيرية قوية ترمي التأثير في المتلقي وتعمل على استمالته"^{٣٧}.

هكذا ظهر التكرار في الدرس القديم، إذ تفاوت هؤلاء في حديثهم عنه؛ ولكنهم اجتمعوا في دافع بحثهم عنه وفي تنبهم للغرض الذي قد يؤديه.

وقد أشاروا إلى تفاوت الأغراض التي يؤديها التكرار وكانت هذه الأغراض أو النكت مرتبطة بالمبدع أو المتلقي فالتكرار صدر عن قصد عند المبدع فهو إلحاح لغرض دون غيره كما يقصد من التكرار أن يؤدي دوراً في نفس المتلقي إذ يستفزه على الدوام وأسموا هذا الغرض بالنكته، وهي جوهر الشعرية، فالتكرار كان خرقاً لمألوف استخدام اللغة، وهذا الخرق ما كان إلا لنكته، وهذه النكته تبحث من جانبيين:

- جانب المبدع، إذ يبحث الدارس في النكته للتكرار عند المبدع فما الحاجة التي دفعته إلى تشكيل لغته تشكيلاً قائماً على التكرار؟.

- جانب المتلقي، إذ يبحث الدارس في النكته التي تولدت عند المتلقي وتختلف هذه النكته من متلق إلى آخر. هذا وقد ارتبط التكرار بمجموعة من المحسنات اللفظية من مثل التكرار الخالص

^{٣٢} انظر: معجم المصطلحات البلاغية، مطلوب، ج ١ و ج ٢ و ج ٣.

^{٣٣} بنية اللغة الشعرية، "جان كوهن"، ترجمة: محمد المولى ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط ١، ص: ٤٥٧ وما بعدها.

^{٣٤} الديوان، ص: ٤٦.

^{٣٥} تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، محمد العمري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ص ٢١.

^{٣٦} الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندي، إربد، ٢٠٠٢، ص ٢٨.

^{٣٧} انظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين ناجح، علاء الدين تونس، ٢٠١١، ص ٤٠، ١٣٥، وعدة الأدوات الحجاجية من كتاب الحجاج أطره ومنطلقاته، ليونيل بلنجر، ت: قوتال فضيلة، ج ٢، عالم الكتب الحديث، عمان، ٣٩٩.

وهناك من جعل التكرار أداة لتصوير حالة نفسية دقيقة أو مجرى اللاشعور من إنسان مأزوم حيث يتعلق وعي الإنسان في لحظات المحن والأزمات بكلمة أو صورة أو موقف استرعاها وعيه من الماضي أو طرقت ذهنه في هذه الحظات وكأنما تهبط بعد ذلك اللاشعور وتبقى حبيسة فيه فترة من الزمان لتطفو إلى الوعي بين الحين والحين ويتردد صداها مسموعا في الأعماق ٤١.

وملخص القول، تكمن جمالية وشعرية التكرار في جانبين اثنين:

أولهما: عند مبدع الكلام الذي خرق مألوف اللغة حين استخدم التكرار لنكتة أو لغاية في أعماقه، فعمد إلى التكرار وشكل كلامه تشكيلا حاملا لما في نفسه.

وثانيهما: عند متلقي الكلام الذي استقر من هذا الاستخدام غير العادي للغة وبدأ في البحث في دلالة التكرار وغايته ليقف عند ما واره اللفظة وما بعد التركيب.

ويستخلص من التكرار الكثير من الدلالات وفيه محاولة للنفاذ إلى رؤية الشاعر التي حرص على بثها في شعره وجعل التكرار حملا لها.

والفكرة التي يعبر عنها، كما أن مصطلح "الكلمات المفاتيح" بالأسلوبية يدور في فلك التكرار لكنه أقرب للترديد حقيقة، ف"الكلمات المفاتيح" هي "تلك الكلمات المعجمية التي يزيد تكرارها من دلالتها فوق ما يكون لها في الوضع الطبيعي المعتاد" ٣٧، أما التكرار فهو أقرب بل هو يندرج تحت "الاتساق المعجمي" الذي عمدت إليه الدراسات "الأسلوبية" ٣٨ بالبحث لوقوعه تحت معيار الاختيار في أغلب الظن، وكذلك تدرجه "اللسانيات النصية" تحت "الاتساق المعجمي"، ولابد لظاهرة التكرار من دور فاعل في نظريات القراءة والتلقي، ذلك أن المبدع يكرر واعيا أو غير واع ثم يأتي دور المتلقي لفهم وظيفية التكرار وجمالياته في النص بموقعه آخذا دوره في عملية القراءة أو بالأحرى التأويل، ذلك "أن الظاهرة الأدبية ليست إلا علاقة جدلية بين النص والقارئ" ٣٩.

أما النقاد العرب كنازك الملائكة، وشفيع السيد، وعمران الكبيسي ٤٠. فقد رأوا التكرار في حقيقته إلحاحا على جهة مهمة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ويكشف التكرار عن اهتمام المتكلم بها وكأن هؤلاء قد تنبهوا إلى الباعث النفسي للتكرار.

^{٣٧} الأسلوبية الروية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٧، ص ١٩٩.

^{٣٨} انظر: الأسلوبية الروية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، ص ٢٣٧.

^{٣٩} سيموطيقا الشعر: دلالة القصيدة من كتاب مدخل إلى السيموطيقا، ميكائيل ريفاتير، ت فريال جبوري غزول، دار إلياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢١٤.

^{٤٠} انظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ٧٨، ص: ٢٣٠. أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء، شفيع السيد، مجلة إبداع، ٦٤، ١٩٨٤م، ص: ٧. لغة الشعر العراقي المعاصر، الكبيسي، ص: ١٨٠.

^{٤١} انظر: شفيع السيد، التكرير بين المثير والتأثير، ص: ٧٩. وينظر: الهليل، التكرار في شعر الخنساء، عبد الرحمن الهليل، مكتبة المؤيد، الرياض، ط ١، ١٩٩٩م، ص: ١٩. وموسى ربابعة، التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، ص: ١٥٩. ومحمد الخلايلة، بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠١م، ص: ٢٩ وما بعدها.

. تكرار المفردات و التكرار الاشتقائي:

ويعد هذا اللون من أبسط ألوان التكرار، ويشتمل على تكرار كلمة واحدة، والديوان مليء وغني بهذا اللون من التكرار؛ لأنه غالباً ما يعبر عن حالة الشاعر النفسية، أما التكرار الاشتقائي فيتمثل في تكرار كلمات ذات جذر لغوي واحد والقائم على تشقيق البنية الصرفية إلى صيغ مختلفة للدلالة على معان مختلفة.

قال ابن عبدربه في معنى خدمة السطان

وصحبته ٤٢:

فِيْرَحْمَ تَارَاتٍ وَيُحْسَدُ تَارَةً فَمَا شَرُّ مَرْحُومٍ وَشَرُّ مُحْسَدٍ
لَقَدْ فُجِعَ الْإِسْلَامُ مِنْهُ بَنَاصِرٍ كَمَا فُجِعَ الْإِيْتَامُ مِنْهُ بَوَالِدٍ

وقال ابن عبدربه في معنى المبادرة بالعمل

الصالح، وفي ذكر الموت ٤٣:

يَا مَنْ يَضِيئُ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْفَرْدِ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ هَذَا الضَّنَّ مِنْ أَحَدٍ
وَالْدَمْعُ يَهْمَلُ وَلَافْتِاسُ صَاعِدَةً فَالْدَمْعُ فِي ضَبَبٍ وَالنَّفْسُ فِي ضَعْدٍ

وقال ابن عبدربه في الناصر لدين الله يوم

البيعة له في قرطبة ٤٤:

يَا مَنْ عَلَيْهِ رِءَاءُ الْبَاسِ وَالْجُودِ مِنْ جُودِ كَفْكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ
لَمَّا تَطَلَّعْتَ فِي يَوْمِ الْخَمِيْسِ لَنَا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ فِي عِيدٍ بِلَا عِيدٍ!

وقوله في مدح إبراهيم بن حجاج والي

إشبيلية ٤٥:

وَكَيْفَ وَبِي فُؤَادٌ مُسْتَطِيرٌ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيرُ لَهُ فُؤَادٌ

وقوله في وصف الخمر ٤٦:

مُـوَزَّدَةٌ إِذَا دَارَتْ ثَلَاثُهَا يُفْتَحُ وَرُدُّهَا وَزْدُ الْخُدُودِ

وقوله في معنى الشباب ٤٧:

كَأَنِّي مِنْكَ لَمْ أَزَيْعُ بَرِيْعٍ وَلَمْ أَرْتُدْ بِهِ أَحْلَى مَرَادٍ
زَمَانٌ كَانَ فِيهِ الرُّشْدُ غِيَاً وَكَانَ الْغَيُّ فِيهِ مِنَ الرُّشَادِ

وقوله في معنى الصبر والإقدام في الحرب،

وذكر القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة ٤٨:

لئن عُرفَ الجَهَادُ بِكُلِّ عَامٍ فَإِنَّكَ طَوَّلَ دَهْرَكَ فِي جِهَادٍ
وإنَّكَ حِينَ أَتَيْتَ بِكُلِّ سَعِيدٍ كَمَثَلِ الرُّوحِ آتٍ إِلَى الْفُؤَادِ

وقوله في معنى الشيب ٤٩:

سَوَادُ الْمَرْءِ تَنْفِذُهُ الْيَلِيَالِي وَإِنْ كَانَتْ تَصْيِيرُ إِلَى نَفَادٍ
فَأَسْوَدُهُ يَصْيِرُ إِلَيَّ بَيَاضٍ وَأَبْيَضُهُ يَعُوذُ إِلَيَّ سَوَادٍ!

وقوله في رثاء ابنه ٥٠:

وَلِي حَفِيْظَا فِي الْأَزْمَةِ حَافِظَا وَمَضَى وَدُودَا فِي الْوَرَى مُودُودَا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزْيَةِ وَالْذَا ظَفَرْتُ يَدَا بَمِثْلِهِ مُوَلُودَا
يَا مَنْ يَفْتَدُ فِي الْبُكَاءِ مُوَلَهَا مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَفْنِيدَا
إِنْ الَّذِي بَادَ السَّرُورُ بِمَوْتِهِ مَا كَانَ حَزَنِي بَعْدَهُ لِيْنِيدَا

وقوله ٥١:

إِنْ الْحَيَاةَ مَزَارِغٌ فَازْرَعْ بِهَا مَا شِئْتَ تُخْصَدُ
وَالْمَالُ إِنْ أَصْلَحَتْهُ يَصْلَحُ وَإِنْ أَفْسَدَتْ يَفْسُدُ

وقوله ٥٢:

^{٤٦} الديوان، ص: ٥٥.
^{٤٧} الديوان، ص: ٥٦.
^{٤٨} الديوان، ص: ٥٦.
^{٤٩} الديوان، ص: ٥٧.
^{٥٠} الديوان، ص: ٥٨ - ٥٩.
^{٥١} الديوان، ص: ٦٠.
^{٥٢} الديوان، ص: ٩٠.

^{٤٢} الديوان، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م، ص: ٤٩.
^{٤٣} الديوان، ص: ٥١.
^{٤٤} الديوان، ص: ٥٤.
^{٤٥} الديوان، ص: ٥٥.

ورصدها في البيت الشعري هو عدول أو كما يسمونه بالأسلوبية انزياحا للبحث عن لغة مميزة ترسم وتجسد تجربة الشاعر تصبغه بصبغة خاصة تميزه عن غيره، وقد ورد هذا اللون من التكرار في ديوان ابن عبدربه وسيذكر البحث نماذج منها دون الخوض في جماليات وفنية هذا اللون خوفا من الإطالة.

وسيقصر هذا البحث على لون من ألوان التكرار وإن تنوعت كما ذكر سابقا بين المفردات والاشتقاقات والمجانسة والأساليب في شعر ابن عبدربه، وهو تكرار الأسلوب، كما سيأتي:

تكرار أسلوب النداء:

جاء أسلوب النداء في قصيدة رثاء ابن عبدربه لابنه في ١٩ بيتاً، وقبل الحديث عنه فإن الحروف قد تكررت فكان حرف اللام صاحب المرتبة الأولى "له سبق" إذ تكرر في القصيدة ٦٧ مرة، بعده حرف الميم ٥٣ مرة، والدال ٤٥ مرة، والنون ٣٦ مرة، والتاء ٣١ مرة، والباء ٢٩ مرة، والراء ٢٤ مرة ثم بقية الحروف، بجانب حروف المد ألف والواو والياء والتي كثرت في القصيدة لتواكب وتنسجم مع موسيقى الحزن، وكان روي القصيدة حرف الدال وهو من حروف القلقة والذي يجسد القلق والاضطراب والصراع الداخلي للشاعر لفقده ولده.

وقد أدى تكرار حرف الدال كروي للقصيدة دوراً واضحاً وكبيراً في الموسيقى الخارجية والداخلية؛ إذ أفاد بوجود ملامح صوتية في الشعر كتكرار الكلمة نفسها أو لإحدى أخواتها من الجذر الواحد

خَرَجْتُ أَجْتَازُ قَفَرًا غَيْرَ مَجْتَازٍ فصاذني أشهل العينين كالبازي
أبكي ويضحك مني طرفه هُزْءاً نفسي الفداء لذاك الضاحك الهازي
وقوله ٥٣:

إلى فارح الكرب المجيب لمن دعا فزعت بكربي إنه خير مُفْزَع
فيا خير مدعو دعوتك فاستمع ومالي شفيغ غير فضلك فاشفع

وبالإضافة إلى ما يقوم به هذا التكرار من وظيفة إيحائية تكسب المعنى قوة وتساعد في إبراز فكرة الشاعر وتبسيط الضوء على ما يريد إيصاله للقارئ، يعطي إيقاعاً موسيقياً يساعد على إظهار وتجسيد وتشخيص أحاسيس الشاعر وعواطفه.

وقد اتضح من خلال عرض النماذج بروز ظاهرة التكرار في الديوان؛ إذ اتخذ منها الشاعر وسيلته لإنتاج الدلالة بتوظيف التكرار بأنواعه التي ذكرناها، مما يعمق إلحاح الشاعر على فكرته وعرضها بأساليب متنوعة مختلفة، مما يشد انتباه المتلقي، فيدفعه إلى تغيير مناحه الفكري والعقلي؛ وذلك لأن التكرار يغني المعنى ويؤصله؛ مما يجعل له دوراً بارزاً في إنتاج الدلالة وإثراء المضمون الفكري فضلاً عن الإثراء الإيقاعي الذي يعمق تأثير المتلقي وتفاعله مع الملقى. ٥٤.

استعمل الشاعر نمطاً من التكرار يتمثل في التكرار الاشتقاقي والذي يعتمد على مصاحبة الألفاظ ذات الاشتقاق الواحد؛ إذ إن اشتقاق المفردات

^{٥٣} الديوان، ص: ١٠٥.

^{٥٤} انظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار الملائين، بيروت، ط ٥، ص: ٢٦٣. بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة، فيصل صالح القصيري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٦م، ص: ١٧٦. القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، محمد صابر عيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ١٩٩٢م، ص: ١٨٣.

وقد استعمل الشاعر النداء بأنماط كثيرة فضلاً عن استعماله الندبة والاستغاثة، كما رأينا ابن عبد ربه ينحرف بالنداء من وجهته النحوية التي ركز عليها النحويون إلى وجهةٍ جديدة يجسد بهما مشاعره ومعاناته وتجربته بصدقٍ لا يوجد عند أحد من الشعراء، إذ أفاد الشاعر من النداء دلالات بلاغية كثيرة وكانت هي الغاية من النداء عنده، وليس المعنى النحوي للنداء وهو طلب تنبيه المخاطب.

فالنداء علامة من علامات الاتصال بين الناس، وهو دليل قوي على اجتماعية اللغة؛ ومن ثم فهو كثير الاستعمال، ولا يكاد يخلو كلام إنسان كل يوم من النداء. على أن النحو العربي يرى أن جملة النداء جمل تامة شأنها شأن الجمل الأخرى يتوافر فيها إسناد غير ظاهر؛ لأن المنادى عندهم نوع من المفعول به وهو منصوب بفعل محذوف تقديره: أنادي أو أدعو، وهذا الفعل لا يظهر مطلقاً، وينوب عنه حرف النداء ويعمل عمله، وحروف النداء سبع، وكلها لنداء البعيد، ماعدا الهمزة وأيّ لنداء القريب، و"وا" للندبة وهو المتفجع عليه أو المتوجع منه و"يا" أكثر حروف النداء استعمالاً فهو أصل حروف النداء؛ ولذلك لا يقدر غيره عند حذف حرف النداء ولكونه أصلاً كان مشتركاً لنداء القريب والبعيد، والغرض الرئيس من أسلوب النداء التنبيه والاهتمام بمضمون الخطاب؛ لأن النداء يسترعي إسماع المنادين.

سواء كان على سبيل التجانس الاشتقاقي أو التقابل أو التضاد يرتبط ذلك بعاطفة الشاعر الحزينة؛ لأن الجانب الصوتي أو الإيقاع الصوتي له أثر واضح في إبراز وتشخيص وتجسيد أحاسيس الشاعر وانفعالاته ومشاعره؛ ولكي يتضح ذلك سيقوم الباحث بتحليل صوتي وصرفي ونحوي وبلاغي للثناء لدى الشاعر مبيناً ومثبتاً أثر ذلك في الدلالة في قصيدته في رثاء ولده التي قال في مطلعها^{٥٥}:

وَكَبِدًا قَدْ قُطِعَتْ كَبِدِي وَحَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ

فقبل الخوض في أسلوب النداء عند ابن عبد ربه كان لزاماً على الباحث أن يذكر بعضاً من دلالات النداء لدى السابقين والمحدثين إذ يكادون يتفقون على دلالاته وسيقوم هذا البحث بدراسة لبعض أحرف النداء في شعر ابن عبد ربه، وأنماط استعمالها، وعرض تحليل أسلوب النداء في شعره دلالياً ونحوياً وأسلوبياً مستعيناً ببحوث النحويين والبلاغيين والدارسين المعاصرين مستهدياً بالقرآن الكريم وبالشعر العربي الذي أجاز النحويون الاستشهاد به؛ بغية الوقوف على ما أضافه النداء في تجربته الشعرية من معانٍ واستعمالات امتاز بها في ديوانه، فالنداء بادرة غريزية يمارسها الإنسان والحيوان تلبية لحاجاته الفطرية، وقد ابتكر الشعراء لهذه الأحرف معاني إصلاحية في مراحل لغوية متطورة لمقتضيات معانيهم وأوزانهم الشعرية^{٥٦}.

^{٥٥} الديوان، ص: ٦١.

^{٥٦} انظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، <http://www.awu-dam.or>، ٢٠١١م، ص ٢٧-٢٨.

وهذه بعض من أغراض النداء ٥٧.

الإغراء والاختصاص والاستغاثة والندبة والزجر والوعيد والتنبيه والتحسر والتذكر وغالبا ما يصحب النداء الأمر والنهي والاستفهام كأنه يعد النفوس ويهيئها فتتقوى به وقد تجمع هذه الأساليب كلها؛ وبهذا لم يتوقف أسلوب النداء عند الحدود التعريفية؛ بل هناك توظيف متنوع يحول التركيب اللغوي النحوي والدلالي عن بنيته المباشرة تحويلات إيحائية تستوحى من السياق، وتستخلصها العقول

والقرائح من القرائن الدالة عليه، في قوله ٥٨:

وَكَبِدَا قَدْ قُطِعَتْ كِبْدِي وَخَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٍّ لَمَيَّتْ أَسْفَا أَعْدَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدًّا دَفَنْتُ فِيهِ خُشَاشَتِي بِيَدِي
وَنَوْرِي ظِلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى مَنْ كَانَ خُلُوعًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ
يَا مَوْتُ، (يَحْيَى) لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ لَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ وَلَا نَكِدٍ
يَا مَوْتُهُ لَوْ أَقْلَتْ عَثْرَتُهُ يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتُهُ يَغْدِي !
يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ لَكَانَ، لَا شَكَّ، بِيضَةَ الْبَلَدِ
أَوْ كُنْتُ زَاخِيَّتْ فِي الْعِنَانِ لَهُ حَاَزَ الْغُلَا وَخَتَّوَى عَلَى الْأُمْدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْثَتَهُ وَأَيُّ رُوحٍ سَلَلَتْ مِنْ جَسَدِ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعَتْ مِنْ قَدَمٍ وَأَيُّ كَفٍّ أَزَلَّتْ مِنْ عَضْدٍ ؟
يَا قَمَرًا أَجْحَفَ الْخُسُوفِ بِهِ قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدَدِ
أَيُّ حَشَا لَمْ تَذُبْ لَهُ أَسْفَا وَأَيُّ عَيْنٍ عَلِيَهُ لَمْ تَجُدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدٌ فُجِعْتُ بِالصَّبْرِ فِيهِ وَالْجَلَدِ

لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا لَحُقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمْدِي
يَا نَوْعَةً مَا يَزَالُ لَاعِبُهَا يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كِبْدِي

بدأ الشاعر قصيدته عادلا عن النداء الأصلي المعتاد إلى أسلوب النداء المفيد للندبة الدال على التحسر والأسى " نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه " " واكبدا " للإعلام بالتحسر وبعظمة المندوب، وإظهار مكانته وأهميته، أو العجز عن احتمال ما ألم به من فجيعة، إن استعمال الشاعر لـ "وا " ليوحي باللهيب والشوق الشديد لمندوبه ولده؛ ومن ثم كان التعبير بالندبة رفعا لصوت الشاعر تعبيرا عما في نفسه من الجزع والألم والتأسف من فقد ولده فصاح "واكبدا"، ولو ربطنا بين اللغة وعلم النفس وجدنا أن أسلوب الندبة "واكبدا" يجسد إحساس الأب "الوالد" وشعوره وعاطفته الحزينة لفقد ولده فصرخ من داخله "واكبدا" هذا من ناحية عاطفة الوالد، أما ما يريده الوالد من التأثير على عاطفة المتلقي "السامع والقارئ" فقد أثار وأثر في المتلقي ليشاركة فجيعة وانفعالاته وكأنه يسأل أيها المتلقي لو كان المفقود ولد فماذا انت فاعل؟ ٥٩؛ ولهذا كان المد الصوتي في التعبير "وا" الدالة على الندبة موحيا بالاتساع والامتداد في الشعور الحزين والانفعال الممتد لفقد ولده.

^{٥٩} علم النفس اللغوي، نوال عطية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م، ص: ٦٠-٦١. بتصرف، وينظر: البناء النفسي في الإنسان، حمدي الفرماوي، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٦م، ص: ١٥٠. بتصرف، وسيكولوجية اللغة والمرض العقلي، جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة، يناير، ١٩٩٠م، العدد ١٤ الكويت، ص: ٦٢. بتصرف.

^{٥٧} مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط٥، ١٩٨٦م، ص: ٤٨٨.
^{٥٨} الديوان، ص: ٦١ - ٦٢.

يعاني منه وبين الجانب الشكلي للتجربة الفنية؛ ومن ثم كان أسلوب الندبة أسرع من غيره في التعبير عن ذلك؛ مما قدم تجربة فنية جمالية فريدة. فحركة النفس الشجية المتدافعة من شدة الحزن والأسى تموت بالصوت المنبعث من أعماق الحلق حتى تخرج من الشفتين "وا".

فالقمية الجمالية لهذا النمط من أساليب النداء لا تنبع من العناصر الفنية المكتملة في الصورة فقط وإنما تنبثق من التصوير المجازي المرتبط بمشاعر أصحابه، ومن إرسائه في نفوسنا.. ولهذا فنحن نحس بملامح التجربة الذاتية في إطار جمالي مثير، وهذا ما نجده في أسلوب الندب، ونترك العدول بالندبة في النداء إلى النداء نفسه لنرى كيف وظف الشاعر هذا الأسلوب اللغوي في تجسيد وتشخيص مصيبتة، فيقول الشاعر ٦١:

يا رحمة الله جاورى جدنا	دفنت فيه خشاشتي بيدي
ونوري ظلمة القبور على	من لم يصل ظلمة إلى أحد
من كان خلواً من كل بائقة	وطيب الروح طاهر الجسد
يا موت "يحى" لقد ذهبت به	ليس بزائلة ولا نكد
يا موته لو أقلت عثرته	يا يؤمه لو تركته يغد!
يا موت لو لم تكن ثعاجله	لكان لا شك بيضة البلد

أول ما يلاحظه الباحث حرف النداء المكون من "الياء والألف" وهما حرفا علة؛ وباجتماعهما يتسع الصوت وتعلو الموسيقى الإيقاعية مما يثير انتباه المتلقي لما يأتي بعدها، فزاه ينادي الرحمة "يا رحمة الله" ويضيفها إلى الله تعظيماً لشأنها كعظيم فجيعة طالبا منها "بصيغة الأمر "جاوري" قبر ولدي

إن افتتاح الشاعر قصيدته بأسلوب الندبة "وا" ليبرز عاطفة الشاعر وانفعالاته الوجدانية وغليلانها وهي أمور معنوية غير محسوسة للمتلقي في لوحة محشوة مجسمة ومشخصة أمام المتلقي في جرسها الصوتي العال والإيقاع الممتد من البكاء والعيول والصراخ والنواح.

إذا أرجعت بصر التدبر في البيت كرة أخرى انقلب إليك بما يحمله تعبيره "واكبدا" من دلالات مكثفة من الحزن الثقيل، أليس الأولاد فلذات الأكباد ؟ فهو إذن صراخ المصاب والمفجوع، وصوت الداخل لا الخارج فالألم داخلي والنزف من الكبد فالألم أشد وأقرب، وحين نسير رويدا في البيت نجد أن هذا الجزء المصاب لم يصب فحسب بل تقطع وكأن الشاعر بأسلوب المبالغة من خلال الفعل المشدد "تقطع" أن يشعروا أن كبده لا سبيل لعودتها ثانية لحياة أخرى طبيعية، وذلك حين أضاف إلى هذه الأجزاء المتناثرة نارا تحرقها من لواج هذا الفقد ٦٠.

هذا المطلع يموج بالدلالة المكثفة منذ كلمة الافتتاح "واكبدا" إلى منتهاه "الكمد" ويطلعنا بصدق مصاب الشاعر الجلل بابنه لفقيد.

وقد جاء أسلوب الندبة لدى الشاعر مفتاحاً للتفريغ والتفريغ عن مشاعره الحزينة؛ ولذلك حوّل الشاعر الصيغة اللغوية إليه؛ ليقم التناسب بين ما

^{٦٠} ديوان أحمد بن عبد ربه الأندلسي "دراسة لغوية دلالية في شعر الرثاء"، حسن طاهر أبو الرب، مجلة جامعة الخليل، المجلد ١٠، العدد ٢٠١٥، ص: ١٩٦ بتصرف.

^{٦١} الديوان، ص: ٦١.

فجوارك لا يعذب في قبره، فهو يطلب منها أنت تكون حجابا وحارسا لولده، ثم يطلب منها اختراق جدار القبر بنورها لتنوير القبر فلا يخالطه ظلمة القبر.

إن نداء الشاعر الرحمة يوم خاطبته ليجسد التناسق والانسجام بين عاطفة الحا التي تطلب وتتمنى؛ بل وتلح في مملوور وتنوير القبر، وعاطفة التحسر والحزن التي م شدتها لم تنسه طلب الرحمة لابنه؛ ومن ثم فالأمر في "جاوري" له دلالة التمني وكأن الشاعر يتمنى منه رحمة الله أن تجاور جدته وتنوره من ظلمته. ارجع الفكر في البيت مرة ثانية تلحظ استخدام الشاعر لكلمة "جدثا" بدلا من القبر تخفيف من حجم مصيبتة على الصعيد النفسي هذا من ناحية أن القبر رديفا للجدث، ومن ناحية أخرى فقد تعني جدثا خاصا في هضاب عالية ارتقاء بمنزلة ولده على أقل تقدير دون أن يساويه بغيره من الموتى؛ لأن الجدث لغة كما أرى في سياقه اللغوي أكثر رقيا من القبر، وقد يحمل بعدا ذا مستوى عال للتعبير عن نموذج إنساني متميز وجده الشاعر في ولده دون سواه من الناس، ومن ثم أصر الشاعر على طلب المجاور للإعلاء من منزلة ولده حيا وميتا.

ثم ينقل نداءه وخطابه للموت نفسه
فيقول ٦٢:

يا من تجلد للزما ن أما زمانك منك أجد
يا نعمة الله زيدي ما كان فيك مزيد
يا غليلا كالنار في كبدي واغتراب الفؤاد عن جسدي
يا نوعاً ما يزال لأعجها يقدح نار الأسي على كبدي

"يا موت يحيى"، "يا موته"، "يا يومه" "يا موت" إنها لوحة تجسد نار الأسي والحزن والتحسر الملتهبة بداخل الوالد وتبرزه في صوت البكاء والصراخ "يا موت لقد ذهبت به" وهو ليس بزميلة ولا نكد "لماذا يا موت وهو ليس بجاحد ولا نكد فلا انكار منه ولا جحود، لماذا وأنا في أشد احتياجي له، إن في النداء للموت ب "يا" ليشخص ويصور معاناة الوالد الشديدة في لحظة حاجته وعوزه لابنه، يا موت لما غيبته يا موت أجبني لما غيبته؟ ألا تعلم حاجتي له؟ إنها الحسرة التي تجسدت وبرزت في صراخ عال يثير المتلقي ليصرخ معه ويشاركة في صراخه على الموت لما غيب ولده؟.

وينتقل الشاعر من الصراخ والعيول إلى الترجي فقال: "يا موته لو أقلت عثرته" فليس النداء لوما وعتابا بقدر ما رجاء وترجي الشاعر وتوسله للموت؛ ومن ثم أتى ب"لو"؛ بل

٦٢ الديوان، ص: ٦١.

وكررها يقوله: يا يَوْمَهُ لو تَرَكْتَهُ لِعَدٍ " مع علمه أنه حرف يفيد امتناع الجواب لامتناع شرطه فالإتيان بلو مكررة جعل من المتمنى به أبعد ما يكون ومستحيلاً وقوعه ، ومع ذلك يناديه وكأنه يعي محنته ومصيبته ويسمع نداءه فيجيبه حيث ناداه ب "يا" المفيدة للاستغاثة، والشاعر أراد من خلال ندائه الذي يحمل دلالة الترجي أن يسمع كل الناس توسله وترجييه الموت ويبين لهم حزنه وألمه ليشاركوه همومه وأحزانه؛ ومن ثم يخفف من وطأة وشدة الكرب والجو المتأزم الذي هو فيه.

ثم يكرر الشاعر النداء مع لو مرة ثانية فيقول: " يا موتُ لو لم تُكُنْ تُعاجِلُهُ " وكأن الشاعر يعاتب الموت لم تعجلت في أخذه؟.

هذا وقد تكرر أسلوب النداء في ديوان ابن عبدربه تارة في المدح وتارة في غيره كالتشبيه بـ ٦٣ إلا أنه كان أشد تأثيراً في رثائه لولده كما بين البحث في تناوله وقد اقتصر البحث على النداء في رثائه لابنه خوف الإطالة وهذه بعض النماذج من أسلوب النداء في الديوان،

قوله ٦٤:

يا ابن الخلائف والصيد الصناديد	ألقنت إليك الرعايا بالمقاليد
يامن عليه رداء البأس والجود	من جود كفك يجري الماء في العود
يا غائباً لا يرتجى لإيابه	ولقائه - دون القيامة - موعد
يامن يغند في البكاء ولها	ما كان يسمع في البكا تفنيدا

وقوله ٦٥:

فيا من كساه الله تاج خلافة	ومن جوده قطر إذا أعدم القطر
يا برده من حيا مزن على كبد	نيرانها بغليل الشوق تستعر
يا عاجزاً ليس يعفو حين يقتدر	ولا يفضي له من عيشه وطر
يا من تلهى وشيب الرأس يندبه	ماذا الذي بعد شيب الرأس ننتظر
يا غرة القمر الذاوي غضارتها	قد تكسف الشمس لا بل يخسف القمر
يا ليلة ليس في ظلماتها نور	إلا وجوها تضامها الدنانير
يا مجلساً أينعت منه أزاهره	ينسيك أوله في الحسن آخره
يا هلالاً قد تجلى	في ثياب من حرير
يا بدوراً أنا بها الدهر	عنان أسير
يا ملكاً يزدهي به المنبر	والمسجد الجامع الذي عمر

وقوله ٦٦:

يا من ببهجة وجهه	يستأثر البطل الممارس
------------------	----------------------

وقوله ٦٧:

يا غصنا مائساً بين الرباط	مالي بعدك بالعيش اعتبار
يا من إذا ما بدا لي ماشياً	وددت أن له خدي بساط

وحتى لا نطيل فالأمثلة كثيرة إلا أنها لم

تتكرر في موضوع واحد كما أتت في الرثاء،

كذلك أسلوب التشبيه بكأنا، في قوله ٦٨:

كأن سواد لمتنه ظلام	أغار من المشيب عليه نور
مهفهف تزدهي به صحف	كأنما حليت به درا
كأنما ترتع العيون بها	خلال روض جنببت به الحذرا

^{٦٥} الديوان، ص: ٦٧

^{٦٦} الديوان، ص: ٩٤

^{٦٧} الديوان، ص: ١٠١.

^{٦٨} الديوان، ص: ٧٦.

^{٦٣} الديوان، ص: ٧٧.

^{٦٤} الديوان، ص: ٥٤.

وقوله ٦٩:

كأنما صيغ من بخل ومن كذب فكان ذاك له روحاً وذا نفس

وقوله ٧٠:

كأنما بينهم في منع سائلهم وحبس نائلهم عهد وميثاق

وهكذا تنوعت الأساليب في ديوان ابن عبدربه إلا أنها جاءت شتى وليست في موضوع واحد كما في الرثاء.

. تكرار أسلوب الاستفهام:

يُعدُّ أسلوب الاستفهام من الأساليب اللغوية والبلاغية التي تضيف على دلالة التراكيب دقة المعنى وانفتاحه إلى دلالة أخرى تعتمل في النفس وصولاً إلى إثارة فكر القارئ، فهو بمثابة المثير الذي يحفز العقل بمداولة النظر، والتفكير بماهيته الأشياء والوقوف عليها؛ فيحدث الاستفهام نوعاً من التفاعل بين السائل والمسئول، فتظهر الخفايا ٧١.

وقد أبرز البلاغيون العرب في الدراسات الأدبية والقرآنية أن أدوات الاستفهام الحقيقي الذي تتوقف عند المعاني الأصلية التي ينتهي إليها أسلوب الاستفهام الحقيقي يتطلب إجابة

محددة؛ ولكن الاستفهام قد لا يبحث عن إجابة محددة؛ وإنما يبحث عن تصور ما للمتكلم دون أن يستفسر عن شيء، وبهذا يخرج أسلوب الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالاته المجازية الدلالة الحقيقية فيصبح بمعنى الخبر لا بمعنى الاستخبار وحين يخرج الاستفهام إلى أسلوب مجازي إنما يؤدي ظاهرة جمالية لا تعرف في الأسلوب الحقيقي الذي يسأل به المتكلم عن شيء معروف ومشهور، أو عن معنى يفهم من السياق، ويتوجه فيه المتكلم إلى نفسه قبل غيره، ويعتمد الأسلوب المجازي على السلائق والسياق والقرائن ويدور حولها الكلام ٧٢.

وإذا كان الاستفهام في حقيقته السؤال عن شيء مجهول ٧٣ فإن شعراء المراثي طالما أخرجوه عن معناه الأصلي إلى معانٍ تستفاد من السياق، فكان يعبر عن تجاربهم الشعورية، ويدل على معاني الذهول والتفجع، كما نراه يخرج الاستفهام عن أصله لأغراض أدبية منها: الإنكار و التوبيخ والتقرير و التعجب أو التعجب و العتاب و التذكير و الافتخار و التفخيم والتعظيم و التهويل والتخويف و التسهيل والتخفيف و التهديد والوعيد و التكثير و التسوية و الأمر والتبنيه و الترغيب و النهي

^{٦٩} الديوان، ص: ٩٢.

^{٧٠} الديوان، ص: ١١٦.

^{٧١} انظر: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، حسني عبد الجليل، مؤسسة المختار، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م، ٦. الحاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١١م، ص: ١٤٠. الحاج في الخطابة النبوية، عبد الجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م، ص: ١٥٢. وتقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف، دراسة تحليلية في التركيب والدلالة، حسن عبد الهادي الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٥م، ص: ١١٨.

^{٧٢} جماليات الخبر والإنشاء "دراسة بلاغية نقدية" حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م، ص: ١٤١. ^{٧٣} انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٩٨٣م، ١ / ١٨١.

حدث له من فاجعة في عزيز عليه أو في واقعة ما، وأيّ: اسم استفهام، وتأتي على أوجه، منها: الاستفهام، إذ قيل: و"ترفع على الابتداء إذا لم يعمل فيها شيء، وما بعدها خبرها، وقيل أيضاً: تنصب بالفعل الذي بعدها نحو: أيهم ضربت وكذلك إذا أفردت، نحو: أيأ أكرمت" ٧٦ (أي) الاستفهامية لا يعمل فيها ما قبلها من الأفعال؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام، قال سيبويه في معناها: "أي مكان، وهي تجري مجرى "ما" في كل شيء" ٧٧، وذكر المرادي أن "أيأ": اسم من الظروف تكون شرطاً واستفهاماً" ٧٨، ويقول الزماني: "أي القوم عندك؟ وأيهم ضربت؟ وبأيهم مررت؟ وإذا كانت استفهاماً عمل فيها ما بعدها، ولم يعمل فيها ما قبلها، فمن ذلك: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" ٧٩ تنصب أيأ بـ "ينقلبون"، ولا يجوز نصبها بـ "سيعلم"؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله؛ لأن له صدر الكلام، ويعمل فيه ما بعده؛ لأنه لا يخرج من الصدر في اللفظ" ٨٠.

و الدعاء و الاسترشاد و التمني والترجي و الاستبطاء و العرض و التحضيض و التجاهل و التحقير والاستهانة و المدح والذم و الاكتفاء و الاستبعاد و الإيناس و التهكم والسخرية و الإخبار و التأكيد. إلى غير ذلك من معادن، وحين يتناول الشاعر أساليب الاستفهام المجازية التي انتهت إلى عدول أو ما يسمونه حديثاً انزياحاً في التركيب وفي الدلالة لابد من استحضار الدوافع وراء ذلك الاستعمال، عند المتكلم والمخاطب على السواء؛ ومن ثم استحضار الجو النفسي والاجتماعي والفكري والزمني الذي اضطر الشاعر لهذا العدول في الأسلوب أو ذاك دون فصله عن السياق النصي الذي يرمي إلى هدف ما. ولعل المعاناة الحقيقية والفهم الدقيق لأسلوب من الأساليب يساعدان في إنتاج جمالية جديدة ومبدعة لقراءة نص من النصوص ٧٤.

ولنقرأ أسلوب الاستفهام في رثاء ابن عبد ربه لابنه، إذ يقول ٧٥:

أي حسام سلبت رونقهُ وأي روح سلبت من جسدي
وأي ساق قطعت من قدمي وأي كف أزلت من عضدي

إذا كان التوجع والتألم والتحسر من أغراض أسلوب الاستفهام البيانية والتي يقصد الشاعر في مقام يظهر فيه الشاعر حزنه وألمه الذي لما

^{٧٦} مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ص: ١٠٧.

^{٧٧} كتاب سيبويه، سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م، ج ٤/ص: ٢٣٣.

^{٧٨} الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، تحقيق: فخر الدين قبادة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٢ م، ص: ٥٥.

^{٧٩} سورة الشعراء: ٢٧٧.

^{٨٠} معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي، تحقيق وتقديم: عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٩٨١م، ص: ١٥٩، ١٦٠.

^{٧٤} البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن خبّانة الميداني دمشقي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ١ ص: ٢٠٨.

^{٧٥} الديوان، ص: ٦١.

تكررت أداة الاستفهام "أي" أربع مرات في البيتين فهل الدلالة واحدة ؟.

فإن الشاعر هنا قد خرج بها عن أصلها وهو: أن يطلب بها تعيين قملحراً أ المشاركين في شيء يعمهما. إلى معنى التألم والتحسر الممزوج بالاستغراب والتعجب والنقير؛ بل وكأنه يصرخ في وجه الموت وكأنه شخص أمامه يصرخ فيه، ألا دريت وميزت أيها الموت أي حسام هذا الخبيث أن تلد سلبت رونقه من حياتي إنه ابني حسام حياتي ورونقها، أيها الموت ألا تدري أي روح هذه التي سللتها من جسد إنها روعي" إنه ولدي"، أي ساق هذه التي أتوكأ عليها وهي لمعندي قطعتها وتركنتي قعيدا، أي يد هذه أيها الموت التي قطعنها من عضدها فتركنتي عاجزاً ضعيفاً.

إن الفجعة والحزن والتألم والحسرة على الولد المفقود وضعت الوالد في موقف من الحيرة كاد أن يفقد فيها الصواب فصار صارخاً مندهشاً مستنكراً غير معترض، وكأنه يعرض صورته البائسة بعدما سلبت أيها الموت حسامه أي قوته وحصنه وكذلك جعلته جسداً بلا روح كما أقعدته وبترت يده ألا كنت رحيماً أيها الموت؟.

إن الشاعر باستخدامه أسلوب الاستفهام وتكراره يدير حواراً صامتاً بينه وبين الموت

يعرض عليه حالته من الحيرة والضعف والحزن والتألم لموت ولده، ثم يعود فينادي ولده ٨١:

يا قمرًا أجحف الخسوفُ به قبلَ بلوغِ السواءِ في العددِ

ثم يعود ثانية مستفهما ومتعجباً ومستنكراً، أي حشاً هذه التي لم تشاركني فجيعتي؛ بل وأي

أي حشاً لم تذب له أسفاً وأي عينٍ عليه لم تجدي؟

ويعدل الشاعر مرة أخرى لنداء اللوعة والحسرة، فيقول ٨٣:

ما يزالُ لأعجُها يقدحُ نارَ الأسى على كـ
يا لوعة ما يزالُ لأعجُها يقدحُ نارَ الأسى على كـ

يميل الشاعر في كثير من أبيات الديوان إلى أزواج شتى من التكرار كالأفعال والأسماء والأساليب وغير ذلك من أزواج التكرار؛ فتشكل جانباً دلاليّاً وآخر إيقاعياً فيتعانقان لإبراز ما يرغب الشاعر به من إشارة المتلقي وتنبيهه إليها، وتقريرها وتثبيتها في ذهنه بالتشكيل الإيقاعي الصوتي فيحدث الاتساق والانسجام مع السياق العام للبناء الشعري، مع إعادة صياغة الصور لتجسد وتشخص الدلالة الإيحائية للتكرار في حركات محسوسة

^{٨١}الديوان، ص: ٦١.

^{٨٢}الديوان، ص: ٦٢.

^{٨٣}الديوان، ص: ٦٢.

متعددة النغم الموسيقي ومختلفة الألوان، كما يرى فيها المتذوق قدرة الشاعر الفنية في التناسق بين الجانب الدلالي والجانب الإيقاعي "الصوتي" أو الموسيقي، من ذلك قوله ٨٤:

سرى طيف الحبيب على البعاد ليصلح بين عيني والرقاد
فبات إلى الصباح يدي وساد لوجنته كما يده وسادي

فالشاعر كما يوحي البيتان مضطرب النفس، فبحث عن سكونية وطمأنينة استحضرها من عالم الخيال لطيف محبوبة لينهي ما به من جفاء بين عينيهِ والرقاد، ويأتي التكرار "يدي ويده" ليرسم به الشاعر ملامح الاستقرار المفقود؛ ومن ثم كان التكرار تعويضًا إبداعيًا هدفه تحقيق غرض الشاعر المفقود، وكذلك

قوله ٨٥:

لا صبر لي بعده ولا جلد فجعت بالصبر وبالجلد

فالتكرار "لا جلد والجلد" أسهم في تجسيد وتشخيص الواقع المؤلم لدى الشاعر لفقده ولده، فتكرار "الجلد" في صدر البيت وعجزه مع النفي رسمت أكبر قدر من المشاعر العاطفية المثقلة بالحزن والفجعة. وقوله ٨٦:

باليأس أسلو عنك لا بتجلدي هيهات أين من الحزين تجلد

فالتكرار في هذا البيت وإن كان مقصودًا من الشاعر إلا أن عواطفه الحزينة تسيطر عليه وتقوده في مهارة فنية؛ لتصل أسرار

للمتلقي ناقلة فاجعة الأب في ابنه. وهذا لون من التكرار الاشتقاقي حيث نجده يتنقل بين الاسم بمعانيه الدالة على الاستقرار والثبات والفعل الدالة معانيه على الحركة والاستمرارية والحدوث "التجديد" وكذلك أسماء الأفعال والصفات المشبهة وغيرها التي تشكل دورا بارزا ومهما في اتساع دائرة مقاصد الشاعر الدلالية والإيحائية وتوضيحها وتثبيتها في فكر المتلقي وخياله، ومن قول ابن عبد ربه في ذلك ٨٧:

في الكلة الصفراء ريم أبيض يسبي القلوب بمقلتيه ويمرض
لما غدا بين الحمول مقوضا كاد الفؤاد عن الحياة يقوض
صد الكرى عن جفن عينك معرضا لما رآه يصد عنك ويعرض
أديت من حبي إليك فريضة إن كان حب الخلق مما يفرض

ارجع بصر التدبر في التكرار الاشتقاقي في الأبيات ينقلب إليك من النسيج اللغوي والاتساق بين التركيب الاسمي المعبر عن الثبات وحركية واستمرارية الأفعال في تشكيل لوحة فسيحة تعبيرية للملقي المنفعل والمتلقي المتفاعل حيناً والمنفعل حيناً آخر، هذا وهناك ازواج أخرى من التكرار لدى الشاعر تقوم على فنون التقابل والتضاد لم نذكرها خوفاً من الإطالة بعد أن كادت تصل فكرة البحث للمتلقي.

^{٨٤} الديوان، ص: ٥٧.

^{٨٥} الديوان، ص: ٥٧.

^{٨٦} الديوان، ص: ٥٧.

^{٨٧} الديوان، ص: ١٠٠.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى ما يأتي:

ليس التكرار مجرد إعادة ذكر كلمة معينة أو جملة أو حرف أو أسلوب؛ بل هو وسيلة لغوية أدبية فنية تنبض من خلال أحاسيس الشاعر وعاطفته، فالتكرار يرتبط تعبيريا بالحالة الشعورية الداخلية الملحة والجياشة داخل الشاعر قبل ارتباطه بأي غرض آخر، فهو يتولد منه إحساس الشاعر؛ ما يجعله يرتبط بالوظيفة الانفعالية أيما ارتباط.

ظهرت أهمية ظاهرة التكرار في شعر "ابن عبد ربه" على مستوى البنية والدلالة، فحققت التماسك والانسجام في النص الشعري، ما عضد تلاحم طرفي البنية والدلالة، فلم يفرض التكرار فرضا لدى الشاعر بل استدعته دلالة النصوص وطبيعة الأغراض، فجاء ملتحما بكل عناصر النص الفنية مرتبطا بها وصادرا عنها، فأى لون من ألوان التكرار لا يتولد من إحساس الشاعر أو استجابة المتلقي عموما وانفعاله الصادق هو متكلف مسترسل غير مجد، بل يفقد أهميته وقيمه الأسلوبية ويصبح تكرارا مملا وعبئا على النص.

لا تتوقف فنية التكرار عند المستوى الإيقاعي والدلالي؛ بل تتخطاهما إلى المستوى المشاهد المحسوس الذي يغني المقصد الشعري ويعزز حضوره في البيت؛ ومن ثم يعطي

المتلقي قدرة إفهامية تكسبه موهبة استجلاء الألفاظ وفهم دلالاتها.

كرر الشاعر بعض الأدوات كأسلوب النداء والاستفهام لما تمثله من طاقة حجاجية مهمة؛ فبدا عنصرا حجاجيا إقناعيا، لا مجرد أداة تعبيرية فحسب؛ له دوره المهم في إحداث التأثير في المتلقي واستمالاته، نظرا لمقدرته الكبيرة على الإيحاء والحث.

المصادر والمراجع

- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، حسني عبد الجليل، مؤسسة المختار، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.
- أسرار التكرار في لغة القرآن، محمود السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م.
- أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء، شافع السيد، مجلة إبداع، ع٦، ١٩٨٤م.
- الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٧.
- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندي، عمان، ٢٠٠٢.
- التكرار في شعر الخنساء، عبد الرحمن الهليل، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، صدر الدين، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، العراق، ج٥.

ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

جماليات الخبر والإنشاء "دراسة بلاغية نقدية" حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

الجنبي الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، تحقيق: فخر الدين قبادة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

الحجاج في الخطابة النبوية، عبد الجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، <http://www.awu-dam.or>

الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

ديوان أحمد بن عبد ربه الأندلسي "دراسة لغوية دلالية في شعر الرثاء"، حسن طاهر أبو الرب، مجلة جامعة الخليل، المجلد ١٠، العدد ١، ٢٠١٥م.

البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، إبراهيم محمود علان، منشورات دار الثقافة، الشارقة، ط١، ٢٠٠٢م.

البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميّداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

البناء النفسي في الإنسان، حمدي الفرماوي، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٦م.
بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، محمد الخليل، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠١م.

بنية اللغة الشعرية، "جان كوهن"، ترجمة: محمد المولى ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١.

البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال، بيروت.

تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، محمد العمري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢.

التصريف في النظم القرآني دراسة بلاغية تأصيلية لمصطلح التصريف، سمير يوسف عليوه، مجلة جامعة حلوان العدد ٢١، سنة ٢٠٠٧م.

تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف، دراسة تحليلية في التركيب والدلالة، حسن عبد الهادي الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٥ م.

التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، موسى ربابعة، بحث مقدم لمؤتمر النقد الأدبي الثاني، جامعة اليرموك، إريد، ١٩٨٨م.

قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، موسى
ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان،
ط١، ٢٠١٠م.

القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية
والبنية الإيقاعية، محمد صابر عيد،
منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق،
١٩٩٢م.

قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار
الملايين، بيروت، ط٥، ص: ٢٦٣. بنية
القصيدة في شعر عز الدين المناصرة،
فيصل صالح القصيري، دار مجدلاوي للنشر
والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م.

كتاب سيبويه، سيبويه، أبي بشر عمرو بن
عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون،
مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد
بن مكرم، دار صادر للطباعة والنشر،
د.ت، ٢٠٠٣م.

مجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٣ إصدار من
ذي القعدة، ١٤٠٨-١٤٠٩ هـ المملكة
العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث
والافتاء.

المخصص لابن سيده، أبو الحسن علي بن
إسماعيل بن سيدة، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

المدخل الى علم الجمال هيجل "ترجمة جورج
طرابيش، ط. الاولى، دار الطليعة، بيروت
١٩٧٨م.

معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى
الرماني النحوي، تحقيق وتقديم: عبد الفتاح
إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، المملكة
العربية السعودية، ط٢، ١٩٨١م.

الديوان، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة
الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،
ط١، ١٩٧٩م.

سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، جمعة سيد
يوسف، سلسلة عالم المعرفة،
يناير، ١٩٩٠م، العدد ١٤ الكويت.

سيموطيقا الشعر: دلالة القصيدة من كتاب
مدخل إلى السيموطيقا، ميكائيل ريفاتير، ت
فريال جبوري غزول، دار إلياس العصرية،
القاهرة، ١٩٨٦.

شعراء النصرانية قبل الإسلام، الأب لويس
شيخو، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م.
عدة الأدوات الحجاجية من كتاب الحجاج أطره
ومنطلقاته، ليونيل بلنجر، ت: قوتال
فضيلة، ج٢، عالم الكتب الحديث،
عمان، ٢٠١٠.

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،
صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة
والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.

علم النص بين النظرية والتطبيق، عزة شبل
محمد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

علم النفس اللغوي، نوال عطية، المكتبة
الأكاديمية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.

العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عزالدين
ناجح، دار علاء الدين، تونس، ٢٠١١.

الفروق اللغوية، العسكري، الحسن عبد الله بن
سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، دار
العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف،
دار المعارف، مصر، ط١.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط٥، ١٩٨٦م.

المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق: علاء الغازي، طبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط١، ١٩٨٠م.

النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، روز غريب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

معترك الأقرآن في إعجاز القرآن، السيوطي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

معجم المصطلحات الأدبية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م.

معجم المصطلحات الأدبية، مجدي وهبه كامل المهندس، مكتبة لبنان.

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٩٨٣م.

المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم وآخرون، مكتبة الشروق العالمية، ط٤، ١٤٢٥هـ.

Repetition in Ibn Abdrabuh's poetry Technical study

saleem said alsulami

University of Tabuk

Abstract The variety of repetition in Ibn Abdrabuh's poetry has useful and great influence in showing his poetic creativity. The poet tries to avoid ornate style and decorative linguistic devices, and this makes him seem inherent rather than adventitious poet. This characteristic is very clear through discussing the style of repetition in his elegies, eulogies, or his other poems. In fact, studies were written about repetition in Ibn Abdrabuh's poetry are a lot, but they are not organized. As a result, the researcher use his experience to explore how brilliant was Ibn Abdrabuh when he uses repetition in his various poems.

علاقة السياسة اللغوية في التعليم بحقوق الإنسان مشروع " أوروبا الغنية بلغاتها توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوروبا " - (نموذجاً)

د. ظافر بن علي عبدالله الشهري

أستاذ مساعد

معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها - جامعة الملك عبدالعزيز

مستخلص. تأتي أهمية هذا البحث من الموضوع الحيوي الذي تناقشه عن السياسات اللغوية وأثرها في عملية التعليم حيث إن السياسات اللغوية هي الموجه لكل عملية تعليمية في بلد ما، والتوجه الذي تبني عليه مناهج التعليم في ذلك البلد، والأساس الذي يفصح عن توجهات الدول ورغبات الحكومات التي تسعى إلى تنشئة شعوبها على المعارف والمهارات والقيم التي تؤمن بها. والسياسة اللغوية هي سياسة مجتمع ما تمثل مجموع المواقف الرسمية والقرارات العامة، التي تنعكس في التخطيط لهذه السياسة وتنفيذها داخل الجماعة لتوجيه التطور في لغتها. ويشترط في هذا التخطيط مراعاة حقوق المجتمع اللغوي داخل البيئة الواحدة.

إن هدف السياسة اللغوية هدف تنموي مستقبلي، يعمل في اللغات الحية الوطنية والقومية لجعلها وافية بمتطلبات الحياة المعاصرة وذات سيادة في مجالات الإدارة والقانون والتعليم والثقافة. كما جاء في التقديم لـ (مشروع أوروبا الغنية بلغاتها) الذي لم تلفت إليه الدراسات العربية وتأخذ من هذه التجربة الأوروبية الجديرة بالاحترام، وأتمنى من خلال هذا المبحث أن أكون قد أضفت نموذجاً يحتذى به لسياسة لغوية موحدة للوطن العربي تحقق الأمن للعربية فهي تحتاجه كحاجتها إلى الأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن الغذائي، وقد توافرت الوسائل التي لو أحسن استعمالها بوعي وحرص على مستقبل الأمة العربية لأمكننا أن نحصل على النتائج المرجوة من خلال تقدير الأحداث ونتائجها.

المقدمة

لغات العالم، وتعتبر اللغة، إلى جانب عوامل أخرى

كالدين والثقافة والتاريخ التي تميز مجتمعات عرقياً عن

المجتمعات الأخرى. وقد تكون اللغة وحدها هي ما

اللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعية

محكومة بتأثيرات التغيير والتطور الذي تعيشه كل

وضرورة جعل التعليم الفني والمهني متاحاً بشكل عام، وأن يكون التعليم العالمي متاحاً على قدم المساواة أمام الجميع، وعلى أساس من الجدارة والاستحقاق، وفي جميع الأحوال يتعين توجيه التعليم نحو تنمية الشخصية الإنسانية تنمية كاملة.

أصبحت هذه التأثيرات محكومة من قبل الحكومات العربية، وعدم التدخل من الجهات الرسمية بشكل مؤسسي أدى إلى ضعف الفصحى وانتشار اللهجات، في المقابل نرى الدول الأوروبية منذ وقت مبكر تسعى للتأثير في الوظيفة اللغوية والمكانة المجتمعية وجعلت لذلك مؤسسات، ولم يكن هناك سياسة فاعلة للدول العربية في مواجهة الواقع اللغوي الذي يعاني من صعوبة الحفاظ على التنوع اللغوي والثقافي في داخل البلد الواحد وألا نجعل التنوع وسيلة للتفرق والنزاع بل أداة للتناغم والاستفادة كما هو الحال في (مشروع أوروبا الغنية بلغاتها). فالنظام الأوروبي لحقوق الإنسان يعد من أكثر الأنظمة الإقليمية تطوراً في مجال حماية حقوق الإنسان وحياته الأساسية بفضل الاتفاقية الأوروبية وملاحقها وآلياتها... وفي هذه الدراسة سنحاول البحث عن علاقة السياسة اللغوية بحقوق الإنسان، والتي مازالت تخطو خطوات بطيئة خاصة في البلدان العربية حيث ترجع فكرة وضع ميثاق عربي لحقوق الإنسان إلى سنة ١٩٦٩م غير أن هذه الفكرة لم تخرج إلى الوجود إلا بعد ٢٥ سنة عندما اعتمد

يميز عرقاً عن غيره، كما يمكن أن تتضافر إليها عوامل أخرى مجتمعة. وقد نالت قضية السياسة اللغوية والإبقاء اللغوي أهمية لغوية اجتماعية وسياسية بالدرجة الأولى، وقدراً كبيراً من الاهتمام الدولي في الأمم المتحدة، ففي تقرير حول التقدم الإنساني في عام ٢٠٠٤م^١ تضمنت غير صريح مفاده أن حق الإنسان في الحفاظ على لغته الأم وفي حريته الثقافية مرهون بالقوة السياسية، وهذه القوة تُعد أكثر تأثيراً على أحوال اللغة التي تُستعمل بشكل رسمي من أحوال أخرى تتضمن استحداث أفراد اللغة المهمشة أو المرفوضة إلى السعي على إبقاء دون تفعيل واقعي لها في الأوساط الاجتماعية والإعلامية والمهنية.

كان لصدور قرار مجلس جامعة الدول العربية بتاريخ ٣ سبتمبر ١٩٦٨م^٢ أثر في إنشاء لجنة إقليمية عربية دائمة لحقوق الإنسان، تختص (بالعمل على حماية حقوق الإنسان العربي، وتنمية وغرس الوعي بحقوق الإنسان لدى الشعب العربي) ولهذا القرار أهمية قصوى في تكريس الاهتمام بحقوق الإنسان العربي، ولا سيما حقه في التعليم. وقد فصلت هذا الحقوق في مبادئ أساسية، ومنها: أن يكون التعليم مجانياً على الأقل في مراحله الأولية والأساسية، وأن يكون التعليم الأولي إجبارياً،

^١ - انظر إلى التقرير من خلال هذا الرابط:

<http://hdr.undp.org/reports/global/2004>

^٢ - النظام العربي لحماية حقوق الإنسان وآلياته. ورنقي زهرة، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في العلوم القانونية، جامعة عمار ثلجي، كلية الحقوق والعلوم الاجتماعية قسم الحقوق، الاغواط ٢٠٠٥. ص ٧١.

مجلس جامعة الدول العربية مشروعاً للميثاق في
سبتمبر ١٩٩٤م.^١

• أسئلة الدراسة:

يهدف البحث الحالي للإجابة عن السؤال الرئيس:

- ما علاقة السياسة اللغوية في التعليم بحقوق الإنسان؟
وكيف نجحت أوروبا في ذلك؟.

ويتفرع عن السؤال الرئيس سؤالان فرعيان آخران:

١. هل تحقق مفهوم السياسة اللغوية والتخطيط في مشروع
أوروبا وهل كان سبباً في نجاحها كاتحاد أوروبي؟

٢. هل من المناسب أن يحتني الوطن العربي السياسة اللغوية
لأوروبا للنهوض بلغته وهويته؟

• أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة في هذا البحث للكشف عما يلي:

١- معرفة مفهوم السياسة اللغوية وخصائصها من خلال
المشروع.

٢- دراسة مشروع أوروبا وبيان المنهجية العلمية المستخدمة في
المشروع وأدواتها.

٣- دراسة حقوق الجماعات في التعليم من خلال المشروع
وذلك في أثناء رسم السياسة اللغوية للمشروع.

٤- التعرف على السياسة اللغوية في البلدان العربية والبلدان
الأجنبية.

٥- التعرف على نتائج المشروع وكيفية الإفادة لرسم سياسة
لغوية للبلدان العربية

• صلة المشروع بعنوان الدراسة:

حمل المشروع عنواناً هو: (أوروبا الغنية بلغاتها،
توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية
في أوروبا).

فينقسم عنوان المشروع أيضاً إلى أقسام ثلاثة، هي:

- اللغات الأوروبية.

- التوجهات السياسية والممارسات.

- الوصول إلى التعددية اللغوية.

جاء هذا العنوان من حيث المضمون مناسباً
لمضمون المشروع رغم أن للترجمة أثر كبير للوصول إلى
المعنى الدقيق للعنوان إلا أن هذا التحليل جاء للعنوان
المترجم.

وينقسم المشروع إلى أجزاء ثلاثة، هي:

- نحو المؤشرات الأوروبية للسياسات والممارسات
المتعلقة باللغات.

- تحليل مقارن لنتائج دراسة أوروبا الغنية بلغاتها بين
الدول المشاركة في البحث.

- لمحة عن البلدان والمناطق.

من هنا نجد أن هذه المشروع قد يساعد واضعي السياسة
اللغوية في البلدان العربية والممارسين في إيجاد علاقة
واضحة بين رسم السياسة اللغوية واستمرار التبادل الثقافي
مع الاحتفاظ بحقوق الإنسان وهويته.

• مخطط البحث:

سوف يكون التركيز في هذه الدراسة للمشروع الأوربي على
الأبواب التالية:

أولاً: تعريف السياسة اللغوية.

١- دور المنظمات غير الحكومية في ضمان حقوق الإنسان (دراسة
تطبيقية). الأستاذ / ده شتي صديق محمد. ط ١، المركز القومي
للإصدارات القانونية، القاهرة. ص ٧١

ثانياً: خصائص السياسة اللغوية.

ثالثاً: مشروع (أوروبا الغنية بلغاتها توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوروبا).

رابعاً: حقوق الإنسان والتعليم في مشروع أوروبا.

أولاً: تعريف السياسة اللغوية

السياسة في اللغة: مصدر ساس يسوس سياسة، فيقال: ساس الدابة أو الفرس: إذا قام على أمرها من العلف والسقي والترويض والتنظيف وغير ذلك. وأحسب أن هذا المعنى هو الأصل الذي أخذ منه سياسة البشر. فكأن الإنسان بعد أن تدرس في سياسة الدواب، ارتقى إلى سياسة الناس، وقيادتهم في تدبير أمورهم. ولذا قال الزبيدي: ومن المجاز سُسْتُ الرعية سياسةً أي: أمرتهم ونهيتهم. وساس الأمر سياسة قام به. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه.^١

وأما في الاصطلاح فهناك العديد من المفاهيم للسياسات اللغوية، أستعرض أهمها باختصار، فمنها النظري مثل التعريف الذي يقول: (هي عبارة عن المبادئ التي تقوم عليها عملية التعليم في إطاره العام وفلسفته وأهدافه ونظمه التطبيقية والعملية. والإجراءات المخططة حسب النظام وطبق هيكله ومبادئه الخاصة، وهو الخيار المفضل لدى مجتمع ما، النابع

من قيم وضوابط وخلفيات دينية أو ثقافية أو علمية أو طموحات خاصة).^٢

ومن التعريفات المشهورة التي دائماً ما يُستفتح بها غالباً في المؤلفات التي تتحدث عن السياسة اللغوية، تعريف (جيمس إجين)، إذ يقول: "المواقف الرسمية التي تتخذها الحكومات تجاه استعمال اللغة ورعايتها، سواءً كانت هذه المواقف مدعومة بالفعل كإقرار القوانين أو تمويل البرامج أو كانت مدعومة بالخطب والقرارات المنمقة على الورق".^٣ ونجد أن هذا التعريف يمثل الجانب التطبيقي لتعريف السياسة اللغوية.

ونجد في تعريف آخر أن السياسة اللغوية هي: "التدابير التي يتخذها بلدٌ من البلدان إزاء لغته، وتخضع السياسة اللغوية لبلدٍ ما للتخطيط أو الخطط المرسومة من قبل فَعَالِيَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ من أبناء هذا البلد ومن الناطقين بهذه اللغة المخططة لها".^٤

ونجد من خلال التعريفات السابقة أنه ليس من الضروري أن تكون السياسة اللغوية منصوفاً عليها في القانون حتى تعد سياسة لغوية بل يكفي العرف المتداول في دولة ما لتحديد نوع السياسة المتبعة. فالسياسة اللغوية هي عبارة عن نوع التعامل الرسمي لأجهزة الدولة مع اللغة أو اللغات المستعملة داخل كيان سياسي معين وهو الدولة. فمثلاً اعتبار العربية لغة

٢- السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها. جيمس و توليفسون. ترجمة: الخطابي محمد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٧ م. ص ٥٩.

٣- المرجع السابق، ص ٦٠.

٤- التخطيط اللغوي للعربية. أمل الراشد، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود ٢٠١٠م، المكتبة المركزية. ص ٣٢.

١- انظر: مادة (سوس): تاج العروس من جواهر القاموس. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، دار الفكر، ط١، لبنان ١٤١٤هـ -المجلد الرابع ص ١٦٩.

التخطيط اللغوي يفترض وجود سياسة لغوية فإن العكس ليس صحيحاً".^٣ وعليه فالسياسة اللغوية من خلال هذا التعريف هو قرار لجملة من الخيارات قد تكون قابلة للتطبيق وقد تصعب أو يستحيل تطبيقها، فجملة الخيارات تُتخذ بصورة واعية وتركز على الحالة الاجتماعية مما جعل هذا التعريف يسوق السياسة اللغوية إلى جانب الدراسات اللسانية الاجتماعية.

ثانياً: خصائص السياسة اللغوية

نذكر في البحث جانباً من خصائص السياسة اللغوية وفقاً للتعريفات السابقة والتي وإن تفاوتت بين الطول والقصر إلا أنها لا تختلف في المضمون، ومن تلك الخصائص:^٤

- عملية التوجيه الأدائي: وتعني التركيز على ضبط الأسس الثابتة الواضحة، وتوجيه العاملين في اتخاذ القرارات المناسبة حسب المواقف والمشكلات، لتحقيق الأهداف المرجوة.
- حماية الثوابت في ضبط التطورات والمستجدات: وتعني بالحرص على ثوابتها لكونها تعد جزءاً لا يتجزأ عن مجتمعها، مع التكيف والتوافق بما يتطلبه الوقت والبيئة المستجدة في التنمية وفق الظروف المتغيرة والمتجددة.

رسمية في الجزائر أو العراق مع عدم منح اللغتين الأمازيغية والكردية المرتبة نفسها يدخل في إطار السياسة اللغوية، كما أن اعتماد الملاوية من قبل الحكومة الماليزية لغة رسمية للبلاد مع السماح للمكونات اللغوية الأخرى باستعمال لغاتها في مدارسها الخاصة يعد من قبيل السياسة اللغوية. واعتماد كوريا الجنوبية للغة العربية لغة ثانية في بعض جامعاتها^١ يعد سياسة لغوية تنتهجها الدولة كما شاهدنا مؤخراً في بعض وسائل الإعلام.

والعلاقات بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي علاقات تبعية، وذلك ما أكدته عالم اللغة (فيشمان) إذ يرى أن: " التخطيط اللغوي هو تطبيق سياسة لغوية ما... لا يعبأ كثيرون بمسألة السلطة الموجودة وراء أصحاب القرار، إن التخطيط بالنسبة إليهم أكبر أهمية من السياسة "^٢. وقد استُخدم مفهوم التخطيط ومصطلح السياسة اللغوية بصورة مبهمة، ولكن القول الفصل حول التفريق بينهما هو ما ذكره (لويس جان كالفي)، من: "أن السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن، ونعتبر أن التخطيط اللغوي هو البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ، لئن كان مفهوم

٣- حرب اللغات والسياسات اللغوية لويس جان كالفي، ترجمة د حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٨م. ص ٢٢١-٢٢٢
٤- التخطيط اللغوي للعربية. أمل الراشد (مرجع سابق) ص ٥٤.

١ انظر موقع شوف كوريا على الشابكة:
http://www.shofkorea.com/2017/03/blog-post_29.html
٢- السياسات اللغوية. لويس جان كالفي. ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ. ص ١٠، ١٢.

الوقت الذي أصبح العالم كله بلغاته كالفريّة الصغيرة، فحينما تهيم اللغات القويّة اقتصاديًّا على اللغات الأخرى، سوف تندثر تلك اللغات الضعيفة ليس بسبب نظام اللغة بل بسبب غياب التطور اللغوي والاقتصادي مجتمعين وعدم تبني سياسة لغوية محكمة تضمن لها البقاء والمنافسة بين لغات العالم.

• السياسة اللغوية في البلدان الأجنبية.

اطلع الباحث على مشروع (أوروبا الغنية بلغاتها توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوروبا) من مشاريع المجلس الثقافي البريطاني، يقول مشرف المشروع بأن الهدف من وراء هذا المشروع هو: "خلق تعاون بين واضعي السياسات اللغوية والممارسين في أوروبا من أجل تطوير سياسات وممارسات جيدة فيما يتعلق بالتعدد اللغوي. وسوف تضمن هذه السياسات استمرار تعزيز مكانة اللغات واستمرار التبادل الثقافي، والتشجيع عليهما في المدرسة والجامعة، و في المجتمع ككل. وفي تصوري أن هذا ضروري من أجل إتاحة الفرصة أمام الأوروبيين بمختلف أعمارهم لتطوير نظرة عالمية أوسع، ولكي تتجح أوروبا في معاملاتها التجارية مع القوى الاقتصادية الناشئة في القرن الواحد والعشرين".^١

وتطرق المشروع للغات في المرحلة الابتدائية وما بعدها ثم التعليم العالي ورسم السياسة الأوروبية لها.

- القابلية للضبط والتسجيل والتطبيق: وتعني التميز بوضوح لمفاهيمها المسجلة في صورة مكتوبة، وذلك لضمان الالتزام بها ومراجعتها وإضافة إليها حسب الواقع العملي.

- التكاملية العملية والواقعية: وتعني وجود تكامل داخلي وخارجي معاً، فهي تتكامل مع السياسات الأخرى داخل الدولة، نتيجة لتكامل الأهداف التنظيرية بالأنشطة المبرمجة والممارسات العملية.

• السياسة اللغوية في البلدان العربية.

بعد قراءتي لبعض خطط السياسات اللغوية في الوطن العربي يمكن القول بأن العرب في مرحلتنا المعاصرة ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين، لم يحقّقوا الوحدة في المجال السياسي والاقتصادي لتكوين قوة في هذا العالم فينبغي لهم - في الأقل - أن يجدوا في الحفاظ على وحدة لسانهم بلغتهم الفصيحة، فمن القرن الماضي والمخططات تتوالى لاحتلال أوطاننا ثم احتلال رؤوسنا وقلوبنا، وجعلنا أسواقاً استهلاكية اقتصادياً وثقافياً وعلمياً، فنلتقى ولا نُبادر، نستهلك ولا نُنتج. نخترع أسماءً باللغة العربية لمنتجاتهم. وظلت سياسة الدول العربية تقتصر على ذكر جملة بسيطة في دساتيرها أو في قوانينها تنصّ على أنّ اللغة العربيّة هي اللغة الرسميّة للدولة، أو أنّها لغة التعليم في جميع مراحلها. لكنها من وجهة نظري بقيت شعارات كمثيالاتها من الشعارات، ترضي المواطنين ولا تثير في نفوسهم تساؤلات حول العمل بها وتحديد محتواها وكيفية تحقيقه. والحاجة لها أصبحت أكبر ولاسيما في هذا

١- يوجد المشروع على الشبكة من ٢٦٦ صفحة ملف pdf، تاريخ الاستطلاع ٢٠١٨/١٢/٠١ م الساعة ٢٠:٣٠ GMT من خلال الرابط: https://englishagenda.britishcouncil.org/sites/default/files/attachments/lre_arabic_final_web_.pdf

- الجزء الأول: نحو مؤشرات أوروبية للسياسات والممارسات اللغوية.
- الجزء الثاني: مقارنة وتحليل لنتائج أوروبا الغنية بلغاتها بين الدول المشاركة في البحث.
- الجزء الثالث: صورة عن البلدان والمناطق.

قدم (مارتن هوب) مدير مشروع أوروبا الغنية بلغاتها للمشروع، وذكر في مقدمته نبذة عن المجلس الثقافي البريطاني، نشأته، وأهدافه، فهو يساعد متعلمي اللغة الإنجليزية في جميع أنحاء العالم لتمكينهم من التواصل مع أشخاص من دول مختلفة. ودعم أساتذة اللغة الإنجليزية في تكوينهم المهني، إضافة إلى الكشف عن دور المجلس المتعلق بالدعم القوي لتعليم اللغات الأجنبية داخل المملكة المتحدة. ويهتم المجلس بتعليم اللغات إضافة إلى البحث في السياسات والممارسات اللغوية في ميادين أخرى، مثل الإعلام والخدمات والمجالات العامة والأعمال التجارية. ويسعى مشروع أوروبا الغنية بلغاتها بشراكة مع المفوضية الأوروبية إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- تسهيل تبادل الممارسات الجيدة فيما يخص تعزيز الحوار ما بين ثقافات الاندماج الاجتماعي عبر تدريس وتعليم اللغات.

٢- تعزيز التعاون الأوروبي فيما يتعلق برسم سياسات وممارسات لغوية في قطاعات التعليم المتعددة في المجتمع.

٣- زيادة الوعي بتوصيات المجموعة الأوروبية والمجلس الأوروبي بتعزيز تعلم اللغات والتنوع اللغوي بدول أوروبا.

وتحدث عن اللغات غير الوطنية في أوروبا ورسم السياسة لها. ثم تحدث عن لغات وسائل الإعلام السمعية البصرية والصحافة وعن لغات الخدمات والأعمال العامة ولغات الأعمال التجارية.

وقد عُقد مؤتمر خاص بهذا المشروع ودُعي فيه صاحب المشروع، وانعقد بجامعة محمد الخامس بالرباط في يومي ٢٤ و ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣م بعنوان: (التعدد اللغوي في المغرب وأوروبا من زوايا مقارنة)^١، بمناسبة تقديم الترجمة العربية من المشروع.

وهو مشروع جدير بالاحترام ومثال يحتذى إذا أرادت البلدان العربية الوصول لسياسة لغوية تحفظ الحقوق لجميع أفراد الشعب بمختلف جنسياتهم وأعراقهم ولغاتهم.

وسوف أقدم للقارئ الكريم تلخيصاً لهذا المشروع ورؤية نقدية لأهم ما اشتمل عليه هذا المشروع، وذلك على النحو التالي:

ثالثاً: مشروع (أوروبا الغنية بلغاتها توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوروبا)

سوف أتناول هذا المشروع من خلال النقاط التالية:

أولاً: ملخص عام للمشروع:

ينقسم المشروع - بعد كلمة الشكر والمقدمة ومجموعة من الاستنتاجات- إلى أجزاء ثلاثة على النحو التالي:

١ - انظر ملخص المؤتمر على الشابكة

وقد تبني هذا القرار الاتحاد الأوروبي ومنظمة اليونسكو. وقام مجلس أوروبا باستطلاع للرأي يبين موقف المواطنين في الاتحاد الأوروبي تجاه تعدد اللغات والجمع بين اللغات. وأوضحت نتيجة الاستطلاع أن الغالبية العظمى من المواطنين الأوروبيين يرون بأن لغة إضافية واحدة أمر مقدر عليه و ٥٠ % يرون تعليم لغتين ممكن أن يكون هدفاً واقعياً.

وقد تنوعت اللغات التي شملتها الدراسة في هذا المشروع، وقسمت على النحو الآتي:

- اللغات الوطنية.
- اللغات الأجنبية.
- اللغات الإقليمية أو لغات الأقليات.
- لغات المهاجرين.

وقد تم في دراسة أوروبا الغنية بلغاتها تناول سبع مجالات لغوية جاءت على النحو الآتي:

- لغات ما قبل التعليم الابتدائي.
- لغات التعليم الابتدائي.
- لغات التعليم الثانوي.
- لغات ما بعد التعليم الإجباري.
- لغات وسائط الإعلام السمعية والبصرية والصحافة.
- لغات الخدمات والقطاعات العامة.
- لغات الأعمال التجارية.

كما احتوى الجزء الأول للدراسة على جداول تبين الإحصاءات كافة التي قامت عليها الدراسة متضمنة الدول والمدن وأنواع اللغات المستخدمة.

٤- يوفر مجلس أوروبا منتدى عمومياً لتبادل الخبرات والتجارب المبنية على أساس القيم المشتركة واحترام تنوع السياقات.

- واحتوى المشروع على ثلاثة أجزاء:

• **الجزء الأول للمشروع:** نحو المؤشرات الأوروبية للسياسات والممارسات المتعلقة باللغات.

ورد في هذا الجزء أهداف مشروع أوروبا الغنية بلغاتها التي تمت الإشارة إليها سابقاً. كما يحتوي هذا الجزء على: الجهات الفاعلة في تعزيز التعدد اللغوي والجمع بين اللغات. ويميز المجلس الأوروبي بين تعدد اللغات والجمع بين اللغات؛ فتعدد اللغات يشير إلى تنوع اللغات في منطقة جغرافية ما. أما الجمع بين اللغات فيشير إلى مخزون التنوع اللغوي المستخدم الذي يشتمل على نوعية اللغة التي تعرف باللغة الأم وأي عدد من لغات أو نوعيات لغوية أخرى. وقد تبني مجلس أوروبا سياسة الاتحاد الأوروبي تجاه التعددية اللغوية التي تعتمد على:

١- ضمان حصول المواطنين على إمكانية الوصول إلى تشريعات وإجراءات ومعلومات الاتحاد الأوروبي بلغتهم الأم.

٢- إبراز دور التعدد اللغوي في الاقتصاد الأوروبي.

٣- تشجيع المواطنين كافة على تعلم وتحديث المزيد من اللغات بغية تحسين مستوى الفهم المتبادل ومستوى التواصل.

- **التركيبة ثلاثية اللغة والجمع بين اللغات.**

المقصود بـ (التركيبة ثلاثية اللغة والجمع بين اللغات): استخدام ثلاث لغات على الأقل في التعليم،

- **الجزء الثاني للمشروع:** مقارنة وتحليل لنتائج دراسة أوروبا الغنية بلغاتها بين الدول المشاركة في البحث. وردت في هذا الجزء معلومات ومقارنات بين أربع وعشرين دولة، وقد تم التركيز على السياسات اللغوية فيها والمعايير الأوروبية. واحتوى هذا الجزء على عدد من الجداول التي تعلق بمعلومات دارت حول تعدد اللغات، ودول المجلس الأوروبي. ويتمثل ما ورد بهذا الجزء فيما يأتي:
- معلومات حول اللغات الرسمية في الدول المشاركة.
- لغات التعليم في المراحل قبل الابتدائية، وهي: اللغات الوطنية، ولغات الأقليات ولغات المهاجرين.
- مقارنة بين لغات التعليم الابتدائي الأربعة: (اللغات الوطنية، واللغات الأجنبية، ولغات الأقليات، ولغات المهاجرين).
- مقارنة بين لغات التعليم الثانوي.
- لغات التعليم ما بعد الثانوي أو الإجباري التي تتمثل بالتعليم الجامعي والتعليم العالي.
- معلومات تتعلق بلغات وسائل الإعلام السمعية والبصرية والصحفية.
- معلومات مقارنة تتعلق باللغات المستعملة في الخدمات والمجالات العامة.
- معلومات تتعلق باللغات المستعملة في الأعمال التجارية في البلدان المشاركة في البحث.
- مقارنة بين المعلومات التي تم جمعها والمتعلقة بمجال الصحافة والخدمات العامة والأعمال التجارية في كل البلدان المشاركة بهذه الدراسة.

- ملخص الاستنتاجات المستمدة من الأجزاء السابقة.
 - **الجزء الثالث للمشروع:** لمحة عن البلدان والمناطق.
- يتضمن هذا الجزء معلومات عن ٢٥ دولة تنتمي للاتحاد الأوروبي ويقدم بيانات نوعية وكمية عامة عن الدول. وتقديم معلومات تفصيلية لكل الدول وتتضمن معلومات عن تعدد اللغات واللغات المستخدمة في المجالات كافة والمراحل التعليمية، إضافة إلى لمحة تاريخية عن الدولة (عدد سكانها، الأقليات المتواجدة فيها، المراحل التعليمية ... الخ) وجاء الحديث في هذا الجزء مفصلاً عن الدول التالية:

١	النمسا	٩	هنغاريا	١٧	منطقة الباسك كاتالونيا
٢	البوسنة والهرسك	١٠	إيطاليا	١٨	
٣	بلغاريا	١١	ليتوانيا	١٩	سويسرا
٤	الدنمرك	١٢	هولندا	٢٠	أوكرانيا
٥	استونيا	١٣	هولندا الكبيرة	٢١	المملكة المتحدة
٦	فرنسا	١٤	فريسلاند	٢٢	إنجلترا
٧	ألمانيا	١٥	رومانيا	٢٣	ويلز
٨	اليونان	١٦	إسبانيا (مدريد، بلنسية، إشبيلية)	٢٤	اسكتلندا
				٢٥	إيرلندا الشمالية

وتناولت الجداول التي وردت في هذا الجزء معلومات فيها وصف للمناطق واللغات المتواجدة فيها، ووردت تفصيلات عن كل نوع من هذه اللغات، وتدور حول النقاط التالية:

- المجموعات المستهدفة.
- مدة تعليم اللغة.
- الحد الأدنى من التلاميذ لتكوين فصل دراسي.
- عدد أيام الأسبوع التي تعلّم فيها اللغة.
- توفير تدريبات لغوية خلال مزولة العمل وقبل الالتحاق به.
- مصادر التمويل.

المتابعة الإثنوغرافية^١ (علم الأعراق) أو منهجية الكلام. وهي منهجية شائعة تبحث في كيفية تفاعل الناس مع بعضهم البعض في اللغة التي يستخدمونها. ويحاول الإثنوغرافيون (علماء الأعراق) فهم كيفية استفادة الناس من الموارد اللغوية المتوفرة لديهم في التفاعل مع الآخرين، ورغم ذلك فإن الاعتماد الأكبر في المشروع كان على منهجية جمع بيانات استقصائية عن السياسات والممارسات العامة في مجالات لغوية مختلفة وفي سياقات وطنية أو إقليمية معينة في كل أنحاء أوروبا وتم إعداد استبانة الدراسة من خلال دراسة الوثائق الرئيسية بالاتحاد الأوروبي ومجلس أوروبا المتعلقة بالسياسات والممارسات المعنية باللغات ثم استخلاص النتائج.

ونلاحظ أنه تم وضع شروط للاستبيانات بما يضمن الوصول للنتائج المطلوبة. وتمت صياغة الاستبيانات على نحو يوفر الصلاحية الداخلية والصلاحية الخارجية وإمكانية المقارنة عبر الدول بما يتناسب مع تنوع اللغات.

وفي النهاية، المجالات التي تناولتها هذه الدراسة لا يمكن أن تسير بالمنهجية نفسها. فقد تبنى البحث منهجيات متعددة متكاملة يكمل بعضها البعض، للوصول إلى نتائج علمية صحيحة. وبما أن من قام بهذا المشروع مجموعة من المتخصصين والباحثين فلا بد من وجود اختلاف في منهجيات البحث والأساليب المتبعة للوصول إلى النتائج والحقائق. فمن الواضح على المشروع طغيان المنهج

وبعد كل دراسة تحليلية إحصائية للدولة يتم التوصل إلى استنتاجات رئيسة تتلخص بالحديث عن اللغات المستخدمة بأنواعها والأقليات المتواجدة، وأنظمة التربية والتعليم، واللغات الأجنبية ومجالات استخدامها، والمهارات اللغوية المتوفرة لدى الموظفين والدعم المادي والقانوني للمحافظة على اللغات، والتحدث عن السكان المهاجرين وقضايا اللغة المتعلقة بهم، وأنظمة التعليم الجامعي والتعاون بين الحكومة والدولة والحكومات الأخرى من جهة، والحكومة والمجتمع المدني من جهة أخرى فيما يتعلق بالتعليم والثقافة وزيادة الوعي بأهمية تعدد اللغات.

ثانياً: **المنهجية العلمية المستخدمة في المشروع، وأدواتها.**

اعتمدت دراسة المشروع على عدد من المناهج البحثية، فقد اعتمدت على المنهجية المبنية على علم اللغة الاجتماعي الجزئي الذي يعنى بالنطق والقواعد، وعلم اللغة الاجتماعي الكلي المعني بالتخطيط واجتماعيات اللغة، واقتصر المشروع على دراسة لحالات معينة بعدد قليل من مقدمي المعلومات، فنجد الباحثين غالباً ما يختارون منهجية

١- الإثنية هي مجموعة بشرية لها خصائص مميزة تحددها الثقافة المشتركة والهوية، وهي تربط أعضائها مع بعضهم بعضاً، عادة على أسس مشتركة. ولها اعتراف الآخرين كمجموعة متميزة لها أسس مشتركة ثقافية ولغوية ودينية، أو سمات سلوكية أو بيولوجية. انظر: فيليب ط. أبي فاضل، قاموس المصطلحات القانونية (فرنسي عربي)، مكتبة لبنان ناشرون، ط١ لبنان، ٢٠٠٤م. ص ٢٥٠

الإحصائي على باقي المناهج المستخدمة. فالدراسة استوعبت عددًا كبيراً من الإحصاءات التي تم تفرغها بجدول إحصائية بعد تفرغ الاستبيانات فيها. كما نلاحظ في المشروع أنه لم تذكر هوامش التوثيق بشكل واضح وقد أكتفي بوضع مجموعة من المراجع في نهاية كل جزء من أجزاء المشروع.

ثالثاً: أبرز الدراسات التي استند عليها المشروع.

نلاحظ أن المشروع تم تقسيمه إلى أجزاء متعددة وكل جزء يحتوي عدداً من الأقسام، وتم ذكر الدراسات التي اعتمدت عليها تلك الأجزاء والأقسام في نهاية كل جزء أو قسم؛ وتحتوي مراجع باللغات الأوربية في علم اللغة الاجتماعي والإحصاء. فالمشروع عبارة عن مجموعة بحوث قام بها باحثون كثر ومختلفون من أرجاء أوروبا. وأهم المراجع التي لا تخلو منها مباحث المشروع هو الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات، فقد تم الاعتماد عليه في جميع أجزاء هذا المشروع.

رابعاً: رؤية نقدية للمشروع من وجهة نظر الباحث

• الإيجابيات:

- يعد هذا المشروع من المشاريع المتخصصة لعلم اللغة الاجتماعي المتضمنة السياسات اللغوية لهذه البلدان.
- هذا الجهد يعد من أفضل الدراسات التي تناولت موضوع السياسة اللغوية بطريقة منظمة وشاملة.
- نجد أن اتساع الرقعة الجغرافية للمشروع زاد من أهميته لدى العديد من الدول.
- اشتراك عدد كبير من الباحثين أعطى المشروع عمقاً وقوة وفائدة علمية كبيرة تشاركت فيها الخبرات.
- احتوى الكتاب على معلومات يمكن الاستفادة منها في المستقبل لرسم تخطيط لغوي شامل في أوروبا.

• السلبيات:

- معظم السلبيات التي سيتم ذكرها تتعلق بالترجمة.
- كثرة الأخطاء الإملائية.
- كثرة الأخطاء اللغوية.
- استخدام لغة ركيكة إلى حد ما في بعض المواضع.
- اختلاف ترجمة بعض الجمل من موضع لآخر، أي ترجمة الجملة الواحدة بترجمتين مختلفتين. ومثال ذلك عناوين أجزاء الكتاب وردت في الملخص بجمل تختلف عما وردت به في بداية الأجزاء.
- وجود خطأ في بعض المواضع التي تبين نتائج الإحصائيات التي قام بها المجلس وهذا الخطأ يعود إلى خطأ بالتعبير أو بالترجمة. ومثال ذلك ما ورد في صفحة ١٩ (أصل المشروع) حيث ورد: أن الغالبية العظمى من المواطنين الأوروبيين يرون بأن لغة إضافية واحدة أمر مقدور عليه، و ٥٠% فقط يرون بأن لغتين هو هدف واقعي. والخطأ واضح بين الغالبية العظمى ونسبة ٥٠%.
- عدم توحيد المصطلحات المستخدمة مثل: معلومات وبيانات ومعطيات أو التفريق بينها.
- عدم التقيد بذكر التوثيق في هوامش المشروع أو الإشارة إليها.

خامساً: نتائج المشروع.

- جاءت نتائج المشروع كثيرة واسعة وشاملة، وسأحاول تلخيصها في جداول لتسهيلها ووضعها بقوالب واضحة:

عدد الدول	شروط المتعلمين	مصادر التمويل	عدد اللغات ونوعها	المعلمين	ملاحظات
كل البلدان والمناطق باستثناء (ويلز) توفر لغات أجنبية في هذه المرحلة. وكلها باستثناء الدنمرك وإستونيا توفر لغات إقليمية أو أقلية، و ٥ بلدان توفر لغات المهاجرين .	يتم تدريس اللغات ابتداء من السنة الأولى من التعليم الابتدائي في ١٢ دولة، و ٧ دول في المرحلة النهائية .	٩ بلدان فقط توفر دعم للنقل	يُنص الاتحاد الأوروبي ومجلس أوروبا على أنه يجب على الأطفال الأوروبيين تعلم لغتين إضافية للغة الوطنية واللغات الأشهر تعلمها هي الفرنسية والإنجليزية والألمانية.	يتم توفير أساتذة مؤهلين وتتخذ تدابير لزيادة عدد المدرسين	٧ دول أقرت استمالة الإطار الأوروبي للمرجعي اللغات.

عدد الدول	ملاحظات
توفر جميع الدول/المناطق تقريبا تنظيم استعمال اللغات الوطنية والإقليمية. ويوفر ١٤ بلدا/ منطقة قوانين للغات الأجنبية. وتوفر جميع الدول تقريبا وثائق رسمية حول السياسات الموضوعة من أجل تعزيز اللغات الوطنية واللغات الأجنبية. وهناك تباين بين البلدان الأوروبية فيما يتعلق بتوفر قواعد البيانات الرسمية وآليات جمع البيانات.	تمت المصادقة على الميثاق الأوروبي للغات الإقليمية من قبل البرلمان في ١١ بلد من ١٨ بلدا شملها المسح. توفر بلدان جنوب شرق أوروبا ووسط أوروبا أكثر عدد من اللغات الإقليمية. وتستعمل معظم الدول آليات لجمع البيانات حول اللغات الوطنية واللغات الإقليمية ولغات المهاجرين

٢- لغات ما قبل التعليم الابتدائي.

عدد الدول	شروط المتعلمين	مصادر التمويل	عدد اللغات ونوعها	ملاحظات
١٤ دولة أو منطقة تؤكد دعمها للغة الوطنية لجميع الأطفال.	بعض المناطق أو البلدان تضع شروطا للحد الأدنى من الطلاب.	التمويل من الدولة للغات الإقليمية أو أقلية.	٩ بلدان توفر لغات أجنبية في هذا المستوى. واللغات الأكثر تعلمها هي الإنجليزية والفرنسية والألمانية. أما لغات المهاجرين فهي نادرة جدا في هذا المستوى.	تتفرد أسبانيا بكونها البلد الوحيد الذي يوفر تعليم كل اللغات للأطفال.

٤- لغات التعليم الثانوي.

عدد الدول	مصادر التمويل	عدد اللغات	المعلمين	التدريس	ملاحظات
تدرس اللغات الأجنبية في كل الدول و ١٩ دولة توفر لغات إقليمية وعدد قليل من البلدان يوفر لغات المهاجرين .	يتم توفير دعم إضافي للقادمين الجدد لتعلم اللغة الوطنية في ٢١ دولة. والدعم للنقل أكثر تنظيما في هذه المرحلة.	الإنجليزية والألمانية والفرنسية الأكثر تعلمًا.	وضع شروطا للأساتذة لتحقيق مستوى معين في اللغات، وثمة نقص بالمدرسين لذا يتم توفير أساتذة مؤهلين وتتخذ تدابير لزيادة عدد المدرسين	١٧ بلد يقوم برصد التدريس للمهارات اللغوية عن طريق الاختبارات.	١٣ دول أقرت استمالة الإطار الأوروبي للمرجعي اللغات.

٣- لغات التعليم الابتدائي.

٧- لغات الأعمال التجارية.	
ملاحظات	عدد الشركات
تم جمع البيانات عن طريق تطوير استبيانات للكشف عن استراتيجيات الشركات في مجال اللغات داخل الشركات وخارجها. وبلغ عدد الشركات ٤٨٤ تمثل المصارف والفنادق وشركات البناء والأسواق. ربع الشركات تدعم تنقل الموظفين من أجل تعلم اللغات.	ربع الشركات لديها استراتيجيات لغوية عامة. و ٧٠% من الشركات لا تقوم بتسجيل المهارات اللغوية لموظفيها. و ٢٧% من الشركات توفر تدريب لموظفيها باللغة الإنجليزية. و ١٤% من الشركات توفر تدريب لموظفيها باللغة الوطنية للناطقين بغيرها. و ١٢% من الشركات توفر تدريب لموظفيها بلغات أخرى. ونصف الشركات تستخدم اللغة الإنجليزية. والفرنسية والاسبانية والألمانية والإيطالية والروسية هي الأكثر استخداما.

٨- لغات الخدمات والمجالات العامة.	
ملاحظات	عدد اللغات ونوعها
تم جمع البيانات من خلال ممثلي المدينة بالاستفسار عن عدد اللغات المستعملة في الاتصالات والكتابات الشفوية في خدمات التعليم والصحة والخدمات القانونية والسياحة والبرامج الثقافية الفنية وخدمات الطوارئ. وشمل المسح ٦٣ مدينة توفر فيها ١٤٠ لغة غير اللغات الوطنية. وثلاث المدن تعزز في استراتيجياتها ممارسات تعدد اللغات. الخدمات السياحية هي الأكثر ممارسة للتعددية اللغوية، أما الأقل تعدداً للغات فهو المجال الفني المسرحي.	تحتل الإنجليزية المرتبة الأولى في خدمات الشفوية والكتابية في كل المدن. والإنجليزية هي اللغة الرسمية في المواقع الالكترونية بجانب اللغات الوطنية إضافة إلى الألمانية والفرنسية.

الجماعات في التعليم ورسم السياسة اللغوية لها، فالتعليم حق أساس من حقوق الإنسان، فهو حق للجميع وغير قابل للتصرف بصرف النظر عن الجنس أو الدين أو العرق أو الوضع الاقتصادي.

٥- لغات ما بعد التعليم الإيجاري والتعليم العالي.			
عدد المؤسسات التعليمية	مصادر التمويل	عدد اللغات ونوعها	ملاحظات
٦٢ من المؤسسات توفر لغات أجنبية، و ٢٥ مؤسسة توفر لغات إقليمية، و ككل المؤسسات توفر لغات الوطنية.	١٣ مؤسسة تتكفل بتغطية المصاريف الدراسية والجامعة تدعم النقل للطلاب.	الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية الأكثر تعلماً. وتعد اللغة الإنجليزية اللغة الثانية في كثير من المؤسسات التعليمية.	تم جمع البيانات من ٦٩ مؤسسة للتعليم والتدريب وبرامج دعم اللغات تماشى مع الإطار الأوروبي المرجعي للغات.

٦- لغات وسائل الإعلام السمعية والبصرية والصحافة.	
عدد اللغات ونوعها	ملاحظات
معظم الدول توفر برامج تلفزيونية بلغات غير اللغات الوطنية. كاتالونيا توفر برامج بلغات إقليمية ولغات المهاجرين. وهنغاريا وإيطاليا توفران برامج بأكثر من ١٠ لغات. نصف الدول تلجأ للدبلجة في البرامج. الإنجليزية الأكثر استخداماً بالصحف وتليها الألمانية والفرنسية والروسية والإيطالية.	تم استكشاف التنوع اللغوي في وسائل الإعلام السمعية والبصرية عن طريق تسجيل اللغات المستعملة لمدة أسبوع من قبل الباحثين. وتم جمع بيانات الصحافة من خلال أخذ عينات من لغات الصحف في محطات القطار. وتم اكتشاف وجود لغة الإشارة في بعض البرامج.

رابعاً: حقوق الإنسان والتعليم.

أولاً: حقوق الإنسان والتعليم في المشروع.

بعد هذه الدراسة لمشروع أوربا الغنية بلغاتها يدرك القارئ أن أهم ما قام عليه هذا المشروع هو حقوق هذه

الأخيرة أن تفرض على المواطنين اللغة التي يتحدثون بها مع أبنائهم أو يكتبون بها رسائلهم أو أشعارهم أو ينشدون به أغانيهم مقابل ذلك على الدولة أن توفر لجميع المواطنين الوسائل التي تمكنهم من تعلم اللغة أو اللغات الوطنية أو الرسمية.

- الحقوق الجماعية:

تتعلق الحقوق الجماعية بتلك التي تركز على قيمة الهوية التي يجب المحافظة عليها وتوفير سبل استمراريتها وهي تنقسم إلى قسمين:^٢

أ- **الحقوق المتعلقة بالمجموعات العرقية:** وهي حقوق طبيعية وثابتة ولا يجوز المساس بها ومثال على ذلك الحق في إكساب القيمة للغة العرقية في سائر المجالات وبكل الوسائل بما في ذلك التعليم.

ب- **الحقوق المتعلقة بالمجموعات الوطنية:** وهي حقوق وضعية ينشئها المجتمع وبالتالي يمكن أن يلحقها التغيير حسب مشيئة الدولة بالأساس، وكمثال على ذلك حق الدولة في إضفاء صفة اللغة الرسمية على إحدى اللغات أو جميع اللغات الموجودة على ترابها، وأيضاً حقها في إدماج لغة أو لغات أجنبية في البرامج الدراسية وجميع هذه الاختيارات قابلة للتغيير وليست ثابتة. وفي هذا الإطار يمكن أن نضيف أن الدول عموماً تعتبر اللغات المحلية جزءاً لا يتجزأ من تراثها الثقافي وبالتالي من حقها أن تحافظ عليها وتطورها كما أن المجموعات التي تتكلم

ويهتم حق اللغة في معناه الواسع بالمعايير التي تحكم وضع واستعمال لغة أو عدة لغات وتشير الحقوق اللغوية إلى الحقوق المعترف بها للأشخاص وللجماعات أو إلى حقوق اللغة ذاتها، بالجوانب القانونية التي تخص اللغات ففي عام ٢٠٠٦، لم يكن يرتاد ٩٣ مليون طفل المدرسة - أكثر من مجموع سكان الفلبين - ويعيش قرابة ٨٠ في المائة من هؤلاء الأطفال في أفريقيا جنوب الصحراء وجنوب آسيا.^١ وبالنسبة لعدد كبير من الأطفال، يعد الحق الأساسي من حقوق الإنسان في التعليم مجرد حلم وهمي، وفكرة لا يمكن تحقيقها.

• ما الحقوق اللغوية للإنسان؟

يتم التمييز في الحقوق اللغوية بين الحقوق الشخصية المتعلقة بالأفراد والحقوق الجماعية التي تعود إلى مجموعات إثنية، أي (عرقية) أو وطنية تعيش في ظل دولة واحدة.

- الحقوق الشخصية:

تتعلق الحقوق الشخصية في حق الإنسان في استعمال اللغة الأم في حياته الخاصة وممارساته الثقافية والدينية ونقلها إلى ذريته كما تتعلق بحق الإنسان في تعلم اللغة الرسمية للبلاد إذا كانت مخالفة للغة الأم وفي تعلم اللغة الأجنبية التي يختارها لأسباب شخصية أو مهنية، وترتكز جميع هذه الحقوق على مبدأ استقلال الإنسان وحرية دون تدخل من طرف الدولة فليس من حق هذه

١- الحقوق اللغوية. عبد الهادي بوطالب، دار الكتاب، الطبعة الأولى،

١٩٤٢٤. ص ٢٠، ١٩

٢- الحقوق اللغوية. عبد الهادي بوطالب ٢٤-٢٦ (بتصرف موجز)

مجال الحقوق اللغوية فرعاً مستقلاً بذاته ضمن التخصصات القانونية، ولذلك يقاربون هذه المادة بمفاهيم قانونية اعتادوا عليها وفي مقدمتها حقوق الأقليات التي تشكل الحقوق اللغوية قسماً منها يعلن الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية، فوجود أقلية إثنية أو دينية أو لسانية في دولة لا يجب أن يكون خاضعاً لقرار من هذه الأخيرة بل يجب إقامته على أساس مقاييس موضوعية.

إذن تمت صياغة الإعلان العالمي للحقوق اللغوية سنة ١٩٩٦م ببرشلونة وهو يكتسي شكل بروتوكول قُدم إلى مختلف حكومات الدول الأعضاء بهيئة الأمم المتحدة من خلال المؤسسات الدولية التابعة لها. ويشكل هذا الإعلان وثيقة بالغة الأهمية لأنه ملأ فراغاً كبيراً اتسمت به جميع الإعلانات السابقة لحقوق الإنسان حيث إنها لم تتطرق جميعها إلى الحقوق اللغوية التي يتم اعتبارها لأول مرة في هذا الإعلان حقوقاً من الحقوق الإنسانية الأساسية في بعدها الفردي والجماعي.

ومن خلال ما سبق نجد أن الشمولية للحقوق اللغوية والمجالات التي تطبق فيها كالإدارة والتعليم وإطلاق الأسماء على المحلات ووسائل الاتصال والتكنولوجيات الجديدة والثقافة والمجال الاجتماعي ثم الاقتصادي، تكون قد وضعت الحق السياسي اللغوي للمبادئ العامة التي تتضمن الحقوق اللغوية على المستويين الفردي والجماعي.

هذه اللغات تستشعر حقها في أن تتال من الدولة الاعتراف والدعم في إطار سياسة لغوية متجانسة.

ثانياً: أسس الاعتراف بالحقوق اللغوية في الإعلان العالمي للحقوق اللغوية سنة ١٩٩٦م.

بُذلت مجهودات خلال السنوات الأخيرة لوضع الأسس التي يركز عليها الاعتراف بالحقوق اللغوية، وهي:^١

١- الهوية: على أساس كون اللغة تشكل جزءاً من الهوية الإنسانية لأنها مكون من ضمن المكونات التي تطبع الهوية كالدين والجنس والعرق.

٢- المساواة: على أساس أن العلاقة بين لغتين مثلاً قد تكون علاقة غير قائمة على المساواة ومن ثم ضرورة العمل على تحقيق المساواة بينهما.

٣- التاريخ: على أساس كونه شاهداً على مساهمة المجموعة المعنية في بناء البلاد وكذلك اعتراف الدستور بها.

٤- البيئة: على أساس أن التعدد اللغوي الذي يدخل ضمن التعدد الثقافي يعني تراث الإنسانية ويسهم في الإبقاء على عدد كبير من الاختيارات في العيش بالنسبة للنوع الإنساني.

٥- صعوبة تحديد استقلال مجال حق اللغة: يعاني المختصون في المجال القانوني من صعوبات في جعل

وفي الواقع، تعتبر أهداف توفير التعليم للجميع في غاية الأهمية من أجل تحقيق جميع الأهداف الإنمائية والإنسانية، فكان باستطاعة التعليم في مشروع أوروبا أن يحسّن الصحة ويزيد من الاستدامة البيئية، ويساعد على القضاء على الفقر والجوع. وفي المقابل فإن تحقيق مثل هذه الأهداف سيساعد الأطفال على الاستفادة من الحصول على التعليم ذي النوعية الجيدة.

خاتمة

في النهاية أتمنى أن تكون خرجت عزيزي القارئ من قراءة هذا البحث بتصور واضح لموضوعه وتلك النتائج المرجوة والمخطط لها في (مشروع أوروبا)، فالسياسة اللغوية هي الوجه المدني المتحضر لحرب اللغات. وهذه الأخيرة ما هي إلا غطاء يخفي الحرب الثقافية والاقتصادية والسياسية التي تدار خلف الستار في الكواليس. وكان لزاماً أن نخرج ببعض المناقشات لواقع السياسة اللغوية في الوطن العربي مقارنة بتلك التي تعتمدها البلدان المتقدمة على وجه الخصوص والتي أتمنى أن يتم النظر فيها، فأهمالها يهدد الأمن اللغوي للعربية في ظل التنافس الذي نراه بين لغات العالم، وهي كالتالي:

١- إنَّ عملية صيانة اللغة وتنميتها داخل مجتمع ما، تسمى بـ "السياسة اللغوية".

٢- من خصائص الدول المتقدمة احترام السياسة اللغوية في بلدانها، في حين أنَّ الدول النامية تمتلك قوانين جيدة ولكنها لا تطبقها. ولهذا فإنَّ دستورية اللغة

العربية في الدول العربية غير معتنى بها في التعليم أو الإعلام أو الإدارة وحتى في الحياة العامة.

٣- الدين الإسلامي هو الملاذ الأخير للغة العربية الفصحى كلَّما تعرّضت لاضطهادٍ مُشينٍ أو إهمالٍ مُسيءٍ منذ أن شرفها القرآن بتوحيد لهجات الجزيرة العربية. ولكن مما يثير القلق والحزن أنَّ بعض الفقهاء اليوم يظهرون على الفضائيات والإذاعات العربية وهم يتحدثون باللهجات العامية. وهنا أتساءل ما إذا كان ذلك نتيجة عدم تفقُّهم بالعربية الفصحى؛ أم هي دعوة منهم لخلق سياسة لغوية جديدة؟

٤- يجب على الدول بمختلف مؤسساتها مع النخب العربية المثقفة أن تبذل إمكانياتها الفكرية والعلمية لخدمة قضايا التعليم مع حفظ حقوق الإنسان العربي وهذا بتيسير وتسهيل السبل لتوعية المواطنين بحقوقهم وحرّياتهم عن طريق وسائل الإعلام وتعليم حقوق الإنسان للأجيال القادمة.

٥- تتحكم العوامل اللغوية تحكماً كبيراً بالقدرة الفعلية على التمتع بالحقوق الأساسية (حق التعبير، والحق في التعليم، وحق المشاركة في الحياة الثقافية وحق الاستفادة من التقدم العلمي) وعلى ذلك تمثل السياسات اللغوية الملائمة وسيلة أساسية لضمان ممارسة هذه الحقوق عدم وضع قيود خاصة على ممارسة السياسة اللغوية وهي ما يعرف بالقوانين الاستثنائية والاحكام العرفية المطبقة في الكثير من الدول العربية، مع الالتزام الفعلي بالاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان والتي اقترتها جامعة الدول العربية كما ذكرنا سابقاً، وليس بالتصديق عليها

الأوروبية في تطبيق حقوق الإنسان في التعليم بشكل شفاف وواضح.

١١- عندما نتكلم عن الحقوق اللغوية نجد المشروع يلزم الحكومات الأوروبية بالترجمة لأي منتج يدخل لها بأن يكون مترجماً بالكامل ليس فقط في دفتر التعليمات بل في حتى جميع أجزاء الآلة، أليس هذا من حقنا اللغوي في البلاد العربية والتي ضمنته السياسة اللغوية؟

المراجع

- تاج العروس من جواهر القاموس. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، دار الفكر ط ١، لبنان ١٤١٤هـ.
- التخطيط اللغوي للعربية. أمل الراشد. رسالة ماجستير، جامع الملك سعود ٢٠١٠م.
- حرب اللغات والسياسات اللغوية، كافي، لويس جان، ترجمة: د. حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٨م
- الحقوق اللغوية. بوطالب، عبدالهادي، دار الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ .
- دور المنظمات غير الحكومية في ضمان حقوق الإنسان (دراسة تطبيقية). الأستاذ / ده شتي صديق محمد. ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة.
- السياسات اللغوية، كافي، لويس جان: ، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ .

ودمجها في القوانين الداخلية فقط بل المطلوب من الدول العربية السعي نحو تطبيقها على أرض الواقع والعمل على تعديل قوانينها الداخلية المتعارضة معها.

٦- ورأينا كيف أن المشروع حرص على جعل اللغات حاضنة للمعارف والمهارات المحلية والخاصة بالسكان الأصليين وواسطة لنقلها مما يجعل اللغات تتمتع بأهمية استراتيجية في مجال الاستدامة البيئية.

٧- على الدول العربية أن تعمل على تطوير الجهود العربية في مجال حقوق الإنسان من خلال إنفاذ الاتفاقيات الموجودة وإبرام اتفاقيات أخرى متخصصة بأنواع معينة من الحقوق.

٨- دأبت المؤسسات اللغوية المختصة، كالمجامع والمجالس اللغوية، على دعوة الحكومات العربية إلى تطبيق السياسة اللغوية في بلدانها. ولكن الحكومات العربية لا تستجيب لها على الرغم من أنها هي التي أنشأت تلك المؤسسات المختصة كبيوت خبرة، ففي نظرك أيها القارئ الكريم ما هو سبب ذلك؟

٩- لرسم السياسة اللغوية لابد من المراحل التالية: (وصف الوضعية اللغوية الاجتماعية المراد التدخل فيها. ثم تحديد أهداف هذه السياسة اللغوية. وأخيراً وضع الآليات والاستراتيجيات التي ستنفذ بها هذه السياسة اللغوية.

١٠- يعد الإعلام جزءاً من مقومات السياسة اللغوية في أي بلد في العالم. فنجد أن مشروع أوروبا يعتمد لغات وسائل الإعلام السمعية البصرية والصحافة من أجل استكشاف التنوع اللغوي، مما ساهم في نجاح الخطة

- السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها. جيمس و.توليفسون، ترجمة محمد الخطابي مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، ٢٠٠٧ م .
- قاموس المصطلحات القانونية (فرنسي عربي). فيليب ط.أبي فاضل، مكتبة لبنان ناشرون ط ١ لبنان، ٢٠٠٤م.
- النظام العربي لحماية حقوق الإنسان وآلياته، ورنيني زهرة، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في العلوم القانونية، جامعة عمار ثلجي، كلية الحقوق والعلوم الاجتماعية قسم الحقوق، الاغواط ٢٠٠٥م.
- مواقع الانترنت**
- تقرير التقدم الإنساني من الأمم المتحدة : (تاريخ الاستطلاع ٢٠١٨/١٢/٠١م)
<http://hdr.undp.org/reports/global/2004>
- مشروع (أوروبا الغنية بلغاتها توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوروبا) علي الشابكة، ٢٦٦ صفحة ملف pdf علي الرابط: (تاريخ الاستطلاع ٢٠١٨/١٢/٠١م):
https://englishagenda.britishcouncil.org/sites/default/files/attachments/lre_arabic_final_web_.pdf
- ملخص مؤتمر (التعدد اللغوي في المغرب وأوروبا من زوايا مقارنة) : (تاريخ الاستطلاع ٢٠١٨/١٢/٠١م)
<https://www.hespress.com/writers/92842.html>
- موقع شوف كوريا علي الشابكة: (تاريخ الاستطلاع ٢٠١٨/١٢/٠١م)
http://www.shofkorea.com/2017/03/blog-post_29.html

Research Title : The relationship of language policy in education to human rights The project "Europe is rich in its languages, orientations in policies and practices for multilingualism in Europe" (model

.Dhafer Ali Alshehri

(Assistant Professor) Arabic language Institute for Speakers of Other Languages/ King Abdulaziz University

Abstract: The importance of this research derived from its vital subject about linguistic policies and its impact on education process whereas linguistic policies are the guide of any educational process in any country, and the trend upon which the educational curricula are prepared in that country, also the basis that reveals countries' trends and Governments' desires in its seeking to bring up their people on the knowledge, skills and values which believe in.

Language policy is a society policy, it represents the whole official positions and public decisions, which are reflected in planning and implementation of this policy within the Community to guide developments of its language, provided that this planning should consider the rights of the linguistic community within the same environment.

The aim of the language policy is a future development goal, to make the national language meets the requirements of modern life and be effective in the fields of administration, law, education and culture, as that comes presentation of " Europe is rich with its languages project", which has not been studied sufficiently by Arab researchers to derive lessons from this respectable European experience. I hope that I have set a model for a unified language policy for the Arab Nation through this research that provides security for the Arabic language whereas it needs to it, same like as economic security, political security and food security. We have the means that, if used wisely and keenly on the future of this nation, we can achieve the desired results, to alleviate the despair that affects our young people, which we may sometimes cause as a result of considering events.

علائقية أمل النص وألم النَّاص في شعر محمد الثبتي

أ.د. عبدالرحمن بن محمد الوهابي

أستاذ النقد الحديث جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

قسم اللغة العربية وآدابها، المملكة العربية السعودية، جدة

مستخلص. تمثل الدوافع النفسية أحد المحركات الأساسية للإبداع الأدبي، وهي مجموع مؤثرات شعور فردي وجمعي أيضاً. تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة ثنائية الأمل والألم الملحوظة في بناء شعر محمد الثبتي، وأثر سياقهما العقلي والوجداني في التعبير الشعري. وتعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي في اختيار العينة، وتحليل ظاهرة الأمل والألم من منظور التحليل الوصفي والنفسي للمضمون والبناء، وعلاقات الأمل بالمضادات المزوجة له. ويبدأ البحث برؤية موجزة عن مفهوم الأمل، وعلاقته بالحلم عند الإنسان، وأثر ردود الأفعال التعبيرية المتنوعة. ويشرح البحث علاقات الأمل والألم النصية؛ في شعر الثبتي من خلال أبرز ظواهرها، وكيف أن الأمل يمثل ظاهرة ممزوجة بالألم. إضافة إلى ذلك مناقشة السمات التركيبية العامة التي تكشف عن ثنائية خطاب الأمل والألم التعبيرية المتمثلة في التصوير، والإيقاع. كلمات مفتاحية: محمد الثبتي، الشعر السعودي، النقد النفسي

أهداف البحث

• مناقشة العلاقة الدلالية بين الشعور النفسي وتركيب البناء الفني والموضوعاتي.
أسئلة البحث

• كيف برزت طبيعة العلاقة الثنائية القائمة بين الأمل والألم، في شعر محمد الثبتي؟
• ما أثر ثنائية علاقة الأمل والألم في التشكيلين الفني والثيمي؟

• دراسة ظاهرة العلاقة بين الأمل والألم في شعر محمد الثبتي.

• عرض السمات التركيبية العامة التي تكشف عن ثنائية خطاب الأمل والألم التعبيرية المتمثلة في التصوير، والإيقاع.

• ما هي أبرز السمات النصية للتقابل الثنائي بين الأمل والألم في شعر محمد الثبتي؟
تقديم ورؤية:

يلاحظ أن ظاهرتي؛ الأمل والألم ثنائية تعبيرية نفسية في شعر محمد الثبتي، الذي نشرت مجموعته الشعرية الكاملة في عام ٢٠٠٥^١ ويتشكل الأمل بوصفه حلمًا حاضراً أو مستقبلاً مستشفراً للحياة، بينما يحضر الألم وكأنه شعور وجداني حزين يتوجه للتأمل وملاحظات معانات الانكسار النفسي والعاطفي. إن مستوى التقابل بين الأمل والألم في علم النفس التحليلي يحال إلى حالة من اللجوء للتوظيف والتمثيل المجازي الذي قد يصعب فهمه، وهو فناً آلية تعبيرية عن رؤية تناقض الأشياء والنظر إلى طبيعتها^٢. وهكذا، يمكن استشراف رؤية كلية في خطاب شعر الثبتي تتضمن مؤثرات أنساق هاتين الظاهرتين (أمل النص وألم الناص) وسياقاتهما بوصفهما بعدان ثنائيان متقابلان. يتشكل الأمل بوصفه ميلاً عاطفياً يتصارع أو يتقابل مع اليأس، يقوم على الرغبة^٣، أو الأمنية التي تتلاقى مع الرؤية المعنوية، وبهذا، يكون الأمل نصياً رغبة تعبيرية للحاجة أو الرغبة تحت مؤثرات الانفعالات النفسية، فهو متنفس للواقع

يتلاقى وقيم الشعور لينعكس من خلال الصياغة الأدبية. وينهمر التعبير الفني معتمداً على استشراف هذا الإحساس النابع من اللاشعور، وتظهر الكوامن النفسية من خلال الانفعالات الفردية التي قد تتلاقى لاحقاً مع الانفعالات الجمعية المشتركة إنسانياً، فالفن حالة انفعالية للاشعور^٤. وهناك علاقة بين الحلم (الذي هو حالة منامية) ورغبات الإنسان وأمله الذي قد يعد رغبة للقيام بشيء أو تحقيقه، وهذا يتعزز من بعض النظريات النفسية التي ترى أنه "غالبا ما تظهر حاجات الفرد اللاشعورية في أحلامه وهفواته وأعراضه وانحرافات^٥". كما أن ثمة علاقة بين أحلام اليقظة والشعر، فهي ليست تماماً كالحلم بمعنى المنام، فقد تكون أقرب إلى الشعور منها إلى اللاشعور، وهي أكثر استخداماً لأساليب التفكير الشعوري والمنطق العقلاني، كما أنها أكثر إشباعاً للدوافع الشعورية^٦، وبهذا يكون الشعر مرتبطاً بالشعور واللاشعور، وهو بهذا رغبات تتأرجح ما بين الآمال الممكن تحقيقها، والآمال التي يرجى منالها.

قد يُستحضر الأمل في سياق الشعر عند الإحساس بفقدان أمر أو الشعور ببعده فيحصل الأمل، ومن ثم يترجم هذا الألق الوجداني إلى أفق نصي تسعى الحالة الشعرية لتفريغه. وربما يكون حضور هذا المفهوم عند التوجه العميق للجانب الإنساني أو

^١ محمد عواض الثبتي، ديوان محمد الثبتي: الأعمال الكاملة، نادي حائل الثقافي الأدبي، بيروت، ١٩٩٩. وقد اعتمدت الدراسة على هذه المجموعة الكاملة، علماً أن هذه المجموعة لم تلتزم بترتيب الدواوين حسب صدورها التاريخي.

^٢ كارل يونغ، علم النفس التحليلي، ترجمة وتقديم نهاد خياط، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط. ٢، اللاذقية، ص. ١٦٩.

^٣ فرج عبدالقادر طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، ص. ١١٤.

^٤ محمود البسيوني، التربية الفنية والتحليل الفني، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص. ١١٩.

^٥ فرج عبدالقادر طه، ص. ٢٩٥.

^٦ السابق، ص. ٣٠٩.

الرومنسي أو النفسي ظاهراً ظهوراً مباشراً، بحيث يفتشون عن مفاهيم للخلاص في مستويات الأمل بوصفه المُخلّص المنقذ جراء معاناة شخصية أو جمعية. وهكذا يصبح الأمل تعبيراً توظيفياً للتفريغ، أو لعرض صراع المعاناة مرة، أو لسرد مصاد للمعاناة -إن أمكن تنفيساً- مرة أخرى. وربما يعود هذا الأمر إلى عدم الرضا بواقع الحال، ومن هنا يأتي الشعر وكأنه نوع من استقلالية التفكير والقرار لإعادة الصياغة الحياتية الطبيعية الافتراضية أو الفطرية في الكتابة الإبداعية. فالأمل منظومة من السياقات الدوافعية النفسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو البيئية، أو الجندرية، وأنساق هذه المنظومة ينعكس بدوره على خلفية منطلقات رؤية المادة الشعرية، وصناعاتها الفنية والشيئية.

يعتبر محمد الشبتي من الشعراء المجيدين، حيث يحظى منتجه الشعري بظواهر شعرية مبتكرة فنياً وذات قيمة موضوعاتياً، ولم ينل هذا الشاعر التفاتاً نقدياً لفترة من الزمن رغم شهرته عند أهل الاختصاص. ويعود السبب الرئيس لمجموعة من سياقات المحظورات المرتبطة بمسيرة الأدب العربي في السعودية إبان فترة الثمانينيات الميلادية الفترة التي برز فيها شعر الشبتي. تلك المرحلة التاريخية حفلت بحركة نقدية ضمن تغير عام في المجتمع، وكان مفهوم ما سمي بالحدثة الأدبية قد أخذ مفهوماً ضيقاً في منظومة الحدثة، وكان مجمل رؤيتها حينها تتمثل في تطبيق لغة التجريب

والتجريد في الشعر خاصة، وتخلل الطرح صراعا تجاوز الخلاف يمكن وصف مرحلته بالخلل المعرفي، وحدثة التجربة الفكرية المعاصرة، مع حضور مفهوم للوصاية الاجتماعية. لقد عكست الحدثة حينها مغالطات منهجية ومعرفية، وكانت لها رؤى ومواقف متطرفة من التراث وترويج لمفاهيم غير حاضرة في مفهوم سياق الحدثة السليم، وإن كان بعض ردود تفكيرها متأثر بالمواجهة المقابلة تحت ملازمة الوصاية ومفاهيم أدلجة مواجهة لا تقل عن ما يقابلها تطرفاً ومرجعية. وكان للشاعر الشبتي نصيب كبير في هذا الوقع التصادمي الذي ليس له في واقع فنيته مجال فيها، ولكنه أقحم بوصفه مظلة للحدثة.^٧ لقد كان تشكيل شعر الشبتي مخالفاً للنمط التقليدي السائد محلياً في الشكل والأسلوب والتوظيف، وغدا تناول هذا الشاعر فيه نوع من المحاذير الثقافية حتى على المستوى الفكري والأدبي وفي بعض الدراسات الأكاديمية حينها. ويعتبر الشاعر رائداً من رواد الاتجاه الحداثي ضمن الأدب في السعودية، فقد استطاع أن يرتفع ببنائه الشعري ليحاكي بذلك نماذج الشعراء الطليعيين العرب الذين صاغوا بناء القصيدة العربية الحديثة، كما أتاحت للشاعر غربيته النفسية وانعتاق أفكاره مجالاً واسعاً لصناعة لغة

^٧ لمزيد من الاطلاع عن هذه الفترة ومؤثراتها النقدية والإبداعية ضمن سياق الأدب المحلي في السعودية ينظر الفصل الرابع بعنوان: "تطور الرواية النسائية: الأسلوب والبناء وانعكاس الرؤى" من كتاب عبدالرحمن الوهابي، "الرواية النسائية السعودية والمتغيرات الثقافية: النشأة والقضايا والتطور"، دار كنوز المعرفة، جدة، ط٣، ص ص. ١٧٧-٢٣٢، ٢٠١٦.

شعرية مبتكرة في أدب الجزيرة العربية المعاصر، وعبر عما يجول في نفسه بلغة أدبية تستحضر المشاركة، وتمثل الواقع وتحوله إلى مادة شعرية بعيدة عن التقريرية والرتابة الإخبارية.

يمكن أن يصنف تشكيل البناء الفني عند الثبتي على أنه من النوع الرؤيوي كما في تصنيف بعض نظريات علم النفس الأدبي، هذا الوصف البنائي هو ما يقابل التصنيف السيكيولوجي، حيث إن الجانب الرؤيوي يستحضر تركيباً فنياً يحتوي الإيحاءات الصياغة النفسية التي لا تحلل القضايا النصية ومتعلقاتها النفسية وطبيعتها في النص، بل تعرض بعمق وتفكير وتترك مساحة للتحليل النفسي حولها. وفي هذا البناء التركيبي الأسلوبي النفسي يجعل المبدع مغزاه بعيداً عن الأنظار، وهو ما ينظر علم النفس التحليلي لهذا النوع الأدبي بجمال فني يرفع مستوى الحدث الخام في التفكير الرؤيوي إلى مستوى العرض والتنوير السيكيولوجيين.^٨ ويتطابق هذا عند النظر في توظيف المعنويات وتجسيدها في التركيب الأسلوبي، كما هو أيضاً في الإيقاع الذي رسم تقابلاً نفسياً يتلاقى مع القصائد ومضامينها بتداخل تعالقي فيما بين الإيقاعين الداخلي والخارجي، من حيث تلاقي الإيقاعات الصرفيمية، والصوتيمية لرسم شكل القصيدة بتناغم. إن حضور الأمل في مادة الثبتي الشعرية يعتبر نسيجاً نصياً شمولياً تحت مؤثرات العبادة النفسية

ربما بسبب أنساق ألم الصراع النفسي، وهذا قد يتقاطع مفهومه مع الدائرة التأويلية التي أطرها شلايرماخ، في فهم أجزاء النص الذي يتوقف على فهم كلية النص، وأن فهمه يتطلب فهم الأجزاء المكونة له.^٩ ومن هنا يمكن ملاحظة صور الأمل ضمن رؤى جزئية تتوارى في النصوص في تلازم مع أجزاء صور الأمل، فبين الاثنين تبادل كما في علم النفس، حيث يكون الدافع للأمل صادراً من الأمل ذاته الذي تصاحبه حالة وجدانية يمكن وصفها بأنها سارة أو غير سارة،^{١٠} فتظهر الاستجابة فنياً على المادة الشعرية وصناعة التراكيب وعلائقية الأمل والألم. ويلاحظ أن الدوافع قد عملت على صياغة بناء أو تشكيل القصائد وتأثيرها وتأثرها بمعانيها ضمن آليات أدبية (literary devices) يمكن تحديدها في مستويين اثنين هما: التصوير، والإيقاع. فالتصوير الجمالي عند الشاعر يتجلى في الاستعارات البعيدة التي يكتنفها غموض أدبي جمالي، وهذا المستوى الفني من البعد الرؤيوي في بناء الشكل الفني عند الثبتي مع ما يكتنفه من تركيب يظهر فيه بعض الغموض، إلا أنه غموض لا يصل إلى مستوى العماء وإخفاء المقاصد التي تكون مخفية المعالم، لأن هذا المستوى الأخير، وفق منظور علم النفس التحليلي في الأدب يعتبر مستوى من التعامل مع نوع من الفن المرضي أو

^٩ هشام معافة، *التأويلية والفن عند هانس جيورج غادامير*، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ٢٠١٠، ص ٤٦-٧.

^{١٠} عادل صادق، *الألم النفسي والعضوي*، مهارات النجاح للتنمية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٢، ١٩.

^٨ كارل ينغ، ص ١٦١.

مضى شراعي بما لا تشتهي ريحي
وفاتني الفجر إذ طالت تراويحي
أبحرت تهوي إلى الأعماق قافيتي
ويرتقي في حبال الريح تسبيحي^{١٣}

وتشتد هذه القدرة على الكفاح والصراع في النص مع توارد الحيرة واقتحام المجهول، فيأتي التساؤل من الشاعر عن بوابة ماهية هذه الريح المجازية المغيرة والمحيرة، وكأنها المرحلة الأصعب في الحياة مع إنشاء استفهام تعجبي في قوله:

بوابة الريح! ما بوابة الريح؟^{١٤}

ويحمل هذا النص في ثناياه جوانب رمزية شفافة للحلم الإنساني، ويتلاقى هذا النص مع قصيدة "البابلي" في ديوان "التضاريس" الذي نشر أول مرة في عام ١٩٨٦، حيث يظهر الراوي في القصيدة يكرر تعبير "بوابة الريح"،^{١٥} ثلاث مرات. وفي هذا التكرار إشارة واضحة إلى بعض الثيمات المركزية التي يومئ إليها الشاعر أحياناً، والتي ربما تُشكل في جوهرها العام شخصيته الثقافية والفكرية، والاهتمام الذهني بحيرة التساؤلات الضمنية.

كما يمكن ملاحظة مجموعة من القصائد التي تمثل الأمل جملة، كما في قصيدة "من وحي العاشر من رمضان"^{١٦} في ديوان "عاشقة الزمن الوردية"، وكذلك قصيدة، "إيقاعات على زمن العشق"،^{١٧} في الديوان

ربما العُصابي إذا تمثل حضوره الواضح في الكتابة الأدبية الفنية.^{١٨} وقد يأتي بعض الخلط لدى البعض في نعت شعر الشبيتي بالغموض في الصياغة والمعاني، وهذا غير دقيق، كما أن وصف شعره بالانثري خطأ آخر، فالأفكار والمضامين في شعر الشبيتي قريبة للمتلقى مع كثافة مجازية استعارية ضمن المستوى الفني، فتراكيبه ليست بمعقدة غريبة مخلة للغة الشعرية، كما أن شعره كله هو شعر التفعيلة. وسيتضح في التالي هذا التشكيل العام لظاهرة ألم النَّاص وأمل النَّص في شعر الشبيتي، ومدى أثرهما في التشكيل البنائي سواء في التراكيب أو في تقنية الإيقاع.

ثنائية الأمل والألم:

يظهر الأمل بوصفه ظاهرة شعرية ثرة في شعر الشبيتي، وتجلت هذه السمة تتابعياً في شاعريته لتكون محور موازنات فكرية وروابط فنية في صياغاته البنائية منذ صدور ديوانه الأول "عاشقة الزمن الوردية" الذي نشر في عام ١٩٨٢. وتعد قصيدة "بوابة الريح"^{١٩} في هذا الديوان من جميل قصائد الشبيتي؛ حيث تضمين بعض رؤاه الفكرية وتجلي سماته الفنية. ففي مطلع القصيدة استحضار لعزيمة الإنسان، وقدرته على الكفاح في الحياة ورغبته في الوصول إلى ما يسكن النفس من خلال التأمل، والتفكير في صيرورة القدر الذي هو أمل تصديقي للواقع، حيث قوله:

^{١٣} السابق، ص. ٢٩٩.

^{١٤} السابق، ص. ٢٩٩.

^{١٥} السابق، ص. ٣٨.

^{١٦} السابق، ص. ٤١-٢٣٩.

^{١٧} السابق، ص. ٢٩-٢٢٧.

^{١٨} كارل ينغ، ص. ١٦٤.

^{١٩} الشبيتي، ص. ٢٩٩.

نفسه. والأولى قومية وطنية، والثانية رومانسية غزلية، فضلا عن بعض القصائد الأخرى في دواوين الشاعر. وفي قصيدة "الأسئلة"،^{١٨} يحضر الأمل في نص شعري محفوف بالجمال. وتظهر صورة الأمل -ها هنا- في الرغبة في إيجاد حالة من الصفاء والتوازن، وكذلك الرغبة في تجاوز الرواسب القديمة أو الإرث الذي يحجب الرؤية والنظر والانفتاح على الحياة:

أقبلوا كالعصافير يشتعلون غناءً

فحدقت في داخلي

كيف أقرأ هذي الوجوه

وفي لغتي حجر جاهلي؟^{١٩}

وفي القصيدة رؤية لرفض الأقنعة في التعامل الإنساني والحياة، والمبالغة في الأشياء. فسماع الغناء متعة، وفيه استحضار للتأمل، كما أن البكاء الوارد في هذا النص تعبير جميل طبيعي آخر كالغناء مصدره الحزن أو الكآبة أو الإحباط، وهو هنا لغة تعبيرية. والقصيدة ذاتها تحمل ثنائية تضاد معبرة بين: الغناء والبكاء. فكلاهما تعبيران جميلان عن الحياة ينشدان الأمل والرؤية ويسعيان إلى خلاص الإنسان:

هل يعود الصَّبَا للغناء المُعَطَّرِ

أو للبكاء الفصيح^{٢٠}

ويلاحظ اتكاء الكثير من النصوص التي تباشر الأمل توشحها قيما إنسانية، فيظهر الأمل متباريا مع ثنائية تقابله تتمثل في مجالات الألم. كما في قصيدة "النغم الثاني الشوق المهزوم"^{٢١} في ديوان "عاشقة الزمن الوردی" حيث استحضار هاتين الثنائيتين:

والشعر جرحٌ نازفٌ

ملأت حقائبها به الآلام^{٢٢}

فكأن الألم محطة يرتاح فيها الشاعر قليلا ليقدم لنا من خلالها صورة عن العالم، كما يراه. وبهذه الطريقة يصبح الألم النفسي حافزا من حوافز التعبير الشعري، بوصفه سمة نفسية تنقل سياقات المعاناة، إلى القارئ، بأطيافها الفنية، وقيمتها الإنسانية.

وهناك مجموعة من القصائد التي تحمل ثنائية الأمل والألم في شعر الثبتي، مثل: قصيدة "موقف الرمال موقف الجناس"^{٢٣} في ديوان "موقف الرمال" الذي حمل هذه الظاهرة المعنوية النفسية، بوصفها رؤية شعرية، ويجعل الشاعر من الألم أفقا يطل منه على الحياة:

أصادق الشوارع، والرمل والمزارع، أصادق النخيل

أصادق المدينة، والبحر والسفينة، أصادق البلابل^{٢٤}

ويمكن أن يفسر الألم ومخرج ثنائيته من هذا كما في علم النفس على أنه عملية فسيولوجية نفسية،

^{٢١} السابق، ص. ٢٨٩-٩١.

^{٢٢} السابق، ص. ٢٩٠.

^{٢٣} السابق، ص. ١١.

^{٢٤} السابق، ص. ١١.

^{١٨} السابق، ص. ١٢٥-٩.

^{١٩} السابق، ص. ١٢٥.

^{٢٠} السابق، ص. ١٢٥.

وليس باثولوجية حسية.^{٢٥} وهذا النص ذو مرجعية دلالية ما بين ثنائية تلاقي الأمل والألم، ويحمل فلسفة لرؤية العالم والحياة، وهو نسيج تعبيرى فني فيما بين الأمل الاستشراقي والألم المحفز للأمل. ويبدو النص -في بعض جوانبه- صورة من حياة الشاعر المضطربة، وفيه نرى شخصيتين: شخصية الكائن المجهول ذي البصيرة وشخصية الشاعر التائه. ويشير مطلع النص إلى اللقاء بين هاتين الشخصيتين. وهنا نرى الشاعر وحيدا يسير في التيه: في الرمال. وحيد يلقي وحيدا. وها هو يعرفه بنفسه، ويسميه بأحرفه "ميم وحاء وميم ودال". ويرتبط هذا المجهول بالنخل الذي هو صورة الصمود:

أنت والنخل فرعان

أنت افترعت بنات النوى

ورفعت النواقيس.

هَنَّ اعترفن بسرِّ النوى

وعرفن النواميس^{٢٦}

وتأتي لفظة النخل مكرورة في مشهد القصيدة الأول، أربع مرات بإلصاق ما بين البطل والنخل، ووضعهما في قالب صفات واحدة من خلال ضمير المخاطب في النص، كما في قوله: "أنت والنخل فرعان"، وقوله: "أنت والنخل صنوان"^{٢٧} وكذلك "أنت والنخل طفلان"^{٢٨} ومرة رابعة تأتي بإطلاق المساوات

بين البطل والنخل في سمات مفتوحة في قوله: "أنت والنخل سيان"^{٢٩}

ويأتي الخوف بوصفه ألما معنويا بسبب فقدانه الشعور بالأمن النفسي حاملا الألم مع رؤية في الأمل، ففي ديوان "التضاريس" يلاحظ هذا مع قصيدة "المُغني"^{٣٠} ضمن حوار المغني والراوي، ذلك المغني الذي يشكي غياب القوافل وما تتضمنه من خير وزاد وصحبة وترحال،^{٣١} وذلك الراوي الذي يستمتع لأهات المغني ويهون عليه طبيعة فهم الحياة وأن ما يؤرقه هو فهمه لها ولـ "الزمن المتقابل"،^{٣٢} تلك الثنائيات المتعارضة المتداخلة والتشبيه بينها وبين المدينة المغلقة وبوابتيها المصنوعتان من خمر وزنجبيل، وللجرح المعنوي بوجهيه، حيث الظمأ لعدم قدرة الحناجر على النطق، أو الوطن إذا لم يكن وطنًا.^{٣٣} وفي القصيدة ربط ما بين الألم في فقدان الحرية المتنوعة وبين الأمل الذي يجعل سنة الحياة وتطورها وخبرة المجتمعات وسيلة للصبر وتسكين الألم، وختمت القصيدة بهذه الرؤية المتفائلة المستمرة لترويح النفس نحو الأمل:

ابتكر للطفولة شكلاً..

كتاباً تطارحه الخوف،

تقرأ فيه محاق الكواكب،

تكتب فيه حروف الندم

^{٢٩} السابق، ص. ١٥.

^{٣٠} السابق، ص. ٢٦-٧٠.

^{٣١} السابق، ص. ٦٧.

^{٣٢} السابق، ص. ٦٧.

^{٣٣} السابق، ص. ٦٨-٩.

^{٢٥} عادل صادق، ص. ١٨١.

^{٢٦} الشبيبي، ص. ١١-٢.

^{٢٧} السابق، ص. ١٣.

^{٢٨} السابق، ص. ١٣.

ابتكر للطفولة عرساً تُعلق فيه التمايم
واللعب الورقية.. والأغنيات^{٣٤}

فالطفولة وبراءتها مطلب جميل ومدعاة للبحث عنه،
والكتاب معرفة يزيد فهم الأشياء، فيزول الخوف
ويبتعد الألم، فالطفولة جملة من البيئة النقية
والطاهرة وهي أمل نحو المستقبل.

وتحضر قصيدة "الصعلوك" في ديوان "التضاريس"
بمطلع يحمل صورة مروعة لعذابات النفس
واضطرابها الذهني، وجاءت في صيغة ضمير
الغائب لهذه الشخصية القلقة مع مواجهات الحياة،
التي لا تجد ملاذا لها مع صراعها إلا بالقناعة
الذاتية، والرجوع إلى النفس، وإشباع رغبتها في
الكتابة على الأوراق، حيث يتحصل التنفيس من
التعبير:

يفيق من الخوف ظهرا

ويَمْضِي إلى السوقِ

يحمل أوراقه وخطاه^{٣٥}

ويمكن ملاحظة تلاقي الأمل والألم في قصائد
أخرى مثل: قصيدة "تغريبة القوافل والمطر"،^{٣٦} في
ديوان "التضاريس"، وقصيدة "في أحضان السكون"،
في ديوان "عاشقة الزمن الوردية" وغيرهما.

تشكيل صراع الألم النفسي والأمل النصي:

يعتبر شعر الثبتي مكون من معاناة، ومن تجربة
إنسانية شغافة تستحضر الإلهام المنتقل إلى الحدس

الذي يتحول إلى صياغة مادة شعرية تتحاور مع
المفاهيم السلوكية والسائدة، والمغالطات التطبيقية،
بحيث تأتي صياغة اللغة الشعرية قناة لهذه التجارب
وصياغتها شعرياً. ويمثل الألم في هذا السياق
مدلولاً عن خيبة أمل صادرة عن مجموعة أبعاد في
الذهن الإنساني، فمنها النفسي ومنها الاجتماعي،
فيلجأ الإنسان إلى مجموعة من ردود الأفعال التي
منها التعبير وأساليبه المختلفة. وما تحمله لغة ما
بعد الحادثة من سمات تقابلات المعاني، وتناقض
الأفكار، وتساؤل الماضي، يستحضر في شعر
الثبتي، وهي سمات متطورة للشعر الحديث
وعلاماته في استقراء المدلولات واحتمالاتها، ورسم
نظام أو محاولة رسم نظام من القواعد تتخذ في
ضوئها علامة يمكن الوصول منها إلى المفهوم
الإشاري للمدلول،^{٣٧} ومنه إلى الرؤية والتصوير
وملامسة ظواهر أبعاد التشكيل الفني. وقد يكون
الإبداع تعبيراً عن الصورة المأمولة الصادرة من أمل
يواجه الألم المحيط، فتخرج المادة الإبداعية رافضة
للمحبطات والقيود، فالمبدع/ة لارتباطه بالتفكير
الحر صاحب ميول للرفض في اللغة والأسلوب أو
المنطق الذي يفرضه عليه المجتمع، ويعتبر ذلك
قهرًا وسلطة أبوية غير منطقية، ومن هنا يفرز
القهر والإحباط، ويأتي الإبداع الجيد الذي هو ثورة
وسمة من الفنون.^{٣٨} وهكذا، تأتي قصيدة "ترتيلة

^{٣٧} أمبرتو إيكو، *السيمبائية وفلسفة اللغة*، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة
العربية للترجمة، ٢٠٠٥ بيروت، ص ٩٢-٧.

^{٣٨} ماجد مورييس إبراهيم، *سيكولوجيا القهر والإبداع*، دار الفارابي،
بيروت، ١٩٩٩، ص ٦٢.

^{٣٤} السابق، ص ٧٠.

^{٣٥} السابق، ص ٧١.

^{٣٦} السابق، ص ٩٧.

يا دماً يدخل أبراج الفتوحات
وصدراً ينبت الأقمار والخبز الخرافي
وشامات البياض^{٤٢}

ومع لفظة "البياض" يظهر مدلول النقاء، وينفج
الأمل في هذه القصيدة المشبعة بالإحباط
والسوداوية في قراءة العراف عن الحال والمستقبل.
وفي ذات الوقت، فإن سنة الحياة هي تأرجح السلب
والإيجاب والموت والحياة وتناوب كل منهما عن
الآخر أو انقلابه عنه. ويلاحظ في آخر النص
تفاؤلاً بتحول الشامة أصلاً إلى بياض، وأنها كذلك
مع لونها الأصلي الأسود.

ويشرق الأمل مع العربي المسافر في قصيدة "أغانٍ
قديمة لمسافر عربي"^{٤٣} ضمن ديوان "عاشقة الزمن
الوردي"، تلك الشخصية الباحثة عن ينباع جديدة
من الخير والتفاؤل، وتتكشف لنا سماتها من خلال
النص وهي تنتظر رحيل القافلة لتسافر إلى ذويها،
وهي في حالة إحباط وقلق من تغير موعد مغادرة
القافلة وتأخرها، وتأتي أوصاف هذا العربي المرتقب
للسفر مجهول الهوية على أنه من أرض الجزيرة
العربية، فهو مرة رجل من قبيلة عبس، ومرة أخرى
رجل من قبيلة طي، ومرة ثالثة "طفل من أنف
الناقة"^{٤٤}. ومع هذا الإحباط للمنتظر المترقب الذي
يحرص على السفر لبغية في نفسه، يأتي التركيز

البدء^{٣٩} متصدرة ديوان "التضاريس" محجة برمية
عالية. وهي في الوقت نفسه ذات دلالات متنوعة
عند قراءتها نقدياً، ومن ذلك: أنها لوحة تحمل
أطيافاً من شعور الإحباط حول حياة الإنسان، تلك
التي ينفجها العراف الذي يقرأ مناخات السلوك
الإنساني، وطبيعة الحياة الكونية، من مطلع
القصيدة في غمرة من اليأس والقنوط في مثل قوله:
جئت عرافاً لهذا الرمل

استقصي احتمالات السواد^{٤٥}

والقصيدة تزخر برمية سوداوية، فلا سماء تمطر،
ولا أرض تثبت الزرع، ولا حياة تتكون أو تستمر.
ويوسع الشاعر من سوداوية الصورة فيضيف إليها
الملح والقطران مرة، والغراب والنار مرة أخرى، والدم
مرة ثالثة. ويتكثف الإحباط في تأويل العراف وسرد
الحكاية عن هذا السواد فيقول:

قل: هو الرعد يُعري جسد الموتِ

ويستثني تضاريس الخصوبة^{٤٦}

ويستحضر هنا مستوى عال من الإحباط الكوني،
حيث القحط التناسلي في رمزية توقف خصوبة
الإنتاج الممكن. إن القتل والدم عوامل تجعل
الإنسان يبني الفتوحات ويشيد الدول ويتوسع
جغرافياً، ومع هذه الصورة للموت والحياة وتبدلهما،
يبرز الأمل من هذه الصورة السوداوية ويختم النص
مع قوله:

^{٤٢} السابق، ص. ٦١.

^{٤٣} السابق، ص. ٢٦٥.

^{٤٤} السابق، ص. ٢٦٩.

^{٣٩} الشيبتي، ص. ٥٩.

^{٤٥} السابق، ص. ٥٩.

^{٤٦} السابق، ص. ٥٩.

على النداء في مطلع المقطع الثالث للقصيدة مع قوله:

يا حادي العيس في ترحالك الأمل.^{٤٥}

وتختتم القصيدة بمقطعها الرابع الذي يحمل الأمل عند انتهاء لوازم الألم وذلك عند الوصول إلى بغيته، حيث بزوغ الربيع وتحقيق الأمل:

آتٍ أنا وفي شفاه النور ملحمة

وفي عيون الربيع الحلم إيمانٌ

آتٍ، لعل فتاة الحيّ تعرفني

إذا أفاقت وملء القلب إنساناً^{٤٦}

ويظهر الأمل في هذه الخاتمة جليا يوارى الإحباط حيناً ويباريه حيناً آخر، وكأنه منولوج يختتم النص به، ويكون القلب هو المؤشر للطمأنينة عند وصول المغترب إلى موطنه النفسي مع رجاء بقاء الماضي وراءه ليلتقي مع ذاته وقلبه وحبيبته ليستعيد أنسنته.

وتعد قصيدة "الوهم"^{٤٧} في ديوان "عاشقة الزمن الوردية" وشاحاً شعرياً مرصعاً بمعاني الإحباط ومضات الأمل. وهي نص حكائي يسرده الراوي للمخاطب شارحاً وجهة نظره حول فعل الأشياء في الكون والحياة، ناسجاً ذلك الشرح بتراكيب في غاية الرمزية الشفافة القريبة، حيث الحس يأتي في صورة معنى في قلب الأشياء، وكأن الإدراك والحس للمفاهيم انعكس على تركيب اللغة الجمالية ما يفيد

انقلاباً في جمل الأشياء، وهذا الأمل الاستشراقي يمكن رؤيته في مطلع القصيدة مع قوله:

وأتيّت مع شمس الصباح

وهماً بخاصرة الربيع

عطراً يموج على الدروب

ويصبح الإحباط طريقاً للأمل، فتتعاطى هذه المعاني القصيدة حتى يصل الراوي في سرده الشعري نهاية المقطع الأول من النص بتنبيه ونداء حول نتيجة الخبرة الحكائية وما يجول في نفسه:

ها قد أتيّت فلم يعد

في الكون حلمٌ قد يضيع^{٤٨}

ويظهر هنا التزاوج ما بين الإحباط المسترسل نصاً ليوافقه بالأمل خاتمة للرؤية وتفاؤلاً ظنياً حول الأشياء، وكأن الأمل بعث من موت يكون الإحباط دافعه اللازم أو الوسيلة لافتراض وجوده بوصفه مقابلاً يجب أن يستحضر في الذهن.

ومع المقطع الثالث يبدأ الشاعر بالأمل وينهيه بالإحباط، وهو مقطع يحفل بمشهد درامي للحياة ومتعها وملأها والتي فجأة ما تقلب المجن وتتحول مجرياتها دون نذير، وفيه يظهر الأمل تائها كقافلة أغراها القمر الصحراوي أو أضاع وجهتها فجاءت الرياح ورمال الصحراء وعكست صفوة رحلتها، وتكون الحاجة والفاقة حتى يرى سراب الماء رمزا للأشياء وبعد منالها، وهذا يلاحظ في قول الشاعر:

كنا هناك قوافل

^{٤٥} السابق، ص. ٢٧٠.

^{٤٦} السابق، ص. ٢٧١.

^{٤٧} السابق، ص ص. ٢٥٧-٦٠.

^{٤٨} السابق، ص. ٢٥٧.

في البيد يحدها القمر

وتغوص في جوف المدى المجهول

والأفق الرحيب^{٤٩}

ويذهب الراوي في المقطع الثالث والأخير في النص صوب رؤية شمولية في تحليل خلفيات الإحباط والنظرة التشاؤمية، مع قوله في هذه القصيدة "الوهم":

مأساتنا في خطونا المصلوب

في صدر الزمن

في حبنا المنقوش في طبع الرياح^{٥٠}

ومع هذه الصفات للأشياء والتعليل حول رؤية الواقع والمخزون الثقافي الذي أصل ثقافة النظر إليها ما كون سببا في قبح الجمال، وقهرها نفسيا ومرجعية للأشياء تاريخيا بتقديس، وهذا الشبح في الرؤية الثقافية مس أجمل الأشياء في التعامل الإنساني، وأشار إلى الحب الذي حتى لو حفر في الذاكرة والقلب فإنه يظل محجوبا عن متعته وجماله للنظرة المختلفة إليه، ولهذا هو متناقض ثابت، ومنقوش، ولكنه غير ثابت تهزه الرياح وتجعل ثوابته متحركة غير ثابتة. وتأتي خاتمة هذا المقطع بثنائية الإحباط والأمل، مع قوله: "نجمٌ يُطل على الحقول بلاشعاع"^{٥١} حيث يكون كوكب النجم بجماله في وشاح الظلام، وضوئه الساطع، أملاً باقياً ومستمراً،

^{٤٩} السابق، ص. ٢٥٨.

^{٥٠} السابق، ص. ٢٥٩.

^{٥١} السابق، ص. ٢٦٠.

مع تحفظ في حضور وكمال وظيفته وهو دون شعاع حسي.

تشكيل التصوير ومؤثرات الألم والأمل:

يُظهر التصوير الشعري عند الشبتي لوحات متنوعة من أدوات التشكيل الفني فيتم نقل فنون مشاهد متعددة بلغته الشعرية للمتلقي. ويلاحظ ظواهر عدة من انزياح جماليات الصور عنده لتتصف بالحركة، فيأتي المحسوس معنوياً، ويبرز تشخيص الأشياء مع نقيضها، كما أن الاتكاء على الاستعارات، وتكوين لوحات تصويرية من المشاهد مزية في براعته الشعرية التصويرية. والثبتي يفيد فناً من استدعاء التراث وإسقاطه لمقاصد معنوية تناصية، ويمكن وصف شعره بأنه من المادة الشعرية الحديثة التي برزت في الشعر الحديث تلك التي تتكى على الدلالة النفسية والإيحاء.^{٥٢} ويسترسل الشبتي نفسياً في كثير من شعره فتظهر بصورة سردية طويلة، لا يظهر خلل في وحدتها الموضوعية أو البنائية، كما يجعل من صياغة اللغة مركبة النقل لإيصال مضامين شعره اليمية عامة ومتعلقات الأمل خاصة. وهناك آليات مهمة ومطرده في شعره لتكوين الصورة وعلائقياتها لعل أهمها توظيف المعنويات، وتجسيد الأشياء، وتشخيصها في استعارة مفردات الطبيعة والكون جملة، والاتكاء على الإضافة في التصوير لإضفاء الموصوف على الصفة.

^{٥٢} محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١، ص. ٤٣٣.

ويظهر أن التشكيل البنائي للصورة كان لأثر الأمل والألم دور في تكوين الكثير منها، فتأتي صناعة التعبير بجماليات لغوية تتضمن مضامين فكرية وجدلية ومن هذا قوله:

مأساتنا في خطونا المصلوب

في صدر الزمن

في حبنا المنقوش في طبع الرياح^{٥٣}

فهنا يظهر تحويل مفردات الإحباط والألم إلى بنية مفتوحة على آفاق الصورة الشعرية، وتحويل مفردات الواقع من حسيتها ووظيفتها إلى أنسنتها لتكتسب وظيفة التجسيد والشعور الإنساني، واستعارة معطيات الإنسان.

ومن سمات الصورة المطردة في شعر الثبتي، ما يلاحظ أيضا في أسلوب الإضافة عند إعطاء المضاف صفة المضاف إليه، فالمضاف لا يكتمل تصويرا إلا مع معنى مفردة المضاف إليه، مثل: خطونا المصلوب في صدر الزمن، ونحو طبع الرياح. وهذا المزج ما بين تحقيق معنى المضاف من المضاف إليه تعميقا لمعنى الصورة المركبة لغويا.

كما أن من سمات الصورة عامة وفي لوحات الأمل بخاصة توظيف عميق لمعاني المفردات من حيث استدعاء علاقاتها لتسقط في الصورة على سبيل المثال ما يلاحظ في مطلع قصيدة "الوهم" مع قوله: وأتيت مع شمس الصباح

وهماً بخاصرة الربيع

عطراً يموج على الدروب^{٥٤}

وهنا ينتقل الأمل في صورة تبدو تقليدية مطروقة حتى في معناها، حيث المجيء مع الصباح، ويتلو ذلك صورة عميقة تجاوزت المفهوم الرومانسي في مفهوم الشمس والصباح، تشير إلى الأمل، وثم مزج الصورة الأولى بالصورة الثانية في كون الشخصية وهماً، وكون الوهم حساً جسدياً تكون خاصته ومنبع حياته الأولى ربيعاً يحمل كل معاني السرور والفرح، ويأتي بعد ذلك توضيح الصورة بتوال لتكون الشخصية أيضاً عطراً لا يتلازم مع مفردة الفرح التي تلازم العطر، ولكنه عطر يموج ويأخذ معطيات الموج وتلاطمه وحركته ليس في البحر، بل في دروب الحياة وآملها وآمالها، وهذا التحول في لغة التصوير هو نوع من استدعاء الحالة الشعرية لتأسيس علاقة جديدة في الشعر من خلال التصوير الذي يكشفها. ويلاحظ الأمل في مثل هذا بوضوح على سبيل المثال في قصيدة "ترتيلة البدء" من ديوان "التضاريس" مع قول الشاعر:

قل: هو الرعد يُعزِّي جسد الموت

ويستثني تضاريس الخصوبة

قل: هي النار العجيبة

تستوي خلف المدار الحر تبتينا جميلا

وبكارة نخلة حبلى،

مخاضاً للحجارة^{٥٥}

^{٥٣} الثبتي، ص. ٢٥٩.

^{٥٤} السابق، ص. ٢٥٧.
^{٥٥} السابق، ص ص. ٥٩-٦٠.

فالصورة تخاطب الزمن القادم المتعلق بالخصوبة المستقبلية، كما هو الأمل. والنص كما ذكر قراءة عراف عن المستقبل، والانخراط مع الأمل عامل معنوي ليس بحسي، وتوارد الأمل والمستقبل في الحبل بحجارة ألم، ولكن التنين جاء موصوفاً جميلاً بمعنى أنه لما يزل يحمل أملاً، كما أن بنية الصورة مفارقة بين تنين وجميل، وحبل بالحجارة، وهو تألف في بناء التخالف أي أن الشاعر يقوم ببناء الصورة الشعرية باستخدام طرفين متناقضين وكل طرف له دلالاته الأولية بالنسبة للمتلقى، ثم عند المزج بينهما يتخلى كل طرف عن دلالاته المعهودة لتتولد دلالة جديدة. فالتنين يحمل معطيات الغدر والسوء ويتحول إلى معطيات الأنس والبهجة في لفظة "جميلاً" وأيضاً في لفظة "حبل" حيث تجميل المشهد. وهذه الصورة التركيبية لا يكاد يخلو شعر الثبتي منها منذ كتاباته الأولى في شعر التفعيلة. ويمكن ملاحظة بعض سماته التصويرية جملة في مثل نصه "ليلة الحلم وتفاصيل العنقاء"^{٥٦} في ديوان "تهجيت حلماً تهجيت وهماً"، مع قوله:

كانت الرؤيا ربيعاً من جحيم

-سندسي اللون-

مسفوحاً على وجه المدينة

المدى يجهش بالأحلام

والجدران اشأبت من على صدر المدى الناري،

كالبلور تمتد إلى جيد القمر

وتتراوح الصورة الشعرية هنا بين المعنويات والحسيات، فالرؤيا المعنوية جاءت حسية وأخذت تجسيد الربيع وعلاقاته الممكنة فيه من جمال وبهاء وراحة نفسية، ولكنه ربيع تناقض مع صفة الجحيم التي لحقته، وكأن رؤية الأمان تتحول وتتقلب من وجهة إلى أخرى فتتطور الصورة الشعرية في القصيدة إلى هذا الذي يأخذ اللون السندسي الأخضر الذي هو أقرب للون الجنة منه إلى النار، مع كون الصورة مجازية ورمزية في ألفاظها إلا أن وصف الصورة اعتمد على تقابل المفردات لرسم الصورة في كليتها وجزئياتها. فمفردة "مسفوحاً" الملتصقة بالدم والقتل جاءت للون الجحيم الذي تحول هنا إلى أمان واستقرار للمدينة بخضرتها وجماله، ثم بعد ذلك تنتقل الصورة لوصف المدى المعنوي في صورة حسية لشخص يجهش، ولكن ليس ببكاء، بل بالأحلام الزائلة التي يحزنه زوالها أو عدم القدرة على توفرها. ويلاحظ مجيء المعنوي حسياً في كلمة "من على صدر المدى الناري" وذلك بإضافة الحسي "الناري" إلى المعنوي "المدى" فيكتسب المضاف من المضاف إليه معطياته، ثم يكون هذا المدى المعنوي مضافاً إلى لفظة "الناري" فتتبادل المعطيات النعتية من الكلمات بالإضافة بصورة منظمة وشاعرية، وهي مزية تصوير عند الثبتي في الإضافة أو في الصفة ونحو ذلك لكسب الكلمة معنى الثانية.

^{٥٦} السابق، ص. ١٨٥.

نص للثبتي يتبادر لنا الشكل الحديث لرسم القصيدة وحركة إيقاعها، إضافة إلى رغبة في الخروج عن التقليد وابتكار شكل يتوافق وسمات فنائه الشعرية اللغوية وتراكيبها التصويرية وصولاً إلى معان جديدة في كل نص شعري.

وتظهر قدرات الشاعر في إظهار صوت الشعر عنده مرتبطاً بقدرات عالية في مستوى الإيقاع، ورسم الكلمات، والوقوف عند بعضها، وتشكيلها ليتوافق الإيقاع مع ما يليها.

كما أن مادة شعر الثبتي هي ضمن مستوى إيقاع شعر التفعيلة بصورة عامة، وله بعض القصائد العمودية كما في قصيدة "الخطب الجليل" التي كانت رثاء للملك فيصل، وجاءت على بحر الكامل،^{٥٩} ومثلها إيقاعاً، وفي موضوع قومي في ذات الديوان، قصيدة "من وحي العاشر من رمضان" التي مطلعها:

لم يبق في سيناء جرحٌ ينزف

كل الجراح تجرعتها الأحرف^{٦٠}

ولا يعنى الشاعر إلا بشعر التفعيلة في تجربته الشعرية ربما لما يوفره له من حرية وتطوير للمادة حسب التوجه النفسي لها معنى وإيقاعاً. وتدل المادة الشعرية والإيقاع الموسيقي على التعبير الشعوري والإنشغال الذهني، فهناك علاقة من خلال: المجاز والتلميح.^{٦١} ويلاحظ عناية الشاعر

وجاء بعد ذلك تزواج ما بين المدى وما بين الجدران التي اشتربت من صدر المدى المادي المعنوي في أصله، حيث وقوف حواجز الجدران عن تحقيق الحلم، ولكنه يظل في صورة قمر مضيء لما في هذا الحلم من مستقبل ودلالة للأمل.

وهكذا، تأتي صور الشاعر ناقلة لثيمات النصوص وأحاسيس الناص النفسية فينقل أمله وألمه من خلال: تقارب المتناقضات، وثنائية الإضافات، وتجسيد المعنويات، والاهتمام بعلاقات التضاد.

الألم والأمل وتشكيل الإيقاع:

يمثل الإيقاع عند الثبتي محورا رئيسا في الشكل الشعري، فإذا كان البناء التركيبي والتصويري من أهم سمات القصيدة الحديثة،^{٥٧} فإن الفضاء النصي يمكن أن يضم لهذه الأهمية لمدلولاته التي تأتي عليها القصيدة الحديثة لتتوافق دون اعتباطية مع موضوعها، وفنية بصرية لصناعة الأدب الحديث وأجناسه المختلفة بخاصة في الرواية والشعر.^{٥٨} والاعتماد على الإيقاع لا يأتي دون ترابط ضمني مع النص، حيث يلاحظ ثمة ترابط ما بين الحقل الصوتي والدلالي. فالصوت يعد تشكيلا، والدلالة تعمل على نقل المفهوم المشترك ما بين الصوت والدلالة. كما أنه وبمجرد النظر في أي

^{٥٧} ينظر سلمى الجبوسي، *الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث*، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. ٢، بيروت، ٢٠٠٧، ص. ١٦-٦٠٦. موضوع: "اتساع مجال الحركة: النظرية، والتطبيق، الشكل والمحتوى"، حيث الموضوع يتعلق بالشعر الحر.

^{٥٨} حميد لحداني، *بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص. ٦٠٥.

^{٥٩} الثبتي، ص. ٢٣١-٤.

^{٦٠} السابق، ص. ٢٣١.

^{٦١} رشيدة التركي، *الجماليات وسؤال المعنى*، ترجمة: إبراهيم العميري، الدار المتوسطة للنشر، بيروت وتونس، ٢٠٠٩، ص. ٥٧.

ويلاحظ مثل هذا أيضا في قصيدة: "برقيات حب إلى غائبة" والتي يناجي الراوي حبيبته آملا لقاءها فهي الأمل الذي يُسكن روح الحياة، فيأتي الإيقاع جدولا منهمرا على تفعيلات المتقارب، ومن البدء يلاحظ اندفاع العواطف مع اندفاع الإيقاع الصوتي والموسيقي:

أجيء إليك..مُخْباً مُخْباً
أجيء إليك

ولي بين نهديك
بيتاً وحباً

وماءً وعشبا^{٦٤}

ويستلزم الاهتمام بالأوزان الدالة على التعبير كما في تيار الرمزيين "درية بأسرار اللغة الصوتية، وقيمتها الجمالية، ووقوفا تاما على التناسب بين الدلالات الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها وما يتبع ذلك من تلميح وتركيز وسرعة وبطء وتكرار وتوكيد وتوزيع في النغم".^{٦٥}

ففي نصه المعنون بـ "القصيدة" مشاركة حول إلهام الشعر والشاعرية ومفهوم فلسفة الشعر وتناقض الحياة، ومقابلتها أيضا، وتطويعا لتركيب صياغي جميل وناقص يتعلق بالمعنى، وذلك في مثل قوله:

وَأَلْفٌ من الفاتنات الأنبيات يفرحن

ما بينهن عروس

ولا أنت أوتيت حكمة لقما

بالجرس الإيقاعي وتوافقه مع المعنى والصورة التي تنقلها الجملة، مثل ما تضمنته قصيدة "سألقاك يوماً" من ديوان "تهجيت حلماً تهجيت وهماً" ومنها قوله:

سألقاك.. يا أنتِ

يا من شربت وإياكِ نخب البطولة صرفاً

على رقصات السيوف

ويا من نقشت خيالك وشماً

على ساعدي

وصُغت على شفتيك الفرخ^{٦٦}

ومن خلال هذا النقل لكتابة النص، يلاحظ تناسب الإيقاع وانسيابه، وفق مقاطع صوتية وجرس إيقاعي ينقل المعنى مع الألفاظ، فالبدائية من قوله: "سألقاك" إلى قوله: "صرفاً" جملة شعرية تقرأ بنفس واحد، وحركات الإعراب تساعد على تواصل جرس الكلمات دون انقطاع. ومن ثم يتواصل النفس الإيقاعي ليكون الوقف متدرجا مع الكلمات "السيوف" ثم مع كلمة "وشما" ويتوقف مع آخر كلمة في المقطع مع قوله: "الفرخ".

وتأتي الكثير من القصائد في مشاهد يتدخلها أحيانا مقاطع، ففي قصيدة "يقولون"^{٦٧} في ديوانه "عاشقة الزمن الوردي" تعرض القصيدة في مشهدين اثنين ومقطع واحد، ويظهر الأمل ضمن إيقاع شعري منهمر ومتماسك على تفعيلة المتقارب، فمنذ مطلع القصيدة وحوارها القصصي يتناغم مع الحالة النفسية التي تتقاطع بين إيقاع الصوت والدلالة.

^{٦٦} الشبيبي، ص. ١٣٧.

^{٦٧} السابق، ص. ٢٧٥-٦.

^{٦٤} السابق، ص. ١٥٣.

^{٦٥} محمد غنيمي هلال، ص. ٤٤٨.

ولا هن أوتين فتنة يوس^{٦٦}

ويظهر في إيقاع مشاهد القصيدة أنموذج لقدرات الشاعر التعبيرية، وطبع تناسق الإيقاع بالمعاني ضمن انسجام وجرس داخلي وخارجي مصدره الموهبة المتميزة والخيال الخصب الرفيع، والعناية ضمن ذلك بالوقف والوصل، في سياق ضمير الخطاب الموجه من النَّاص. ففي هذا النص جاءت إزاحة الحرف الأخير من "لقما" و "يوس" لتناسب وقع الشعور الوجداني في صياغة المعنى، حيث ثنائية الإيقاع الموافق للتعبير، فارتفع الهدف الفني، بحيث أن إلغاء الأخير من كلمة "يوسف"، إزاحة تتلاقى مع النقص المتوقع في فرحة الفتيات، وكذلك الانزياح مع الظن برجاحة العقل، فجاء انزياح حرف النون من كلمة "لقمان" لاعتبار المعنى وتناسب الإيقاع. وتأتي القصيدة في خاتمتها بجرس إيقاعي مع ثنائية ألم وأمل تشرح مفهوم أثر الشعر وتأثيره وسياقات حراكه، حيث القصيدة منه "لها يوم سعد، لها يوم بوس".

الخاتمة والنتائج:

• تظهر ثنائية الألم والأمل في شعر محمد الثبتي ظاهرة لها أثر في البناء الشعري عنده.

• سياقات "أمل النص" شمولية في شعر الثبتي، كما أن سياقات "ألم النَّاص" إنفعالات نفسية، وتعتبر من أهم دوافع الأمل، وتحقيق عالمه الافتراضي أو الحقيقي.

• الشعور بالألم والإحباط وجه اللغة الشعرية نحو استعارات بعيدة وغموض في التراكيب، ولكن بصورة فنية جمالية.

• تضمن التعبير الفني تكوين صراع الذات الناتج عن تزوج الألم والأمل، وانعكس ذلك على مجمل التعبير الفني، وبخاصة في تشكيل الصور الفنية، والإيقاع الشعري.

• يظهر الإيقاع الموسيقي ضمن بنية دلالية فنية، ويعكس مهارات عالية في صناعة النص الشعري عند الثبتي، حيث التناغم فيما بين المعنى والإيقاع، ورسم القصيدة ومقاصدها.

• يمثل الأمل رؤية قيمية لمواجهة الواقع، ولرسم المستقبل الجميل، ومتنفساً افتراضياً للشاعر والمتلقي.

• يظل شعر الثبتي مادة ثرة تتضمن الكثير من القيم الإنسانية والتأملية، فضلاً عن الجماليات الفنية التي تظهر جودة الإبداع الشعري المتميز.

^{٦٦} الثبتي، ص. ٢٩٧.

The Relationship Between Hope of the Text and the Pain of the Author in the Poetry of Mohammed al-Thubayti

Abdulrahman Muhammad alWahhabi

*Professor of Modern Literary Criticism King Abdulaziz University, Jeddah
Department of Arabic Language and Literature*

Abstract. Psychological motivations is one of the essential drivers of literary creativity, It is not just a subjective feeling, it is a collective feeling too. This study aims to discuss the structure bilateral relationship of hope and pain that was noticed in Mohammed al-Thubaiti's poetry, and their contextual impact mentally and emotionally in the poetic expression. The study adopts the Inductive method in selecting the study's sample, with psychoanalysis of the phenomenon of hope and pain from the perspective of qualitative content analysis based on meanings, and relations. The discussion start with the concept of hope and the relation between dream and human, and the diverse expressive reactions. The study also explains the textual relations between hope and pain in Mohammed Al-Thubaiti's poetry through their most prominent manifestations and how hope is combined phenomenon with pain. Furthermore the study discusses the general structural features which uncover the expressive discourse duality of hope and pain through imagery and rhythm.

Keywords: Muhammad al-Thubayti, Psychological Criticism, Saudi Poetry

أثر استخدام العروض التقديمية (بوربوينت Power Point) في مقررات اللغة العربية على التحصيل الدراسي وتنمية اتجاهاتهم نحوها لدى طلبة جامعة الملك عبد العزيز

د. محمد علي الصويركي

أستاذ مشارك - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز

ملخص. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام العروض التقديمية (بوربوينت Power Point) في تدريس مقررات اللغة العربية على التحصيل الدراسي والاتجاه نحوها لدى طلبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة في المملكة العربية السعودية، وقد تكونت عينة الدراسة من (٢٤٠) طالباً، ومن أجل ذلك صمم الباحث برنامج (بوربوينت Power Point) عن طريق جهاز عرض البيانات (Date Show) في شرح الدروس بواسطة الحاسوب أثناء تدريس المجموعة التجريبية، بينما استخدم الطريقة التقليدية في تدريس المجموعة الضابطة، وتم إعداد اختبار تحصيلي ومقياس الاتجاهات بعد التأكد من صدقهما وثباتهما، وطبقا على المجموعتين التجريبية والضابطة قبل إجراء الدراسة وبعدها، وأظهرت النتائج أن استخدام العروض التقديمية له أثر فعال على تحصيل الطلبة واتجاهاتهم نحو مادة اللغة العربية قياساً إلى الطريقة التقليدية. وقد أوصت الدراسة بضرورة توظيف العروض التقديمية في تدريس مقررات اللغة العربية، وإجراء دراسات مماثلة لبرنامج العروض التقديمية في مقررات كليات الجامعة الأخرى. الكلمات الدالة: العروض التقديمية، التحصيل، الحاسوب، البوربوينت.

مقدمة

كان للتقدم العلمي والتطور التكنولوجي الذي شهده العصر الحديث تأثير كبير على العملية التعليمية، فلم يعد التعليم التقليدي الذي يعتمد على المعلم في نقل المعرفة للطلاب قادراً على الوفاء بمتطلبات التعليم من حيث تنمية جوانب شخصية

الطالب المختلفة، وتلبية حاجاته وميوله، وتوجيه سلوكه (سالم، ٢٠٠٤).

لذلك لابد من النظر في البرامج التعليمية، وتجاوز التعليم التقليدي، والاستفادة من الأساليب الحديثة في توظيف التقنيات الحديثة في العملية التعليمية، واستعمال تكنولوجيا الوسائط المتعددة،

الإطار النظري.

لا شك بأننا نعيش في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي، ومن أبرز تقنياته الحاسوب الذي يتضمن برامج وتطبيقات كثيرة تخدم العملية التعليمية المختلفة، وأدت إلى إحداث تغير جذري في بيئة الصف الدراسي، مما استحدثته من أساليب حديثة في التعليم منها التعلم بمساعدة الحاسوب، والتعلم المفرد، والوسائط المتعددة (الهباد، ٢٠٠٨).

يعود العمل بإنتاج البرمجيات التعليمية (Courses ware) إلى المراحل الأولى لظهور الحاسوب وتطور تكنولوجيا الحاسبات، وأصبح لها دور كبير في توفير بيئات تعليمية مناسبة تسهم في الابتكار والابداع. فالبرمجيات التعليمية عبارة عن مجموعة من الإجراءات والتدريبات المبرمجة المعدة للطلاب من خلال أدوات ميكانيكية وإلكترونية، وتقديم التغذية الراجعة الفورية للإجابات الصحيحة والخاطئة، بهدف تمكين الطلاب من زيادة التحصيل الدراسي حسب قدراتهم الفردية؛ من أجل بلوغ الأهداف المرجوة (Canning, 2002,306). ومن أبرزها العروض التقديمية المشهورة تحت اسم (البوربوينت=Power Point).

برنامج العروض التقديمية (البوربوينت Power Point)

Point :

لقد تم إعداد برنامج العروض التقديمية نظراً لأهميته في العملية التعليمية كوسيلة من الوسائل الحديثة التي تجذب الطلاب وتيسر الشرح والفهم

والتي أصبحت ضرورة لإصلاح التربية وتطوير فعاليتها في تكوين الإنسان المواكب لحركة العصر الحديث (حمدان، ٢٠٠٢، ١٦٧) (الزين، ٢٠١٤)، فجاء التعليم الإلكتروني الذي يتميز بأنه يتغلب على الكثير من المعوقات الموجودة في التعليم التقليدي كازدحام الطلبة في الفصول الدراسية، ويقدم المادة العلمية بطريقة مشوقة، ويساعد الطلبة على الاحتفاظ بالمعلومات لفترة أطول، ويلبي حاجات التعليم عن بعد، ويستفيدون من مصادر التعليم والتعلم المتاحة على شبكة الإنترنت، ويدعم مهاراتهم في استخدام تقنيات الاتصال المختلفة، ويجعل خبرة المتعلم ذات معنى، ويعمل على إثارة الدافعية لديه، ويسمح له بالتعلم حسب مستواه، وقدراته، واستعداداته، ومهاراته (جبالي، ٢٠١٢: ٣).

ولقد شجعت تقنيات التعلم الحديثة على استخدام طرائق جديدة في عملية التعليم، عندما وفرت مناخاً تربوياً فعالاً، ومن بينها دخول الحاسوب بقوة في المجال التعليمي واستخدام برنامج العروض التقديمية (البوربوينت) التي تتميز بإمكانات جيدة لتطوير نوعية التعلم، وإعادة صياغة الأهداف للمحتوى التربوي، ومحتوى التعلم والتعليم، وأساليب التقويم، وتعمل على إنتاج الدروس الإلكترونية، ذات الدرجة العالية من الجودة والدقة (درويش، ٢٠٠٩: ٩٢) (الزين، ٢٠١٤).

في ميدان تصميم وإنتاج البرامج التعليمية، لما لها من قدرة على توصيل المعلومات، ومساعدة الطلاب من كافة الأعمار والمستويات على التحول من النظام التعليمي التقليدي القائم على الإلقاء والتلقين واستخدام السبورة في الشرح إلى التعلم التكنولوجي الفعّال، إذ تعمل هذه التطبيقات على دمج كل النصوص، والعروض البصرية، والصور، والصوت، والموسيقى، والرسوم المتحركة، والفيديو في صورة موحدة داخل برامج الحاسوب المتكاملة، مما يجعلها تتميز بالمتعة، والتشويق، وتسهم في تيسير التعلم (عبد المنعم، ١٩٩٩: ١٣٥).

أهمية استخدام العروض التقديمية في التعليم.

لقد أشارت بعض الدراسات أن استخدام العروض التقديمية في العملية التعليمية تحقق التفاعل بين المتعلم والمحتوى الدراسي، وتحفز المتعلم طوال فترة التعلم وتجعله نشطا، وتحقق التعلم الذاتي من خلال بعض البرامج، وتزيد من تحصيل المتعلمين (الهباد، ٢٠٠٨: ٢٤٧)، وتوفر وقت التدريس وتساعد على اكتساب مهارات مختلفة، وتوفر عنصر الإثارة والتشويق، والتفاعل بين البرنامج والطالب، وتساعد في تكوين الاتجاهات الايجابية نحو المقرر الدراسي العليا وتحقق أعلى مستوى في التحصيل، وفي زيادة الدافعية، ويدعم مهارات التفكير العليا، ويحافظ على تركيز الطلاب وجذب انتباههم (Adams, 2008; Kapoun, 2003; Gurie & Fair 2011).

لهم، حيث يتم عرض محتوى الدرس بالصوت والصورة واللون والحركة والرسم، والتحكم في السرعة وزمن العرض، مما جعل الموقف التعليمي يقترب من الواقع ويحاكيه، ويمكن تعريف برنامج العروض التقديمية بأنه: أحد برامج العروض التقديمية التي أصدرتها شركة مايكروسوفت يحتوي على مجموعة من قوالب التصميم والخلفيات والصور، ولقطات الفيديو، والمؤثرات الصوتية، والحركية، التي تمكن من تصميم عروض متميزة وجذابة.

ويعرفه عبد الحميد (٢٠٠٢: ٢٣٥): بأنه أحد برامج مايكروسوفت أوفيس (M.S.office) يمكن من خلاله تحويل الأفكار والمعلومات الى عرض (Presentation) على شاشة الحاسوب، ويتألف من عدة شرائح (Slides) لجذب انتباه المشاهدين، حيث يتم العرض بتأثيرات الحركة والصوت والصورة، بالإضافة الى خاصية عرض المعلومات بصورة تفاعلية دون الحاجة إلى الانتقال من شريحة إلى أخرى.

ويعرفه العطوي (٢٠٠٩: ٥٦٤): بأنه مجموعة من الشرائح الخاصة بالحاسوب، تحتوي على نصوص، وصور، وأصوات، ولقطات فيديو، ورسوم، وتخطيطات بيانية تهدف لتحقيق توصيل المعلومات والمعارف، أو تعديل اتجاهات، أو إكساب قيم وعادات، ويتم عرضها بطرق وأساليب معينة.

لذلك تعد برامج العروض التقديمية من أهم تطبيقات تكنولوجيا التعليم، إذ أوجدت طفرة واسعة

كما أنه يعد استراتيجية فعالة لإدارة وتنظيم مسار النقاش في قاعة الدرس أكثر من اعتباره أداة لعرض المعلومات نفسها، وهو مصمم أيضا لتطوير الأفكار وترتيب طريقة التفكير ودعم التفكير الناقد والاستيعاب ومهارات التفكير المختلفة Keef & Willet, 2004).

ومن هنا يعد برنامج البوربوينت (Power Point) أحد برامج العروض التقديمية إذ يتصف بالسهولة في التعامل مع أوامره نسبيا، واستخدام الجديد في تكنولوجيا التعليم من المؤثرات المحسنة كعناصر الحركة، واللون، والصوت والتي تضيف الجاذبية والتشويق على الموقف التعليمي (الأنور، ٢٠٠٦، ٢٢١).

كما أن استخدام برنامج العروض التقديمية يوفر للدرس الكثير من المزايا التي من شأنها زيادة فاعلية التعلم مثل سهولة إضافة الشرائح وحذفها، وسهولة حفظ واسترجاع شرائح العرض، وتوفير خيارات متعددة لطباعة الشرائح، ويوفر العديد من الرسوم التي يمكن إضافتها إلى الشرائح، وإمكانية عرض البيانات على شكل رسوم بيانية، وسهولة تنسيق شرائح العرض بأشكال متعددة، وإمكانية إضافة مقاطع فيديو إلى الشرائح، وإمكانية إضافة مؤثرات صوتية وحركية على الشرائح، وإمكانية نقل الشرائح بمؤثرات متعددة، وإمكانية تحويل شاشة العرض إلى ما يشبه السبورة، وتوقيت انتقال الشرائح (آليا) (أبو شقير وعقل، ٢٠١٠: ٦٦٨) (الزين، ١٣٤: ٢٠١٤).

وانطلاقا من أهمية تطوير الأساليب المتبعة في التدريس باستخدام الحاسوب وتطبيقاته المختلفة في عملية التعليم، وخاصة برنامج العروض التقديمية، فقد سعى الباحث إلى تطبيق هذه الاستراتيجية الجديدة في التعليم الجامعي؛ لبيان مدى فاعليتها في عملية التدريس، ولفت أنظار القائمين على الشؤون التعليمية في الجامعة من أجل توجيه المدرسين إلى استخدام العروض التقديمية بدلا من الطريقة التقليدية في عملية التدريس من أجل تحقيق أهداف المناهج الدراسية، واكتساب الفوائد التربوية تعود بالنفع على الطلبة والجامعة والمجتمع معا.

الدراسات السابقة.

لقد أشارت بعض الدراسات إلى أن إعداد برامج تعليمية باستخدام العروض التقديمية يزيد من فاعلية عملية التدريس، وتجعلها جذابة ومثيرة لانتباه الطلاب ويزيد من استيعابهم وفهمهم للمقررات الدراسية، ومن هذه الدراسات:

أجرى براون شتاين (Brown stein, 1993) دراسة حول استخدام برنامج العروض التقديمية في التعليم، وأشارت النتائج إلى أنه برنامج عرض جيد يسمح للمعلمين بعمل عروض تعليمية لصالح طلابهم، ويمتلك مواصفات جيدة لاستخدامه في العملية التعليمية.

وأجرى (طلبة، ٢٠٠٢) دراسة هدفت إلى تدريب المعلمين على استخدام العروض التقديمية في تصميم وإنتاج برمجيات تعليمية متعددة الوسائط،

وتنمية اتجاهاتهم نحو استخدام الحاسوب في التعليم، وتوصلت الدراسة إلى تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي، ومقياس الاتجاهات.

وأجرت (ماجدة صديقي، ٢٠٠٧) دراسة هدفت إلى التعرف على أثر استخدام العروض التقديمية لخرائط المعرفة على تحصيل الطالبات الصف الثالث الثانوي في فهم نصوص اللغة الإنجليزية بمدينة مكة المكرمة، وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل البعدي بين متوسطي المجموعتين التجريبية والضابطة عند المستوى الحرفي والمستوى الاستنتاجي لصالح المجموعة التجريبية.

أجرى (حياتي والنيل، ٢٠٠٧) دراسة هدفت إلى معرفة أثر استخدام برمجيات العروض الضوئية (برنامج البوربوينت) في التحصيل الدراسي في مقرر جغرافية علم الخرائط بالنسبة لطالبات الصف الثالث ثانوي بمدرسة بولاية الخرطوم بالسودان، ودلت النتائج بوجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل بين المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح المجموعة التجريبية، وأن البرنامج المصمم يساعد الطلبة في زيادة التحصيل والتركيز.

وأجرت (وفاء إبراهيم، ٢٠٠٨) دراسة هدفت إلى معرفة أثر استخدام العروض التقديمية بواسطة الحاسوب الآلي كوسيلة تعليمية في تدريس مقرر المكتبة في التحصيل الدراسي لطالبات الصف الأول

الثانوي بالعاصمة المقدسة بالمملكة العربية السعودية. وأسفرت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة في التحصيل البعدي ولصالح المجموعة التجريبية.

وأجرى (الفهادي وعلي، ٢٠٠٨) دراسة هدفت إلى معرفة أثر استخدام برنامج في الحاسوب البوربوينت (كطريقة تدريسية) على تحصيل طلبة قسم العلوم التربوية النفسية في كلية التربية في مادة الإنكليزي، وخلص البحث إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات كلتا المجموعتين ولصالح المجموعة التجريبية وفي جميع المجالات.

وأجرى (الهباد، ٢٠٠٨) دراسة لبيان أثر استخدام العروض التقديمية بالبوربوينت في تدريس الجغرافيا على التحصيل وبقاء أثر التعلم والاتجاهات نحو استخدام الحاسب الآلي لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في منطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية. وأسفرت النتائج في زيادة التحصيل وبقاء أثر التعلم وتكوين اتجاه إيجابي نحو استخدام الحاسب في تدريس الجغرافيا لدى التلاميذ، مع وجود ارتباط موجب بين التحصيل في الجغرافيا وبين الاتجاه نحو استخدام الحاسب في تدريس الجغرافيا.

وأجرى (السلمي، ٢٠٠٩) دراسة هدفت إلى التعرف على أثر استخدام العروض التقديمية في التحصيل الدراسي في مادة النحو والاتجاه نحوها لدى طلاب الصف الأول الثانوي بالعاصمة المقدسة (مكة المكرمة) بالسعودية، وأسفرت نتائج الدراسة

عن وجود فروق دالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة في المجموع الكلي لدرجات التحصيل في مادة النحو لصالح المجموعة التجريبية التي درست بطريقة العروض التقديمية.

وأجرى (الجهني، ٢٠١٢) دراسة هدفت إلى معرفة فاعلية برنامج قائم على العروض التقديمية لتنمية بعض مهارات التذوق الفني لدى طلاب قسم التربية الفنية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة واتجاهاتهم نحوه، وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي وفي مقياس الاتجاه لصالح المجموعة التجريبية.

وأجرى (زيدان، ٢٠١٦) دراسة تناولت مدى فاعلية توظيف برنامج بوروينت في تنمية طلاب الصف الأول الابتدائي ذوي صعوبات الكتابة بمدرسة منار سدير بمحافظة المجمعة بالمملكة العربية السعودية، وأسفرت النتائج عن أهمية استخدام برنامج بوروينت في تدريس مادة لغتي للصف الأول الابتدائي لما له من فاعلية في تنمية مهارات الكتابة.

وأجرى (السيد، ٢٠١٦) دراسة هدفت إلى التعرف على أثر استخدام التعلم المدمج في تدريس مقرر الحاسب الآلي على تنمية بعض مهارات برنامج البوروينت لدى طالبات الدبلوم العام شعبة مواد صناعية بكلية التربية واتجاهاتهن نحوه، وقد أسفرت النتائج على أن استخدام التعلم المدمج في تدريس مقرر الحاسب الآلي كان له أثر فعال في

تنمية كل من الجانب المعرفي والجانب الأدائي المرتبط بمهارات برنامج البوروينت لدى طالبات المجموعة التجريبية، وفي تنمية اتجاهاتهن نحو استخدامه في تدريس المقرر.

التعقيب على الدراسات السابقة.

١. أجريت الدراسات السابقة في فترات زمنية حديثة كدراسة طبله (٢٠٠٢)، ودراسة السلمي (٢٠٠٩)، ودراسة زيدان (٢٠١٦)، وهذا يرجع إلى حداثة وأهمية العروض التقديمية واستخدامها في التعليم.

٢. غالبية الدراسات استخدمت المنهج الوصفي، والمنهج التجريبي أو الشبه التجريبي كدراسة صديقي (٢٠٠٧)، وإبراهيم (٢٠٠٨)، والمنهج التجريبي كدراسة حياتي والنيل (٢٠٠٧).

٣. جميع الدراسات استخدمت العروض التقديمية والاختبارات التحصيلية كأداة للدراسة كوفاء إبراهيم (٢٠٠٨)، والسيد (٢٠١٦) وبينت الدور الإيجابي لبرنامج العروض التقديمية في العملية التعليمية ولمختلف المواد الدراسية والمراحل التعليمية.

٤. كانت جميع الدراسات السابقة تظهر فروقا ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعة التجريبية التي درست بواسطة العروض التقديمية.

وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة في اتباع المنهج المستخدم في دراساتهم كالمنهج الوصفي، والمنهج شبه التجريبي، وفي بناء الاختبار

أهمية الدراسة.

تتلخص أهمية الدراسة فيما يلي:

- العمل على مواكبة التطور العلمي والتقدم التكنولوجي والاستفادة منها في توظيف التقنيات الحديثة في العملية التعليمية ومنها برنامج العروض التقديمية.

- إن تصميم برمجيات جاهزة كالعروض التقديمية واستخدامها في العملية التعليمية تعد من طرائق التدريس الحديثة التي لم تزل العناية الكافية من قبل الباحثين في الجامعات السعودية.

- توجيه نظر المسؤولين في الجامعة بأهمية استخدام برامج العروض التقديمية في عملية التدريس لما لها من أثر فعال في زيادة مستوى التحصيل لدى الطلبة، وتحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

- توجيه نظر المعنيين في الجامعة لإعداد ورش عمل ودورات تدريبية لتدريب الأساتذة على مهارات تصميم برمجيات العروض التقديمية بطرق علمية صحيحة.

- توجيه المجتمع الأكاديمي في الجامعة على ضرورة تطوير طرائق التدريس لديهم ومن بينها استخدام العروض التقديمية.

أسئلة الدراسة.

حاولت الدراسة الإجابة عن السؤالين:

١- ما أثر استخدام برنامج العروض التقديمية (Power Point) كاستراتيجية تدريس في رفع مستوى

كأداة للدراسة، والاستفادة منها في تصميم العروض التقديمية باستخدام الحاسوب.

فروض الدراسة.

١- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) بين متوسطات درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات طلاب المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي البعدي لصالح طلاب المجموعة التجريبية.

٢- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) بين متوسطات درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات طلاب المجموعة الضابطة في مقياس الاتجاهات البعدي لصالح طلاب المجموعة التجريبية.

أهداف الدراسة.

تأتي هذه الدراسة لتحقيق الآتي:

- التعرف على واقع استخدام العروض التقديمية بواسطة الحاسوب كوسيلة تعليمية في المرحلة الجامعية.

- معرفة أثر استخدام العروض التقديمية بواسطة الحاسوب في تدريس مهارات اللغة العربية في التحصيل المعرفي.

- تطوير تدريس مقررات اللغة العربية وتنمية الاتجاهات نحوها لدى طلاب الجامعة.

- توضيح الفرق بين التدريس عن طريق العروض التقديمية والتدريس بالطريقة التقليدية.

تحصيل الطلبة في مهارات اللغة العربية مقارنة بالطريقة التقليدية السائدة في عملية التدريس؟

٢- ما أثر استخدام برنامج العروض التقديمية (Power Point) كاستراتيجية تدريس في تنمية اتجاهات موجبة نحو مهارات اللغة العربية لدى طلاب عينة البحث؟

مصطلحات الدراسة.

برنامج العروض التقديمية (Presentation Power Point): هو أحد البرامج القائمة على توظيف إمكانيات الحاسوب من المؤثرات الحسية المتمثلة من (النصوص، الرسوم الخطية والثابتة، الصور المتحركة، المؤثرات الصوتية والحركية، اللون) في تنظيم وتتابع يظهر في صورة عرض متكامل للمعلومات يتسم بالتفاعلية، وتضفي الجاذبية والتشويق على الموقف التعليمي.

الاتجاه Attitude: عبارة عن مجموعة من السلوكيات ذات العلاقة باستجابة طلاب الانتظام نحو المهارات اللغوية بالقبول أو الرفض، ويقاس الاتجاه نحو المادة في هذا البحث بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على المقياس المعد لهذا الغرض.

التحصيل Achievement: هو مقدار ما يحصل عليه الطالب من معلومات أو مفاهيم أو مهارات لغوية من وحدات مقرر المهارات اللغوية (١٠١)، معبراً عنها بدرجات في الاختبار التحصيلي الذي تم إعداده لهذا الغرض، وتميز بالصدق والثبات.

الطريقة التقليدية: Classic way: وهي طريقة تدريس يكون فيها المعلم هو محور العملية التعليمية، ويكون دور الطالب فيها متلقياً، وتعتمد على أسلوب المحاضرة واستخدام (السبورة والأقلام الملونة).

كتاب المهارات اللغوية (ARAB 101): وهو متطلب جامعي إجباري لجميع طلاب جامعة الملك عبد العزيز الذي تقرر تدريسه اعتباراً من الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣٤/١٤٣٥ هـ.

طلاب الانتظام: Students of regularity: وهم الطلبة الذين يدرسون في مختلف التخصصات الجامعية بعد اجتيازهم السنة التحضيرية بنجاح. **مجتمع الدراسة.**

تكون مجتمع الدراسة من جميع طلاب الانتظام الذكور الذين يدرسون مقرر اللغة العربية (١٠١) (ARAB) في قسم المواد العامة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في الفصل الأول من العام الجامعي (١٤٣٨/١٤٣٩ هـ الموافق (٢٠١٧/٢٠١٨ م)، والبالغ عددهم (١٢٠٠) طالباً لإجراء التجربة. **عينة الدراسة.**

اختيرت عينة الدراسة بطريقة قصدية من طلاب الانتظام بقسم المواد العامة، وتألفت من (٢٤٠) طالباً يمثلون ما نسبته ٢٠% من مجتمع الدراسة، قسمت إلى مجموعتين: طلاب لشعبة (BF) كمجموعة تجريبية، وعددهم (١٢١) طالباً، ومن شعبة (HQ) كمجموعة ضابطة وعددهم (١١٩) طالباً.

متغيرات الدراسة.

تضمنت الدراسة المتغيرات الآتية:

- أولاً: المتغيرات المستقلة: وتتمثل في طريقة التدريس، ولها مستويان:
- (أ) طريقة التدريس باستخدام العروض التقديمية (البوربوينت). (ب) الطريقة التقليدية السائدة.
- ثانياً: المتغير التابع: التحصيل.

منهج الدراسة.

استخدم الباحث المنهج الوصفي لمعالجة الإطار النظري للبحث، والمنهج شبه التجريبي لمعرفة أثر برنامج العروض التقديمية والتجريب على عينة من طلاب الانتظام بقسم المواد العامة، والذي يمكن من خلاله معرفة ما إذا كان للمتغير المستقل الذي يمثل طريقة التدريس التقليدية، وبرنامج العروض التقديمية (بوربوينت Power Point) (أي أثر على المتغير التابع الذي يمثل) تحصيل التلاميذ واحتفاظهم به.

أدوات الدراسة.

لإجراء الدراسة تم تصميم الأدوات التالية:

١- إعداد الاختبار التحصيلي.

صمم هذا الاختبار لغرض استخدامه كاختبار قبلي لقياس ما لدى طلاب الانتظام (عينة البحث) من مفاهيم ومهارات لغوية، وكاختبار بعدي لقياس مدى تحقق أهداف البرنامج التدريسي المقترح موضع التجريب.

بعد تحديد المفاهيم الرئيسية والفرعية المتعلقة

بالمحتوى العلمي للمقرر من النصوص، والنحو، والبلاغة، والإملاء، والمعجم اللغوي، تم صياغة مفردات الاختبار التحصيلي في صورة الاختيار من متعدد، وتألف من (٥٠) مفردة، ولكل مفردة أربعة بدائل واحدة منها صحيحة، وتم توزيع الأسئلة بالتساوي بين مفاهيم المقرر، وترجبت من السهل إلى الصعب (انظر الملحق ١).

صدق الاختبار.

يشير (عودة، ١٩٩٨: ٣٤٠) إلى أن "الاختبار الصادق هو الاختبار الذي يقيس ما وضع لقياسه"، وقد تم تحديد صدق الاختبار بدلالة صدق المحتوى، حيث تم عرض الاختبار في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين والمختصين للنظر في البدائل المقترحة، وسلامة الصياغة اللغوية، ومناسبة المفردات لطلاب عينة الدراسة، وعلى ضوء ملاحظاتهم تم إجراء التعديلات المطلوبة من حذف، وتعديل، وإضافة، حتى أصبحت الفقرات وبدائلها أكثر ملاءمة لمستوى الطلاب، ولأهداف الدراسة.

ثبات الاختبار.

بغرض التأكد من ثبات الاختبار تم تطبيقه على عينة استطلاعية مكونة من (١٠) طلاب من مجتمع الدراسة ومن خارج العينة، وبعد مرور أسبوعين أعيد تطبيقه على العينة الاستطلاعية مرة ثانية، وبعدها تم حساب معامل الارتباط (بيرسون) بين التطبيقين وتبين أنه (٠,٨٢)، وهو معامل جيد. كما تم تطبيق

(موافق، غير متأكد، غير موافق)، ووضعت تعليمات المقياس، وبذلك أصبح المقياس معدا في صورته المبدئية من (٣٠) عبارة. **صدق المقياس.**

تم عرض المقياس بصورته الأولية على مجموعة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس في المجال التربوي واللغة العربية، لتعرف على آرائهم من حيث سلامة العبارات، ومدى مناسبتها للطلاب عينة البحث، واتزان عبارات المقياس الموجبة والسالبة، وأخذ الباحث برأي المحكمين، وتم حذف بعض العبارات غير المناسبة، وإعادة صياغة بعضها، حتى أصبح المقياس في صورته النهائية يتألف من (٢٥) عبارة.

ثبات المقياس.

تم تطبيق المقياس في صورته المبدئية على عينة عشوائية من طلاب الانتظام، وتم حساب معامل (ألفا كرونباخ)، وكان معامل الثبات (٠,٨٢) وهو صالح لأغراض هذه الدراسة (انظر الملحق ٢). **طريقة تصحيح المقياس.**

اتبع الباحث في تقدير درجات المقياس نموذج ليكرت (موافق، غير متأكد، موافق)، وتوزعت الدرجات في حالة العبارات الموجبة (٣,٢,١)، وفي حالة العبارات السالبة (١,٢,٣)، وتكون الدرجة الكلية للمفحوص مساوية لمجموع القيمة المعطاة لكل البنود التي أجاب عنها، وبذلك يكون قد تم إعداد مقياس الاتجاهات في صورته النهائية.

معادلة كيودر - ريتشاردسون (K-S-20) على جميع فقرات الاختبار، وأظهرت النتائج أن معامل التجانس الداخلي بلغ (٠,٨٤)، وهي قيم ثبات مقبولة لأغراض تطبيق الاختبار، وبذلك أصبح صالحا للتطبيق (الملحق ١).

٢- إعداد مقياس الاتجاهات.

تعد تنمية اتجاهات الأفراد من أبرز أهداف التربية بصفة عامة، وأهداف تدريس اللغة العربية بصفة خاصة، وقد تم إعداد مقياس الاتجاهات نحو اللغة العربية لبيان فعالية تدريس اللغة العربية لطلاب الانتظام في قسم المواد العامة وتنمية اتجاهاتهم (عينة البحث) نحو اللغة العربية، وقد تم بناء المقياس وفق الخطوات التالية:

١- تم تحديد الهدف من المقياس وهو التعرف على اتجاهات طلاب الانتظام نحو مادة اللغة العربية وتعلمها.

٢- تم استعراض الدراسات السابقة والأدبيات التربوية والاستفادة منها في بناء المقياس وتطويره.

٣- تم اختيار طريقة ليكرت (Likert Scale)، وفيها توضع عبارات جدلية تختلف بشأنها وجهات النظر، وتندرج من الموافقة إلى المعارضة، وتكون المقياس من ثلاث استجابات وهي: (موافق - غير متأكد - غير موافق).

٤- تم صياغة عبارات المقياس في صورة عبارات موجبة (١٥)، وعبارات سالبة (١٥) من وجهة نظر المقياس، وأمام كل عبارة ثلاث استجابات وهي:

٣- برنامج العروض التقديمية.

تم إعداد وتصميم شرائح برنامج العروض التقديمية لجميع وحدات مقرر المهارات اللغوية (ARAB 101) ، وتم إضافة الصوت، والصور، واللون، والخط، وتأثيرات الحركة والخطية، والرسوم. **صدق البرنامج.**

تم عرض برنامج العروض التقديمية المصمم على مجموعة من المحكمين والمختصين في مجال الحاسوب وتكنولوجيا التعليم والمناهج وطرائق التدريس للتأكد من سلامة تصميم المادة العلمية والأبعاد التربوية له، وصلاحياتها للتطبيق، ومن ثم مدى تحقيقه الأهداف. وقد أسفرت عن نتائج إيجابية ساعدت في تطوير البرنامج وتعديله حسب ملاحظات المحكمين، حيث أكد غالبية المحكمين أن جميع الشرائح التزمت بالطرق العلمية في تصميمها، وكانت أهدافها واضحة، والصور المصاحبة لها معبرة، وكافية لشرح المفاهيم اللغوية، وأوصوا بضرورة إجراء بعض التعديلات، وحذف بعض النقاط، وقد تم إجراء التعديلات المطلوبة.

محددات الدراسة.

يقتصر إجراء هذه الدراسة على المحددات التالية:

١- يتكون مجتمع الدراسة من جميع طلاب الانتظام الذين يدرسون مقرر المهارات اللغوية (ARAB 101) في قسم المواد العامة بجامعة الملك عبد العزيز.

٢- تم اختيار العينة بالطريقة القصدية من نفس مجتمع الدراسة وتقسيمها إلى مجموعتين: المجموعة التجريبية تدرس المحتوى باستخدام العروض التقديمية (البوربوينت)، أما المجموعة الضابطة فتدرس نفس المحتوى بالطريقة التقليدية باستخدام (السبورة والأقلام الملونة).

٣- اقتصر التجريب على جميع وحدات المحتوى العلمي لمقرر المهارات اللغوية المستوى الأول (ARAB 101).

٤- تم تطبيق هذه الدراسة في الفصل الأول من العام الجامعي (١٤٣٨/١٤٣٩هـ الموافق ٢٠١٧/٢٠١٨م).

٥- تم استخدام برنامج العروض التقديمية (بوربوينت Power Point)، وتم عرض وحدات مقرر اللغة العربية المخزنة بملف في الحاسوب المحمول (الاب توب) بواسطة جهاز عرض البيانات (Data Show Projector).

الأساليب الإحصائية.

تم الاستعانة بالبرنامج الإحصائي (SPSS) في إدخال البيانات وتحليلها إحصائياً باستخدام الإحصاء الوصفي، مثل: التكرارات، النسب المئوية، المتوسطات الحسابية، الانحرافات المعيارية.

منهج الدراسة.

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي لدراسة الأدبيات والبحوث السابقة، وتحليل المحتوى، وإعداد أدوات البحث، كما استخدم المنهج شبه

- اختيار عينة البحث بطريقة عشوائية وتقسيمها إلى مجموعتين أحدهما تجريبية، والأخرى ضابطة.
- تطبيق أدوات البحث (الاختبار التحصيلي، ومقياس الاتجاهات) تطبيقاً قبلًا على المجموعتين الضابطة والتجريبية قبل تدريس المحتوى العلمي على الطلاب، ورصد النتائج ومعالجتها إحصائيًا والتأكد من تكافؤ مجموعتي البحث.
- تدريس المحتوى العلمي لمقرر اللغة العربية باستخدام برنامج العروض التقديمية (Power Point) لطلاب المجموعة التجريبية، وتدريب نفس المحتوى بالطريقة التقليدية (السبورة والأقلام الملونة) لطلاب لمجموعة الضابطة.
- تطبيق أدوات البحث (الاختبار التحصيلي) بعد تدريس المحتوى العلمي لمقرر اللغة العربية على طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة.
- تطبيق مقياس الاتجاهات على طلاب المجموعة التجريبية فقط.
- ٦- رصد البيانات وإجراء المعالجات الإحصائية وتحليلها وتفسيرها.
- ٧- عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها في ضوء نتائج الدراسات السابقة.
- ٨- تقديم التوصيات والمقترحات المناسبة في ضوء ما تسفر عنه نتائج الدراسة الحالية.

التجريبية لإجراء تجربة البحث، وهو منهج يقوم على استخدام التجربة العملية في دراسة الظاهرة أو الموضوع (جودة، ٢٠٠٦: ٣٣).

خطوات الدراسة.

سارت هذه الدراسة وفق الخطوات التالية:

- ١- الاطلاع على الأدبيات التربوية والدراسات السابقة ذات الصلة بمتغيرات البحث والاستفادة منها في إعداد الإطار النظري وأدوات البحث.
- ٢- إعادة صياغة محتوى مادة اللغة العربية في ضوء الاستراتيجية المقترحة (العروض التقديمية) بواسطة الحاسوب، ولتحقيق المطلوب تطلب ما يلي:
 - تحليل المحتوى العلمي لمقرر اللغة العربية والتوصل إلى قائمة أولية بالمهارات.
 - صياغة المحتوى العلمي لمقرر اللغة العربية في صورة شرائح عروض تقديمية تقدم للطلاب بواسطة الحاسوب.
 - عرض المحتوى العلمي لمقرر اللغة العربية بعد أن تم صياغته في ضوء الاستراتيجية المقترحة على مجموعة من المحكمين في صورته النهائية.
- ٣- إعداد اختبار تحصيلي لقياس الجانب المعرفي المرتبط بمهارات البوربوينت وعرضه على مجموعة من المحكمين، ثم تأكد من صدقه وثباته.
- ٤- إعداد مقياس الاتجاهات لقياس اتجاه الطلاب نحو مادة اللغة العربية، ثم حساب صدقه وثباته.
- ٥- تنفيذ تجربة البحث وتم ذلك على النحو التالي:

نتائج الدراسة ومناقشتها.

أولاً: النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول،
الذي نصه:

ما أثر استخدام برنامج العروض التقديمية (Power Point) كاستراتيجية تدريس في رفع مستوى تحصيل الطلبة في مهارات اللغة العربية مقارنة بالطريقة التقليدية السائدة في عملية التدريس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم مقارنة درجات طلاب المجموعة التجريبية بـدرجات طلاب المجموعة الضابطة في الاختبار القبلي حسب الجدول الآت

جدول (٤)

متوسط الدرجات وقيمة (ت) في الاختبار القبلي بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

متوسطات الاختبار القبلي	درجات	متوسط الفروق	قيمة (ت) المحسوبة	مستوى دلالة ت (٠,٠٥)
	المجموعة التجريبية	المجموعة الضابطة		
٠,٨٣	٠,٨٠	٠,٠٣	١,٢٧	٢,٠٤
			تقريباً	

يتضح من الجدول (٤) أن قيمة (ت) المحسوبة أصغر من قيمة (ت) الجدولية، ومعنى هذا أن الفروق بين اتجاهات كل المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي القبلي غير دال إحصائياً، وهذا يشير على إلى أن المجموعتين متجانستان في المعلومات الواردة في مقرر اللغة العربية (١٠١) موضع التجريب قبل تدريسها.

كما تم مقارنة درجات طلاب المجموعة التجريبية بـدرجات طلاب المجموعة الضابطة في الاختبار البعدي حسب الجدول الآتي:

جدول رقم (٥)

متوسط الدرجات وقيمة (ت) في الاختبار البعدي بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

متوسطات الاختبار البعدي	درجات	متوسط الفروق	قيمة (ت) المحسوبة	مستوى دلالة (ت) (٠,٠١)
	المجموعة التجريبية	المجموعة الضابطة		
٤٨	٣٥	١٣	١٥,٤٨	٢,٧٥

يتضح من النتائج الموضحة في الجدول (٥) أن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من قيمة (ت) الجدولية، ومعنى هذا أن الفروق بين درجات التحصيل لطلاب المجموعة التجريبية والضابطة في الاختبار البعدي؛ أي بعد دراسة المقرر موضوع التجريب دال إحصائياً عند مستوى (٠,٠١).

لقد أظهرت النتائج السابقة تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا المقرر وفق استراتيجية العروض التقديمية على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا المقرر على وفق الطريقة التقليدية (السبورة والأفلام الملونة) في التحصيل والاحتفاظ به، وهذا يدل على أن مقدار تأثير استخدام العروض التقديمية في تدريس مقرر اللغة العربية (المستوى الأول ١٠١) ساعد بشكل كبير في تنمية الجانب المعرفي المرتبط بالمعلومات والمفاهيم والحقائق والمهارات اللغوية المختلفة.

بطريقة مشوقة وفعالة، مما جعل لهم دورا إيجابيا في العملية التعليمية، وأكثر قدرة على التعلم، وأقل عرضة لنسيان ما تعلموه، مما أسهم في تنمية الجانب المعرفي لديهم، ورفع تحصيلهم العلمي.

ويلاحظ أن نتائج هذه الدراسة تتفق مع نتائج الدراسات السابقة كدراسة كُلاً من (طبله، ٢٠٠٢)، ودراسة (ماجدة صديقي، ٢٠٠٧)، ودراسة (حياتي والنيل، ٢٠٠٧)، ودراسة (وفاء إبراهيم، ٢٠٠٨)، ودراسة (زيدان، ٢٠١٦) التي أشارت إلى مدى فاعلية استخدام العروض التقديمية في التدريس وزيادة التحصيل والتركيز لدى الطلبة أكثر من الطريقة التقليدية القائمة على استخدام السبورة والأقلام الملونة.

وأوصت بتوظيف العروض التقديمية كوسيلة تعليمية لتدريس مختلف المواد الدراسية لما لها من مردود جيد في رفع مستوى تحصيل الطلاب.

وبذلك يكون قد تم التأكيد من صحة الفرض الأول من فرض البحث وهو: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) بين متوسطات درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات طلاب المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي البعدي لصالح طلاب المجموعة التجريبية.

وذلك يعود إلى أن العروض التقديمية احتوت على مجموعة من الصور والنصوص والمؤثرات الصوتية، الأمر الذي أدى الى توضيح المعارف والمفاهيم للطلاب مما أسهم في زيادة تحصيلهم العلمي.

كما أن استخدام استراتيجية (العروض التقديمية) في تدريس مادة اللغة العربية زاد من التفاعل الدائم بين الطلاب والمستوى التعليمي المباشر، وكذلك بينهم وبين المدرس مما أسهم في تنمية الجانب المعرفي المرتبط بمهارات اللغة العربية.

كما أن استخدام العروض التقديمية أثار عنصر التشويق لدى الطلاب، وجعلهم في حالة شوق وجذب دائم بالنسبة إليهم، ودفعتهم إلى الانتباه المستمر خلال دراسة المقرر موضع التجريب، وامتلاكهم رغبة شديدة في التعلم، وأثارت الدافعية لديهم نحو عملية التعلم بصورة وظيفية، وهذا يعتبر حافزاً كبيراً على التعلم والتعليم.

كما أن استخدام العروض التقديمية جعل الأهداف التعليمية المطلوب تحقيقها واضحة أمام الطلاب من خلال وضعها في بداية كل وحدة دراسية؛ مما أدى إلى إدراكهم مما هو مطلوب منهم قبل الدراسة، وكذلك استماعهم إلى تفسيرات المدرس وشرحه لبعض المفاهيم الغامضة ساعدهم على وضوح الجوانب المعرفية المرتبطة بالمهارات اللغوية، وسهل عليهم التعلم، والتفاعل بين الطلاب والمادة الدراسية بأسلوب مشوق وممتع، وتقديم المعلومة

موضوع التجريب كانت متجانسة، وذلك قبل تدريسها.

٢- تمت مقارنة طلاب المجموعة التجريبية مع درجات طلاب المجموعة الضابطة في مقياس الاتجاهات بعد دراسة مقرر اللغة العربية موضع التجريب في الجدول الآتي:

جدول رقم (٧)

يبين قيمة (ت) في مقياس الاتجاهات البعدي بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

متوسطات الاختبار البعدي	درجات	متوسط الفروق	قيمة (ت) المحسوبة	مستوى دلالة ت (٠,٠١)
المجموعة التجريبية	٥٣,٣	١١,٠٧	١٣,٣٠	٢,٧٥

يتضح من نتائج الجدول (٧) أن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من قيمة (ت) الجدولية، ومعنى هذا أن الفروق بين اتجاهات كل من طلاب المجموعة التجريبية والضابطة بعد دراسة مقرر اللغة العربية موضوع التجريب دال إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) لمقياس الاتجاهات الإيجابي للعروض التقديمية نحو مادة اللغة العربية.

ومعنى هذا أن تدريس مادة اللغة العربية باستخدام استراتيجية (العروض التقديمية) كان أفضل من التدريس بالطريقة التقليدية، وأنها أسهمت في تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو تعلم اللغة العربية، ولها تأثير كبير ولصالح المجموعة التجريبية، وحببت إليهم دراسة المادة، وجعلتهم في رغبة مستمرة

أولاً: النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثاني، الذي نصه:

ما أثر استخدام برنامج العروض التقديمية (Power Point) كاستراتيجية تدريس في تنمية اتجاهات موجبة نحو مهارات اللغة العربية لدى طلاب عينة البحث؟

١- تم مقارنة طلاب المجموعة التجريبية مع درجات طلاب المجموعة الضابطة في مقياس الاتجاهات قبل دراسة مقرر اللغة العربية موضع التجريب حسب الجدول الآتي:

جدول رقم (٦)

يبين قيمة (ت) في مقياس الاتجاهات القبلي بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

متوسطات الاختبار القبلي	درجات	متوسط الفروق	قيمة (ت) المحسوبة	مستوى دلالة (ت) (٠,٠٥)
المجموعة التجريبية	٤,٣	٠,٠٥	١,٩٤	٢,٠٤

يتضح من نتائج الجدول (٦) أن قيمة (ت) المحسوبة أصغر من قيمة (ت) الجدولية، ومعنى هذا أن الفروق بين اتجاهات كلتا المجموعتين التجريبية والضابطة قبل دراسة وحدات المقرر موضوع التجريب غير دال إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥)، وهذا يدل على أن اتجاهات الطلاب نحو موضوعات الدراسة المتضمنة في مقرر اللغة العربية

لدراستها، ولم يظهر على أحد منهم الملل أثناء دراسة وحدات مقرر اللغة العربية موضع التجريب.

ويعزو الباحث ذلك إلى أن استراتيجية العروض التقديمية تعد طريقة تدريس جديدة بالنسبة لطلاب المجموعة التجريبية حيث أسهمت في تكوين اتجاهات إيجابية لديهم بعدما رفعت من تحصيلهم العلمي، وأكسبتهم المهارات اللغوية من خلال تفاعلهم الإيجابي أثناء المحاضرات، واستثارت قدراتهم، وطاقتهم، ومنحتهم طابعاً حيوياً وفعالاً.

ومن جهة أخرى نمت لديهم الثقة بالنفس، وشعورهم بأنها تساعدهم على مواكبة العصر، والتغير التكنولوجي السريع في مجال التعليم، حيث عرضت المادة من خلال العروض التقديمية بصورة شيقة، ومختصرة، ومدعومة بالحركة، والألوان، والصور، والمؤثرات الصوتية، مما جذب انتباه الطلاب نحو العروض، وجعلهم أكثر تشوقاً للدراسة، الأمر الذي ساعد على تنمية اتجاهات إيجابية نحو تعلم مهارات اللغة العربية المختلفة، التي تعتبرها نافذة المعرفة الواسعة التي ينظرون من خلالها إلى آفاق المعرفة الرحبة، ويستخدمونها في المحادثة والقراءة والكتابة في حياتهم الجامعية، وفي حياتهم العملية.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج الدراسات السابقة التي أشارت إلى فاعلية العروض التقديمية في زيادة التحصيل لدى الطلاب يتبعه تنمية الاتجاه الإيجابي في الاتجاهات لديهم نحو تعلم المواد

الدراسية المختلفة، وجعلهم يشعرون بالرضا نحوها، وبالتالي تكونت لديهم اتجاهات إيجابية نحو تعلمها، ومن هذه الدراسات دراسة (طبله، ٢٠٠٢) و(الهباد، ٢٠٠٨) و(السيد، ٢٠١٦).

وبذلك يكون قد تم التأكيد من صحة الفرض الثاني من فروض البحث وهو: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) بين متوسطات درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسطات طلاب المجموعة الضابطة في مقياس الاتجاهات لصالح طلاب المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي".

النتائج والتوصيات.

- أشارت نتائج الدراسة إلى أن استخدام الطلاب لاستراتيجية العروض التقديمية أسهمت في تنمية التحصيل المعرفي لديهم كما بينت الفروق الإحصائية بين متوسطات القياس للاختبارين القبلي والبعدي.

- أشارت نتائج الدراسة إلى أن تدريس مادة اللغة العربية باستخدام العروض التقديمية أسهم في تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الطلبة نحو تعلم اللغة العربية.

- أشارت نتائج الدراسة إلى أن العروض التقديمية أسهمت في إثارة انتباه الطلبة وزادت من نشاطهم ودافعيتهم للتعلم، ومن ثم الوصول لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة إذا ما تم استثمارها استثماراً جيداً وهو ما أكدته هذه الدراسة.

- الدعوة الى توظيف العروض التقديمية كوسيلة تعليمية في التدريس الجامعي لما لها من دور فعال في رفع مستوى تحصيل الطلاب.
 - إجراء دراسات مماثلة لبرنامج العروض التقديمية في المقررات الدراسية الجامعية الأخرى.
 - الاهتمام بطرائق التدريس الحديثة بهدف مواكبة التطور العلمي والتي تنمي القدرات الذهنية لدى الطلبة الجامعيين.
 - دراسة أثر استخدام برنامج العروض التقديمية في تنمية مهارات التفكير العلمي لدى الطلاب الجامعيين.
 - العمل على عقد دورات لتدريب أعضاء هيئة التدريس على كيفية إعداد وتصميم واستخدام برامج العروض التقديمية الفعالة.
 - تهيئه القاعات التدريسية لكي يتشجع الأساتذة على استخدام التقنيات الحديثة في التدريس.
- المصادر والمراجع**
- أولاً: المراجع العربية:**
- إبراهيم، وفاء بنت خليل حبيب (٢٠٠٨). أثر استخدام العروض التقديمية بواسطة الحاسب الآلي في تدريس مقرر المكتبة في التحصيل الدراسي لطالبات الصف الأول الثانوي بالعاصمة المقدسة. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
 - أبو شقير، محمد سليمان، وعقل، مجدي سعيد (٢٠١٠). فاعلية برنامج قائم على أسلوب التعليم الخصوصي في اكتساب مهارات العروض التقديمية لدى الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد (١٨)، العدد (٢)، ص ٦٤٩-٦٨١
 - الأنور، إيمان السيد (٢٠٠٦). فاعلية المدخل الحلزوني باستخدام برامج الكمبيوتر المتعدد الوسائط في اكتساب مهارات العروض التقديمية لدى الطلاب المعلمين بكلية التربية، مجلة كلية التربية بالإسماعيلية، مصر، العدد (٦٧)، ص ٢٠٧-٢٢٧
 - جبالي، رضا البرنس محمد (٢٠١٢). فاعلية برمجية وسائط متعددة قائمة على استراتيجية المتشابهات في تنمية الفهم والأحكام الخلقية في تدريس التاريخ لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا.
 - جودة، أمال (٢٠٠٦). دليل الطالب إلى البحث العملي في علم النفس، ط١، (د.ن).
 - الجهني، خالد بن عبد الحميد (٢٠١٢). فاعلية برنامج قائم على العروض التقديمية لتنمية بعض مهارات التذوق الفني لدى طلاب قسم التربية الفنية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة واتجاهاتهم نحوه. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية.

- حياتي، عمر أحمد، والنيل، صلاح يوسف (٢٠٠٧). استخدام برامج العروض الضوئية (برنامج البوربوينت) في تدريس جغرافية علم الخرائط وأثره في تحصيل طلاب المرحلة الثانوية بالسودان، مجلة دراسات تربوية، السودان، المجلد (٨)، العدد (١٦)، ص ٨٢-١١٩
- درويش، إيهاب (٢٠٠٩). التعليم الإلكتروني : مميزاته - مبرراته - متطلباته - إمكانية تطبيقه، القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع.
- زيدان، عادل عيسى (٢٠١٦). فاعلية توظيف برنامج بوربوينت في تنمية مهارات طلاب الصف الأول الابتدائي ذوي صعوبات الكتابة، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، العدد (١٥)، ص ٤١-٥١
- الزين، حنان بنت أسعد (٢٠١٤). معايير تصميم عروض تقديمية فعالة في التعليم الجامعي من وجهة نظر أعضاء الهيئة التعليمية، مجلة جامعة الأزهر، مج ٣، العدد ١٥٧، ص ١٣١-١٦٢
- سالم، أحمد محمد (٢٠٠٤). تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني، الرياض، مكتبة الرشد.
- السلمي، عبد العالي بن هلال (٢٠٠٩). أثر استخدام العروض التقديمية في التحصيل الدراسي في مادة النحو والاتجاه نحوها لدى طلاب الصف الأول الثانوي بالعاصمة المقدسة (مكة المكرمة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- السيد، عماد أبو سريع حسين (٢٠١٦). أثر استخدام التعلم المدمج في تدريس مقرر الحاسب الآلي على تنمية بعض مهارات برنامج البوربوينت لدى طالبات الدبلوم العام شعبة مواد صناعية واتجاهاتهن نحوه، مجلة كلية التربية، جامعة بنها- مصر. المجلد (٢٧)، العدد (١٠٦)، ص ١-٥٦
- صديقي، ماجدة شاكر (٢٠٠٧). أثر استخدام العروض التقديمية لخرائط المعرفة على تحصيل طالبات الصف الثالث الثانوي في فهم نصوص اللغة الإنجليزية بمدينة مكة المكرمة: دراسة شبه تجريبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- طبله، عبد العزيز (٢٠٠٢). برنامج مقترح لتدريب الطلاب المعلمين على استخدام العروض التقديمية في تصميم وإنتاج برمجيات تعليمية متعددة الوسائط وتنمية اتجاهاتهم نحو استخدام الحاسوب في التعليم، المؤتمر الرابع عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس. المجلد الأول، دار الضيافة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
- عبد الحميد، طبله عبد العزيز (٢٠٠٢). برنامج مقترح لتدريب الطلاب المعلمين على استخدام العروض التقديمية في تصميم وإنتاج برمجيات تعليمية متعددة الوسائط وتنمية اتجاهاتهم نحو

الموصل، العراق، المجلد (٧)، العدد (١)، ص
٣٦٤-٣٨١

- معروف، نايف (١٩٨٥). خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها، بيروت: دار النفائس.
- الهباد، فهد بن فالح (٢٠٠٨). أثر استخدام العروض التقديمية بالبوربوينت في تدريس الجغرافيا على التحصيل وبقاء أثر التعلم والاتجاهات نحو استخدام الحاسب الآلي، بحث مقدم الى مؤتمر العلمي الأول (تربية المواطنة ومناهج الدراسات الاجتماعية)، الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، مج ١، ص ٢٤٢-٢٧٥

ثانياً: المراجع الأجنبية

1-Adams, Catherine (2008). "PowerPoint and the Pedagogy of Digital

Media Technology". Ph. D. Diss., University of Alberta.

2- Canning. CI (2002): " Adoption of Computing The F .xnerience of

Teachers ' Dissertation Abstracts Microfilms, United States, Vol. 49, No, 5, P.P 306-307

3- Brownstein, E., (1993) Author your own, Friendlier Software for your International Power. ERIC document, Ohio, U.S.A.

Practice, Vol. 6, No. 1.

6- Keef, Daivd D. & Willett, James D. (2004) . "A case for PowerPoint as

a faculty Authoring System", Cell Biology Education: A Journal f life

science Education, available at: <http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC38025>

4. Retrieved:

88/1/8013

استخدام الكمبيوتر في التعليم. ورقة عمل مقدمة الى المؤتمر العلمي الرابع عشر، القاهرة، جامعة عين شمس، مصر. المجلد (١).

- عبد المنعم، علي (١٩٩٩). تكنولوجيا التعلم والوسائل التعليمية، ط٤، الإسكندرية، دار الشروق للطباعة، مصر.

- الفهادي، شعيب سعيد، وعلي، سعد غانم (٢٠٠٨). أثر استخدام برنامج في الحاسوب البوربوينت (كطريقة تدريسية) على تحصيل طلبة قسم العلوم التربوية النفسية في كلية التربية في مادة الإنكليزي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية التربية الأساسية، جامعة

4- Gurie, Chris& Fair, Brandy (2 0 1 1) . " PowerPoint from fabulous to

boring. The misuse of PowerPoint in higher education classrooms", Journal

of the Communication, Speech and Theater. Association of North Dakota.

Vol. 85

5- Kapoun, Jim (2003) . " The use of PowerPoint in the library

classroom: an experiment in learning outcomes", Library Philosophy and

The impact of the use of PowerPoint presentations in Arabic language courses on academic achievement and the development of their attitudes toward students of King Abdulaziz University.

Dr.. Mohammed Ali Al-Sweerky

Associate Professor - Faculty of Arts and Humanities - King Abdul Aziz University

Abstract: The aim of this study was to identify the effect of the use of PowerPoint presentations in teaching Arabic language courses on the academic achievement and the direction of students in King Abdul Aziz University in Jeddah, Saudi Arabia. The study sample consisted of (240) students. The researcher designed the Power Point program using the Date Show to explain the lessons by computer during the teaching of the experimental group, while using the traditional method of teaching the control group, and the preparation of the achievement test and the measure of trends after ascertaining their sincerity and stability, The two trading groups Yeh and control before and after the study, the results showed that the use of presentations has an effective impact on student achievement and their attitudes towards the Arabic language material compared to the traditional way. The study recommended the need to employ presentations in the teaching of Arabic language courses, and conduct similar studies for the program of presentations in the courses of the other faculties of the university.

Keywords: presentations, collection, computer, PowerPoint

(التوافق الدراسي في علاقته بالتدفق النفسي والرضا عن الحياة لدى طالبات الدبلوم التربوي بالتخصصات العلمية والأدبية بجامعة جدة)

د. نبيلة أكرم بخاري

أستاذ الصحة النفسية المساعد - كلية التربية - جامعة جدة

ملخص . هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين التدفق النفسي والرضا عن الحياة، والكشف عن طبيعة العلاقة بين التوافق الدراسي والرضا عن الحياة، بالإضافة إلى إمكانية التنبؤ بالتوافق الدراسي من كل من التدفق النفسي والرضا عن الحياة، والكشف عن الفروق في كل من التدفق النفسي والرضا عن الحياة والتوافق الدراسي وفقاً للتخصص الدراسي (علمي/أدبي)، فضلاً عن الكشف عن الفروق في كل من التدفق النفسي والتوافق الدراسي وفقاً لدرجة الرضا عن الحياة (مرتفعة/منخفضة)، تكونت عينة الدراسة من (٢٧٠) طالبة من طالبات الدبلوم التربوي بكلية التربية - جامعة جدة، بمتوسط عمري وقدره (٢٢,٢) عاماً، وانحراف معياري وقدره (٠,٩٦)، بالفصل الدراسي الثاني للعام (١٤٣٧ - ١٤٣٨هـ)، طبق عليهن مقياس التدفق النفسي الذي أعده (Jackson & Herbert, 1999)، وقامت الباحثة بتعريبه وتقنيته، ومقياس الرضا عن الحياة متعدد الأبعاد من إعداد Huebner (2001)، وتعريب وتقنين الباحثة، فضلاً عن مقياس التوافق الدراسي الذي أعده (youngman, 1979)، وقام الدريني عام (١٩٨٥م) بتعريبه وتقنيته على البيئة العربية، وانتهت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين التدفق النفسي والرضا عن الحياة، كما وجدت علاقة ارتباطية موجبة بين التدفق النفسي والتوافق الدراسي، كما تبين أن التدفق النفسي والرضا عن الحياة يساهمان في التنبؤ بالتوافق الدراسي، كما أظهرت النتائج وجود فروق بين أفراد العينة من التخصصين العلمي والأدبي في التوافق الدراسي لصالح التخصص العلمي، بينما لا توجد فروق بينهما في كل من التدفق النفسي والرضا عن الحياة، وأخيراً توصلت النتائج إلى وجود فروق بين أفراد العينة في كل من التدفق النفسي والتوافق الدراسي لصالح ذوي الرضا عن الحياة المرتفع.

الكلمات المفتاحية: التدفق النفسي، الرضا عن الحياة، التوافق الدراسي، الدبلوم التربوي، جامعة جدة

مشكلة الدراسة

يهتم علم النفس بدراسة البنية النفسية للطالب الجامعي بجوانبها المتعددة لما لها من أهمية بالغة وخاصة فيما يتعلق بتوافقه الدراسي كونه واحداً من

أهم مظاهر التوافق العام، ومن أكثر المؤشرات المتعلقة بصحة الطالب النفسية. فالتوافق وفقاً لأصحاب الاتجاه التكاملي عملية مواءمة بين حاجات الفرد ومطالب البيئة، فهي عملية مركبة من

عنصرين أساسيين يمثلان طرفي متصل أحدهما الفرد بحاجاته ودوافعه وآماله ورغباته؛ وثانيهما البيئة بمكوناتها المادية والاجتماعية والقيمية وبما يملكه من ضوابط ومواصفات وما تشتمل عليه من عوائق وصعوبات (شقورة، ٢٠٠٢)

وإنطلاقاً من تحول تركيز الدراسات النفسية إلى الجوانب الإيجابية في حياة الإنسان والذي نادى به Seligman عام (١٩٩٨م)، كجودة الحياة والرضا عن الحياة بجميع نواحيها الذاتية والدراسية والوظيفية والزواجية والأسرية والسعادة والتفاؤل والاستمتاع بالحياة والأمل والهناء النفسية والتسامح والقناعة. بات البحث في الجوانب الإيجابية أمراً مطلوباً وخاصة في ظل الظروف الحالية التي تكتنف أرجاء العالم والعالم الاسلامي خاصة للكشف عن مكامن القوة الإيجابية في النفس الإنسانية التي تدفعها نحو البناء والتقدم.

ويمثل التدفق النفسي الذي ظهر نتيجة أبحاث العالم المجري Csikszentmihaly عام ١٩٩٠م، أحد المتغيرات الإيجابية المتعددة للشخصية الإنسانية والتي تشكل جانباً كبيراً من جوانب شخصية الطالب فهي تؤثر في سلوكه المعرفي والاجتماعي والوجداني.

وتمثل حالة التدفق بالمعنى الذي توصف به في أدبيات علم النفس الإيجابي الخبرة الإنسانية المثلى Optimal Human Experience المجسدة لأعلى تجليات الصحة النفسية الإيجابية وجودة

الحياة بصفة عامة؛ لكونها حالة تعني استغراق الفرد في المهام والأعمال التي يقوم بها استغراقاً تاماً ينسى به ذاته والوسط والزمن والآخر كل الآخر كأنه في حالة من غياب للوعي بكل شيء آخر عدا هذه المهام أو الأعمال ويكون كل ذلك مقترناً بحالة من النشوة والابتهاج والصفاء الذهني الدافع له باتجاه المداومة والمثابرة ليصل في نهاية الأمر إلى إبداع إنساني من نوع فريد بها دون انتظار لأي تعزيز من أي نوع، وتكون هذه الحالة مطلوبة لذاتها ويكمن فيها وفيما تتضمنه سر الرفاهية والسعادة الشخصية والإحساس العام بجودة الحياة، لكونها تضفي المعنى والقيمة على هذه الحياة (أبو حلاوة، ٢٠١٣: ٨).

ويترتب على الشعور بالتدفق النفسي آثاراً إيجابية منها خفض الشعور بالخوف والملل واللامبالاة، تقوية الثقة بالنفس والاستقلالية، تنمية التخيل العقلي، التفكير الإبداعي، مستوى الطموح ودافع الإنجاز، القدرة على مواجهة التحديات في الأداء، الفاعلية الذاتية وتحمل المسؤولية (باطة، ٢٠٠٩: ٣)، كما أن التدفق يمكن أن يصبح فعالاً في العملية التعليمية من خلال التركيز على الأنشطة التي تستدعي هذه الحالة.

وفي نفس السياق يمثل مفهوم الرضا عن الحياة أحد الجوانب الإيجابية للشخصية الإنسانية بل في تصورنا يمثل جل الجوانب الإيجابية في حياة الإنسان على إطلاقها لأنه ينطوي على أبعاد

النفسية والشعور بالسعادة في الحياة، كما أن الإحساس بعدم الرضا عن الحياة له تأثير سلبي على شخصية الفرد وتوافقه مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه (الدسوقي، ١٩٩٨: ٣ - ٥)، كما يعد الرضا عن الحياة عاملاً أساسياً في تقبل الفرد للأحداث والمواقف الحياتية، لذلك فإن انخفاض مستوى الرضا يدل على عدم التوافق النفسي، والتأزم عند مواجهة ضغوط الحياة، والحياة الجامعية بجوانبها المتعددة قد تكون من إحدى مصادر الضغوط التي يتعرض لها الطلاب، بالإضافة إلى المواقف الضاغطة التي يتعرضون لها أثناء هذه المرحلة في الأسرة أو حتى الضغوط الذاتية، لذا فإن هذه العوامل يمكن أن تؤثر على توافق الطلاب الدراسي، وصحتهم النفسية ورضاهم عن حياتهم (الشعراوي، ١٩٩٩: ١٥١).

مما سبق تتحدد مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

١. هل توجد علاقة بين التدفق النفسي (الأبعاد والدرجة الكلية)، والرضا عن الحياة (الأبعاد والدرجة الكلية) لدى أفراد عينة الدراسة؟
٢. هل توجد علاقة بين التوافق الدراسي (الأبعاد والدرجة الكلية) لدى أفراد عينة الدراسة؟
٣. هل يمكن التنبؤ بالتوافق الدراسي من كل من التدفق النفسي والرضا عن الحياة لدى أفراد عينة الدراسة؟

عدة متداخلة ومتراصة ومتكاملة تلك الأبعاد التي تؤدي به إلى التمتع بالصحة النفسية والتوافق مع الذات ومع البيئة سواء المادية أو الاجتماعية أو التعليمية ومن ثم يشعر بالسعادة وجودة الحياة الذاتية والموضوعية.

ويتسق مفهوم التدفق النفسي مع الرضا عن الحياة حيث تمثل حالة التدفق العامل الحاسم في تكوين المعنى والهدف من الحياة وإضفاء المغزى والقيمة عليها وبالتالي تدفع من يتعايش معها إلى الإبداع بل إلى أعلى تجليات الإبداع الإنساني، وتمنح الفرد فرصة لضبط وتنظيم أو السيطرة على وعيه وشعوره، كما وتسمح حالة التدفق للفرد ببناء نفسي رصين حيث يكون الطالب مندمجاً أو مستغرقاً بصورة تامة في نشاط ما من أجل ذلك النشاط في ذاته، إذ تحدث آلية تدفق تلقائي لكل فعل وكل تفكير تقع في وحدة مسار واحدة. الأمر الذي يولد إحساساً قوياً بالرضا مما يسهم في تعظيم إحساس الطالب بالسعادة وبجودة حياته النفسية داخل الجامعة لا سيما وأن الأنشطة التي تدفع الطالب باتجاه التدفق والحيوية متنوعة وكثيرة. فقد تكون قراءة أو كتابة، أو ممارسة الألعاب الرياضية، أو الأنشطة الاجتماعية (Csikszentmihalyi, 1994) (42:).

ويعتبر الإحساس بالرضا عن الحياة أحد المؤشرات التي تظهر مدى تمتع الفرد بالصحة

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة النظرية فيما:

- تناول مفهوم التدفق النفسي الذي يمثل أحد المفاهيم السيكلوجية ذات المضامين الإيجابية، التي ربما يفضي تقديمها وتحليلها وتبين أبعادها وطرق رصدتها وقياسها في البيئة العربية إلى تنشيط الاهتمام البحثي بالقضايا ذات العلاقة بحركة علم النفس الإيجابي لتأسيس وإقرار ما يصح تسميته بالتمكين السلوكي للشخصية العربية بالتركيز على الجوانب الإيجابية الخاصة بخبرة حالة التدفق التي تقتضي معانقة الحياة وتقبل مصاعبها واعتبارها تحديات جديرة بأن تستنهض همة المواجهة واغتنامها كفرص أصيلة للتعلم ولتجويد الأداء الإنساني ليرتقي في مسار التميز، ثم الإتقان ثم الإحسان. (أبو حلاوة، ٢٠١٣)

- تسليط الضوء على النظرة التعددية التي طرحها Huebner لمتغير الرضا عن الحياة لدى الطلبة الجامعيين الذين يمثلون طليعة المجتمعات حيث تتيح رصد مصادر الرضا التي لها الدور الحاسم فتكوين هذا الشعور وبلورته سواء ايجاباً أو سلباً ، وتحديد المجالات التي يقوى فيها هذا الشعور وبما يتيح الكشف عن العوامل والمتغيرات الكامنة وراءه (Huebner, Laughlin, & Gilman, 2000) خاصة عندما نأخذ في الحسبان أن الشعور

٤. هل توجد فروق في كل من التدفق النفسي

والرضا عن الحياة والتوافق الدراسي وفقاً

للتخصص الدراسي (علمي/ أدبي) ؟

٥. هل توجد فروق في كل من التدفق النفسي

والتوافق الدراسي وفقاً لدرجة الرضا عن الحياة

(مرتفعة/منخفضة) لدى افراد العينة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية الكشف عن:

١. العلاقة بين التدفق النفسي (الأبعاد والدرجة

الكلية)، والرضا عن الحياة (الأبعاد والدرجة

الكلية) لدى أفراد عينة الدراسة.

٢. العلاقة بين التوافق الدراسي (الأبعاد والدرجة

الكلية) والرضا عن الحياة لدى أفراد عينة

الدراسة.

٣. إمكانية التنبؤ بالتوافق الدراسي من كل من

التدفق النفسي والرضا عن الحياة لدى أفراد

عينة الدراسة.

٤. الفروق في كل من التدفق النفسي والرضا عن

الحياة والتوافق الدراسي وفقاً للتخصص

الدراسي (علمي/أدبي) لدى عينة الدراسة.

٥. الفروق في كل من التدفق النفسي والتوافق

الدراسي وفقاً لدرجة الرضا عن الحياة

(مرتفعة/منخفضة) لدى عينة الدراسة.

التعليمية، ووضع البرامج والدورات التدريبية لرفع مستوى التدفق النفسي والرضا عن الحياة لدى طالبات المرحلة الجامعية والتي من شأنها أن تحسن نظرتهم إلى الحياة وتزيد من توافقهن الدراسي.

مصطلحات الدراسة:

١. التدفق النفسي: Psychological Flow

يعرف إجرائيًا بأنه الدرجة التي تحصل عليها الطالبة على مقياس التدفق النفسي والمتمثلة بأبعاده في توازن المهارة مع التحدي، اندماج الوعي بالأداء (الاستغراق التام بالأداء، وضوح الأهداف، التغذية الراجعة الواضحة، التركيز في الأداء، الاحساس بالتحكم والانضباط، فقدان الوعي الذاتي، تحول الوقت، الخبرة الذاتية الايجابية.

٢- الرضا عن الحياة: Life Satisfaction

يعرف إجرائيًا بأنه الدرجة التي تحصل عليها الطالبة على مقياس الرضا عن الحياة والمتمثلة بأبعاده في: الرضا عن الأسرة، الرضا عن الأصدقاء، الرضا عن الجامعة، الرضا عن بيئة المسكن، والرضا عن الذات.

٣. التوافق الدراسي: Academic Compatibility

يعرف إجرائيًا بأنه الدرجة التي تحصل عليها الطالبة على استبيان التوافق الدراسي والمتمثلة بأبعاده في: الجد والاجتهاد، الإذعان، والعلاقة ببعضو هيئة التدريس.

المفاهيم النظرية والدراسات السابقة:

أولاً: مفهوم التدفق النفسي: Psychological Flow

بالرضا متغير كامن أو مستتر يصعب إخضاعه للملاحظة المباشرة كما يرى بعض الباحثين

(Diener&Diener,1995,Veenhoven,1991)

- أهمية التوافق الدراسي للطالب في الجامعة كونه يعتبر واحداً من أقوى المؤشرات المتعلقة بصحة الطالب النفسية، وأن توافق الطالب وشعوره بالرضا والارتياح عن نوعية حياته الجامعية يمكن أن ينعكس على إنتاجيته، ويمكن أن يسهم في تحديد مدى استعداده لتقبل الاتجاهات والقيم التي تعمل الجامعة على تطويرها لدى طلابها، وإن الطلبة المتوافقين دراسياً أكاديمياً يحصلون على نتائج دراسية أفضل. (المغربي، ٢٠٠٤؛ شوكت، ٢٠٠٠، Baker, 1994).

- ندرة الدراسات - على حسب علم الباحثة - التي تناولت متغير التدفق النفسي لدى طالبات الجامعة في البيئة السعودية.

- تعريب وتقنين مقياس التدفق النفسي على البيئة السعودية.

- تعريب وتقنين مقياس الرضا عن الحياة متعدد الأبعاد على البيئة السعودية.

أهمية الدراسة التطبيقية:

تكمن أهمية الدراسة التطبيقية في الاستفادة من نتائجها في توجيه أنظار القائمين على التربية والتعليم إلى أهمية التدفق النفسي في العملية

- عرفته باظه (٢٠٠٩: ٣) بأنه: "الاستغراق التام أو الانشغال بالأداء، سرعة الأداء، الوصول إلى مستوى عالي من الأداء ، الشعور بالسعادة، انخفاض الوعي بالزمان والمكان أثناء الأداء، نسيان احتياجات الذات، الاستفادة القصوى من الحالة الوجدانية في التعرف و التعلم ودقة الأداء".
- ويرى جولمان (٢٠٠٠: ١٣٥ - ١٣٦) أن التدفق هو حالة من نسيان الذات عكس التأمل والاجترار والقلق فإذا وصل الإنسان إلى حالة التدفق يستغرق تمامًا في العمل الذي يقوم به إلى الدرجة التي يفقد فيها الوعي بذاته تمامًا وبهذا الإحساس تكون لحظات التدفق لحظات غياب الذات، وبالرغم من وصول الأفراد إلى أقصى درجات الانغماس في الأداء إلا أنهم لا يدركون كيفية القيام بذلك لأن الشعور بالسرور هو الدافع والمحفز لهم ومن فوائد التدفق النفسي أنه يسهم في التخفيف من الاضطرابات الانفعالية من قلق واكتئاب، حيث إن التدفق يمثل أقصى درجة في تعزيز الانفعالات التي تخدم الأداء أو التعلم.
- ويشير أبو حلاوة (٢٠١٣) إلى أبعاد التدفق النفسي والتي تتبناها الدراسة الحالية كالتالي:
- التوازن بين التحدي - المهارة - Challenge: Skill balance
- ففي حالة التدفق يتوافر لدى الفرد إحساساً بأن قدراته ومهاراته تتسق أو تتطابق مع المطالب التي تقتضيها المهام والأعمال والأنشطة التي يقوم بها.
١. اندماج الفعل - في الوعي أو الإدراك : Action - Awareness Merging
 ٢. أهداف شديدة الوضوح Clear Goals : ويقترن بذلك إحساس بالثقة واليقين والقدرة فيما يتعلق بما يقوم به المرء.
 ٣. تغذية الراجعة مفهومة وغير غامضة : Unambiguous Feedback
 ٤. تركيز تام في المهمة Concentration on Task at Hand
 ٥. مع إحساس تام بالاستغراق أو ما يعرف بأسر المهمة للمرء.
 ٦. الإحساس بالضبط والسيطرة Sense of Control
 ٧. غياب الشعور بالذات - Loss of Self : Consciousness
 ٨. تبدل إيقاع الزمن أو الوقت : Transformation of Time
- فالإحساس بالثقة واليقين والقدرة فيما يتعلق بما يقوم به المرء.
- ففي حالة التدفق يتوافر لدى الفرد إحساساً بأن قدراته ومهاراته تتسق أو تتطابق مع المطالب التي تقتضيها المهام والأعمال والأنشطة التي يقوم بها.

والتحدي أو الصعوبة؛ إحساس الفرد بالقدرة على التحكم بالموقف أو النشاط؛ والاثابة الداخلية للنشاط؛ والاستمتاع الذاتي.

ومن الدراسات من تناولت متغير التدفق النفسي في علاقته ببعض المتغيرات المعرفية والانفعالية دراسة (Heknter et al., 1996) التي اختبرت مدى تطور خبرة التدفق النفسي أو ما تسمى بالخبرة الإيجابية المثلى خلال مرحلة المراهقة وهي دراسة طولية استكشافية، وتم تطبيق بعض الأنشطة التي تصل بالفرد إلى حالة التدفق وتم متابعتهم خلال هذه السنوات من خلال تجميع وتحليل (٣٢) تقرير ذاتي لكل فرد وأظهرت النتائج أن التدفق النفسي يزداد معه تقدير الذات والدافعية والقدرة على وضوح الأهداف.

ودرس صديق (٢٠٠٩) العلاقة بين التدفق وبعض العوامل النفسية مثل الاعتماد على النفس والمثابرة والرضا عن الذات ومستوى الطموح وتحمل المسؤولية والدافع للإنجاز والثقة بالنفس والقلق والاكتئاب والإحباط واليأس والسأم والملل واللامبالاة؛ والفروق بين التدفق النفسي ونوع الدراسة، وتوصلت النتائج إلى عدم وجود علاقة بين التدفق النفسي وبعض المتغيرات الديموجرافية مثل النوع ونوع الدراسة والمستوى الاقتصادي الاجتماعي، ووجود علاقة إيجابية بين التدفق وبعض العوامل الشخصية مثل الاعتماد على النفس، المثابرة، فاعلية الذات، مستوى الطموح،

إحساس بأن الزمن يمر بسرعة شديدة أو ببطء شديد.

٩. الاستمتاع الذاتي Auto telic experiences :

وهي غاية كون المرء في حالة تدفق، وتمثل إحساس يمتلك المرء للقيام بالعمل أو المهمة أو النشاط كغاية في حد ذاته دون انتظار لإثابات أو مكافآت أو فائدة في المستقبل.

ومن الدراسات التي اهتمت بتناول مفهوم التدفق النفسي من حيث تعريفه: كدراسة (Novak, Trevion & Webster, 1992)؛ ومنها من (Norman, 1996؛ Hoffman, 1997)، ومنها من تناول التعريف والمكونات كدراسة: (Engeser & Reheinberg, 2008)؛ ومنها من تناول المفهوم من حيث مكوناته كدراسة (Csiksyentimahlyi, 1994) أثناء مقابلاته الشخصية للعديد من الأشخاص من الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا واليابان وتايلاند وأستراليا، ومن مختلف الثقافات الأوروبية، حيث أشركهم في مجموعة من الأنشطة ولم يجد ميهالي وصفاً أقرب للتعبير عن ما عبر عنه هؤلاء الناس إلى تشبيهه بتيار الماء الذي يحملهم في مساره .وعلى هذا الأساس أطلق عليه التدفق النفسي وقد استخلص ميهالي من إجابة هؤلاء الأشخاص الذي قابلهم تسعة أبعاد هي: الاندماج والتركيز؛ فقدان الاحساس بالوعي بالذات؛ إندماج الفعل في الوعي؛ نشوة الاحساس بالوقت؛ تغذية راجعة مباشرة وفورية؛ التوازن بين القدرة

ودالة إحصائياً بين التدفق النفسي والتفكير الإيجابي والسلوك التوكيدي؛ كما أسهم كل من التفكير الإيجابي والسلوك التوكيدي لدى عينة الدراسة في التنبؤ بالتدفق النفسي.

كما هدفت دراسة أبو حلاوة (٢٠١٣) إلى إلقاء الضوء على حالة التدفق من حيث أبعادها وقياسها ومفهومها والعلاقة بينها وبين مجموعة من مفاهيم علم النفس الإيجابي مثل الإبداع ودافعية الإنجاز والحب والمرونة النفسية (السعادة)، وأشارت النتائج إلى وجود علاقة بين حالة التدفق وكل من الإبداع ودافعية الإنجاز والحب والمرونة النفسية.

وأجرى لطفي وأبو العلا (٢٠١٥) دراستهما للتعرف على إسهام التدفق النفسي في التنبؤ بمهارات اتخاذ القرار لدى عينة من مديري المدارس، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين التدفق النفسي ومهارات اتخاذ القرار.

كما أجرى أسود والموسوي (٢٠١٦) دراستهما بهدف التعرف على مستوى التدفق النفسي والتفكير الإيجابي لدى طلبة الجامعة، وأظهرت النتائج وجود مستو عال من التدفق النفسي والتفكير الإيجابي.

وقام عبده وخلف (٢٠١٦) بدراستهما بهدف التعرف على العلاقة بين التدفق النفسي والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى طلاب الجامعة، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقات ارتباطية دالة

تحمل المسؤولية، الدافع للإنجاز، والثقة بالنفس وعلاقة سلبية مع الرضا عن الذات، القلق، الاكتئاب، الإحباط، اليأس، الملل واللامبالاة، كما لم توجد فروق بين طلاب الكليات العملية والكليات النظرية في التدفق النفسي إلا أنها تحدث بصورة أكثر تكراراً لدى طلاب الكليات العملية عنها في الكليات النظرية.

واختبرت دراسة (Rossin,et al., 2009) تأثير التدفق النفسي على مخرجات التعلم في أحد المقررات لدى طلاب الجامعة، وأشارت النتائج إلى أن التدفق أثر على إدراك الطلاب لموضوع التعلم كما زاد من الرضا الطلابي لعملية التعلم لهذا المقرر.

ودرس البهاص (٢٠١٠) العلاقة بين التدفق كحالة إيجابية والقلق الاجتماعي كحالة سلبية لدى مستخدمي الانترنت من المراهقين والمراهقات ومدى تأثير هذه العلاقة بمتغيرات الجنس ودرجة الاستخدام ومدى إمكانية التنبؤ بالتدفق النفسي والقلق الاجتماعي، وأظهرت النتائج وجود ارتباط موجب بين أبعاد التدفق النفسي وبين أبعاد القلق الاجتماعي.

وهدف دراسة أحمد وعبد الجواد (٢٠١٣) إلى التعرف على إسهام كل من التفكير الإيجابي والسلوك التوكيدي في التنبؤ بالتدفق النفسي لدى عينة من المتفوقين دراسياً من الطلاب الجامعيين قد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة

مفهوم الرضا عن الحياة: Life Satisfaction

يعرف أرجايل (١٩٩٣ : ١٤) الرضا عن الحياة بأنه "تقدير عقلي لنوعية الحياة التي يعيشها الفرد ككل أو حكم بالرضا عن الحياة، " حيث يمثل مفهوم الرضا عديداً من المقاييس النوعية للرضا، فهناك الشعور بالرضا عن الحياة بصفة عامة، وعن العمل، وعن الزواج، وعن الصحة، ومقاييس الرضا المختلفة".

ويعرف عبد الخالق (٢٠٠٨ : ١٢٣) الرضا عن الحياة بأنه "التقدير الذي يضعه الفرد لنوعية حياته بوجه عام اعتماداً على حكمه الشخصي"، ويتضمن هذا التعريف عدة جوانب هي: ١. يعتمد حكم الشخص على تقديره الشخصي وليس كما يحدده غيره. ٢. يحدد الفرد بنفسه المعايير التي يقيم على أساسها حكمه على نوعية حياته. ٣. ينتمي الحكم على الحياة إلى الجوانب المعرفية للشخصية وليس الوجدانية ٤. يتعلق هذا التقدير أو الحكم على الحياة بشكل كامل وليس بجانب محدد فيها.

ومن نتائج بعض الدراسات التي تناولت متغير الرضا عن الحياة، وجد أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين الرضا عن الحياة وتقدير الذات لدى طلبة الجامعة وذلك في دراسة Agyar (٢٠١٣)، كما ارتبط الرضا عن الحياة إيجابياً ببعض سمات الشخصية ومنها التفتح للخبرات (Blatny, 2001; Zhang, 2005; Blatny, et al., 2004). وتوصل (Martinez, et al, 2007) في دراسته إلى وجود علاقة ارتباط إيجابية بين متغيرات

إحصائياً بين التدفق النفسي والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية، في حين أسفرت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائياً لصالح طلاب الكليات العملية في أبعاد: (اندماج الفعل في الوعي والإدراك، والتركيز التام في المهمة، والاحساس بال ضبط والسيطرة والاستمتاع الذاتي)، ووجود فروق دالة إحصائياً لصالح طلاب الكليات النظرية في بعدي (غياب الشعور بالذات وتبدل إيقاع الزمن والوقت).

وأجرت العبيدي (٢٠١٦) دراستها للتعرف على التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة في ضوء متغيري الجنس والتخصص الدراسي وأظهرت النتائج عدم وجود فروق في التدفق النفسي بين الذكور والإناث ووجود فروق بين أفراد العينة في التدفق النفسي بين التخصصات العلمية والإنسانية لصالح التخصصات العلمية.

وتشير نتائج الدراسات السابقة إلى أن التدفق النفسي متغير متعدد الأبعاد يرتبط إيجابياً مع المتغيرات الإيجابية في الشخصية الإنسانية ويمكن التنبؤ به من خلالها؛ كما أنه يرتبط سلبياً مع المتغيرات السلبية، كما وجدت فروق في التدفق النفسي وبعض أبعاده وفقاً لبعض المتغيرات الديموغرافية كالجنس، التخصص الدراسي، الحالة الاجتماعية، العمر، التخصص، نوع السكن، والمستوى الدراسي، في حين لم توجد دراسات سابقة في حدود الإطلاع على قواعد البيانات درست العلاقة بين التدفق النفسي ومتغيري الدراسة الحالية.

(Bahari and Mojtaba et al, 2011) إلى وجود علاقة ذات دلالة بين الذكاء الإنفعالي والرضا عن الحياة. كما بينت دراسة (2011) (Jorgenson, et al.,) وجود علاقة موجبة بين الرضا عن الحياة والتحصيل الدراسي والاستمرار في الكلية.

وكشفت دراسة (Killian, 2012; Lightsey, McGhee, Ervin, Gharibian, Rarey, et al., 2012) عن وجود علاقات إيجابية ذات دلالة بين الذكاء الانفعالي والرضا عن الحياة، وأعتبر الذكاء الإنفعالي متنبأً مهماً وقوياً للرضا عن الحياة. ودراسة (Frank, et al., 2012) بينت أن أفضل توقع للرضا عن الحياة هو احترام الذات ووجود المشاعر الايجابية الذاتية والوصول إلى الأهداف التي تحقق الارتياح لتحقيق التوازن النفسي. وتوصلت دراسة (Proyer, Ruch & Buschor, 2013) إلى أن الرضا عن الحياة يرتبط مع الإمتنان والمزاح وهي من الكفاءات المهمة في الذكاء الإنفعالي. ووجود ارتباط إيجابي ذي دلالة بين الذكاء الانفعالي والرضا عن الحياة وأن تأثير الذكاء الانفعالي في الرضا عن الحياة يزداد بوجود مهارة التعافي النفسي كما في دراسة (Liu, et al., 2013)

وتشير نتائج الدراسات السابقة إلى أن متغير الرضا عن الحياة يرتبط إيجابياً مع سمات الشخصية الإنسانية الإيجابية؛ كما أنه يرتبط سلبياً مع السمات السلبية. كما لم توجد فروقاً دالة إحصائياً في الرضا عن الحياة وفقاً لبعض المتغيرات الديموغرافية الحالة الاجتماعية، العمر،

(التوافق المدرسي مع المدرس والبيئة المدرسية) والرضا عن الحياة وتقدير الذات المرتفع لدى المراهقين من الجنسين.

كما وجدت علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين الرضا عن الحياة والانبساطية والطيبة ويقظة الضمير في دراسة قاروث (٢٠٠٧) في حين وجدت علاقة سالبة ذات دلالة إحصائية بين الرضا عن الحياة وسمة العصابية، كما بينت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين منخفضات ومرتفعات الرضا عن الحياة في كل من سمة العصابية والانبساطية والطيبة ويقظة الضمير، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الرضا عن الحياة في ضوء بعض المتغيرات (الحالة الاجتماعية، العمر، التخصص، نوع السكن، المستوى الدراسي).

وأظهرت دراسة أبو العلا (٢٠٠٩) وجود علاقة ارتباطية سالبة دالة إحصائياً بين أحداث الحياة الضاغطة والرضا عن الحياة. كما وجدت علاقة ارتباطية سالبة بين الرضا عن الحياة والوحدة النفسية في دراسة علوان (٢٠٠٨). وتوصلت تقاحة (٢٠٠٩) إلى وجود علاقة موجبة بين الصلابة النفسية وأبعادها مع الرضا عن الحياة بأبعاده.

كما أظهرت دراسة بسيوني (٢٠١١) وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين التفاؤل والرضا عن الحياة إلى جانب وجود ارتباط سالب بين التشاؤم والرضا عن الحياة. وبينت دراسة خوج (٢٠١١) وجود علاقة موجبة بين معنى الحياة والرضا عن الحياة لدى طالبات الجامعة. وتوصل Ghorbanshiroudi, Khalatbari, Salehi,

التوافق وهذا يبدو جليا في صعوبة حل مشكلاته اليومية. (البديري ، ٢٠٠٥ : ٦٦).

ويرى الشربيني أن التوافق الدراسي ما هو إلا المحصلة النهائية للعملية الديناميكية البناءة بين الطالب من جهة وبين المحيط الدراسي من جهة أخرى ، بما يسهم في تقدم الطالب ونموه العلمي والنفسي ، وتتمثل أهم المؤشرات الجيدة لتلك العلاقة في الاجتهاد في التحصيل العلمي و الرضا والقبول بالمعايير الدراسية والانسجام معها ، والقيام بما هو مطلوب منه على نحو منظم ومنسق. (بوصفر ، ٢٠١٠ : ٧٦)

ويعرفه شريت (٢٠٠٦ : ١٢٠ - ١٢١) على أنه حالة تبدو في العملية الدينامية المستمرة التي يقوم بها الطالب لاستيعاب مواد الدراسة والنجاح فيها وتحقيق التلاؤم بينه وبين البيئة الدراسية ومكوناتها الأساسية، فالتوافق تبعا لهذا المفهوم هو قدرة مركبة تتوقف على بعدين أساسيين : بعد عقلي وبعد اجتماعي ، إذ يتوقف على كفاية إنتاجية وعلاقات إنسانية ، أما المكونات الأساسية للبيئة المدرسية فهي الاساتذة والزملاء، أوجه النشاط الاجتماعي، ومواد الدراسة والوقت.

تعقيب على الدراسات السابقة:

- بينت الدراسة التي قام بها الصباطي (١٩٩٧) عدم وجود فروق في عملية التوافق الدراسي تعزى لمتغيرات التخصص والمعدل التراكمي والعمر.

التخصص، نوع السكن، المستوى الدراسي. وفي علاقة الرضا عن الحياة بالتدفق النفسي لم تجد الباحثة دراسات تناولت العلاقة بينهما. وفي علاقة الرضا عن الحياة بالتوافق الدراسي فقد وجد (Martinez, et al 2007) علاقة ارتباط إيجابية بين متغيرات التوافق المدرسي مع المدرس والبيئة المدرسية والرضا عن الحياة؛ كما وجد (2011, Jorgenson, et al) علاقة موجبة بين الرضا عن الحياة والتحصيل الدراسي والاستمرار في الكلية.

مفهوم التوافق الدراسي: Academic Compatibility

عرّف بأنه "حالة تبدو في العملية الديناميكية المستمرة التي يقوم بها الطالب لاستيعاب مواد الدراسة والنجاح فيها وتحقيق التواء بينه وبين بيئة المدرسة ومكوناتها الأساسية الأساتذة والزملاء والأنشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية ومواد الدراسة والتحصيل الدراسي (بيكر وسيرك، ٢٠٠٢: ٤)

كما يعرف أيضاً على أنه حالة من التواء والانسجام بين الفرد وحياته النفسية يبدو قدرته على إرضاء أغلب حاجاته النفسية وتصرفه تصرفاً مرضياً إزاء مطالب حياته الاجتماعية و يتضمن التوافق أيضاً قدرة الفرد على تغيير سلوكه وعاداته عندما يواجه موقفاً جديداً أو مشكلة اجتماعية أو خلقية أو صراعات بشكل يناسب الظروف الجديدة وأن عجز الفرد عن تحقيق هذا التواء والانسجام أو ضعفه في إقامة هذا الانسجام يقال عنه سيء

حيث قامت الباحثة بتعريبه وتقنيته وتم عرض الترجمة والنسخة الأجنبية على (٣) من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في اللغة الإنجليزية وعلم النفس ، وتم تعديل صياغة بعض الفقرات وفقاً لآرائهم علي البيئة السعودية ويتكون المقياس من (٣٦) فقرة تتوزع على تسعة أبعاد كما يوضحها الجدول التالي (١).

جدول (١) توزيع فقرات مقياس التدفق النفسي وفقاً لأبعاده

م	الأبعاد	أرقام الفقرات
١	توازن المهارة مع التحدي	١، ١٠، ١٩، ٢٨
٢	اندماج الوعي بالأداء	٢، ١١، ٢٠، ٢٩
٣	الأهداف الواضحة	٣، ١٢، ٢١، ٣٠
٤	التغذية الراجعة الواضحة	٤، ١٣، ٢٢، ٣١
٥	التركيز في الأداء	٥، ١٤، ٢٣، ٣٢
٦	الاحساس بالتحكم والانضباط	٦، ١٥، ٢٤، ٣٣
٧	فقدان الوعي الذاتي	٧، ١٦، ٢٥، ٣٤
٨	تحول الوقت	٨، ١٧، ٢٦، ٣٥
٩	الخبرة الذاتية الايجابية	٩، ١٨، ٢٧، ٣٦

تم صياغة جميع الفقرات في الاتجاه الموجب، ويتم الاجابة على الفقرات باختيار أحد بدائل الاجابة الخمسة: موافق بشدة، موافق، محايد، أعارض، أعارض بشدة، والتي تدرج الاستجابة عليها من (٥ - ٤ - ٣ - ٢ - ١) حيث تتراوح الاستجابة على مفردات المقياس ما بين (٣٦ - ١٨٠).

الخصائص السيكومترية للمقياس:

أولاً: الصدق: تم حساب الاتساق الداخلي للمقياس عن طريق حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية

- وتوصلت دراسة ميدون (2014) إلى وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً للكفاءة الذاتية والتوافق الدراسي.

- وأسفرت دراسة رياش وشنون (2014) عن وجود علاقة موجبة بين الذكاء الوجداني والتوافق الدراسي لدى أفراد العينة، كما وجدت علاقة موجبة بين الذكاء الوجداني والدافعية للإنجاز.

إجراءات الدراسة:

أولاً: منهج الدراسة: تم استخدام المنهج الوصفي بشقيه الارتباطي والمقارن.

العينة: بلغ عدد أفراد العينة الاستطلاعية (٤٥) طالبة من طالبات الدبلوم التربوي بكلية التربية - جامعة جده، بلغ متوسط أعمارهن (٢٢.٣) سنة، بانحراف معياري وقدره (٠.٩٧)، في الفصل الدراسي الثاني للعام (١٤٣٧ - ١٤٣٨هـ)، وتم تطبيق أدوات البحث على العينة الاستطلاعية بهدف التحقق من صدقها وثباتها.

وتم اختيار العينة الأساسية للدراسة بالاعتماد على الطريقة العشوائية الطبقية من طالبات الدبلوم التربوي بكلية التربية - جامعة جدة، حيث تكونت من (٢٧٠) طالبة بلغ متوسط أعمارهن (٢٢.٢) سنة؛ بانحراف معياري (٠.٩٦) بواقع (١٢٢) طالبة بالتخصص الأدبي بنسبة (٥٤.٨%) من العينة الكلية، و(١٤٨) طالبة من التخصص العلمي بنسبة (٤٥.٢%) من العينة الكلية.

ثانياً: أدوات الدراسة:

تم استخدام الأدوات التالية:

١. مقياس التدفق النفسي (Susan, Jakson & Herbert. Marsh, 1999)

جاءت دالة عند مستوى (٠,٠٥) مما يدل على تجانس المقياس.

كما تم حساب الاتساق الداخلي بين أبعاد مقياس التدفق النفسي والدرجة الكلية للمقياس، عن طريق حساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لكل بعد والدرجة الكلية للمقياس، والجدول التالي (٣) يوضح النتائج.

جدول (٣)

معامل الارتباط بين الأبعاد والدرجة الكلية لمقياس

التدفق النفسي

م	الأبعاد	قيم معاملات الارتباط
١	توازن المهارة مع التحدي	.672**
٢	اندماج الوعي بالأداء	.542**
٣	وضوح الأهداف	.777**
٤	التغذية الراجعة الواضحة	.650**
٥	التركيز في الأداء	.680**
٦	الاحساس بالتحكم والانضباط	.652**
٧	فقدان الوعي الذاتي	.729**
٨	تحول الوقت	.628**
٩	الخبرة الذاتية الايجابية	.529**

**دال عند مستوى ٠,٠١

يتضح من الجدول السابق (٣) أن جميع قيم معاملات ارتباط الأبعاد بالدرجة الكلية للمقياس دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) مما يدل على تمتع المقياس باتساق مناسب وصلاحيته للتطبيق على العينة الأساسية.

ثانياً: الثبات: تم التحقق من ثبات الاستبانة

بحساب كل من إعادة التطبيق ومعامل ألفا كرونباخ، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول التالي (٤).

للبعد الذي تنتمي إليه، والجدول التالي (٢)

يوضح النتائج.

جدول (٢)

معاملات ارتباط الأبعاد بالدرجة الكلية لمقياس

التدفق النفسي

الأبعاد	رقم المفردة	قيمة معامل الارتباط	الأبعاد	رقم المفردة	قيمة معامل الارتباط	الأبعاد	رقم المفردة	قيمة معامل الارتباط
توازن المهارة مع التحدي	١	.505*	التغذية الراجعة الواضحة	٤	.651*	فقدان الوعي الذاتي	٧	.702*
	١٠	.689*		١٣	.673*		١٦	.695*
	١٩	.762*		٢٢	.563*		٢٥	.515*
	٢٨	.637*		٣١	.666*		٣٤	.808*
اندماج الوعي بالأداء	٢	.440*	التحيز في الأداء	٥	.525*	تحول الوقت	٨	.459*
	١١	.658*		١٤	.376*		١٧	.763*
	٢٠	.644*		٢٣	.607*		٢٦	.630*
	٢٩	.644*		٣٢	.781*		٣٥	.754*
وضوح الأهداف	٣	.419*	الاحساس بالتحكم والانضباط	٦	.697*	الخبرة الذاتية الايجابية	٩	.560*
	١٢	.722*		١٥	.774*		١٨	.668*
	٢١	.764*		٢٤	.725*		٢٧	.497*
	٣٠	.834*		٣٣	.676*		٣٦	.764*

**دال عند مستوى ٠,٠١

*دال عند مستوى ٠,٠٥

يتضح من الجدول السابق (٢) أن جميع

معاملات الارتباط لفقرات المقياس دالة إحصائياً

عند مستوى (٠,٠١) باستثناء الفقرة رقم (١٤)

المقاييس السابقة التي اعتمدت درجة كلية واحدة للتعبير عن هذا الشعور، وقامت الباحثة بتعريب وتقنين هذا المقياس ومن ثم تم عرض الترجمة والنسخة الأجنبية على (٣) من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في اللغة الإنجليزية وعلم النفس، وتم تعديل صياغة بعض الفقرات وفقاً لآرائهم، ويتكون المقياس من (٤٠) فقرة صيغت بصورة إيجابية ما عد العبارات أرقام (١٠، ١١، ١٣، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١). يجاب عنها باختيار أحد البدائل الأربعة التالية (دائماً - غالباً - أحياناً - أبداً). وتتوزع فقرات المقياس على (٥) أبعاد يوضحها الجدول التالي (٥).

جدول (٥)

توزيع فقرات مقياس الرضا عن الحياة على الأبعاد

م	الأبعاد	أرقام الفقرات
١	الرضا عن الأسرة	من ١ - ٧
٢	الرضا عن الأصدقاء	من ٨ - ١٦
٣	الرضا عن الجامعة	من ١٧ - ٢٤
٤	الرضا عن البيئة السكنية	من ٢٥ - ٣٣
٥	الرضا عن الذات	من ٣٤ - ٤٠

تم صياغة جميع الفقرات في الاتجاه الموجب، ويتم الاجابة على الفقرات باختيار أحد بدائل الاجابة الأربعة : (دائماً - غالباً - أحياناً - أبداً). والتي تدرج الاستجابة عليها من (٤ - ٣ - ٢ - ١) حيث تتراوح الاستجابة على مفردات المقياس ما بين (٤٠ - ١٦٠).

جدول (٤)

قيم معاملات ثبات مقياس التدفق النفسي

الأبعاد	إعادة التطبيق	معامل ألفا كرونباخ
توازن المهارة مع التحدي الالالتحديالتحدي	.658**	.697
اندماج الوعي بالأداء	.597**	.589
الأهداف الواضحة	.721**	.687
التغذية الراجعة الواضحة	.659**	.656
التركيز في الأداء	.573**	.588
الاحساس بالتحكم والانضباط	.582**	.559
فقدان الوعي الذاتي	.570**	.639
تحول الوقت	.599**	.559
الخبرة الذاتية الايجابية	.634**	.585
الدرجة الكلية للتدفق النفسي	.896**	.882

**دال عند مستوى ٠,٠١

ويتضح من الجدول السابق (٤) أن المقياس يتمتع بثبات مرتفع. ومن جميع الإجراءات السابقة تأكدت الباحثة من صلاحية مقياس التدفق النفسي للتطبيق على العينة النهائية.

٢. مقياس الرضا عن الحياة متعدد الأبعاد:

Multidimensional Students' Life Satisfaction Scale

وهو من إعداد (Scott Huebner, 2001) وقد ظهر هذا المقياس تلبية للحاجة إلى أداة قياس متعددة الأبعاد يمكن عن طريقها الكشف عن الأبعاد التي يظهر فيها شعور الرضا بصورة منفصلة، كما تعطى درجة لكل واحد منها على حدة بخلاف

الكلية لكل بعد والدرجة الكلية للمقياس ، والجدول (٧) يوضح النتائج.

جدول (٧)

معامل الارتباط بين الأبعاد والدرجة الكلية لمقياس الرضا عن الحياة

م	الأبعاد	قيم معاملات الارتباط
١	الرضا عن الأسرة	.733**
٢	الرضا عن الأصدقاء	.654**
٣	الرضا عن الجامعة	.621**
٤	الرضا عن البيئة السكنية	.753**
٥	الرضا عن الذات	.471**

**دال عند مستوى ٠,٠١

يتضح من الجدول السابق (٧) أن جميع قيم معاملات ارتباط الأبعاد بالدرجة الكلية للمقياس دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) مما يدل على تمتع المقياس باتساق مناسب وصلاحيته للتطبيق على العينة الأساسية.

ثانياً: الثبات: تم التحقق من ثبات الاستبانة بحساب كل من إعادة التطبيق ومعامل ألفا كرونباخ، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول التالي (٨):

جدول (٨)

قيم معاملات ثبات مقياس الرضا عن الحياة

الأبعاد	إعادة التطبيق	معامل ألفا كرونباخ
الرضا عن الأسرة	.689**	.797
الرضا عن الأصدقاء	.797**	.668
الرضا عن الجامعة	.701**	.782
الرضا عن البيئة السكنية	.679**	.765
الرضا عن الذات	.673**	.698

**دال عند مستوى ٠,٠١

الخصائص السيكومترية للمقياس:

أولاً: الصدق: تم حساب الاتساق الداخلي للمقياس عن طريق حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه، والجدول (٦) يوضح النتائج.

جدول (٦) معاملات ارتباط الأبعاد بالدرجة الكلية

لمقياس الرضا عن الحياة

الأبعاد	رقم الدرجة	قيمة معامل الارتباط	الأبعاد	رقم الدرجة	قيمة معامل الارتباط	الأبعاد	رقم الدرجة	قيمة معامل الارتباط	الأبعاد	رقم الدرجة	قيمة معامل الارتباط
الرضا عن الأسرة	١	.772**	الرضا عن الأصدقاء	٢	.664**	الرضا عن الجامعة	٣	.603**	الرضا عن البيئة السكنية	٤	.656**
الرضا عن الذات	٥	.352*	الرضا عن الأسرة	٦	.808**	الرضا عن الأصدقاء	٧	.727**	الرضا عن الجامعة	٨	.685**
الرضا عن البيئة السكنية	٩	.635**	الرضا عن الذات	١٠	.455**	الرضا عن الأسرة	١١	.560**	الرضا عن الأصدقاء	١٢	.378**
الرضا عن الجامعة	١٣	.319*	الرضا عن البيئة السكنية	١٤	.612**	الرضا عن الذات	١٥	.685**	الرضا عن الأسرة	١٦	.664**
الرضا عن الأصدقاء	١٧	.758**	الرضا عن الجامعة	١٨	.791**	الرضا عن البيئة السكنية	١٩	.793**	الرضا عن الذات	٢٠	.601**
الرضا عن الأسرة	٢١	.628**	الرضا عن الأصدقاء	٢٢	.581**	الرضا عن الجامعة	٢٣	.351*	الرضا عن البيئة السكنية	٢٤	.522**
الرضا عن الذات	٢٥	.355*	الرضا عن الأسرة	٢٦	.280	الرضا عن الأصدقاء	٢٧	.614**	الرضا عن الجامعة	٢٨	.598**
الرضا عن البيئة السكنية	٢٩	.673**	الرضا عن الذات	٣٠	.540**	الرضا عن الأسرة	٣١	.392**	الرضا عن الأصدقاء	٣٢	.573**
الرضا عن الجامعة	٣٣	.580**	الرضا عن البيئة السكنية	٣٤	.605**	الرضا عن الذات	٣٥	.487**	الرضا عن الأسرة	٣٦	.418**
الرضا عن الأصدقاء	٣٧	.787**	الرضا عن الجامعة	٣٨	.598**	الرضا عن البيئة السكنية	٣٩	.565**	الرضا عن الذات	٤٠	.684**

**دال عند مستوى ٠,٠١

*دال عند مستوى ٠,٠٥

يتضح من الجدول السابق (٦) أن جميع معاملات الارتباط لفقرات المقياس دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) باستثناء الفقرات أرقام (٥، ١٢، ١٣، ٢٣) حيث جاءت دالة عند مستوى (٠,٠٥) في حين جاءت العبارة رقم (٢٦) غير دالة وعليه تم حذف هذه العبارة وبذلك أصبح عدد فقرات المقياس (٣٩) فقرة.

كما تم حساب الاتساق الداخلي بين أبعاد مقياس الرضا عن الحياة والدرجة الكلية للمقياس، عن طريق حساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة

الخصائص السيكومترية للمقياس:

أولاً: الصدق:

١. صدق المحكمين:

تم عرض الاستبيان على عدد (٥) من المحكمين من الأساتذة المتخصصين في علم النفس بكلية التربية بجامعة جدة بقصد الحكم على مدى انتماء الفقرات لما تقيسه بالإضافة إلى الصياغة العلمية والصياغة اللغوية لها وذلك في سياق البيئة السعودية، وجاءت نسب الاتفاق على فقرات الاستبانة ما بين (٨٠% - ٩٠%) مع تعديل بعض الأسئلة لتتنسق مع الطالب الجامعي.

٢. الاتساق الداخلي: تم حساب التجانس الداخلي

لاستبيان التوافق الدراسي على عينة البحث من

خلال معامل الارتباط بين المفردات والدرجة الكلية

للمقياس والجدول التالي (١٠) يوضح ذلك:

جدول (١٠)

التجانس الداخلي لمقياس التوافق الدراسي

البيانات	رقم المفردة	قيمة معامل الارتباط	البيانات	رقم المفردة	قيمة معامل الارتباط	البيانات	رقم المفردة	قيمة معامل الارتباط
العلاقة بين المعلم والطالب	٤	.576**	العلاقة بين المعلم والطالب	٢	.578**	العلاقة بين المعلم والطالب	١	.772**
	٦	.662**		٣	.675**		٥	.675**
	١٢	.705**		٨	.855**		٧	.555**
	٢١	.660**		٩	.595**		١١	.590**
	٢٧	.576**		١٠	.677**		١٢	.578**
	٣٠	.609**		١٤	.649**		١٩	.609**
	٣٣	.702**		١٥	.675**		٢٠	.722**
				١٧	.780**		٢٢	.585**
				١٨	.566**		٢٥	.760**
				٢٣	.657**		٢٩	.739**
العلاقة بين المعلم والمعلم			العلاقة بين المعلم والمعلم	٢٤	.657**	العلاقة بين المعلم والمعلم	٣١	.577**
				٢٦	.665**		٣٤	.683**
				٢٨	.659**			
				٣٢	.695**			

ويتضح من الجدول السابق (٨) أن المقياس

يتمتع بدرجة ثبات مرتفعة

وجميع الإجراءات السابقة تؤكد أن صلاحية

مقياس التدفق النفسي للتطبيق على العينة النهائية.

٣. مقياس التوافق الدراسي: أعدده يونجمان،

Youngman عام (١٩٧٩م) وحرص عند وضعه

للاختبار على أن تصف وحداته السلوك الإجرائي

الذي يحدث داخل قاعات الدراسة وخارجها، مما

يحقق لها درجة عالية من الموضوعية والاتفاق في

المعنى بين المستخدمين وقام الدريني عام ١٩٨٥م

بتعريبه وتقنيته للبيئة العربية، ويتكون من (٣٤

سؤالاً)، تتوزع على ثلاثة أبعاد كما يوضحها

الجدول التالي (٩).

جدول (٩)

توزيع أسئلة مقياس التوافق الدراسي

أبعاد المقياس	أرقام الأسئلة	المجموع
الجد والاجتهاد	34-31-29-25-22-20-19-13-11-7-5-1	12
الاذعان للمعلم	32-28-26-24-23-18-17-16-15-14-10-9-8-3-2	15
العلاقة مع المعلم	33-30-27-21-12-6-4	7

وتتم الاجابة على أسئلة الاستبيان باختيار أحد

البديلين نعم أو لا، بحيث تعطى الدرجة (٢) في

حالة الاجابة بنعم، والدرجة (١) في حال الاجابة

بلا وبالتالي تتراوح درجات الاستبيان بين (٣٤ -

٦٨) درجة، والدرجة المرتفعة على الاستبيان تدل

على توافق دراسي مرتفع، والعكس صحيح.

** دالة عند مستوى ٠,٠١

ويتضح من الجدول السابق (١٠) أن جميع قيم معاملات الارتباط لأسئلة المقياس دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) مما يدل على تجانس المقياس.

ثانياً: الثبات: تم التحقق من ثبات المقياس بحساب كل من معامل ألفا كرونباخ، والتجزئة النصفية وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول التالي (١١).

جدول (١١) قيم معاملات ثبات مقياس

التوافق الدراسي

الأبعاد	إعادة التطبيق	معامل ألفا كرونباخ
الجد والاجتهاد	.636**	.599
الإذعان	.793**	.694
العلاقة بالمدرس	.672**	.772
الدرجة الكلية	.777**	.780

** دال عند مستوى ٠,٠١

ويتضح من الجدول السابق (١١) أن مقياس

التوافق الدراسي يتمتع بثبات مرتفع.

نتائج البحث:

نتائج الفرض الأول:

وينص الفرض الأول على: "توجد علاقة

ارتباطية موجبة ودالة بين التدفق النفسي والرضا عن الحياة وأبعادهما الفرعية".

جدول (١٢) معاملات الارتباط بين التدفق النفسي والرضا عن الحياة وأبعادهما

الرضا عن الحياة	الرضا عن ذات	الرضا عن البيئة السكنية	الرضا عن الجامعة	الرضا عن الأصدقاء	الرضا عن الأسرة	التدفق النفسي	الخبرة الذاتية الإيجابية	تحول الوقت	فقدان الوعي الذاتي	الاحساس بالتحكم والانضباط	التركيز في الأداء	التغذية الراجعة الواضحة	الأهداف الواضحة	اندماج الوعي بالأداء	توازن المهارة مع التحدي	المتغيرات
															1	توازن المهارة مع التحدي
														.245**	١	اندماج الوعي بالأداء
													.199**	.554**	١	الأهداف الواضحة
												.476**	.188**	.505**		التغذية الراجعة الواضحة
											.476**	.395**	.395**	.21**		التركيز في الأداء
										.457**	.315**	.686**	.111	.478**		الاحساس بالتحكم والانضباط
									.426**	.374**	.346**	.506**	.368**	.377**	١	فقدان الوعي الذاتي
								.395**	.257**	.397**	.227**	.436**	.467**	.238**	١	تحول الوقت
							.091	.375**	.083	.396**	.514**	.317**	.179**	.429**		الخبرة الذاتية الإيجابية
						.537**	.636**	.735**	.655**	.684**	.657**	.748**	.544**	.675**		التدفق النفسي
					.686**	.467**	.345**	.676**	.198**	.486**	.288**	.466**	.457**	.238**		الرضا عن الأسرة
				.487**	.238**	.436**	.467**	.238**	.457**	.315**	.686**	.457**	.315**	.686**		الرضا عن الأصدقاء
			.476**	.198**	.476**	.188**	.476**	.688**	.436**	.467**	.238**	.436**	.477**	.258**		الرضا عن الجامعة
		.436**	.567**	.338**	.536**	.467**	.368**	.457**	.315**	.686**	.457**	.436**	.467**	.278**	١	الرضا عن البيئة السكنية
	.468**	.238**	.436**	.567**	.248**	.315**	.686**	.457**	.315**	.686**	.238**	.436**	.467**	.338**	١	الرضا عن الذات
1	.635**	.543**	.653**	.743**	.665**	.379**	.476**	.686**	.677**	.281**	.454**	.389**	.271**	.265**	.253**	الرضا عن الحياة

**دال عند مستوى ٠,٠١

يتضح من جدول السابق (١٢) وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين التدفق النفسي وأبعاده الفرعية وبين الدرجة الكلية للرضا عن الحياة وأبعاده الفرعية وجميعها دالة عند مستوى (٠,٠١). وتشير هذه النتيجة إلى أنه كلما زاد لدى الطالبة التدفق النفسي أصبحت أكثر رضاءً عن الحياة.

والذي ينص على : "توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة بين التدفق النفسي وأبعاده الفرعية والتوافق الدراسي واختبار الفرض تم استخدام معامل ارتباط بيرسون، وذلك كما هو موضح بالجدول (١٣)
جدول (١٣) مصفوفة معاملات الارتباط بين التدفق النفسي والتوافق الدراسي وأبعادهما الفرعية

التوافق الدراسي	العلاقة بالمعلم	الأذعان	الجد والاجتهاد	التدفق النفسي	الخبرة الذاتية الإيجابية	تحول الوقت	فقدان الوعي الذاتي	الاحساس بالتحكم والانضباط	التركيز في الأداء	التغذية الراجعة الواضحة	الأهداف الواضحة	اندماج الوعي بالأداء	توازن المهارة مع التحدي	التنظيم الذاتي
													1	توازن المهارة مع التحدي
												1	.533**	اندماج الوعي بالأداء
											1	.534**	.698**	الأهداف الواضحة
										1	.747**	.468**	.551**	التغذية الراجعة الواضحة
									1	.573**	.637**	.377**	.559**	التركيز في الأداء
								1	.602**	.525**	.596**	.305**	.642**	الاحساس بالتحكم
							1	.459**	.326**	.397**	.479**	.479**	.508**	فقدان الوعي الذاتي
						1	.360**	.340**	.290**	.320**	.377**	.338**	.381**	تحول الوقت
					1	.262**	.309**	.438**	.666**	.518**	.591**	.336**	.550**	الخبرة الذاتية الإيجابية
				1	.694**	.568**	.687**	.741**	.750**	.764**	.855**	.678**	.823**	التدفق النفسي
			١		.687**	.694**	.568**	.687**	.591**	.336**	.550**	.336**	.550**	الجد والاجتهاد
		١	.591**	.336**	.550**	.290**	.360**	.340**	.290**	.687**	.694**	.568**	.687**	الأذعان
	١	.694**	.568**	.687**	.336**	.550**	.591**	.336**	.550**	.550**	.591**	.336**	.550**	العلاقة مع المعلم
١	.690**	.655**	.675**	.657**	.529**	.219*	.371**	.610**	.739**	.543**	.522**	.377**	.463**	التوافق النفسي

**دال عند مستوى ٠,٠١

يتضح من جدول السابق (١٣) وجود علاقة بين الدرجة الكلية للتدفق النفسي وأبعاده الفرعية وبين الدرجة الكلية للتوافق الدراسي وأبعاده الفرعية وجميعها دالة عند مستوى ٠,٠١. وتشير هذه النتيجة إلى أن وجود ارتباطاً إيجابياً قوياً بين التدفق النفسي والتوافق الدراسي أي أنه كلما زاد التدفق النفسي لدى الطالبة أصبحت أكثر قدرة على التوافق الدراسي.

نتائج الفرض الثالث:

وينص على: " يمكن التنبؤ بالتوافق الدراسي من كل من التدفق النفسي وأبعاده لدى أفراد عينة الدراسة".

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام تحليل الانحدار الخطي البسيط لبيان إمكانية تنبؤ التدفق النفسي وأبعاده الفرعية المختلفة بالتوافق الدراسي وذلك بافتراض أن التوافق الدراسي متغير تابع ومتغير التدفق النفسي وأبعاده متغيرات مستقلة، والجدولين (١٤، ١٥) يوضحان هذه النتائج:

جدول (١٤)

تحليل الانحدار الخطي البسيط للتنبؤ بالتوافق الدراسي من التدفق النفسي

المتغير المتنبئ	قيمة الثابت	B	معامل الارتباط	مربع معامل الارتباط	قيمة ف الانحدارية ودلالاتها
التدفق النفسي	8.920	.258	.527	.277	11.091**

يتضح من الجدول السابق (١٤) أن قيمة معامل الارتباط التي تعبر عن أقصى ارتباط بين التدفق النفسي والتوافق الدراسي دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١). أي أن التدفق النفسي يسهم في التنبؤ بالتوافق الدراسي، وأن نسبة اسهامه في تفسير قدر من التباين في التوافق الدراسي ما تعدل (52.7 %)، ومعادلة التنبؤ هي:

التوافق الدراسي = $8.920 + .258 \times$ التدفق النفسي وللحصول على نسبة إسهام كل بعد من أبعاد التدفق النفسي في التوافق الدراسي كمتغير تابع تم استخدام اختبار (ت) حيث

جاءت النتائج كما هو بالجدول (١٥) والذي يشير إلى إسهام كل متغير من متغيرات التدفق النفسي في التوافق الدراسي.

جدول (١٥)

اختبار (ت) لأبعاد التدفق النفسي في نموذج الانحدار الخطي

المتغيرات المستقلة	معامل الانحدار B	الخطأ المعياري	بيتا	قيمة "ت" ودلالاتها
توازن المهارة مع التحدي	.029	.128	.017	.229
اندماج الوعي بالأداء	.253	.111	.148	2.277**
الأهداف الواضحة	-.057	.152	-.033	-.373
التغذية الراجعة الواضحة	-.189	.143	-.095	-1.322
التركيز في الأداء	.607	.156	.307	3.895**
الاحساس بالتحكم والإنضباط	.258	.141	.160	1.829
فقدان الوعي الذاتي	.150	.095	.108	1.582
تحول الوقت	-.386	.091	-.288	-4.242**
الخبرة الذاتية الإيجابية	.430	.150	.207	2.862**

يتضح من الجدول السابق (١٥) أن هناك تأثير معنوي عال جداً لأبعاد التدفق النفسي كمتغيرات مستقلة والمتمثلة في (اندماج الوعي بالأداء، التركيز في الأداء ، تحول الوقت، الخبرة الذاتية الإيجابية) كل على حده في نموذج الانحدار الخطي المتعدد على المتغير التابع المتمثل في التوافق الدراسي، أما أبعاد (توازن المهارة مع التحدي، الأهداف الواضحة، التغذية الراجعة الواضحة، الاحساس بالتحكم والإنضباط، فقدان الوعي الذاتي) فلم يكن له تأثير معنوي على التوافق الدراسي.

نتائج الفرض الرابع:

وينص على: " يمكن التنبؤ بالتوافق الدراسي من كل من الدرجة الكلية للرضا عن الحياة وأبعاده الفرعية لدى أفراد عينة الدراسة".

يشير إلى إسهام كل متغير من متغيرات التدفق النفسي في التوافق الدراسي.

جدول (١٧)

اختبار (ت) لأبعاد الرضا عن الحياة في نموذج الانحدار الخطي

المتغيرات المستقلة	معامل الانحدار B	الخطأ المعياري	بيتا	قيمة "ت" ودلالاتها
الرضا عن الأسرة	-.143	.123	-.209	-1.702
الرضا عن الأصدقاء	-.315	.086	-.331	3.834**
الرضا عن الجامعة	-.143	.074	-.120	-1.633
الرضا عن الذات	-.168	.085	-.234	2.758**

يتضح من الجدول السابق (١٧) أن هناك تأثير معنوي عال جداً لأبعاد الرضا عن الحياة كمتغيرات مستقلة المتمثلة في (الرضا عن الأصدقاء والرضا عن الذات) كل على حده في نموذج الانحدار الخطي المتعدد على المتغير التابع المتمثل في التوافق الدراسي، أما أبعاد (الرضا عن الأسرة والرضا عن الجامعة) فلم يكن له تأثير معنوي على التوافق الدراسي.

نتائج الفرض الخامس:

وينص على: " لا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة في كل من التدفق النفسي والرضا عن الحياة والتوافق الدراسي وفقاً للتخصص الدراسي (الأدبي/العلمي).

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام اختبار (ت) لحساب الفروق بين متوسط والجدول التالي (١٨) يوضح هذه النتائج.

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم إجراء تحليل الانحدار الخطي البسيط لبيان إمكانية تنبؤ الرضا عن الحياة وأبعاده الفرعية المختلفة بالتوافق الدراسي وذلك بافتراض أن التوافق الدراسي متغير تابع ومتغير التدفق النفسي وأبعاده متغيرات مستقلة، والجدولين (١٦، ١٧) يوضحان هذه النتائج.

جدول (١٦) تحليل الانحدار الخطي البسيط

للتنبؤ بالتوافق الدراسي من الرضا عن الحياة

المتغير المتنبئ	قيمة الثابت	B	معامل الارتباط	مربع معامل الارتباط	قيمة ف الانحدارية ودلالاتها
الرضا عن الحياة	7.530	.329	.593 ^a	.352	28.688**

يتضح من الجدول السابق (١٦) أن قيمة معامل الارتباط التي تعبر عن أقصى ارتباط بين الرضا عن الحياة والتوافق الدراسي دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١). أي أن الرضا عن الحياة يسهم في التنبؤ بالتوافق الدراسي، وأن نسبة إسهامه في تفسير قدر من التباين في التوافق الدراسي ما تعدل (59. % (3)، ومعادلة التنبؤ هي:

التوافق الدراسي = 7.530 + .329 × الرضا عن الحياة

وللحصول على نسبة إسهام كل بعد من أبعاد الرضا عن الحياة في التوافق الدراسي كمتغير تابع تم استخدام اختبار (ت) حيث كانت النتائج كما هو بالجدول (١٧) والذي

جدول (١٨)

نتائج اختبار (ت) لحساب دلالة الفروق بين
متوسطات درجات أفراد عينة البحث
في التدفق النفسي والرضا عن الحياة
والتوافق الدراسي تبعا للتخصص (أدبي /
علمي)

المتغير	التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
التدفق النفسي	أدبي	١٤٨	140.2123	14.09926	268	.295	.768
	علمي	122	139.7787	8.83692			
الرضا عن الحياة	أدبي	١٤٨	129.9863	11.97007	268	1.403	.162
	علمي	122	131.8443	9.18769			
التوافق الدراسي	أدبي	١٤٨	26.0137	4.03773	268	3.214	.001
	علمي	122	27.3279	2.20983			

يتضح من الجدول السابق (١٨) وجود

فروق دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) بين
أفراد العينة من التخصصين العلمي والأدبي
في التوافق الدراسي لصالح التخصص العلمي،
بينما لم توجد فروق في كل من التدفق النفسي
والرضا عن الحياة.

نتائج الفرض السادس:

وينص على: " لا توجد فروق دالة
إحصائياً بين متوسطات درجات أفراد العينة
في كل من التدفق النفسي والتوافق الدراسي
وفقاً لدرجة الرضا عن الحياة
(مرتفعة/منخفضة)".

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم حساب
المتوسط الحسابي لاستجابات أفراد العينة تم
استخدام اختبار (ت)، والجدول (١٩) يوضح
هذه النتائج.

جدول (١٩)

نتائج اختبار (ت) لحساب دلالة الفروق بين
متوسطات درجات أفراد عينة البحث في
التدفق النفسي
والتوافق الدراسي تبعا لدرجة الرضا عن الحياة
(مرتفعة / منخفضة)

المتغير	درجة الرضا عن الحياة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
التدفق النفسي	مرتفعة	155	143.6710	12.14314	268	6.085	.001
	منخفضة	115	135.1826	10.13988			
التوافق الدراسي	مرتفعة	155	28.2258	2.79273	268	11.168	.001
	منخفضة	115	24.3478	2.85941			

يتضح من الجدول السابق (١٩) وجود
فروق دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) بين
أفراد العينة في كل من التدفق النفسي والتوافق
الدراسي لصالح ذوي الرضا عن الحياة
المرتفع.

مناقشة نتائج الدراسة:

أولاً: بالنسبة للفرضين الأول والثاني: جاءت
النتائج محققة للفرضين الأول والثاني بوجود
علاقة ارتباطية إيجابية قوية بين التدفق النفسي
وأبعاده الفرعية وبين الدرجة الكلية للرضا عن
الحياة وأبعاده الفرعية ؛ ووجود علاقة بين
الدرجة الكلية للتدفق النفسي وأبعاده الفرعية
وبين الدرجة الكلية للتوافق الدراسي وأبعاده
الفرعية وجميعها دالة عند مستوى ٠,٠١.

وتتسق هذه النتائج مع نتائج الدراسات
السابقة بصورة ضمنية التي توصلت إلى وجود

مسار واحدة. الأمر الذي يولد إحساساً قوياً بالرضا مما يسهم في تعظيم إحساس الطالب بالسعادة وبجودة حياته النفسية داخل الجامعة (Csikszentmihalyi, 1994: 42)، كما أن الشعور بالرضا عن الحياة أو عدم الرضا عن مجال أو أكثر من مجالات الحياة المختلفة التي يعيشها الفرد على امتداد الفترة الزمنية التي يقضيها في الدراسة يسهم إسهاماً كبيراً في عملية توافقه الشخصي والاجتماعي والدراسي وفي تكوين شخصيته، وبلورة نظريته الخاصة إلى العالم، كما أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنجاحه وتحصيله الدراسي، ويرتبط بطموح الفرد وإنجازاته وما قد يصبو إليه، ويريد تحقيقه في الحياة. (ميخائيل، ٢٠١٠: ١٠٠) وربما تفسر هذه النتائج على ضوء تكامل الشخصية الإنسانية والذي يظهر جلياً في كون أن التدفق النفسي يعد أحد المتغيرات الإيجابية المتعددة للشخصية الإنسانية والتي تشكل جانباً كبيراً من جوانب شخصية الطالب فهي تؤثر في سلوكه المعرفي والاجتماعي والوجداني.

ثانياً: بالنسبة للفرضين الثالث والرابع: جاءت النتائج محققة للفرضين الثالث والرابع جزئياً حيث أسهمت الدرجة الكلية للتدفق النفسي في التنبؤ بالتوافق الدراسي بنسبة 52.7% ؛ كما أسهمت الدرجة الكلية الرضا عن الحياة في التنبؤ بالتوافق الدراسي بنسبة 59.3%. في حين وجد تأثير دال عند مستوى 0.01. لأبعاد التدفق النفسي كمتغيرات مستقلة والمتمثلة في (اندماج الوعي بالأداء، التركيز في الأداء ،

علاقة إرتباطية دالة إحصائياً بين التدفق النفسي كأحد المتغيرات الإيجابية للشخصية الإنسانية والمتغيرات الإيجابية الأخرى التي تناولتها تلك الدراسات كدراسات: دراسة (Heknter, &Csiksyentimahlyi,1996)؛ صديق (٢٠٠٩) ؛ البهاص (٢٠١٠) ؛ أحمد وعبد الجواد (٢٠١٣) ؛ أبو حلاوة (٢٠١٣) ؛ لطفي وأبو العلا (٢٠١٥) ؛ أسود والموسوي (٢٠١٦) ؛ عبده وخلف (٢٠١٦)؛ كوكفمان وآخرون (٢٠٠٣) (Blatny, 2001; Zhang,2005 ; Blatny, et al., 2004) ؛ قاروث (٢٠٠٧) ؛ أبو العلا (٢٠٠٩) ؛ علوان (٢٠٠٨)؛ تفاحة (٢٠٠٩)؛ بسيوني (٢٠١١) ؛ خوج (٢٠١١) ؛ (Ghorbanshiroudi , et al, 2011) (Killian, 2012; Lightsey, et al., 2012) ؛ (Frank, et al.,2012) ؛ (Liu, et al., ؛ (Proyer, et al. 2013)؛ 2013).

كما تتفق هذه النتائج أيضاً مع ما ورد في الأطر النظرية حيث يتسق مفهوم التدفق النفسي مع الرضا عن الحياة حيث تمثل حالة التدفق العامل الحاسم في تكوين المعنى والهدف من الحياة وإضفاء المغزى والقيمة عليها ، كما وتسمح حالة التدفق للفرد ببناء نفسي رصين حيث يكون الطالب مندمجاً أو مستغرقاً بصورة تامة في نشاط ما من أجل ذلك النشاط في ذاته، إذ تحدث آلية تدفق تلقائي لكل فعل وكل تفكير تقع في وحدة

والأهداف ولكي يحدث التركيز لابد من الوصول إلى حالة من الهدوء النفسي ، ويجب أيضاً أن يكون للعمل أو المهمة التي يؤديها الفرد تغذية راجعة مما يساعد على التغلب على أي متطلبات للعمل حتى يستمر في حالة التدفق (جولمان، ٢٠٠٠: ١٣٦) وهذه العوامل بلا شك تؤدي إلى زيادة التوافق الدراسي.

وبالنسبة للنتيجة التي تشير إلى أن الرضا عن الحياة يسهم في التنبؤ بالتوافق الدراسي فإن من لديهم مستوى عالٍ من الرضا عن الحياة يتمتعون بعلاقات أساسها الود والاحترام مع الزملاء ولديهم نظرة إيجابية لذواتهم وثقة بما لديهم من إمكانيات واستعدادات وقدرات وشعور بالقدرة على تخطي العقبات وبالتالي يكونون أكثر اجتهاداً وتحصيلاً، وأكثر رضاً وقبولاً للمعايير الدراسية والانسجام معها، والقيام بما هو مطلوب منه على نحو منظم ومنسق، وفي هذا الصدد يرى (ميخائيل، ٢٠١٠: ١٠٠) أن الشعور بالرضا عن الحياة أو عدم الرضا عن مجال أو أكثر من مجالات الحياة المختلفة التي يعيشها الفرد على امتداد الفترة الزمنية التي يقضيها في الدراسة يسهم إسهاماً كبيراً في عملية توافقه الشخصي والاجتماعي والدراسي وفي تكوين شخصيته، وبلورة نظرته الخاصة إلى العالم، كما أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنجاحه وتحصيله الدراسي، ويرتبط بطموح الفرد وإنجازاته وما قد يصبو إليه، ويريد تحقيقه في الحياة.

ثالثاً: بالنسبة للفرض الخامس : بينت النتائج تحقق الفرض جزئياً حيث وجدت فروق دالة

تحول الوقت، الخبرة الذاتية الإيجابية) كل على حده في نموذج الانحدار الخطي المتعدد على المتغير التابع المتمثل في التوافق الدراسي، أما أبعاد (توازن المهارة مع التحدي، الأهداف الواضحة، التغذية الراجعة الواضحة، الاحساس بالتحكم والانضباط، فقدان الوعي الذاتي) فلم يكن له تأثير دال على التوافق الدراسي. كما وجد تأثير معنوي دال عند مستوى 0.01. لأبعاد الرضا عن الحياة كمتغيرات مستقلة و المتمثلة في (الرضا عن الأصدقاء والرضا عن الذات) كل على حده في نموذج الانحدار الخطي المتعدد على المتغير التابع المتمثل في التوافق الدراسي، أما أبعاد (الرضا عن الأسرة والرضا عن الجامعة) فلم يكن له تأثير معنوي على التوافق الدراسي.

ويمكن تفسير ذلك في ضوء ما تشير إليه (باطة، ٢٠٠٩: ٣) بأنه يترتب على الشعور بالتدفق النفسي آثاراً إيجابية منها خفض الشعور بالخوف والملل واللامبالاة ، تقوية الثقة بالنفس والاستقلالية ، تنمية التخيل العقلي، التفكير الإبداعي، مستوى الطموح ودافع الإنجاز، القدرة على مواجهة التحديات في الأداء، الفاعلية الذاتية وتحمل المسؤولية وبالتالي يصبح التدفق فعالاً في العملية التعليمية من خلال التركيز على الأنشطة التي تستدعي هذه الحالة. كما يذكر Mihaley أن هناك عدة وسائل للوصول إلى التدفق ، وهي تركيز الانتباه الحاد على العمل الجاري والمحدد لأن التركيز العالي هو جوهر عملية التدفق أي بمعنى آخر هو وضوح الرؤية

والسيطرة والاستمتاع الذاتي)، ووجود فروق دالة إحصائية لصالح طلاب الكليات النظرية في بعدي (غياب الشعور بالذات وتبدل إيقاع الزمن والوقت).

كما لم توجد فروق في الرضا عن الحياة بين أفراد العينة من التخصصين العلمي والأدبي ، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة قاروث (٢٠٠٧) التي أسفرت عن عدم وجود فروق في الرضا عن الحياة ترجع إلى التخصص الدراسي.

وربما تعود هذه النتيجة إلى أن الغالبية العظمى من الطالبات عندما يلتحقن بالجامعة فإن اختيارهم للتخصص يكون باختيارهن الشخصي ووفق ميولهن، ولذلك لا توجد فروق بين التخصصين العلمي والأدبي في الرضا عن الحياة.

ويمكن تفسير ذلك كما تشير بخاري (٢٠١٦) بأن المناهج والمقررات الدراسية لذوي التخصصات العلمية (مهما اختلفت في طبيعتها) لا تختلف عن المناهج والمقررات الدراسية لذوي التخصصات الأدبية في كونهما لا يتضمنان ما يشجع أو يستثمر بعض جوانب الرضا عن الحياة وعليه يكون من المنطقي أن لا تظهر فروق دالة إحصائية بين كل من ذوي التخصصات العلمية وذوي التخصصات الأدبية في الرضا عن الحياة . ومن ثم يمكن القول بأن الرضا عن الحياة يتم اكتسابه من الخبرة العملية في الحياة مثل التنشئة الأسرية أو بعوامل الشخصية ولا يتم اكتسابه من الكتب

إحصائياً عند مستوى ٠,٠١ بين أفراد العينة من التخصصين العلمي والأدبي في التوافق الدراسي لصالح التخصص العلمي وتختلف هذه النتيجة عن نتائج دراسة الصباطي (١٩٩٧) من عدم وجود فروق في عملية التوافق الدراسي تعزى لمتغير التخصص، ربما يفسر ذلك على ضوء أن طالبات التخصص العلمي قد اختاروا هذا التخصص عن قناعة وإدراكاً منهم بتفضيلاتهن الدراسية بصورة مستقلة وليس تأثراً بالآخرين ؛ وبحسن اختيار التخصص تستطيع الطالبة التوافق مع البيئة الدراسية ومع نفسها بما يساعدها على الشعور بالسعادة والرضا والقدرة على تحقيق الذات .

بينما لم توجد فروق في التدفق النفسي بين أفراد العينة من التخصصين العلمي والأدبي وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة صديق (٢٠٠٩) التي أظهرت عدم وجود فروق بين طلاب الكليات العملية والكليات النظرية في التدفق النفسي إلا أنها تحدث بصورة أكثر تكراراً لدى طلاب الكليات العملية عنها في الكليات النظرية. بينما تختلف مع دراسة العبيدي (2016) التي بينت وجود فروق بين أفراد العينة في التدفق النفسي بين التخصصات العلمية والإنسانية لصالح التخصصات العلمية؛ وجزئياً مع نتائج دراسة عيده وخلف (٢٠١٦) عن وجود فروق دالة إحصائية لصالح طلاب الكليات العملية في أبعاد: (اندماج الفعل في الوعي والإدراك، والتركيز التام في المهمة، والاحساس بالضبط

وتدل نتيجة هذا الفرض على أن الرضا عن الحياة تعد من المفاهيم الهامة لحياة الفرد وسلامته النفسية والذي يشير إلى الكيفية التي يقيم بها الأفراد حياتهم من وجهة نظرهم الخاصة، وهذا التقييم له جانبين، الأول: معرفي ويتمثل في إدراك الأفراد وتقييمهم للحياة بشكل عام أو تقييم جوانب محددة من الحياة مثل الرضا عن الحياة أو الرضا عن العمل، والجانب الثاني: تقيمي ويتمثل في كيفية تقييم الأفراد لحياتهم بناء على تكرار الأحداث السارة أو غير السارة التي تسبب إما السعادة والفرح أو التوتر والقلق والاكتئاب، وبالتالي الشعور بالرضا أو عدم الشعور بالرضا بدرجاته المختلفة. (Pavot & Diener, 1993).

التوصيات

على ضوء ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج يمكن للباحثة أن تستخلص بعض التوصيات التي قد تفيد في استكمال الجهود التي تمثلها هذه الدراسة، منها:

١. توجيه أنظار القائمين على العملية التربوية التعليمية على توفير العوامل التي تعمل على زيادة التدفق النفسي لدى الطلاب في البيئة التعليمية.
٢. إقامة الدورات والبرامج التدريبية للطلبة لتعليمهم كيفية تنمية قدراتهم إمكانياتهم في مواجهة المهام المختلفة والتعامل مع المواقف بكل إيجابية. ورفع مستوى التوافق الدراسي والرضا عن الحياة لديهم.

والمحاضرات والدروس داخل الفصل الدراسي، وبالتالي فالمقررات الدراسية سواء كانت علمية أو أدبية لا شأن لها بالرضا عن الحياة. كما يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء طبيعة المواد الدراسية المقدمة للتخصصات المختلفة داخل الكلية والتي تتضمن مقررات عامة مشتركة لجميع التخصصات ، يضاف إلى ذلك أنها تقدم للطلقات بأسلوب وطريقة تدريس قد تكون متشابهة ، مما يؤدي إلى التشابه أكثر منه للاختلاف في مكونات الرضا عن الحياة لدى الطالبات .

ثالثاً: بالنسبة للفرض السادس لم يتحقق الفرض حيث وجدت فروق دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) بين أفراد العينة في كل من التدفق النفسي والتوافق الدراسي لصالح ذوي الرضا عن الحياة المرتفع.

وتتفق هذه النتيجة فيما يتعلق بالتوافق الدراسي مع ما ذكره دمنهوري (١٩٩٦ : ٨٧) كون التوافق الدراسي يعد جانباً من جوانب التوافق، ويعد الفرد متوافقاً دراسياً إذا كان في حالة رضا عن إنجازه الأكاديمي مع رضا المؤسسة التعليمية عنه سواء في أدائه الأكاديمي أو في علاقاته مع مدرسيه وزملائه والعاملين بالمؤسسة التعليمية، كما تتسق هذه النتيجة مع ما أشار إليه شوكت (2000: 72) من أن العوامل الشخصية النفسية والاجتماعية لطلاب الجامعة تلعب دوراً واضحاً في تحديد مدى نجاح الطالب وتوافقه في الحياة الجامعية.

– أسود، أنس؛ والموسوي، حيدر (٢٠١٦):
التدفق النفسي على وفق التفكير الإيجابي لدى
طلبة الجامعة. مجلة كلية التربية للبنات
للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة: العراق، ع
(١٨)، ص ص ٥١ - ٩٢.

– باظة، آمال عبد السميع (٢٠٠٩): مقياس
التدفق النفسي. مكتبة الأنجلو المصرية:
القاهرة.

– البدرى، سميرة (٢٠٠٥): مصطلحات
تربوية و نفسية . مصر: دار الثقافة.

– بخاري، نبيلة أكرم (٢٠١٦): الفروق في
المرونة وبعض سمات الشخصية في ضوء
بعض المتغيرات لدى عينة من طلاب جامعة
الطائف. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة المنيا، مج (٢)، ع (٨٣)، ص ص
٤٨٣ - ٥٤

– بسيوني، سوزان صدقة (٢٠١١) التناول
والتشاؤم وعلاقتهما بالإنجاز الأكاديمي والرضا
عن الحياة لدى عينة من الطالبات الجامعيات
بمكة المكرمة، مجلة الارشاد النفسي، مصر،
ع (٢٨)، ص ص ٦٨ - ١١٤.

– يكر، روبيرت؛ وسيرك، يوهدن: (٢٠٠٢):
دليل تطبيق مقياس التوافق مع الحياة
الجامعية، ترجمة علي عبد السلام، مكتبة
النهضة المصرية: القاهرة.

– بوصفر، دليمة (٢٠١٠): الاستقلال
النفسي عن الوالدين و علاقته بالتوافق الدراسي
لدى الطالب الجامعي المقيم من (١٨ - ٢١)

وأخيراً توصي الباحثة بتوسيع قاعدة
الدراسة والبحث في التدفق النفسي وعلاقته
بالرضا عن الحياة والتوافق الدراسي، وذلك
بغرض الكشف عن العوامل المختلفة التي تؤثر
فيهم، حيث أن الدراسة الحالية ليست في وضع
التعميم، وهي محدودة في إطار العينة
والأدوات المستخدمة.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

– أبو العلا، محمد أشرف (٢٠٠٩). الرضا
عن الحياة وعلاقته بأحداث الحياة الضاغطة،
المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة
المنصورة، مج (١)، ع (٤٤)، ص ص ٤٨١ -
٥٢٨.

– أبو حلاوة، محمد السعيد (٢٠١٣): حالة
التدفق (المفهوم والابعاد والقياس). اصدارات
شبكة العلوم النفسية العربية، ع (٣).

– أحمد، أسماء فتحي؛ وعبد الجواد، ميرفت
عزمي (٢٠١٣): التفكير الإيجابي والسلوك
التوكيدي كمنبئات بأبعاد التدفق النفسي لدى
عينة من المتفوقين دراسياً من الطلاب
الجامعيين، المجلة المصرية للدراسات
النفسية، مج (٢٢)، ع (٧٨)، ص ص ٥٨ -
٩٧.

– أرجايل، مايكل (١٩٩٣): سيكولوجية
السعادة، ترجمة: فيصل عبدالقادر يوسف،
مراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة: المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، ع
(١٧٥).

- سنة. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري، تيزي وزر: الجزائر.
- البهاص، سيد أحمد (٢٠١٠): التدفق النفسي والقلق الاجتماعي لدى عينة من المراهقين مستخدمي الانترنت (دراسة سيكومترية - اكلينيكية)، المؤتمر السنوي الخامس عشر، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، ص ص ١١٨-١٦٩.
- تفاحه، جمال السيد (٢٠٠٩): الصلابة النفسية والرضا عن الحياة لدى عينة من المسنين. مجلة كلية التربية بالإسكندرية، مصر، مج (١٩)، ع (٣)، ص ص ٢٦٨ - ٣١٨.
- جولمان، دانييل (٢٠٠٠): الذكاء العاطفي، ترجمة ليلي الجبالي، مراجعة محمد يونس، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع (٢٦٢).
- خوج، حنان أسعد (٢٠١١): معنى الحياة وعلاقته بالرضا عنها لدى طالبات الجامعة بالمملكة العربية السعودية. مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج (٣)، ع (٢)، ص ص ١١ - ٤٤.
- الدسوقي، مجدي (١٩٩٨): مقياس الرضا عن الحياة، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة.
- الدريني، حسين عبد العزيز (١٩٨٥): مقياس التوافق الدراسي، القاهرة: دار الفكر العربي.
- دمنهوري، رشاد (١٩٩٦): بعض العوامل النفسية الاجتماعية ذات الصلة بالتوافق الدراسي. مجلة علم النفس، القاهرة، ع (٣٨)، ص ص ٨٢ - ٧٨.
- رياش، سعيد؛ وشنون، خالد (٢٠١٤): الذكاء الوجداني وعلاقته بالتوافق الدراسي والدافعية للإنجاز. مجلة العلوم الانسان والمجتمع، جامعة الجزائر، ع (١٣).
- سليجمان، مارتن (٢٠٠٢): السعادة الحقيقية. ترجمة صفاء الأعسر وآخرون، القاهرة: دار العين للنشر.
- شريت، أشرف عبدالغني (٢٠٠٦): الصحة النفسية بين الإطار النظري والتطبيقات الإجرائية. مؤسسة حورس الدولية: الإسكندرية.
- الشعراوي، علاء محمود (١٩٩٩): سمات الشخصية والدافع للإنجاز الأكاديمي وعلاقتهما بالرضا عن الحياة في المرحلة الجامعية، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، مصر، ع (٤١)، ص ص ١٤٨ - ١٨٦.
- شقورة، عبد الرحيم شعبان (٢٠٠٢): الدافع المعرفي واتجاهات طلبة كليات التمريض نحو مهنة التمريض وعلاقة كل منهما بالتوافق الدراسي. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
- شوكت، عواطف (٢٠٠٠): التوافق الدراسي لدى الطالبات المتزوجات وغير المتزوجات وعلاقته ببعدي الكفاية الشخصية والثبات الانفعالي. مجلة دراسات نفسية، القاهرة: مج (١٠)، ع (١٧)، ص ص ٩٩ - ٢٠١.
- الصباطي، إبراهيم (١٩٩٧): التوافق الدراسي لدى الطلبة والطالبات السعوديين

عينة من طالبات جامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية.

– لطفي، أسماء فتحي؛ وأبو العلا، حنان فوزي (٢٠١٥): التدفق النفسي كمنبئ بمهارات اتخاذ القرار لدى عينة من مديري المدارس، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ع (٦)، ص ص ٢٨٣ - ٣٢٣.

– المغربي، الظاهرة (٢٠٠٤) التربية والتوافق الزوجي. مجلة دراسات عربية في علم النفس، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر مج (٣) ، ع (١).

– ميخائيل، امطانيوس (٢٠١٠): مؤشرات الثبات والصدق لمقياس الرضا عن الحياة المتعدد الأبعاد للطلبة msiss على عينات سورية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، دمشق، مج (١١) ، ع (١) ، ص ص ٩٧ - ١٢٢.

– ميدون، مباركة؛ وأبي مولود، عبد الفتاح (٢٠١٤): الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالتوافق الدراسي لدى عينة من تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط: دراسة ميدانية على عينة من التلاميذ بمتوسطات مدينة ورقلة. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة: الجزائر، ع (١٧)، ص ص ١٠٥ - ١١٨.

والمصريين. المجلة التربوية، مج (١٢)، ع (١٥) ص ص ٧٥ - ١١٣.

– صديق، محمد السيد (٢٠٠٩): التدفق النفسي وعلاقته ببعض العوامل النفسية لدى طلاب الجامعة ، مجلة دراسات نفسية ، مج (٢)، ع (١٩) ، ص ص ٣١٣ - ٣٥٧.

– عبد الخالق، أحمد محمد (٢٠٠٨) : الرضا عن الحياة في المجتمع الكويتي. مجلة دراسات نفسية، مج (١٨) ، ع (١) ، ص ص ١٢١ - ١٣٥.

– عبده، إبراهيم محمد سعد؛ خلف، محمد محجوب (٢٠١٦): التدفق النفسي وعلاقته بالعوامل الكبرى الخمسة للشخصية. المجلة الدولية للعلوم التربوية والنفسية - المؤسسة العربية للبحث العلمي والتنمية البشرية - مصر، ع (١) ، ص ص ٢٢٣ - ٢٧٧.

– علوان، نعمات شعبان (٢٠٠٨) : الرضا عن الحياة وعلاقته بالوحدة النفسية: دراسة ميدانية على عينة من زوجات الشهداء الفلسطينيين. مجلة الجامعة الإسلامية، مج (١٦)، ع (٢)، ص ص ٤٧٥ - ٥٣٢.

– العبيدي، غفران إبراهيم (٢٠١٦): التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة في ضوء متغير الجنس والتخصص الدراسي. مجلة الأستاذ، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع ، ص ص ١٩٧ - ٢١٤.

– قاروت، بسمة بنت حسن (٢٠٠٧) . الرضا وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Agyar, E., (2013): Life satisfaction, perceived freedom in leisure and self-esteem: The case of physical education and sport students. **Social and Behavioral Sciences**, Vol. 93, PP. 2186 – 2193.
- Baker, R W. (1994): "Measuring adjustment to college students". **Journal of Counseling Psychology**, Vol.14 (3), pp. 152-179.
- Blatny, M. (2001): "Personality determinants of self-esteem and life satisfaction: Gender differences." **Ceskoslovenska Psychology**, Vol. 45(5), pp 385-392.
- Blatny, M., et al. (2004): Personality correlates of self-esteem and life satisfaction. **Studia psychologica**, Vol. 2(46), pp 97-104.
- Csikszentmihalyi, Mihaly (1990): Flow: The Psychology of Optimal Experience, New York. **Harper and Row**.
- Csikszentmihalyi, M. (1994). The Evolving Self: A Psychology for the Third Millennium. **HarperCollins Publishers**.
- Diener, E., Diener, M. (1995): Factors predicting the subjective well-being of nations. **Journal of Personality and Social Psychology**. Vol. 69(5), pp.851-864.
- Engeser, S., & Reheinberg, F. (2008): Flow, performance and moderators of challenge-skill balance. **Motivation and Emotion**. Vol.32, pp. 158-172.
- Frank, F., Diener, E., Louis T, and Diener.(2012): Purpose, mood, and pleasure in predicting satisfaction judgments. **Social Indicators Research** , Vol. 105(3), pp. 333-341.
- Ghorbanshiroudi, S., Khalatbari, J., Salehi, M., Bahari, S., Mojtaba, M. (2011): The relationship between emotional intelligence and life satisfaction and determining their communication skill test effectiveness. **Indian Journal of Science and Technology**, Vol. 4 (11), pp. 1560-1564.
- Hektner, M., & Csikszentmihalyi, M., (1996): A longitudinal exploration of flow and intrinsic motivation in adolescents. Presented at American Educational Research Association's annual conference, April 14-18.
- Huebner, S.,; Laughlin, J; Chris. A; Gilman.R. :(1998): Further Validation of the Multidimensional Students' Life Satisfaction Scale. **Journal of Psychoeducational Assessment**. Vol. 16 (2), pp. 118-134.
- Huebner, S. (2001): "Manual for the multidimensional students' life satisfaction scale." SC: **University of South Carolina (unpublished paper provided by the author)**.
- Jorgenson, Sh. et al., (2011): College satisfaction and academic success: A comparison by sex and disability. **Official International Research**. Dawson College.
- Killian, K. (2012): Development and Validation of the Emotional Self - Awareness Questionnaire: A Measure of Emotional Intelligence, **Journal of Marital and Family Therapy**, Vol. 38(3),pp. 502–514.
- Lightsey, O. McGhee, R. Ervin, A. Gharibian, G. Rarey, E. Daigle, R. Wright, K. Constantin, D. and Powell, K. (2012): Self -Efficacy for Affect Regulationasa Predictor of Future Life Satisfaction and Moderator of the Negative AffectLife Satisfaction Relationship. **Happiness Stud**.
- Liu, Y.; Wang, Z& Lu, W.(2013): Resilience and Affect Balanceas Mediators between Trait Emotional Intelligence and life Satisfaction: Original Research Article. **Personality and Individual Differences**, Vol. 54 (7),pp. 850-855.
- Martinz, A. and Buelga, V. and Cava, M. (2007): Adolescent life satisfaction and relationship with adolescent selfesteem and schools adjustment. **Anuario de Psicologia**, Vol. 38 (2),pp. 293 – 303.
- Norman, D. (1996): Optimal flow. **Arts Education Policy Review**, Vol. 97(4), pp.35-38.
- Novak, T.P., & Hoffman, D.L. (1997): Measuring the Flow Experience Among Web Users, **Working paper. Vanderbilt University**.

- Pavot, W., & Diener, E. (1993): Review of the Satisfaction With Life Scale. American Psychological Association. **Psychological Assessment**, Vol. 5, pp. 164-172.
- Proyer, R. T. Ruch, W. and Buschor, C. (2013): Testing Strengths -Based Interventions: A Preliminary Study on the Effectiveness of a Program Targeting Curiosity, Gratitude, Hope, Humor, and Zest for Enhancing Life Satisfaction. **Journal of Happiness Stud**, Vol.14 (1), pp.275-292.
- Rossin, Don; Ro, Young K; Klein, Barbara D; Guo, Yi Maggie. (2009): The Effects of Flow on Learning Outcomes in an Online Information Management Course. **Journal of Information Systems Education; West Lafayette**. Vol. 20(1), 87-98.
- Trevino, L.K., & Webster, J. (1992): Flow in computer-mediated communication. **Communication Research**, 19(5), 539-573.
- Veenhoven, R. (1991): Is happiness relative? **Social Indicators Research**, Vol 24(1), pp. 1-34.
- Zhang, L. (2005): Prediction of Chinese life satisfaction: Contribution of collective self-esteem. **International Journal of Psychology**, Vol. 40(3), pp.189-200.

Academic Compatibility and its Relationship with Psychological Flow and Life Satisfaction among Female Students of Educational Diploma at Jeddah University

Dr.Nabeela Bokhari

Assistant Professor of psychology at JEEDAH University

Abstract. The current study aimed to explore the nature of the relationship between Psychological Flow and Life Satisfaction, and to explore the nature of the relationship between Academic Compatibility and Life Satisfaction, and in addition the possibility to predict the Academic Compatibility from Psychological Flow and from Life Satisfaction, and to reveal the differences in Psychological Flow and Life Satisfaction and Academic Compatibility based on the academic specialization (science/literature), as well as reveal the differences in Psychological Flow and Academic Compatibility based on Life Satisfaction (high/low).

The study sample composed of (270) female students of Educational Diploma at Jeddah University – Educational Faculty, whose average age is 22.2 years old, with a standard deviation of 0.96, in the second semester of academic year 1437-1438 H. The scale of Psychological Flow (by Jackson & Herbert, 1999) was used on the sample, which was translated and rationed by the researcher. Also, the scale of Multi-Dimensional Life Satisfaction (by Hubener, 2001) was used, which was translated and rationed by the researcher. Moreover, the scale of Academic Compatibility (by Youngman, 1979) was used, which was translated and rationed (by Al-Darini, 1985).

The study concluded that there is a positive relationship between Psychological Flow and Life Satisfaction, and that there is a positive relationship between Psychological Flow and Academic Compatibility. Also, it was concluded that Psychological Flow and Life Satisfaction contribute in predicting Academic Compatibility. Also, there were differences among sample members of Science specialization and Literature specialization in favor of Science specialization, while there were no differences between them with regards to Psychological Flow and Life Satisfaction. Finally, it was concluded that there were differences among sample members in Psychological Flow and Academic Compatibility towards students with higher Life Satisfaction.

Key Words: Psychological Flow , Life Satisfaction Academic Compatibility, Educational Diploma, ,Jeddah University.

الأريسيئون الواردة في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل إمبراطور الروم دراسة تاريخية تحليلية

د. عماد عابد عبدالله طاهر

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد، قسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز

مستخلص. حظيت كتب النبي ﷺ التي دعا فيها الملوك والأمراء إلى الإسلام بعناية خاصة من المهتمين بسيرته ﷺ وذلك لما تضمنته تلك الكتب من تأكيد على عالمية الدعوة الإسلامية، وعلى المنهج النبوي في التواصل مع معاصريه من الملوك والأمراء في الدعوة إلى الإسلام، إضافة إلى ما كانت تحمله تلك الكتب من قدرة بلاغية تهيأت للنبي ﷺ لمخاطبة كل أمة بمفردات خاصة بها تميزها عن غيرها، فجاءت كتب النبي ﷺ حافلة بالعديد من تلك المفردات التي توقفت أمامها أهل العلم بمختلف فروعهم وتخصصاتهم لدراسة تلك الكتب وتحليلها. من هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على واحد من تلك الكتب وهو كتاب النبي ﷺ إلى هرقل إمبراطور الروم، مع تركيز البحث على كلمة "الأريسيين" الواردة في هذا الكتاب، حيث تباينت آراء أهل العلم، من المحدثين، والمؤرخين، واللغويين، حول تفسير هذه الكلمة، وتحديد المراد منها، والمقصود بها، وذلك بسبب اختلاف الرسم الذي وردت به من رواية إلى أخرى. ويهدف هذا البحث إلى تتبع تلك الآراء ودراستها وتحليلها من خلال مقابلتها بالنصوص الواردة في المصادر الأولية، واستعراض أوجه الخلاف بين تلك الآراء، والترجيح بينها بهدف الوصول إلى المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، والمراد بها.

المقدمة

كتاب النبي ﷺ إلى هرقل: في أعقاب صلح الحديبية، الذي جرى بين النبي ﷺ وقريش، في أواخر السنة السادسة من الهجرة النبوية/٦٢٨م، شرع النبي ﷺ في مكاتبة الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وكان هرقل إمبراطور الروم من بين من

كاتبهم^(١). واحتفظت مرويات السيرة في مختلف المصادر بصورة هذا الكتاب، ومن أثبتها ما روي في الصحيحين، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن أبي سفيان . رضي الله عنه . أنه أخبره " أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة^(٢) التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها ابا سفيان

وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء^(٣)، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم ؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم ؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيء، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة. فقال للترجمان قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت لو كان

أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي سي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم حتى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية^(٤) إلى عظيم بَصْرَى^(٥) فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦﴾» (٧).

الآراء التي دارت حول معنى كلمة الأريسيين:

أوجدت كلمة الأريسيين، الواردة في ثنايا هذا الكتاب، خلافاً واسعاً بين العلماء من محدثين، ومفسرين، ورواة السيرة، وأهل اللغة، في مدلولها وانحصرت أقوالهم في الآراء التالية:

الرأي الأول

أن يكون المراد بالأريسيين (الفلاحين) أو (الأكارين) (٨) وبهذا قال عدد من أهل العلم، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) في (مسنده): "فإن توليت فعليك إثم الأريسيين يعني الأكارة" (٩).

وفي شرحه لـ (غريب الحديث) قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ): "فأما الأريسي فهو الأكارة، أو الأجير فيما يفسر، وأخبرني بعض أصحابنا عن إبراهيم الحربي (١٠) قال: الأارسة الزراعون وأحدهم إريس" (١١).

ومال النووي (ت ٦٧٦هـ) إلى هذا التفسير بقوله: "واختلفوا في المراد بهم على أقوال أصحابها وأشهرها أنهم الأكارة أي الفلاحون والزراعون ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون إليك بانقيادك، ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقيادا فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا، وهذا القول هو الصحيح" (١٢).

ورجح ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) هذا التفسير أيضاً، واستشهد بما أورده بعض شراح الحديث، ورواة السيرة، وأهل اللغة، فقال: "هذا هو الصحيح هنا، فقد جاء مصرحاً به في رواية ابن إسحاق (١٣) (ت ١٥٠هـ) عن الزهري (١٤) (ت ١٢٤هـ) بلفظ فإن عليك إثم الأكارين. زاد البرقاني (١٥) (ت ٤٢٥هـ) في روايته: يعني الحرّاثين، ويؤيده أيضاً ما في رواية المدائني (١٦) (ت ٢٣٥هـ) من طريق مرسل: فإن عليك إثم الفلاحين. ثم أبي عبيد (١٧) (ت ٢٢٤هـ) في كتاب (الأموال) من مرسل عبدالله بن شداد (١٨): وإن لم تدخل في الإسلام فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام. قال أبو عبيد: المراد بالفلاحين أهل مملكته، لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح سواء كان يلي ذلك بنفسه أو بغيره" (١٩).

وقال السيوطي (ت ٩١١هـ): "الأريسيون هم الأكارة، أي الفلاحون والزراعون، والمعنى أن عليه إثم رعاياه الذين يتبعونه وينقادون بانقياده" (٢٠).

ومن بين المؤرخين المحدثين من أيد هذا الرأي حيث يقول: "وقد ذهبوا إلى أن المعنى العام للعبارة في النص إما أن يكون: أن يتحمل هرقل وزر الأريسيين بمعنى الفلاحين، والذين يشملون كل من تحت رعايته... وإما أن يكون: أنه بعدم قبوله للإسلام سيجلب على نفسه وزراً شبيهاً بالوزر الذي جلبته هذه الطوائف من المجوس أو النصارى المذكورة على نفسها. والمعنى الأول يستقيم مع

عليهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾^(٢٧). وكما قال سحرة فرعون، لما قامت عليهم الحجة لموسى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٢٨)، أي استعملتنا فيه وأجبرتتنا عليه^(٢٩).

الرأي الرابع

هناك من نسب الأريسيين إلى فرقة من رهط هرقل كان يقال لهم الأروسيّة، فجاء النسب إليهم^(٣٠)، قال أبو عبيدة^(٣١) (ت ٢٠٩هـ): الأريسيين، هم المنسوبون إلى الإريس، مثل: المهلبين، والأشعرين، المنسوبين إلى المهلب، وإلى الأشعر، وكان القياس فيه أن يكون بيائي النسبة، فيقال: الأشعريون، والمهلبيون، وكذلك قياس الإريسيين، الإريسيون في الرفع، والإريسيين في النصب والجر، ويقوي هذا رواية من روى الإريسيين، وهذا منسوب قولاً واحداً، لوجود بيائي النسبة فيه، فيكون المعنى: فعليك إثم الإريسيين الذين هم داخلون في طاعتك، ويجيبونك إذا دعوتهم، ثم لم تدعهم إلى الإسلام، ولو دعوتهم لأجابوك، فعليك إثمهم لأنك سبب منعهم الإسلام ولو أمرتهم بالإسلام لأسلموا^(٣٢).

الرأي الخامس

ربط البعض الأريسيون ببعض الشخصيات حين ذكروا بأنهم أتباع رجل يُقال له: عبدالله بن أريس، تنسب إليه الأروسيّة، وهم فرقة من النصارى. وهذا الرأي نقله النووي^(٣٣)، وابن حجر^(٣٤)، وابن الأثير^(٣٥)، وقال ابن حجر: إن عبدالله بن أريس رجل

العرف السائد في جزيرة العرب وغيرها، حيث يكون الناس على دين ملوكهم^(٣٦).

الرأي الثاني

إن المراد بالأريسيين هم طبقة من الفلاحين المجوس الذين كانوا يعيشون تحت سلطة الحكم الروماني. ولكن اختلفت الأقوال حول مذهب هذه الجماعة وعقيدتها، والسبب الداعي إلى ربط الرسول ﷺ بينهم وبين هرقل في الكتاب الموجّه إليه. فقد حكى الأزهري (ت ٣٧٠هـ): "وكان أهل السواد^(٣٧) ومن هو على دين كسرى أهل فلاحه وإثارة للأرض وكان أهل الروم أهل أثاث وصنعة^(٣٨)، فكانوا يقولون للمجوسي (أريسي) نسبهم إلى الأريس وهو الأكّار، وكانت العرب تسميهم الفلاحين، فاعلمهم النبي ﷺ أنهم وإن كانوا أهل كتاب، فإن عليهم من الإثم إن لم يؤمنوا بنبوته مثل إثم المجوس وفلاح السواد الذين لا كتاب لهم"^(٣٩).

وتابع الخطابي الأزهري فيما ذهب إليه^(٤٠).

ثم عقب الأزهري بعد ذلك بالقول: إن الأريسيين هم طائفة من المجوس إلا أنهم لا يعبدون النار، بل كانوا يدعون بأنهم على دين إبراهيم عليه السلام، وأنهم يعبدون الله تعالى، ويحرمون الزنا، وصناعتهم الحرّثة، ويُخرجون العُشر مما يزرعون، ثم قال: وأحسبهم يسجدون للشمس^(٤١).

الرأي الثالث

إن الأريسيون هم الخدم والخولة، وإنه يتحمل إثمهم لصده إياهم عن الإسلام بملكه لهم ورئاسته

المسيحي خلال القرن الرابع الميلادي، وجوبهت بمعارضة من الجانب الذي كان يسعى إلى فرض عقيدة ألوهية المسيح ﷺ، حتى كان مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م الذي قضى بألوهية المسيح وإبنيته، ورغم أن هذا الإعلان قضى على دعوة آريوس، إلا أن بعض المسيحيين تمسكوا بها، وأصبحوا يمثلون طائفة الموحدين في المجتمع المسيحي، وكانوا يعرفون بالأريسيين^(٤٠). لذلك ذهب البعض إلى أن أتباع آريوس هم المقصودين في كتاب النبي ﷺ، ومن هؤلاء أبو جعفر الطحاوي^(٤١) (ت ٣٢١هـ) حين قال: وقد ذكر بعض أهل المعرفة أن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية توحدهم الله، وتعترف بعبودية المسيح له ﷺ، ولا تقول شيئاً مما يقوله النصارى في ربوبيته وتؤمن بنبوته، فإنها تتمسك بدين المسيح مؤمنة بما في إنجيله جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك، وإذا كان ذلك كذلك، جاز أن يقال لهذه الفرقة "الأريسيون" في الرفع و "الأريسيين" في النصب والجر، كما ذهب إليه أصحاب الحديث^(٤٢).

وتبنى هذا الرأي عدد من المعاصرين، في مقدمتهم أبو الحسن الندوي حين قال: الأرجح أن المراد بالأريسيين هم أتباع آريوس المصري، وإن النبي ﷺ كان يعينهم في كتابه، لأنها كانت الفرقة الوحيدة من فرق المسيحية المتمسكة بالتوحيد النسبي في العالم المسيحي آنذاك^(٤٣).

كانت تعظمه النصارى، ابتدع في دينهم أشياء مخالفة لدين عيسى ﷺ، وقيل إنه من قوم بعث الله إليهم نبياً فقتلوه، فالتقدير على هذا فإن عليك إثم الأريسيين^(٣٦). ويستند ابن حجر في هذا التفسير على ما ذكره ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)^(٣٧) ويؤيده قائلًا: وما أظن قول ابن حزم إلا عن أصل، فإنه لا يجازف في النقل^(٣٨).

وفي المقابل نسبه البعض إلى رجل دين نصراني اسمه آريوس الإسكندري (٢٨٠-٣٣٦م)، وكان آريوس هذا قسّاً في إحدى كنائس الإسكندرية، ينادي بالتوحيد، مخالفاً بقية الفرق النصرانية التي كانت تعتقد بفكرة التثليث، وانضم إلى آريوس جماعة أمنت بما يدعو إليه وأيدته ودافعت عنه حتى نسبوا إليه فقيلاً الأريوسيين، وقد شغلت آراء آريوس المجتمع المسيحي خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، ونوقشت آراؤه في عدد من المجامع الكنسية^(٣٩)، وحاول الإمبراطور قسطنطين حسم هذا الخلاف في مجمع نيقية الذي عقد سنة ٣٢٥م والذي شارك فيه ٢٠٣٠ أسقفًا، ورغم أن الأغلبية كانت تؤيد آريوس إلا أن الإمبراطور قسطنطين كان يميل إلى ألوهية المسيح، لذلك حكم على آريوس بالنفي والاستبعاد من الكنيسة، ولكن آراء آريوس وأفكاره استمرت تستقطب الكثير من المؤيدين والأتباع، الأمر الذي أجبر الإمبراطور قسطنطين على إعادته إلى كنيسة الإسكندرية، حتى إنه كاد يولييه رئاستها لولا أن المنية عاجلت آريوس. استمرت آراء آريوس تشغل المجتمع

الرأي السابع:

فسر البعض لفظ الإريس بـ(الرئيس) أو (الأمير) قال ابن بري^(٥٠) في أماليه: "والأجود عندي أن يقال أن الإريس كبيرهم الذي يمتثل أمره ويطيعونه إذا طلب منهم الطاعة، ويدل على أن الإريس ما ذكرت لك قول ابن حزام العكلي^(٥١):

لا تُبْنِي وَأَنْتَ لِي بَكٌ وَعَدٌ

لا تُبْنِي بِالْمُؤَرَّسِ الْإِرِيسَا

يقال: أَبَاتَهُ بِهِ، أَي سَوَّيْتَهُ بِهِ، يريد: لا تُسَوِّنِي بَك. والوعد: الخسيس اللئيم وفصل بقوله: لي بك، بين المبتدأ والخبر، وبك متعلق بتبني، أي لا تُبْنِي بَك وَأَنْتَ لِي وَعَدٌ، أي عدوٌّ، لأن اللئيم عدوٌّ لي ومخالف لي، وقوله: لا تُبْنِي بِالْمُؤَرَّسِ الْإِرِيسَا، أي لا تُسَوِّ الإريس، وهو الأمير، بالمؤرَّس، وهو المأمور وتابعه، أي لا تسوِّ المولى بخادمه، فيكون المعنى في قول النبي ﷺ له رقل: فعليك إثم الإريسين، يريد الذين هم قادرون على هداية قومهم ثم لم يهدوهم، وأنت إريسهم الذي يجيبون دعوتك ويمتثلون أمرك، وإذا دعوتهم إلى أمر أطاعوك، فلو دعوتهم إلى الإسلام لأجابوك، فعليك إثم الإريسين الذين هم قادرون على هداية قومهم ثم لم يهدوهم، وذلك بسخط الله عليهم وبعظم إثمهم^(٥٢).

وقد مال إلى هذا التفسير أحد اللغويين المعاصرين حيث يقول: "تدور المادة أرس حول معنى الرياسة أو الزراعة. الفعل من هذه المادة، أَرَسَ، من باب ضَرَبَ يَضْرِبُ تقول: أَرَسَ فلان،

وافق الحوفي الندوي فيما ذهب إليه إذ يقول: والذي أرجحه أن الكلمة منسوبة إلى أريوس، على هذه الصورة (أَرْيُوس)، وجاء جمعها على هذه الصورة (أَرْيُوسِينَ)، فهي تعني أتباع أريوس، لأنهم يدينون بالتوحيد الخالص، وقد اختصهم النبي ﷺ لأنهم سرحبون بالإسلام ويعتقونه ويذيعونه حينما تبلغهم دعوته القائمة على التوحيد الخالص، وإن على هرقل أن يفسح الطريق لإبلاغهم هذه الدعوة، ليكون له أجران، أجر على نصرانيته، وأجر على إسلامه إذا أسلم، فإن أعرض عن الإسلام وصد عن الدعوة إليه، كان عليه وزر هذه الفرقة المسيحية الموحدة^(٤٤).

وحظي هذا الرأي بقبول عدد آخر من الباحثين المعاصرين، مما يشير إلى قوة تأثير الآراء المتعلقة بأريوس^(٤٥).

الرأي السادس :

ومن الآراء أو الفرضيات التي طُرحت لتفسير هذه الكلمة ما ذكره الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في (المعجم الكبير): "قال الليث^(٤٦): الأريسيون: العشارون"^(٤٧). وقد علّق ابن حجر على قول الطبراني بقوله: "وهذا إن صح أنه المراد، فالمعنى المبالغة في الإثم، ففي (الصحيح) في المرأة التي اعترفت بالزنا لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس^(٤٨) لقبلت"^(٤٩).

يدعم هذا التصور ما ذكره الأصفهاني والذي أورد نص الكتاب بالصيغة التالية: "... فأسلم تسلم يوثك الله أجرك مرتين، وإن تتول فإن إثم الأكابر عليك" (٥٦). وقد تابع هذا الرأي كل من: ابن الأثير (٥٧)، وابن منظور (٥٨)، والزبيدي (٥٩).

وجهة نظر الباحث حول تفسير كلمة الأريسيين

هذه هي مجمل التفسيرات التي انحصرت حولها آراء العلماء في تفسير كلمة الأريسيين، ويبدو مما سبق أن السبب خلف هذا التباين الواضح يعود إلى مسألة ضبط الكلمة واختلاف الصيغة التي وردت بها من رواية إلى أخرى. ولقد نبّه الإمام النووي إلى هذه المسألة بقوله: "هكذا وقع في هذه الرواية الأولى في مُسلم الأريسيين وهو الأشهر في روايات الحديث، وفي كتب أهل اللغة، وعلى هذا اختلف في ضبطه على أوجه، أحدها بياءين بعد السين، والثاني بياء واحدة بعد السين، وعلى هذين الوجهين الهمزة مفتوحة، والراء مكسورة مخففة، والثالثة الإريسين، بكسر الهمزة، وتشديد الراء، وبياء واحدة بعد السين، ووقع في الرواية الثانية في مُسلم، وفي أول (صحيح البخاري)، إثم اليريسيين بياء مفتوحة في أوله وبياء وبياءين بعد السين واختلفوا في المراد بهم على أقوال" (٦٠).

ولا شك أن أقرب الألفاظ للصحة لفظ الأريسيين الذي ورد في أكثر من رواية عند البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث (٦١)، إضافة إلى المصادر التاريخية (٦٢).

بمعنى (رأس)، من الرياسة فأرس يأرس رأساً، إذا صار أريساً أي رئيساً على القلب، أي أن أريس مقلوب (رئيس)، أو أن (أريس) بمعنى (أكاز) وينسب إليه فيقال (أريسي)، وكذلك (إريس) من الفعل (أرس) بتضعيف الراء، فيقال (إريسي) أو (إريس) بمعنى الأمير والكبير على قلب (رئيس)، وعلى هذا أقول أن (أرس) مقلوب (رأس) فهي من مادة (رأس)، ومن ثم كان معنى الرياسة لهذه المادة كما يمكن القول: إن معنى الأكارين أو الأتباع كان بمعنى المرءوسين (٥٣).

الرأي الثامن:

تفسير آخر لكلمة الأريسيين له من الوجاهة ما يجعلنا نتوقف عنده، وهو أن يكون المراد بالأريسيين وصفاً للمتكبرين والمتغطرسين من الملوك والأمراء، ويمكن استنباط ذلك مما ذكره ابن دريد (ت ٣٢١هـ) حين قال: ورأس الرجل في مشيته يريس ريساً، إذا تبختر، وكذلك الأسد، قال الشاعر: أتاها بين أرحلهم يريس (٥٤).

وقال الأزهري: "وراس يريس ريساً: إذا تبختر في مشيته" (٥٥).

وإذا ما أخذنا بتلك الروايات التي أوردت الكلمة برسم (اليريسيين) يكون المعنى المراد في الحديث بأنك إن أبيت الإذعان والدخول في الإسلام فإن عليك إثم المتكبرين المتغطرسين الذين يمتنعون عن الدخول في الإسلام حرصاً على مكانتهم، وحفاظاً على مكتسباتهم مع علمهم بأنه الدين الحق. وقد

تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية^(٦٦).

وبعض النظر عما إذا كان الكتابان قد كُتبا في زمنين مختلفين، أو الى شخصيتين مختلفتين كما أشار بذلك أحد الباحثين المعاصرين^(٦٧)، فإن كلمة الفلاحين التي وردت في النص الثاني تفسر كلمة الاريسيين الواردة في النص الأول.

ثالثاً : إن جمهرة من المحدثين، والمؤرخين، واللغويين نقلوا نص الكتاب واستبدلوا لفظ الأريسيين بـ(الأكارين)، أي الفلاحين.

رابعاً : ليس من المنطق القول إن كلمة الأريسيين لو كانت تعنى الفلاحين لكان كسرى أحق بأن يحذر من وقوع إثمهم ومسئوليتهم عليه، لأن أهل السواد كانوا أهل فلاحية وإثارة للأرض بينما أهل الروم أهل أثاث وصنعة!! فمثل هذا الرأي أضعف من أن يؤخذ به كدليل على رفض تفسير "الفلاحين" فمن المعروف أن الشام ومصر كانتا خاضعة للحكم الروماني وكلاهما من المناطق الغنية بثرواتها الزراعية بل إنها كانت من أكثر المقاطعات الرومانية التي تدر دخلاً وفيراً لبيزنطة. ناهيك عن مناطق زراعية أخرى في الشمال الأفريقي وفي المغرب وفي أوروبا كانت خاضعة بكليتها للإمبراطورية الرومانية، ولذا فمن الاجحاف أن يوصف المجتمع الروماني بمجتمع صناعي بحت، كما أنه من الإجحاف أن يوصف المجتمع الفارسي بمجتمع زراعي، فكل الإمبراطوريتين كانتا تسيطران على مساحات شاسعة

أما عن أنسب الآراء التي قيلت حول تفسير هذه الكلمة فهي الفلاحين أو المزارعين أو الأكارين لعدة أسباب:

أولاً : اتفاق عدد كبير من علماء الحديث واللغة على القول بذلك وفي مقدمتهم: النووي في شرحه على (صحيح مُسلم)، وابن حجر في شرحه على (صحيح البخاري)، وغيرهم من شراح السنة، وغريب الحديث.

ثانياً : إن كتاب (الأموال) لأبي عبيدة يعدّ أقدم المصادر التاريخية التي أوردت نص كتاب النبي ﷺ إلى هرقل. وقد ورد النص بصيغتين الأولى: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ... الآية﴾"^(٦٣)،^(٦٤).

أما الصيغة الثانية: "من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل صاحب الروم: إني أدعوك إلى الإسلام فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. فإن لم تدخل في الإسلام فاعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾"^(٦٥). وإلا فلا

أدرك ذلك حين وصف تلك الجماعة بأنها "هي القائمة بالتوحيد النسبي في العالم الإسلامي".

الثاني :

إن ذلك يتنافى مع عالمية الدعوة الإسلامية، فقد جاءت دعوة الرسول ﷺ إلى الناس كافة: قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٧٢). وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٧٣). فلم تكن دعوة النبي ﷺ خاصة أو مقصورة على فئة معينة أو جماعة بذاتها، وإنما كانت دعوة عالمية أراد البارئ عز وجل أن يخص بها نبي الرحمة ليكون خاتم الأنبياء والرسل كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^(٧٤). كما جاء في الأحاديث من رواية البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : أُعْطِيتَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتَ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجَدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ مِن قَبْلِي، وَأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً^(٧٥). كما جاء في (صحيح البخاري) و(مسلم) عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: "إِن مِثْلِي وَمِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَنَةَ، فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ

من العالم في تلك الفترة، وكلاهما كانا يتمتعان بمقومات اقتصادية متنوعة فرضتها بلا شك طبيعة الصراع بين أكبر قوتين عظميين في ذلك الوقت.

خامساً: إن كلمة الاريسيين وردت في مناسبات تاريخية أخرى ككتاب معاوية بن أبي سفيان ؓ إلى إمبراطور الروم حين علم بعزمه على غزو الأراضي الإسلامية مستغلاً الخلاف القائم بين معاوية وعلي بن أبي طالب ؓ. حيث جاء في كتاب معاوية إلى إمبراطور الروم: "بالله لئن تمت على ما بلغني لأصالحن صاحبي ولا كونن مقدمته إليك، ولا جعلن القسطنطينية الحمراء حممه سوداء، ولأنزعنك من الملك نزع الاصطفيلينه^(٦٨)، ولأردنك إريساً من الأارسة ترعى الدوابل"^(٦٩). وقد استشهد بعض العلماء بهذه الرواية لدعم تفسيرهم بأن المراد بالأريسيين هم الفلاحين^(٧٠)، في حين دعم بعضهم هذه الرواية في تفسيره بأن المراد بالاريسيين هم العشارين^(٧١).

أما الذين حاولوا تفسير هذه الكلمة بأن المراد بالأريسيين جماعة تُسبت إلى أريوس كانت تقول بغير مقالة النصارى في عيسى بن مريم، وبأنها كانت تعترف بنبوته فإن هذا الأمر مردود لسببين:

الأول :

ثبت من النصوص التي سبق ذكرها للشهرستاني، ولابن خلدون، أن أريوس وإن خالف الكنيسة في دعواها بتأليه المسيح بأن تلك الدعوى لم تصل إلى درجة التوحيد الخالص حتى إن الندوي

ثم نقبل بها ونقول بأنها تعني الفلاحين، ألا يكون ذلك من باب التخصيص أيضاً؟
والإجابة على هذا التساؤل أتى به أبو عبيد القاسم بن سلام حين قال: "لم يُرد الفلاحين خاصة، ولكنه أراد أهل مملكته جميعاً. وذلك أن العجم عند العرب كلهم فلاحون، لأنهم أهل زرع وحرث، لأن كل من كان يزرع عند العرب فلاح، إن ولي ذلك بيده أو وليه غيره" (٨٠).

وهذا يؤكد أن المعنى العام الذي للأرسيين هو الأتباع. وقد ذكر ابن حجر: "والمعنى في الحديث صالح على الرأيين فإن كان المراد التابع، فالمعنى إن عليك مثل إثم التابع لك على ترك الدخول في الإسلام، وإن كان المراد المتبوع، فكأنه قال فإن عليك إثم المتبوعين يضاعف باعتبار ما وقع لهم من عدم الإذعان إلى الحق من إضلال أتباعهم" (٨١).

الخاتمة:

بعد مناقشة هذه الدراسة للآراء التي أوردتها المصادر المتنوعة عن معنى كلمة الأرسيين الواردة في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل إمبراطور الروم، ومن خلال تحليل تلك الآراء استناداً على المصادر الأولية التي نقلت إلينا نص الرسالة، ومقابلة تلك الأصول، تبين للباحث مايلي:

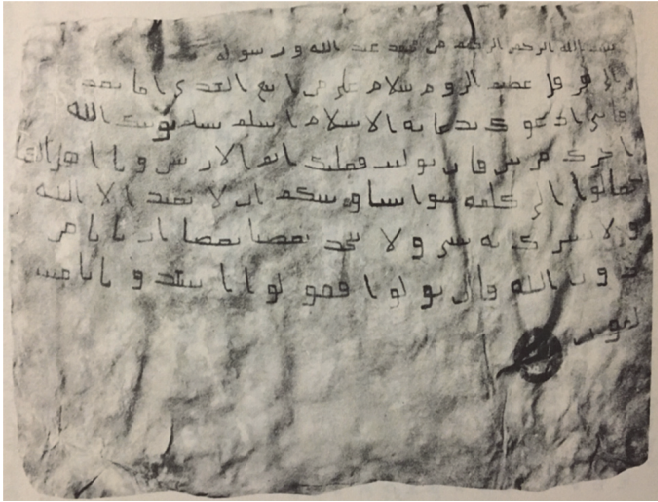
١. من أسباب الاختلاف حول تفسير هذه الكلمة هو اختلاف نص الرسالة التي أوردتها المصادر، ويرجع السبب في ذلك إلى تنوع طرق الإسناد في تلك المصادر التي نقلت إلينا نص

النبيين" (٧٦). فهذه الشواهد وغيرها كثير مما يدل على عالمية دعوته ﷺ وبالتالي من الصعوبة بمكان أن يخص الرسول ﷺ تلك الفئة من الأمة المسيحية ليخاطبها من خلال كتابه إلى هرقل. وإن نجت تلك الطائفة من المجتمع المسيحي المنحرف وكانت هي القريبة إلى التوحيد، فما بال طوائف النصارى الأخرى، ألا تستحق أن توجه إليها الدعوة؟!.

يدعم التوجه السابق قضية في غاية الأهمية ربما كانت سبباً في الخلاف بين العلماء حول تفسير الأرسيين. ذلك إن حصر تفسير هذه الكلمة في إطار كتاب النبي ﷺ دون مقارنته بكتبته ﷺ إلى بقية الملوك والزعماء أسهم في تقييد مساحة النقاش، وأوجد قصوراً في الفهم، فقد جاء في كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس: "فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك" (٧٧)، وفي كتابه إلى النجاشي: "إن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك" (٧٨)، وفي كتابه إلى المقوقس: "فإن توليت فعليك إثم القبط" (٧٩). وهكذا نلمس في مكاتباته ﷺ إلى الملوك والزعماء تحميلهم أوزار أقوامهم إن هم رفضوا الدخول في الإسلام دون تحديد طائفة بعينها. وإن كان المراد بالأرسيين أتباع أريوس كما ذهب البعض فإن المقوقس أولى من غيره بذكر هذه الطائفة. فلقد ولدت ونشأت حركة أريوس بالإسكندرية وبها كثر أتباعه ولذلك نُفي عنها ثم عاد إليها فيما بعد.

وقد يتساءل القارئ كيف نرفض كلمة الأرسيين إن كانت تعني أتباع أريوس، لأنها تفيد التخصيص،

٥. قارنت هذه الدراسة بين رسالة النبي ﷺ إلى هرقل ورسائله إلى غيره من الملوك والأمراء، حيث ظهر في بقية رسائل النبي ﷺ ما يشير إلى منهجية واحدة تتمثل في تحميل الملك أو الأمير إثم أتباعه إن هو حال بينهم وبين الإسلام. وبناء على ذلك تبين من خلال البحث إن أقرب الآراء إلى الصحة من بين جميع الآراء التي فسرت كلمة الأريسيين هي تلك التي وصفتهم بأتباع الدولة من المزارعين أو الفلاحين، واستبعدت الدراسة أن يكون المراد بهم أتباع طائفة أو فرقة بعينها من رعايا الإمبراطورية الرومانية كون ذلك يتنافى مع عالمية الدعوة الإسلامية.



صورة من كتاب النبي ﷺ نقلاً عن كتاب الوثائق السياسية لمحمد حميد الله

الهوامش

١. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ط ٢، ج ١ (بيروت: دار

الرسالة، حيث اعتمدت هذه الدراسة على النص الذي أورده البخاري في (صحيحه) كونه أوثق المصادر المعتبرة عند أهل السنة والجماعة فيما نُقل إلينا عن سيرة النبي ﷺ، إضافة إلى أن صورة الرسالة التي وصلت إلينا، والتي رجّح كثير من المتخصصين بصحتها، تتفق إلى حد بعيد مع النص الذي أورده البخاري.

٢. ترتب على اختلاف المصادر في نقل نص الرسالة إلى اختلاف في صورة الرسم الذي وردت به هذه الكلمة، فقد وردت في بعض الروايات برسم الأريسيين، وفي روايات أخرى برسم الأريسيين، واليريسيين، أو الأريسيين، أو الأريس وغيرها من الرسوم التي تمت الإشارة إليها في متن الدراسة، وهذا الاختلاف ربما كان مقصوداً، وربما كان سببه خطأً من النساخ وتصحيف في النقل.

٣. لم يقتصر الأمر على الرسم فحسب، بل وصل الاختلاف إلى التغيير الكامل في لفظ الكلمة الواردة في الكتاب، فمن بين المصادر الأولية من استبدل كلمة الأريسيين بكلمة أخرى مثل: الفلاحين، والأكارين وهو ما حمل كثير من العلماء إلى محاولة المقاربة بين النصوص بتفسير الكلمة الغامضة، وهي الأريسيين، بكلمة واضحة ومفهومة مثل كلمة الفلاحين أو الأكارين.

٤. إن الرسم الذي إطمأن إليه الباحث في هذه الدراسة هو رسم (الأريسيين) كونه جاء في مصادر موثوقة، وبإسناد عال كما في (الصحيحين).

الجمهورية العربية السورية، وتبعد عن دمشق حوالي ١٤٠ كم، وهي مسجلة ومصنفة في اليونيسكو ضمن مواقع التراث العالمي. ياقوت، المعجم، ج١، ٤٤١؛ البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ٤٣.

٦. سورة آل عمران، الآية (٦٤).

٧. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ج٤، ١٦٥٧؛ وانظر أيضاً: مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، د.ت) ج٣، ١٣٩٣؛ ابن همام الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق (ت ٢١١هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣) ج٥، ٣٤٤؛ النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: عبدالغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج٦، ٣٠٩؛ أبو عوانه، يعقوب بن إسحاق (ت ٣١٦هـ)، مسند أبي عوانه، تحقيق: أيمن عارف (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م) ج٤، ٢٦٦.

٨. الأَكَارُ تعني الحَرَاثُ أو الزَّرَاع. ابن منظور،

لسان العرب، ج٤، ٢٦.

صادر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٢٥٨؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٦، ج٢ (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ٦٤٤.

٢. المدة: طائفة من الزمان، تقع على القليل والكثير. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، ج٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ٤٠٠. والمراد هنا الزمن الذي كان يسري فيه الصلح بين النبي ﷺ وقريش.

٣. ايلياء اسم مدينة بيت المقدس، وقيل انما سميت بذلك نسبة إلى بانيها وهو ايلياء بن إرم بن سان بن نوح عليه السلام. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ج١، ٢٩٣.

٤. دحية بن خليفة بن فروة الكلبي رضي الله عنه، كان من كبار الصحابة، أسلم قبل بدر ولم يشهدا، ولكنه شهد أحداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان جميل الصورة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية، وكان دحية من سفراء النبي ﷺ إلى الملوك، ارسله إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، وبقي دحية إلى خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤، ٢٤٩؛ ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله (ت ٣٦٣هـ)، الاستيعاب، تحقيق: عادل مرشد (عمان دار الأعلام، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ٢١٧.

٥. بُصرى من قرى الشام وكانت تضاف إلى أعمال دمشق، واليوم تتبع محافظة درعا في

٩. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت) ج ١، ٢٦٢.

١٠. أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير الحربي، كان إماماً في العلم، ويقاس بابن حنبل في زهده وعلمه وورعه، وله كتاب في غريب الحديث، يُعد من أهم مؤلفاته، وكانت وفاته في بغداد سنة ٢٨٥هـ. النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ)، كتاب الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد السيد (لندن: مؤسسة الفرقان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، مج ٢، القسم الأول، ١٠٩؛ البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج ٦، ٥٢٢ وما يليها.

١١. الخطّابي، أبو سليمان أحمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبدالكريم العزباوي (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، د.ت) ج ١، ٤٩٩.

١٢. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٢ (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ) ج ١٢، ١٠٩.

١٣. محمد بن إسحاق بن يسار، إمام أهل المغازي والسير، ومن أهم مصنّفاته كتاب المغازي، ويعد الزهري من أهم شيوخه، توفي في بغداد سنة ١٥١هـ. النديم، الفهرست، مج ١، القسم الثاني، ٢٨٩.

١٤. محمد بن مسلم بن عبيدالله الزهري، كان محدثاً ومؤرخاً، وهو من الرواد في علم المغازي، نقل عنه الكثير من الإخباريين والرواة، توفي سنة ١٢٤هـ. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ٤٧٢؛ ابن خلكان، ج ٤، ١٧٧ وما يليها؛ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوّامة، ط ٤ (حلب: دار الرشيد، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ٥٠٦.

١٥. أبو بكر أحمد بن محمد البرقاني، محدثاً، وفقهياً، وله اهتمام باللغة، له العديد من المصنّفات منها مسند ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخاري ومسلم. توفي سنة ٤٢٥هـ. الخطيب البغدادي، ج ٦، ٢٧؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا، مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج ١٥، ٢٤٢.

١٦. أبو الحسن علي بن محمد المدائني، إخباري له العديد من المصنّفات، منها كتاب رسل النبي ﷺ. توفي في بغداد سنة ٢٣٥هـ. ابن قتيبة، المعارف،

الخطيب (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ) ج١، ٣٩.

٢٠. السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، الديباج على صحيح مسلم، تحقيق: أبو إسحاق الحويني (الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ج٤، ٣٨٢.

٢١. قاسم، عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ٧٩.

٢٢. السواد هنا يراد به رستاق العراق وضياعها التي فتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمي بذلك لسواده بالزرع والنخيل والأشجار لأنه تاخم جزيرة العرب التي لازرع فيها ولا شجر فكانوا إذاخرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار فيسمونه سواداً، وحده من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً. ياقوت، معجم، ج٣، ٢٧٢.

٢٣. أي أصحاب أموال وصناعات وحرف. ابن منظور، لسان، ج ٢، ١١١، ج ٨، ٢٠٨-٢٠٩.

٢٤. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد البردوني، مراجعة: على محمد البجاوي (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت) ج١٣، ١٣٦.

٢٥. الخطابي، غريب الحديث، ج١، ٥٠٠.

٢٦. الأزهرى، تهذيب، ج١٣، ١٣٦.

٢٧. سورة الأحزاب، الآية (٦٧).

٥٣٨؛ النديم، ج١، ٣١٥؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ١٨٥٢-١٨٥٨.

١٧. أبو عبيد القاسم بن سلام، عالم لغة وفقيه ومحدث، وإمام من أئمة الجرح والتعديل، من أشهر كتبه (كتاب الأموال) الذي يعد من أشهر المؤلفات المبكرة في الاقتصاد الإسلامي، توفي سنة ٢٢٤هـ. ابن قتيبة، المعارف، ٥٤٩؛ النديم، الفهرست، ج١، ٢١٤-٢١٦؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٢، ٢٥٣.

١٨. عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي، من كبار التابعين، ولد على عهد النبي ﷺ، روى عن عمر وعلي رضي الله عنهما، وكان ثقة فقيهاً، كثير الحديث، مات مقتولاً سنة ٨١هـ. ابن خياط العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بغداد: جامعة بغداد، د.ت)، ١٥٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤٤٠-٤٤١؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ٣٠٧.

١٩. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين

٢٨. سورة طه، الآية (٧٣).

٢٩. الملطي، أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي (ت ٨٠٣هـ)، **المعتصر من المختصر من مشكل الآثار** (بيروت: عالم الكتب، د.ت) ج ١، ٢٠٧.

٣٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ٥.

٣١. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي،

٣٢. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ٥.

٣٣. النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١٢، ١٠٩؛ الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: علي شيري (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ٨، ١٨١.

٣٤. ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ٢٢١.

٣٥. ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج ١، ٣٨.

٣٦. ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ٢٢١.

٣٧. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، شاعر، وأديب، ونسابة، وفقه، وفيلسوف. من أئمة الظاهرية في الأندلس، له العديد من التصانيف، وفي علوم مختلفة، من أهمها، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وجمهرة أنساب العرب توفي سنة ٤٥٦هـ.

٣٨. ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ٢٢١.

٣٩. المجامع الكنسية هي عبارة عن مؤتمر دولي يضم جميع الرهبان والقساوسة من مختلف مناطق العالم لمناقشة مسألة أو قضية دينية، وما يخرج به هذا المؤتمر من قرارات يكون ملزماً لجميع الكنائس في العالم.

٤٠. للمزيد من التفاصيل انظر: الشهرستاني، أبو

الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج ١، ٢٢٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر** (بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج ٢، ١٧٢؛ **موسوعة الأديان في العالم (المسيحية)**، ٧١-٨٠.

٤١. أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي، الفقيه المحدث الحافظ الثبت، إليه انتهت رئاسة الحنفية في مصر في زمانه، توفي سنة ٣٢٢هـ. انظر: النديم، مج ٢، ج ١، ٣١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ٧١-٧٢.

٤٢. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٢٢هـ)، **مشكل الآثار**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج ٥، ٢٢٩.

٤٣. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **السيرة النبوية**، ط ٣ (جدة: دار الشروق، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ٢٥٦.

٥٠. أبو محمد عبدالله بن أبي الوحش بَرِّي بن عبد الجبار بن بَرِّي، الإمام المشهور في علم النحو، واللغة، والرواية والدراية، توفي في مصر سنة ٥٨٢هـ. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ١٠٩-١٠٨.

٥١. غالب بن الحارث، أبو حزام العُكلي، شاعر فصيح، لم أقف على سنة وفاته، ولعل وفاته كانت في خلافة المهدي العباسي، غلب على شعره الغريب.

٥٢. ابن بَرِّي المصري، أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش (ت ٥٨٢هـ)، التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: عبد السلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م)، ج ٢، ٢٥٥.

٥٣. محمد حسين أبو الفتوح، معجم الفاظ الحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري.

٥٤. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ١٠٦٥.

٥٥. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٣، ٦٣.

٥٦. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق: علي مهنا، وسمير جابر، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ج ٦، ٢٦٤.

٥٧. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ٣٨.

٤٤. الحوفي، أحمد، كلمة الأريسيين في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٤٥، جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ/مايو ١٩٨٠م، ٧٥-٧٦.

٤٥. خطاب، محمود شيت، سفراء النبي ﷺ، ط ١ (جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ج ١، ٨٠، الخالدي، صلاح عبدالفتاح، الرسول المبلغ، ط ١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ١١١-١١٣.

٤٦. أبو الحارث ليث بن سعد بن عبدالرحمن، فقيه أهل مصر، ومحدثهم، توفي سنة ١٧٥هـ. ابن قتيبة، المعارف، ٥٠٥-٥٠٦؛ الخطيب البغدادي، ج ١٤، ٥٢٤ ومايليها.

٤٧. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط ٢ (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) ج ٨، ص ١٦. والعشار نسبة إلى الرجل المختص بجمع العُشور، وهي من أنواع الضرائب. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ٥٧٠.

٤٨. المَكْس هي الضريبة التي تفرضها الدولة على الرعية، ومن يُكَلَّف بجمعها وتحصيلها يقال له صاحب المكس. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ٢٢٠-٢٢١.

٤٩. ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ٣٩.

٥٨. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ٥.
٥٩. الزبيدي، تاج العروس، ج٨، ١٨١.
٦٠. النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١٢، ١٠٩.
٦١. على سبيل المثال لا الحصر، انظر: مصنف عبدالرزاق، ج٥، ٣٤٤؛ مسند أبي عوانة، ج٤، ٢٦٦؛ صحيح ابن حبان، ج١٤، ٤٩٥؛ مسند أحمد بن حنبل، ج١، ٢٦٢.
٦٢. على سبيل المثال: اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، ج٢، ٧٧؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: مؤسسة الأعلمي، د.ت)، ج٢، ٢٩١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ٢٧٩؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ج٢، ٩٦؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، د.ط، بيروت: مكتبة المعارف، د.ت، ج٤، ص٣٠٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ٤٣٥.
٦٣. سورة آل عمران، الآية (٦٤).
٦٤. ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، ط٢ (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ٣٠-٣١.
٦٥. سورة التوبة، الآية (٢٩).
٦٦. أبو عبيد، الأموال، ٣٠؛ أنظر أيضاً: شهاب الدين أحمد بن عبدالله القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ج٦، ٣٦٣.
٦٧. يقول عون الشريف قاسم: "وقد تكون هناك أكثر من رسالة في حالة الروم كما يتبين من روايات المؤرخين. ومن الممكن ان يكون الرسول ﷺ قد أرسل رسالة لهرقل أثناء زيارته لبيت المقدس، كما أرسل لغيره من الملوك، كما سبق ذكره". نشأة الدولة الإسلامية، ٩٠.
٦٨. الاصطفاينة هي الجزيرة التي تكون مغروسة في الأرض بجذور قوية. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ٣٧٨.
٦٩. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ٣٩.
٧٠. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٨، ١٨٠.
٧١. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ٣٨.
٧٢. سورة سبأ، الآية (٢٨).
٧٣. سورة الأعراف، الآية (١٥٧).
٧٤. سورة الأحزاب، الآية (٤٠).
٧٥. أخرجه البخاري برقم: ٣٣٥؛ ومسلم برقم: ٥٢١.

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي
(بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)

• الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد البردوني، مراجعة: على محمد البجاوي (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)

• الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق: علي مهنا، وسمير جابر، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

• البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط ٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

• ابن بَرِّي المصري، أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش (ت ٥٨٢هـ)، التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: عبد السلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م)

• البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

• ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا، مراجعة

٧٦. أخرجه البخاري برقم: ٣٥٣٥؛ ومسلم برقم: ٢٢٨٦.

٧٧. ابن طولون، محمد بن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ)، أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، مراجعة: عبدالقادر الأرناؤوط، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٧٨. حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٤ (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الوثيقة رقم (٢٢)).

٧٩. ابن طولون، إعلام السائلين، ٨١، صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ج ١، ٤٢.

٨٠. أبو عبيد، الأموال، ٣٠.

٨١. ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ٢٢١.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

• القرآن الكريم

• ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)

• ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث،

- وتصحيح: نعيم زرزور، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)
- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)
- تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط ٤ (حلب: دارالرشيد، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)
- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت)
- الخطّابي، أبو سليمان أحمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبدالكريم العزاوي (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، د.ت)
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د.ت)
- ابن خياط العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بغداد: جامعة بغداد، د.ت)
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ط ٢، ج ١ (بيروت: دار صادر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، ط ٢ (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ)
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)
- الديباج على صحيح مسلم، تحقيق: أبو إسحاق الحويني (الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة، د.ت)

- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله (ت ٣٦٣هـ)،
الاستيعاب، تحقيق: عادل مرشد (عمان: دار
الأعلام، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- أبو عوانه، يعقوب بن إسحاق (ت ٣١٦هـ)،
مسند أبي عوانه، تحقيق: أيمن عارف (بيروت: دار
المعرفة، ١٩٩٨م)
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت
٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن
عبدالمجيد السلفي، ط ٢ (الموصل: مكتبة العلوم
والحكم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت
٣٢٢هـ)، مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)
- ابن طولون، محمد بن طولون الدمشقي (ت
٩٥٣هـ)، أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين
ﷺ، تحقيق: محمود الأرنؤوط، مراجعة: عبدالقادر
الأرنؤوط، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ
- ١٩٨٧م)
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت
٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط ٦
(القاهرة: دار المعارف، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ١٩٩٢م)
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت
٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، د. ط، بيروت: مكتبة
المعارف، د. ت.
- الملطي، أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي
(ت ٨٠٣هـ)، المعتصر من المختصر من مشكل
الآثار (بيروت: عالم الكتب، د. ت)
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت
٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، ج ٣ (بيروت: دار
صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- ابن همام الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق (ت
٢١١هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن
الأعظمي، ط ٢ (بيروت: المكتب الإسلامي،
١٤٠٣).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت
٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو
الفضل إبراهيم، ط ٦، ج ٢ (القاهرة: دار المعارف،
د. ت).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت
٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد
عبدالباقي، (بيروت: دار أحياء التراث العربي،
د. ت).
- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت
٣٧٧هـ)، كتاب الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد السيد
(لندن: مؤسسة الفرقان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)
- النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت
٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: عبدالغفار
البنداري، وسيد كسروي حسن، ط ١، بيروت: دار
الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

- الخالدي، صلاح عبدالفتاح، الرسول المبلغ، ط ١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)
- خطاب، محمود شيت، سفراء النبي ﷺ ، ط ١ (جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)
- صفوت، أحمد زكي ، جمهرة رسائل العرب (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)
- قاسم، عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، السيرة النبوية، ط ٣ (جدة: دار الشروق، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)
- ثالثاً: الدوريات
- الحوفي، أحمد، كلمة الأرسبيين في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٤٥، جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ / مايو ١٩٨٠م

- النوي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٢ (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)
- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).
- معجم البلدان، ط ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م).
- اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)
- ثانياً: المراجع
- البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)
- حميد الله، محمد ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٤ (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

The Arcians in the Letter of Prophet Muhammed (PBUH) to Hercules the Emperor of Rome: Historical and Analytical study

Dr. Emad Abed Abdullah Taher

*Assistant Professor of Islamic History
King AbdulAziz University- History apartment*

Abstract. The letters of the Prophet (PBUH), in which he called upon the kings and princes to revert to Islam, have received special attention from those interested in his biography. That is because these letters contain emphasis on the universality of Islam as well as the prophet's approach in communicating with his contemporaries of kings and princes. Another reason is the eloquence that the prophet was gifted with in addressing each nation with distinct vocabulary that distinguished it from others. Hence, the Prophet's letters were full of such words that intrigued scholars in different fields and specializations to study and analyze them. This study focuses on one of the letters; the letter from the Prophet to the Roman Emperor Hercules, with special emphasis on the word "the Arcians", mentioned in it. Scholars, such as, modernists, historians and linguists failed to agree on the interpretation of this word, its meaning, and the intention behind using it. That is due to the variation in the calligraphy from one version to the other. The purpose of this research is to track, study and analyze the scholars' different views in comparison with the texts in the primary sources; to review the differences between these opinions; and to choose the most accurate among them to reach the true meaning of this word.

Contents

English Section

	<i>Page</i>
• Religion Mind(English Abstract) Saeed Ahmed Alafandi.....	25
• The Verses of the Good Tidings in Surat Al-Baqarah and Their Significance to Muslim Preachers (English Abstract) Ahmad Mohammad Obeid	62
• The New Media and Its Impact on the Service of Quran and Its Sciences: Electronic Applications of the Holy Quran – Reality and Prospects- and the Extent of Benefit and the Distinction between Considered and Unconsidered Applications by Some Students at King Abdulaziz University in Jeddah, and Their Attitude toward Distorted Applications Khairiah Ali Alshehri	80
• The doctrinal lessons of the Hudaybiyah Prepared by (English Abstract) Maryam Ali Alhoshani.....	107
• Dualism of Cultural Values among A Sample of Kuwait University Students(English Abstract) Zaha Alsuwailan	133
• The body Semiotic in the "The Beginning of the Body, The End of the Sea" of Adonis Mona Mohammed Alghamdi.....	158
• Repetition in Ibn Abdrabuh's poetry Technical study(English Abstract) saleem said alsulami.....	182
• Research Title : The relationship of language policy in education to human rights The project "Europe is rich in its languages, orientations in policies and practices for multilingualism in Europe" (model Dhafer Ali Alshehri	201
• The Relationship Between Hope of the Text and the Pain of the Author in the Poetry of Mohammed al-Thubayti (English Abstract) Abdulrahman Muhammad alWahhabi	219
• The impact of the use of PowerPoint presentations in Arabic language courses on academic achievement and the development of their attitudes toward students of King Abdulaziz University. (English Abstract) Mohammed Ali Al-Sweerky.....	240
• Academic Compatibility and its Relationship with Psychological Flow and Life Satisfaction among Female Students of Educational Diploma at Jeddah University(English Abstract) Nabeela Bokhari	272
• The Arcians in the Letter of Prophet Muhammed (PBUH) to Hercules the Emperor of Rome: Historical and Analytical study(English Abstract) Emad Abed Abdullah Taher	294

■ Editorial Board ■

Prof. Dr. Ahmed Mohamed Azab aazab@kau.edu.sa	Editor in Chief
Prof. Dr. Mohamed Jafar Arif Marif@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Abdul Rahman Raja Allah Alsulami aralsulami@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Mohamed Salih Alghamdi msalghamdi1@kau.edu.sa	Member
Prof . Dr. Amal Yahya Alshaikh Ayalshaikh@kau.edu.sa	Member
Prof . Samia Abdallah Bukhari sbukare@kau.edu.sa	Member
Prof . Zakaria Ahmed El-sherbeny zalsherpeny@kau.edu.sa	Member
Prof . Nuha Suliman Alshurafa nalshurafa@kau.edu.sa	Member
Dr . Zainy Talal Alhazmi Zalhazmi@kau.edu.sa	Member
Dr . Suliman Mustafa Aydinn slaydinn@kau.edu.sa	Member



Journal of KING ABDULAZIZ UNIVERSITY Arts and Humanities

**Volume 27 Number 3
2018 A.D.**

**Scientific Publishing Center
King Abdulaziz University
P.O. Box 80200, Jeddah 21589
Saudi Arabia
<http://spc.kau.edu.sa>**



IN THE NAME OF ALLAH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING